منبر الإسلام

مع العدد

كتاب عن الإسراء و...

المنتخب من السنة النبوية ...

«الفردوس» مجلة الطفل ...

عدد ممتاز

الثمن ٣٠ قرش

العدد ٧ • السنة ٣٤ • رجب ١٣٩٦ • يوليو ١٩٧٦

منبر الإسلام

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة

كل شهر عربي

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد ٧ - السنة ٣٤

رجب ١٣٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مع محتويات العدد

- مع الرئيس السادات فى ايران والمملكة العربية السعودية وقطر ودولة الامارات العربيــة . . . .
- نص الرسالة التى وجهها الرئيس المؤمن محمد انور السادات الى مؤتمر الاديان العالمى الثامن بطوكيو والتى القاها الاستاذ محمد توفيق عويضة رئيس وفد مصر الاسلامى فى المؤتمر .
- نص المحاضرة التى القاها الاستاذ محمد توفيق عويضــة امين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ورئيس وفد مصر الاسلامى فى مؤتمر الاديان العالمى بطوكيو من ٩ ـ ١٦/٦/١٩٧٦ : لمحة الى بعض مزايا الاســلام .
- تفسير سورة البقرة — الاســتاذ احمـد حسـين
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون . . . . — الشيـخ عبـد الجليـل عيسى
- خصائص القصة القرآنية . — الاسـتاذ فتحى رضـوان
- دعاء الانبيـاء . . . . . — الدكتـور احمـد الحـوفى
- على ضـوء مؤتمر الاديان العالمى بطوكيو . . . . — الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف
- من احكام الشريعة الاسلامية وآدابهـا . . . . . . — الشـيخ محمد خــاطر
- الدين اسـاس القــانون الاسلامى . . . . — المستشـار احمد محمود خليل
- اعجاز القرآن البيانى . . — الدكتـور عبـد الغنى الراجحى
- اضواء على الدعوة الاسلامية — الشـيخ محمـود هاشـم
- لولا انتم لـكنا مؤمنين . . — الاسـتاذ عبـد العظيم منصـور
- الجانب الاقتصادى فى فكر ابن خلـدون . . . . . . — الدكتور عبدالعزيز صالح رضوان
- الطب الوقائى بين الهـدى النبـوى ونظريات الطب الحـديثة . . . . — الدكتورة ابتسـام عبد الحليم
- من الفنون الزخرفية الاسلامية شـبابيك القلل . . . . — الاستاذة سميحة محمد الجبالى

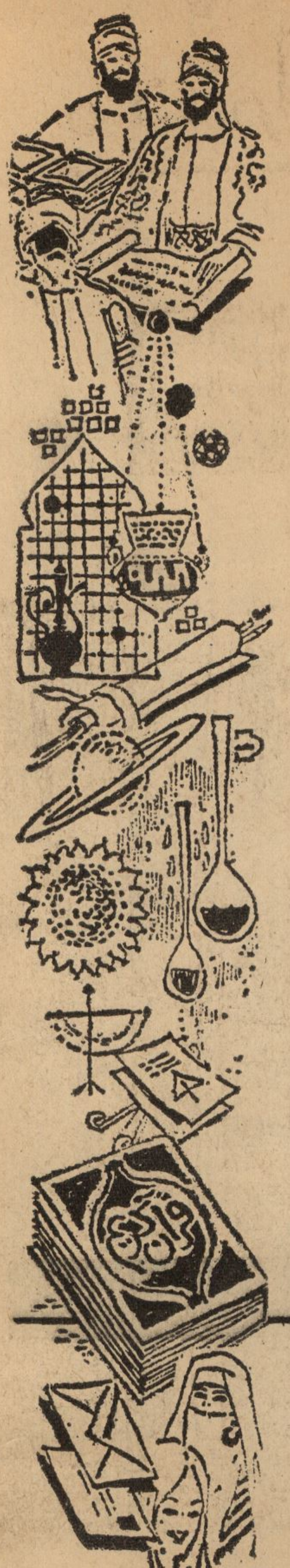

العنــوان : ٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شـارع التحرير خلف عمـاره بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦ ـ تلغرافيا : الاسلام ـ القاهرة

الاشتراكات : ١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية ـ ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدما ، ويضاف اليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هـذه العملة فى البـلاد الاخرى .. تقبـل كـوبونات البريد الـدولى ذات القرشـين ..

معالم الطريق

مع الرئيس السادات

فى إيران
والمملكة العربية السعودية
وقطر ودولة الامارات العربية

قام الرئيس محمد أنور السادات بجوله واسعة زار خلالها ايران والمملكة العربية السعوديه وبعض دول الخليج .

وقد غادر الرئيس السادات القاهرة قبل ظهر الاثنين ١٤ ـ ٦ ـ ١٩٧٦ متوجها الى طهران حيث بدأ زيارة رسمية لايران استغرقت ٦ ايام وكان فى صحبة الرئيس السيدة جيهان السادات والسادة نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزيرا الاسكان والتعمير والاقتصاد ورئيس ديوان رياسة الجمهورية .

ووصل الرئيس والسيدة قرينته والوفد الرسمى المرافق له الى مطار طهران فى حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر وكان على رأس مستقبليه الشاهنشاه محمد رضا بهلوى والشاهبانو فرح ديبا .

وبعد أن استعرض الرئيس حرس الشرف فى مطار طهران بدأ الموكب الرسمى فى سيارة مكشوفة استقلها الرئيس مع الشاهنشاه الى قصر جولستان المقر الرسمى المخصص لاقامة الملوك ورؤساء الدول .

وتوقف الموكب فى الطريق الى قصر جولستان حيث اهدى عمدة مدينة طهران مفتاح المدينة الى الرئيس السادات .

وقد ازدانت العاصمه الايرانيه بالاعلام المصرية والايرانيه وصور الرئيس السادات وشعارات الصداقة والاخوة بين الشعبين المصرى والايرانى وذلك ضمن الاستعدادات الضخمة التى جرت لاستقبال الرئيس السادات حيث وصف الرسميون الايرانيون زيارة الرئيس بانها ارفع مستوى زيارة لرئيس دولة شهدتها ايران فى السنين الاخيرة كما ابدى المسئولون الايرانيون على أعلى المستويات اهتماما خاصا بهذه الزيارة يفوق الاهتمام باية زياره سابقة لرئيس دوله كذلك فان برنامج زيارة الرئيس وضع بتوجيه شخصى من الامبراطور .

وقد رافق الامبراطور الرئيس السادات فى جميع جولاته وتحركاته داخل العاصمة الايرانية وخارجها وكانت هذه أول مرة تحدث مع ضيف زائر ، كما كانت أول مرة يقام فيها عرض عسكرى لاحد كبار الزوار .

وفى مساء اول يوم فى الزيارة قام الشاهنشاه والشاهبانو بزيارة الرئيس السادات والسيده قرينته وقد اقام الشاهنشاه مأدبة عشاء رسمية تكريما للرئيس السادات تم خلالها تبادل الكلمات الرسمية بين الرئيس والشاه .

وفيما يلى نص كلمتى العاهلين الكبيرين :

كلمة الرئيس فى مادبة العشاء

جلالة الشاهنشاه آريا مهر

جلالة الشاهبانو

اسمحوا لى أن أعبر لكم عن امتناننا جميعا للحفاوة البالغة والاستقبال الاخوى الحار الذى لقيناه منكم ومن شعب ايران الشقيق . وهو ما نعتبره تحية اعزاز وتقدير موجهة للشعب المصرى كله ، وأود ايضا أن اسجل شكرى وتقديرى للكلمات الصادقة المعبرة التى وجهتموها نحوى ونحو شعبنا الذى لمس مدى ما يكنه لكم ولشعبكم من محبة ومودة عميقة ، والواقع اننا — كما قلتم فى مستهل كلمتكم نعتبر أنفسنا فى دارنا وبين اهلنا وعشيرتنا ، فالعلاقات بين بلدينا وشعبينا علاقات فريدة على امتداد التاريخ . تقوم شاهدا حيا عليها الآثار الخالدة القائمة فى « تخت جمشيد » والاقصر . والتقارب الشديد بين الحضارتين على مر العصور ، وهو تقارب رسخه وتوجه امتداد نور الإسلام الحنيف الى البلدين . والاضافات الكبرى التى حققها المفكرون الايرانيون للفكر الاسلامى وعلوم الدين ، وفى مقدمتهم « البخارى » و « الاصفهانى » و « ابن سينا » و « الرازى » و « سيبويه » وهم علماء اجلاء وضعهم الشعب المصرى فى اعلى مراتب التبجيل والتوقير ، وتلقى منهم العلم والمعرفة . وعكف علماؤنا على ترجمة اعمالهم الى اللغات الاجنبية وتقديمها للعالم الخارجى ، عنوانا لسمو الفكر الاسلامى ، وتجسيدا للوحدة العميقة الجذور بين كافة ابناء الامة الاسلامية : والاسهام الكبير الذى يقدمونه لاثراء الحضارة الانسانية .

فليس غريبا اذن أن يكون حاضر العلاقات بين البلدين امتدادا لهذا الماضى المشرق ، لان مجالات التعاون بيننا تتسع وتزايد كل يوم ، فى كافة الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية وقد لمس الشعبان الفائدة التى تعود عليهما وعلى شعوب المنطقة كلها نتيجة لهذا التعاون البناء ، وسوف يلمسان فى القريب آثارا أبعد مدى وأكثر اسهاما فى رخاء جماهيرنا صاحبة المصلحة فى تكثيف الصلات وتدعيم الروابط بين البلدين والشعبين ، ومنذ وقعت اتفاقية التعاون الاقتصادى بين البلدين فى مايو ١٩٧٤ وحجم التبادل بينهما فى تزايد مستمر ، كما أن آفاقا جديدة للتعاون تتفتح ، ومن الانصاف أن اقول أن جلالتكم كنتم صاحب الفضل فى هذه الدفعة التى تلقتها العلاقات بيننا . اذ آمنتم بوعيكم التاريخى وبعد نظركم ان التلاقى والتلاحم بين الشعبين حتمية لا ريب فيها .

الصديق العزيز الشاهنشاه . . .

ان الشعب المصرى يشارككم أفراحكم هذه الايام اذ تحتفلون بمرور خمسين عاما على تولى اسرتكم الكريمة عرش ايران ، وهى مناسبة نعتز بها معكم لانها تجسد امامنا الانجازات العظيمة التى تحققت للشعب الايرانى منذ تولى المغفور له والدكم العظيم مسئولية قيادة البلاد الى الاستقرار والتنمية والتقدم . ويعرفون كم كان شعبنا يكن له من الحب والتقدير . ونحن نعتز بأن مصر كانت لها منزلة خاصة فى نفسه ، وانه كان يخصها باهتمامه ومودته . وهو نهج سرتم عليه من بعده ، كما انكم تضيفون كل يوم الى الانجازات التى حققتها للشعب الايرانى الشقيق . وامامنا ثورة الشاه والشعب بكل ما حققته من زيادة دخل الكادحين من ابناء الشعب ، وامامنا كذلك الثورة التى تحققونها فى مجال التصنيع وتوليد الطاقة وادخال التكنولوجيا الحديثة فى بلادكم وسن قوانين التامينات الاجتماعية ، ونشر التعليم والخدمات الصحية فى شتى ربوع البلاد . ونحن على ثقة من ان هذا سوف يسهم فى نجاح خطط التنمية الطموحة التى تضعونها وتسهرون على تنفيذها لمصلحة الاجيال المتعاقبة من ابناء شعبكم المجيد .

ولعل من أعظم انجازاتكم انكم تمكنتم من جعل استقلال بلدكم استقلالا حقيقيا يقوم على حرية الارادة والقدرة على ادارة سياسته بعيدا عن التدخلات الاجنبية ، ورفض كل صور التبعية والسيطرة ، وقد علمتنا التجارب المريرة التى خضناها طوال تاريخنا انه ليس هناك بديل للاحتفاظ للشعب بحرية ارادته واستقلال سياسته ، مهما كانت المغريات والتحديات ، فالشعوب التى تحقق أهدافها فى التنمية والرخاء والعدالة الاجتماعية هى تلك القادرة على تولى أمورها بنفسها والتخلص من كافة

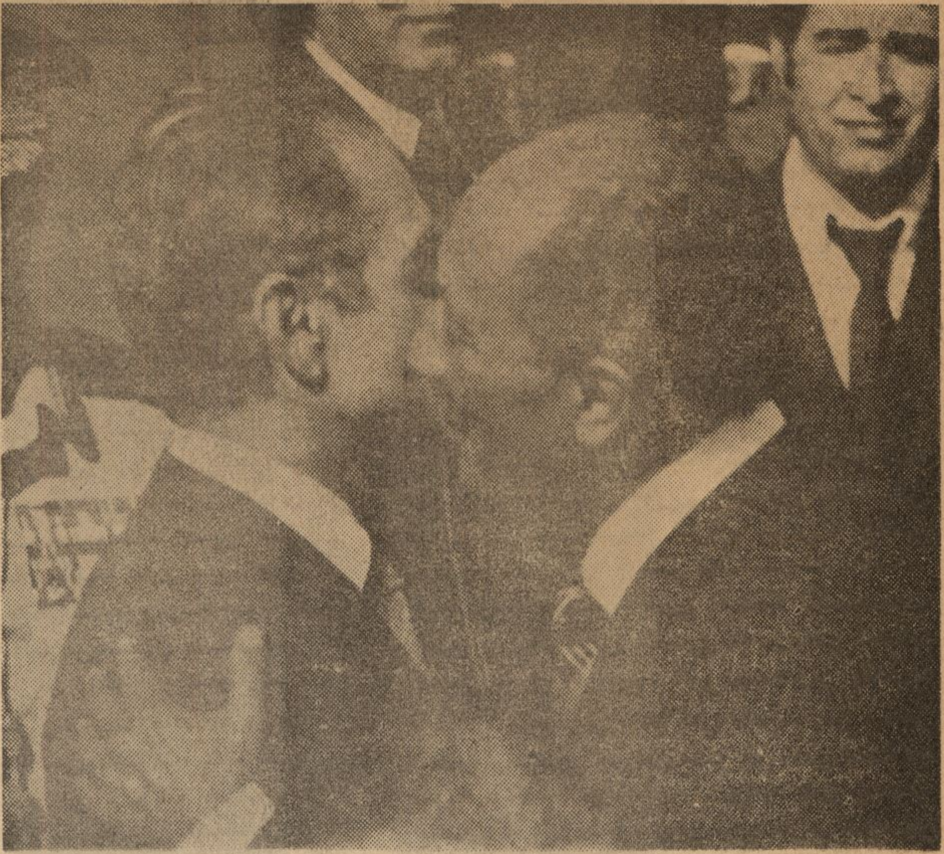

شاه ايران يستقبل الرئيس السادات بالعناق عند نزوله من سلم الطائرة .

أشكال السيطره السياسية والاقتصاديه والفكرية ، ومن ثم فنحن ننادى اليوم معا باقامة نظام اقتصادى أفضل ، يقتلع جذور الظلم الذى فرض على شعوب العالم الثالث قرونا طويلة، ويفتح المجال أمام وضع متوازن لا يغفل حقوق ومصالح هذه الشعوب ازاء الدول الصناعية التى هى مدينة لنا بكثير من تقدمها ورخائها ..

صاحب الجلالة

ان الأمة العربية تسجل لكم انكم وقفتم الى جانبها فى كفاحها المشروع من اجل اقامة سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الاوسط ،وشجبتم استمرار احتلال الارض العربية ، وناصرتم حق اشقائكم الفلسطينيين فى أن يمارسوا حقوقهم السياسية كشعب عريق له كيانه الحضارى والسياسى الذى لا سبيل الى انكاره ، واحب أن أنوه بأن ايران قد صوتت فى صالح ثمانية قرارات صدرت عن الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها الثلاثين ، وكلها تضيف الى صيانة حقوق الشعب الفلسطينى وتدعيم مركزه الدولى ، كما ان موقفكم الحازم فى قضية القدس وحيويتها لكافة الشعوب الاسلامية وهو موقف مبدئى يتفق مع توقعاتنا ومع الروابط الروحية التى تجمع بيننا .

وقد كان من مظاهر اهتمامنا المشترك بأمن المنطقة والحفاظ على مسيرة شعوبها فى الطريق السلمى انكم اخذتم المبادرة لاقامه منطقة خالية من الاسلحة النووية فى الشرق الاوسط ، وهى مبادرة اشتركت مصر معكم فى تبنيها والدعوة لها ، وكم كانت سعادتنا حين أيدتنا جميع دول المنطقة ، بل والعالم اجمع فى هذا الشأن ، ولم يخرج عن هذا الاجماع الدولى سوى اسرائيل التى تتزايد عزلتها الدولية كل يوم بافتضاح نواياها العدوانية التوسعية ، وكشف مخططاتها التى تتناقض مع حركة التاريخ ومع حقوق الانسان .

كما ان اهتمامكم بسلامة جميع الشعوب العربية ورخائها تبدى فى موقفكم من الاحداث المؤسفة التى تعرض لها لبنان الشقيق ، وهى احداث ادمت قلوبنا جميعا ،وتسببت فى معاناة لاحد لها للشعبين اللبنانى والفلسطينى ، كان من الممكن أن نتجنبها لو كان الجميع قد التزموا بخطنا السياسى واستجابوا للمبادرات التى طرحناها منذ بداية الازمة ، والتى أقرها بالاجماع مجلس وزراء خارجية الدول العربية فى اجتماعه الطارىء الذى عقد فى القاهرة منذ أيام ، وتقوم على الكف عن التدخل الخارجى والابتعاد عن اذكاء نار الخلاف والصراع بين أبناء الامة الواحدة ، والموافقة على تكوين قوه

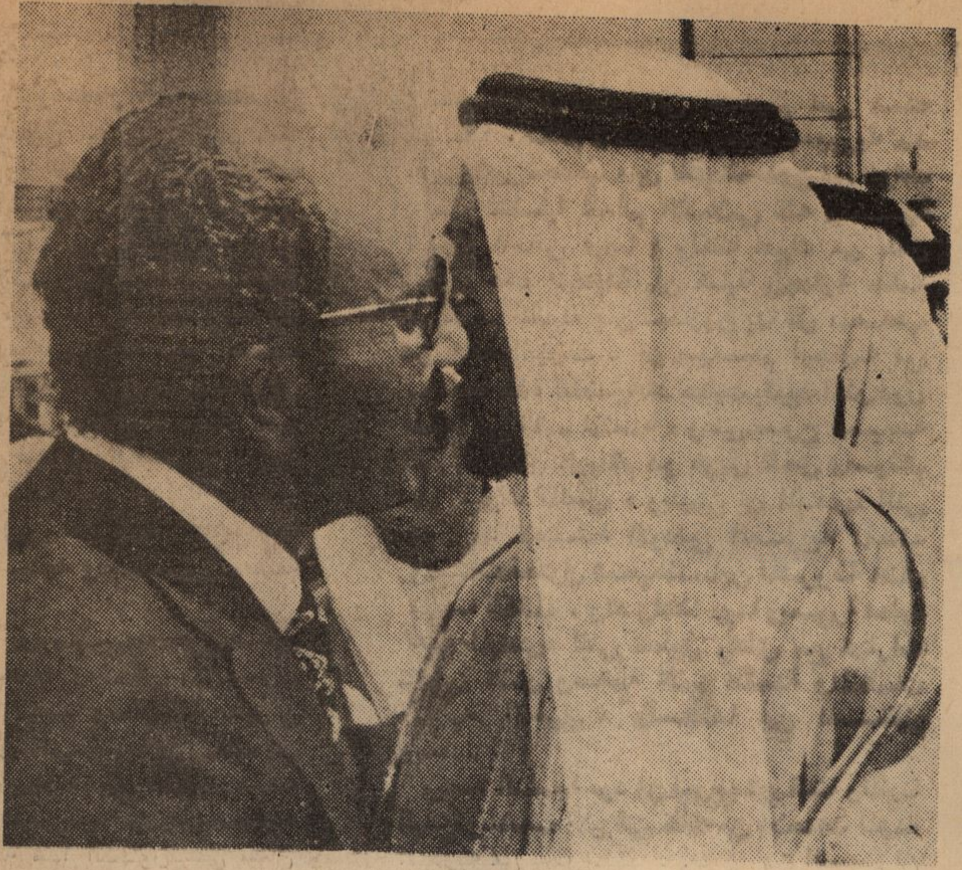

جلالة الملك خالد يعانق الرئيس السادات عند سفره الى الدوحة بعد انتهاء محادثاته فى الرياض .

أمن عربية رمزية مشتركة ، لملء ما سمى بالفراغ الامنى فى لبنان ، ولعلكم تتفقون معى حتى ان أحداث لبنان بل مأساته فيها العبره والدروس اذ تبث أن مصائر الشعوب لا يمكن ان تتقرر بالمغامرة او المؤامرة ، وانما تتقرر بالعمل المسئول الهادف ، والنظر الى المستقبل بكل ما يحمله للشعوب من أمل ورجاء ، ولذلك نحن ننطلق الان الى الامام ونسعى الى زيادة فرص احلال الوئام محل الشقاق والتناحر بين أبناء الشعب الواحد ، ولعل الجهود العربيه المشتركة التى فتح أمامها المجال بعد ثبوت عقم التدخلات المنفردة تؤتي ثمارها فى اقرب وقت وتنجح فى تضميد جراح الماضى ووضع نهاية للاحزان والاحقاد والمعاناة .

أيها الاصدقاء

اسمحوا لى أن أدعوكم للوقوف تحية لجلالة الشاهنشاه أريا مهر والشهبانو ، وتحية لجميع أبناء الشعب الايرانى الشقيق ، وللعلاقات الاخوية الخالدة بين الشعبين الايرانى والمصرى .

كلمة الشاه

وكان الشاهنشاه قد القى كلمة ترحيب بالرئيس السادات قال فيها :

سيادة رئيس الجمهورية ..

انه من دواعى سرور الشاهبانو وسرورى ان نحتفى بقدومكم والسيدة جيهان السادات الى بلدنا مرة اخرى .. ان وطننا مستعد دائما وبكل رغبة وصدق لاستضافتكم بصفتكم صديقا جليلا ، واحد قادة عالم اليوم البارزين واتوقع من سيادتكم ان تعتبروا أنكم فى داركم ، انكم بالنسبة لنا لستم الممثل الاول فى بلد تربطنا واياه منذ الاف السنين أقدم علاقات فى تاريخ العالم فحسب ، بل انكم فى الوقت نفسه تعتبرون زعيما عظيما قاد وطنه مصر العريقة والاصيله فى ادق مراحل تاريخ مصر والعالم بكل جدارة وكفاءة .

ان المسئولية التى تتحملونها فى الحقيقة هى من اثقل المسئوليات التى يمكن لقائد ان يتحمل اعباءها ، واننا نتتبع بكل اهتمام كيف تقومون بهذه الواجبات الجسيمة بحكمة ودارية تستوجب التعظيم والتى هى واجب كل قائد أن يتسم بها .. انكم مزجتم الشهامة بالحقيقة والواقعية ، والحزم ببعد النظر والدراية ، ولقد اظهرتم دائما بأن الدفاع عن مصالح بلادكم الحقة رسالتكم الوحيدة .

ولحسن الحظ فانكم فى مسيرتكم على هذا الدرب الوعر تحظون على تأييد ومساندة شعبكم الراسخة والمطلقة وثقته الكاملة بكم ،

وانّنا فى زيارتنا الاخيرة لمصر قد شاهدنا عن كثب هذا الرباط العميق الذى يربطكم مع شعبكم ، ولمسنا بسرور مدى اهتمامكم على هذه المساندة القوية والتى بها سوف تستطيعون المضى بقوة وحزم على الطريق الذى اتخذتموه بكل شهامة بتأمين مصالح بلدكم ، وليس هناك من حاجة الى تأكيد هذه الحقيقة لاننا نرتبط بكم بروابط صداقة حقيقية وعميقة مع اعتقادنا الراسخ بصدق واستقامة الطريق الذى نسيرون عليه فنحن معكم والى جانبكم ، وهذا هو الشاهد لاثبات هذا التقارب بالتعاون المتزايد الذى يسيطر على علاقاتنا فى الوقت الحاضر بين ايران ومصر وفى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والشئون المختلفة الاخرى .

ان بلدينا اليوم يرتبطان بعدة روابط عن طريق اتفاقيات للصداقة والتعاون التجارى والقضاء والثقافة والاعلام واتفاقيات الطيران واتفاقيات السياحة وتبادل الطلبة وغير ذلك من الاتفاقيات المعقودة بيننا ، وان تنفيذ هذه المشروعات المشتركة العمرانية منها والصناعية أدى الى اتساع رقعة هذا التعاون على نطاق أوثق .

ان تبادل الزيارات بين المسئولين فى البلدين اصبح اليوم صورة تقليدية ثابتة وان هذا لدليل على اتساع هذا التعاون المتزايد .

وفى العام الماضى وعلى وجه التحديد فى مثل هذه الايام قام ولى عهد ايران بدعوة كريمة من سيادتكم ليقوم بأول زيارة رسمية له الى خارج بلاده ، وشارك فى مراسم اعادة فتح قناة السويس ومنطقة بورسعيد الحرة ، ولقد حمل ولى العهد عند عودته من هذه الزيارة التى تمت برفقة سيادتكم ، اجمل الذكريات وبديهى ان هذا يعكس اعظم امنيات شعب ايران لانتصار شعب مصر الكامل ، وذلك باستعادة حقوقه الوطنية وبتنفيذ البرامج الواسعة النطاق فى البناء والتقدم والرقى .. ان هذه الزيارة التى تقوم بها سيادتكم الان لايران تتيح لنا الفرصة للاعراب ثانية عن شكرنا وامتناننا على كرم ضيافتكم وحكومة وشعب مصر التى لاقيناها والشاهبانو خلال زيارتنا التى شاهدنا خلالها آثار مصر العريقة والعظيمة والجهود المثمرة التى تبذلها مصر فى سبيل اعادة بنائها ... بناء مصر الحديثة كان لها أثر عميق فى انفسنا ، وكان هو نفس الاثر بعد زيارة ولى عهد ايران لمصر ..

سيادة رئيس الجمهورية .. نحن نعلم حق العلم بأنكم تواجهون الان قضايا صعبة وجسيمة ، وبالنظر الى تصديكم الى هذه القضايا ، فانكم لا تعتبرون رئيس جمهورية لبلد عربى كبير فحسب ، بل انكم تتصدون فى الوقت نفسه لقضايا العالم الاسلامى كله وقضية السلام العالمى أيضا ، ولكننا ندرك فى نفس الوقت هذه الحقيقة بأن كفاية وجدارة حكمة سياستكم الكثيرة بأن تجتازون بها كل المصاعب من كافة الجهات . ان سياستكم الحكيمة فى مواجهة هذه القضايا قد حظيت بتأييد اكثر دول العالم فى الامم المتحدة ، وعلى مسرح السياسة الدولية ، لان طريقكم هو طريق الحق وصوتكم هو صوت المنطق ، وبديهى ان المبادىء التى تتبعونها لاعادة الاراضى العربية المحتلة واستعادة حقوق شعب فلسطين المشروعة ، تنال تأييدنا الكامل . وقد زادتنا دوما وبصورة فعلية هذه المبادىء التى تنطبق وتتفق مع قرارات مجلس الامن ومنظمة الامم المتحدة والمنظمات الدولية الاخرى ، ونساندها فى المستقبل أيضا .

وبهذه المناسبة نود أن نعرب عن قلقنا وتأثرنا البالغ والشعب الايرانى كافة من الاحداث المؤلمة الجارية فى لبنان حاليا ، ونتمنى من الصميم أن يعود السلام وتعود الطمأنينة الى ربوع هذا البلد مع أمانينا القلبية بالتوفيق لسيادتكم وشعبكم فى هذا الطريق وتمنياتنا بسلامة وسعادة سيادة رئيس الجمهورية والسيدة قرينته .

ونقدم نفس التحية لاخوتنا فى الدين لشعب مصر النبيل والشقيق والصديق آملين تنمية وتوثيق علاقات الصداقة والتعاون المتزايد بين البلدين وسعادة ورقى العالم الاسلامى والسلام والتفاهم العالمى ■

ومن جانبه اقام الرئيس السادات فى قصر جولستان مساء الخميس ١٧ ـ ٦ ـ ١٩٧٦ مأدبة عشاء تكريما لشاهنشاه آريا مهر والشاهبانو فرح ديبا بهلوى حيث تبودلت بينهما الكلمات .

كلمة الرئيس السادات

جلالة الاخ والصديق العزيز الشاهنشاه آريامهر

جلالة الشهبانو

الان وقد اتيح لنا أن نلتقى بكم وبالشعب الايرانى الشقيق مرة أخرى ، ونواصل الحديث الممتع الذى تبادلناه اثناء زيارتكم لمصر فى العام الماضى ، يسعدنى ان اقرر ان المباحثات التى أجريناها بالامس والاحاديث التى اجريناها منذ وصولنا قد اسهمت فى توثيق عرى الصداقة الحقيقية والتعاون الاخوى بين الشعبين ، كما أنها أكدت الحقيقة التى أرسينا

الرئيس السادات يلقى كلمته فى مادبة العشاء التى أقامها أثناء زيارته لايران تكريما لشاه ايران ،
ويرى الى يمينه الشهبانو فرح بهلوى والى يسار الشاهنشاه السيدة جيهان السادات .

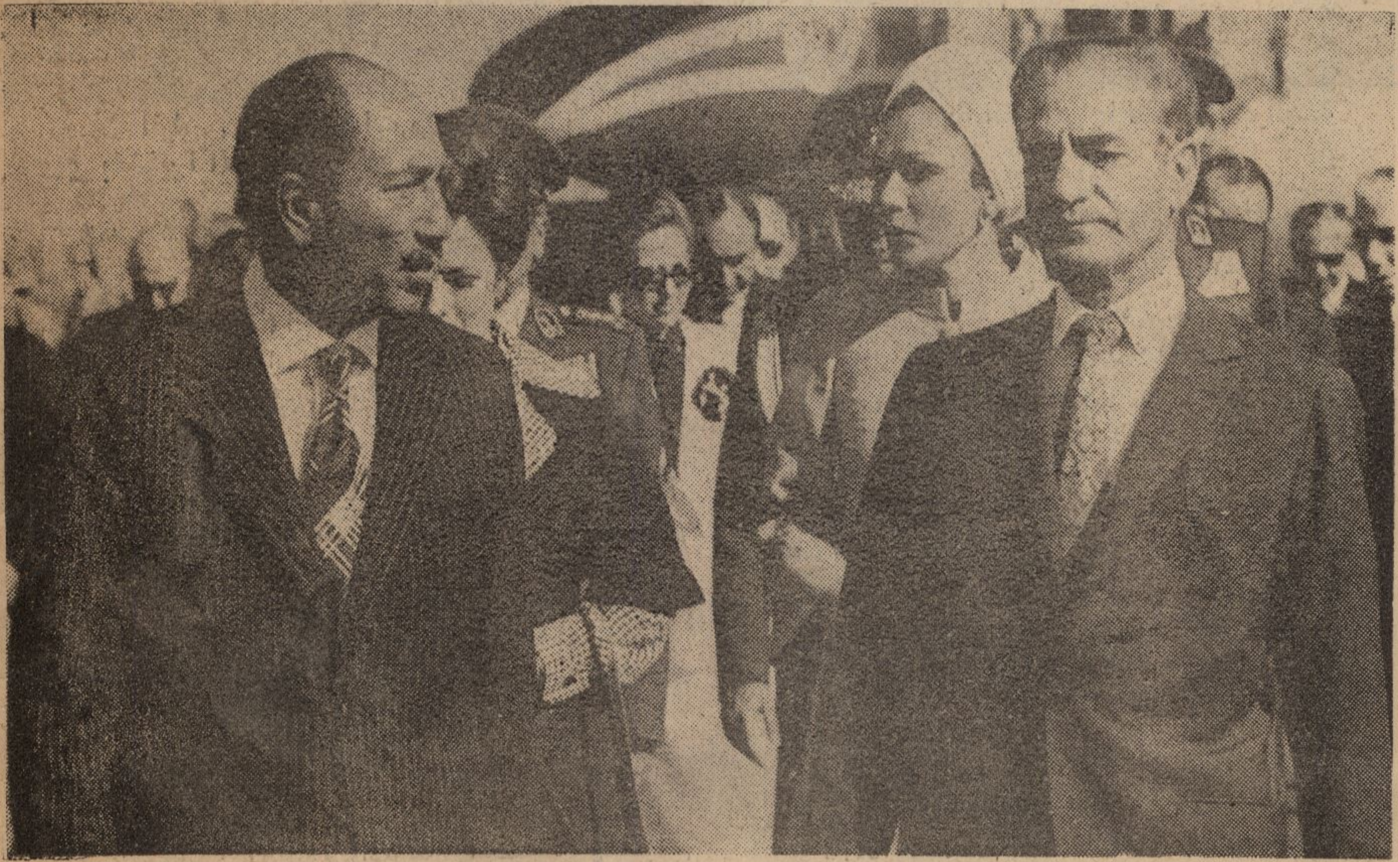

الرئيس السادات وشاه ايران فى مطار طهران عقب وصول طائرة الرئيس ويرى خلفهما الشهبانو
فرح بهلوى والسيدة جيهان السادات وكبار المستقبلين .

الرئيس أنور السادات والشاهنشاه يشاهدان بالذخيرة الحية فى منطقة صحراوية تبعد ١٠٠ كيلومترا من طهران المناورات العسكرية التى أجرتها القوات الايرانية .

عليها العلاقات المصرية الايرانية ، وهى وحدة المصلحة والهدف لدى جماهير الشعبين ، ووجوب استمرار البلدين فى السير فى اتجاه تدعيم العلاقات بينهما فى جميع المجالات وعلى كافة المستويات .

وقد كان طبيعيا أن تتفق وجهات نظرنا حول الموضوعات التى شملتها المحادثات ، سواء فى ذلك الشئون الدولية ، أو المسائل المتعلقة بمنطقة الشرق الاوسط ذات الاهمية الاستراتيجية الحيوية ، فكلانا ينطلق من الرغبة الصادقة فى خدمة قضية السلام العالمى وترسيخ التعاون الدولى القائم على أسس بعيدة عن الاستغلال والانانية .

وأحب أن أنوه بوجه خاص تأييدكم المتصاعد للمطلب العربى المشروع بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة ، وتحقيق الحقوق الوطنية لشعب فلسطين الشقيق ، ولدى من الاسباب ما يدعونى للاعتقاد ان ايران سوف تأخذ خطوات جديدة فى اتجاه الالتقاء مع هذا الشعب المناضل ، وتأييد ثورته ذات المضمون الانسانى العميق ، وتعلمون ان كل هذا يعزز ايمان الجماهير الفلسطينية بتضامن الشعوب الصديقة معها ، وبامكان التوصل الى سلام عادل ودائم يصون الحق ويحول دون العدوان والتوسع .

كما اسجل بالتقدير ما لمسته من حرصكم على الحفاظ على أمتن العلاقات مع كافة الدول والشعوب العربية ، واستعدادكم لمعالجة جميع المسائل المعلقة معها بروح من الاخاء والود والتفاهم .

وأود أن أنوه كذلك بالانجازات الضخمة التى حققتموها لبلدكم العزيز فى هذه الفترة الوجيزة ، وتقوم شاهدا على رؤية رشيدة للمستقبل ، ونظرة مستنيرة للتاريخ .

ويعلم العالم اجمع ـ ايها الاخ العزيز ـ انك تبني الرخاء والتقدم لايران ذات التاريخ العظيم والحضارة المجيدة ، واليوم أتيح لى ان اشعر بمزيد من الفخر والاعتزاز حين شاهدت العمل الكبير الذى قمتم به فى بناء القوات المسلحه الايرانية وهو ما يعد بحق انجازا رائعا آخر من أجل الدفاع عن الحق والسلام والعدل ، لان هذه القوات المسلحة الرائعة ذات الكفاءة العالية التى لمسناها هى بالضرورة درع يحمى الحق ويصون الشرعية .

وقد ادركتم بحكمتكم وبصيرتكم ان الحق لا يسود فى العالم المضطرب الا اذا كانت وراءه قوة تحميه وتسنده .

تحية لك كقائد أعلى لكل ما شاهدناه اليوم، وتحية للقوات المسلحة الايرانية من شعب مصر وقواته المسلحة .

أيها الاصدقاء

اسمحوا لى ان ادعوكم للوقوف تحية لجلالة الشاهنشاه والشهبانو اللذين يكن لهما الشعب المصرى مودة خاصة وحبا خالصا ، وتحية لجميع ابناء الشعب الايرانى الشقيق ، وعلاقات الصداقة والاخاء التى تربط بين الشعبين .

كلمة الشاهنشاه

القى الشاهنشاه كلمة ردا على كلمة الرئيس السادات قال فيها :

أشكركم جدا على الكلمات الودية المؤثرة التى وجهتموها نحوى ، ان كلمتكم تعبر عن اتفاق وجهات نظرنا فى المسائل الوطنية فيما يتعلق بمنطقة الشرق الاوسط والشئون الدولية ، كما تؤيد التعاون والمساعى المشتركة الواسعة النطاق بين بلدينا وشعبينا ، وما من شك ان زيارتكم هذه لايران والمباحثات التى اجريناها فى هذين اليومين تؤثر اكثر فأكثر فى توطيد التفاهم والتعاون وتعزيزهما .

اننا أجرينا هذه المباحثات بايمان راسخ بمبادىء الصداقة والود والصراحة التامة التى كانت هى دوما من شخصيتنا ومبادئنا فى تبادل الاراء والافكار .

ان منطق كل منا يشبه الاخر تماما . وان هذا التشابه والتطابق فى وجهات نظرنا هى قبل كل شىء نتيجة بديهية لوحدة المبادىء التى نؤمن بها أنا وسيادتكم ايمانا عميقا .

نحن نسعى كل السعى فى سبيل السلام العالمى والتفاهم الدولى وتوثيق التعاون العالمى ولكننا نعتقد اعتقادا راسخا بان السلام والتضامن الحقيقى بين الحكومات والشعوب يستوجب احترامهم التام بحقوقهم وكيانهم الوطنى بعضا لبعض والابتعاد عن الاستغلال والسيطرة والانانية والتدخل بأى شكل من الاشكال فى شئونهم الداخلية .

ان العالم الذى نحن بصدده هو عالم خال من البواعث التى هى وليدة الخصومات والتحديات والتدمير ، وهو العالم الذى يستطيع فيه كل شعب من الشعوب ان يكرس كل طاقاته لبنائه ورفع مستواه المادى والمعنوى .

ان هذه الحقيقة تجرى فعلا فى معظم دول العالم الثالث . وبناء على هذه الاهداف التى لن تتغير وبناء على تعلقنا بالعالم الاسلامى الكبير فان وطننا ايران بالنسبة لقضية فلسطين قد دافع منذ البداية عن المطلب العربى المشروع بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربيه المحتلة واستعادة حقوق شعب فلسطين وسيدافع عنه وسيستمر فى الدفاع ، والجدير بالذكر أن ايران كانت أول دولة نوهت بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ونعتقد الان ايضا ان تنفيذ قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة العديدة فى هذا الشأن هو الطريق الوحيد لاقرار سلام حقيقى ودائم فى هذه المنطقة من العالم .

أنتم ياسيادة الرئيس أشرتم فى محبة خالصة ومودة خاصة التى هى علامة تقاربكم أنتم وتقارب شعبكم الروحى لوطنى اشرتم الى الانجازات التى حققناها فى كافة مجالات الرقى والتقدم والبناء فى وطننا ايران . ولكننى أود مع تقديم شكرى وامتنانى لسيادتكم أن أنوه بوجه خاص بالانجازات الضخمة التى تحققت فى مصر الشقيقة تحت قيادتكم الحكيمة . ونحن نلاحظ مساعيكم الدائمة التى تبذلونها بكل جزم وحزم لازدهار الانجازات فى كافة المجالات والميادين .

واذا تطلعنا الى هذه الانجازات الضخمة التى تتحقق فى فترة طارئة صعبة من فترات حياتكم السياسية والعسكرية يتزايد احترامنا وتبجيلنا لسيادتكم لتحقيق هذه الانجازات الضخمة . وأنه من الطبيعى أن نأمل بكل اخلاص أن توفقوا فى انجاز مشاريعكم البناءة فى كل هذه المجالات والميادين واسمحوا لى ان أدعوكم للوقوف تحية للقائد الحكيم قائد شعب مصر الصديق الشقيق وتحية لحرم سيادة الرئيس السيدة جيهان السادات .. ومع أملى بتحقيق الرقى والتقدم المتزايد لمصر وشعب

مصر في تدعيم العلاقات الايرانية المصرية .

وقد أعلن الرئيس انور السادات عقب محادثاته مع الشاهنشاه انها كانت طيبة للغاية ، في نفس الوقت الذي أكد فيه الشاهنشاه مساندة ايران لمصر مساندة تامة . وقد تناولت المباحثات العلاقات الثنائية بين البلدين وقضية الشرق الاوسط واوضاع لبنان والموقف الدولي الراهن واستمرت في جلسه مغلقة اقتصرت على الرئيس السادات والشاهنشاه أكثر من ساعتين بينما كان الجانبان المصري والايراني يجريان محادثاتهما حول الشئون السياسية والاقتصادية والصناعية .

كما أجرى الرئيس انور السادات اتصالات عربية ودولية بالغة الاهمية من طهران ، تناولت الاوضاع المتدهورة في لبنان والتطورات الخطيرة لاحداثه والموقف في الشرق الاوسط بصفة عامة والعلاقات بين الدول العربية في هذه المرحلة الحرجة . وقد تضمنت هذه الاتصالات رسالة ابلغها السيد اسماعيل فهمي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الى السفيرين الامريكي والفرنسي في طهران ، وتلقى ردا عاجلا من الحكومة الامريكية على هذه الرسالة .

هذا وقد عقد الرئيس السادات مؤتمرا صحفيا كبيرا في طهران مساء السبت ١٩-٦-١٩٧٦ حضره أكثر من ١٠٠ صحفي اجنبي وعربي ، ثم التقى بالوفد الصحفي المصري ، وفي اللقاءين أدلى الرئيس بتصريحات هامة قال فيها :

● ان الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان اتصل به قبل وصول الرئيس الاسد ، وتشاور معه في تطورات ازمة لبنان وكيفية اخراج سوريا من ورطتها هناك . وخلال الاتصال ، عرض الرئيس الفرنسي اقتراحه بالتدخل ايجابيا في لبنان . وكان رأى الرئيس السادات أنه يتمنى نجاح المبادرة العربية ، ولكن اذا طلب الرئيس اللبناني المنتخب الاستعانة بقوات أمن فرنسية - لا تنحاز لطرف - فان مصر لا تمانع في ذلك .

● ان عملية اغتيال السفير الامريكي في بيروت عملية مشبوهة ، وعندما يتم الكشف عنها سيعرف الجميع حقائق كثيرة وخطيرة .

● ان مصر أرسلت الى امريكا تحذر من استغلال اسرائيل للموقف في لبنان .

● ان الجولة التي ستعقب زيارة ايران لها أهداف محددة . فزيارة السعودية لها علاقة بقرب اجتماع المؤتمر الرباعي في الرياض ، وزيارة الخليج كان ينبغي ان تتم « لان لدى الكثير مما أريد أن أقوله للاخوة هناك بعد زيارة ايران » فضلا عن أن هناك مسائل أخرى تتصل بصندوق الدعم العربي الذي يشترك فيه اتحاد الامارات وقطر .

كما واصل الرئيس مشاوراته مع شاه ايران في « رامسار » ، على شاطيء بحر قزوين ، التي توجه اليها الرئيس ، حيث يقضي يقضي هناك يومين في جولة أخيرة في المباحثات مع شاه ايران .. وقد عاد الرئيس وشاه ايران الى العاصمه يوم الاثنين ٢١-٦ ، حيث جرت مراسم توديع الرئيس والسيدة قرينته والوفد المرافق له في مطار طهران .

وقد أذيع البيان المشترك عن محادثات الرئيس والشاه في نفس اليوم حيث أكد الجانبان على أواصر الصداقة والتعاون في جميع المجالات بين مصر وايران .

بيان مشترك عن محادثات طهران

وكان الرئيس انور السادات والسيدة قرينته قد غادرا طهران في الحاديه عشرة والنصف قبل ظهر الاثنين ٢١ - ٦ ، بعد وداع رسمي حار ، حيث كان الامبراطور محمد رضا بهلوي والسيدة قرينته على رأس المودعين .

وتعرض البيان المشترك عن المحادثات الذي أذيع في كل من القاهرة وطهران الى عديد من القضايا :

● **بالنسبة للعلاقات الثنائية** ، أشار البيان الى زيادة حجم التبادل التجاري بين مصر وايران ، والى مشروعات مجمع السماد وبناء منطقة القناة وميناء بور سعيد والانفاق التي تمر تحت القناة . وقرر الرئيسان ادراج كل هذه الموضوعات للدراسة في اجتماع اللجنة الوزارية المشتركة بين البلدين .

● **بالنسبة لازمة الشرق الاوسط** ، دعا الرئيسان الى ضرورة التحرك السريع لتسوية الازمة ، واستئناف مؤتمر جنيف باشتراك الفلسطينيين فيه ، وادان الرئيسان اجراءات اسرائيل في القدس وسياسة الاستيطان التي تنتهجها في الاراضي المحتلة ، باعتبارها خرقا خطيرا لاتفاقيات جنيف .

● **بالنسبة لازمة لبنان** ، دعا البيان الى وقف كل صور التدخل الخارجي غير المسئول في لبنان ، واعتباره شرطا للتوصل الى حل عملي للمشكلة ، وأعرب الرئيسان عن أملهما

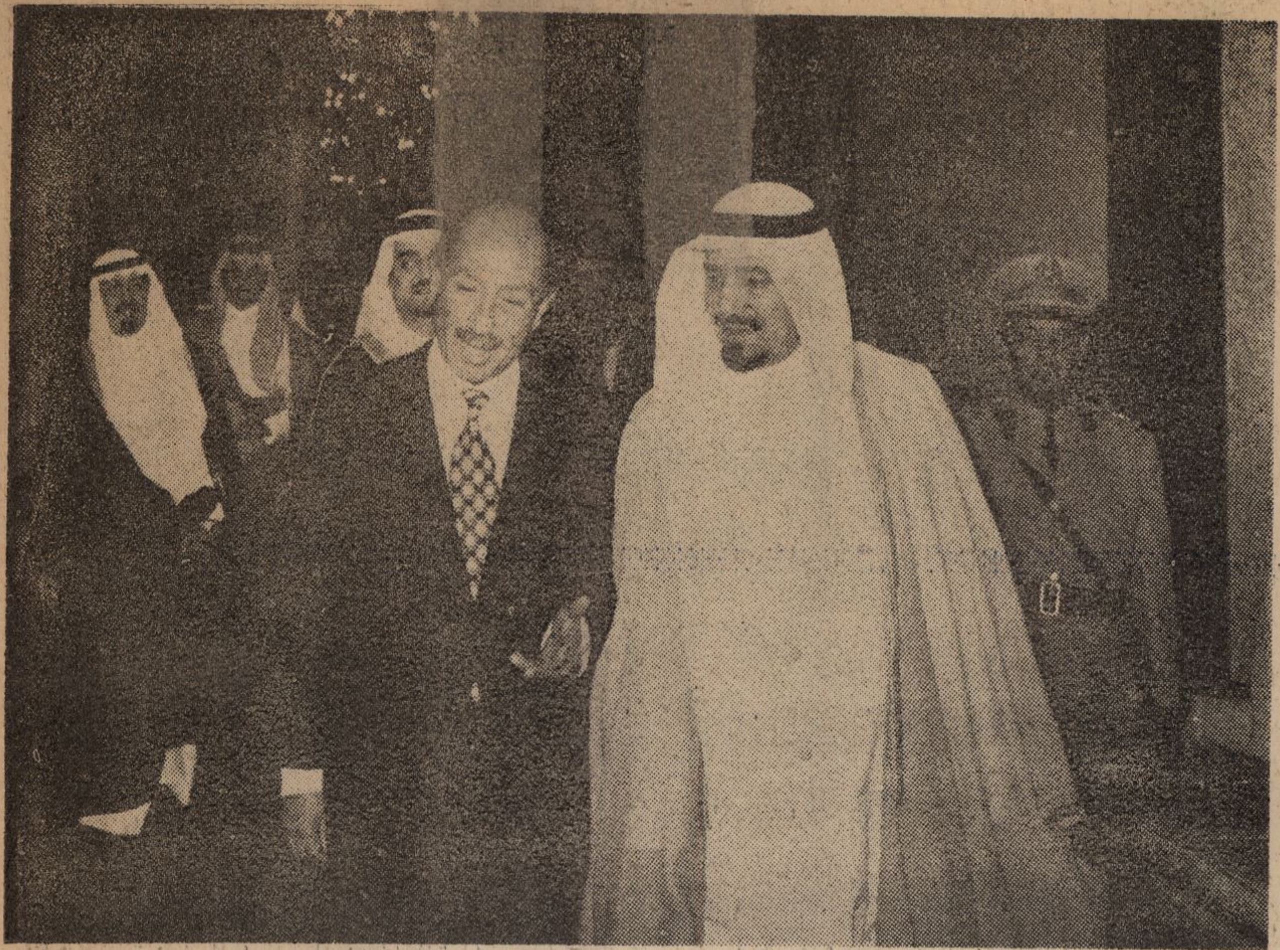

استمرت لقاءات الرئيس أنور السادات مع الملك خالد طوال فترة اقامته بالسعودية .

فى أن تؤدى المبادرة التى قررتها الجامعة العربية الى تحقيق الاستقرار فى لبنان .

● **بالنسبة للموقف الدولى** ، دعا البيان الى اقامة نظام اقتصادى دولى جديد يحقق العدالة والرفاهية لدول العالم كما دعا الدول الصناعية لان تتعاون بصورة عادلة ومسئولة فى مجال التنمية واكد الرئيسان رفضهما لسياسة مناطق النفوذ ، ولاى تدخل فى الشئون الداخلية للدول .

كما جدد الرئيسان الدعوة الى اقامة منطقة خالية من الاسلحة الذرية فى منطقة الشرق الاوسط .

محادثات الرئيس السادات والملك خالد

وقد بدأ الرئيس أنور السادات والملك خالد محادثاتهما بعد ظهر الاثنين ٢١ ـ ٦ أثر وصول الرئيس السادات قادما من طهران . وتركزت المحادثات حول أزمة لبنان وحماية الثورة الفلسطينية ، حيث تم الاتفاق على تشكيل قيادة قوة الامن العربية التى تقرر أن تبدأ عملها فورا .

وكان الرئيس السادات قد وصل الى الرياض فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر الاثنين وكان قد وصل قبله بنصف ساعة وتعانق الرئيس والملك خالد ، ثم حيا الرئيس السادات ياسر عرفات ، ثم استقل الملك خالد والرئيس السيارة الملكية الى قصر « الناصرية » ، حيث يقيم الرئيس السادات .

وهناك قضى الزعيمان بعض الوقت ، ثم غادر الملك خالد قصر الضيافة ، حيث عقدت جلسة المحادثات الاولى بعد ظهر الاثنين بتوقيت القاهرة ، وحضرها الوفدان المصرى والسعودى .

واستأنف الرئيس محادثاته صباح الثلاثاء ٢٢ ـ ٦ مع الملك خالد ثم أقام ملك السعودية

الرئيس السادات مع جلالة شاه ايران .

الرئيس السادات مع جلالة الملك خالد .

مأدبة غداء للرئيس والوفد المرافق له .

« مصر مع كل ما يجمع كلمة العرب » .

وكان الملك خالد على رأس مودعى الرئيس أنور السادات فى مطار الرياض عندما غادره الرئيس والوفد المرافق له فى الساعة الثانية ظهر الاثنين .

وقبل مغادرته الرياض ، عقد الرئيس اجتماعا ثانيا مع الملك خالد ، الذى أقام مأدبة غداء تكريما للرئيس ومرافقيه . وقبل جلسة المحادثات الثانية مع الملك خالد » عقد الرئيس ثلاثة اجتماعات أخرى . الاجتماع الاول مع الدكتور رشاد فرعون مستشار الملك ، والاجتماع الثانى مع الامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران والامير سعود الفيصل وزير الخارجية والسيد كمال أدهم مستشار الملك . ثم انضم الى هذا الاجتماع الدكتور رشاد فرعون ، وعقد الاجتماع الثالث مع الاميرفهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس الوزراء والامير عبد الله بن عبد العزيز النائب الثانى لرئيس الوزراء وقائد الحرس الوطنى، وحضر هذا الاجتماع وزيرا الدفاع والخارجية السعوديان ، ومستشار الملك خالد .

وبعد جلسة المحادثات الثانية مع الملك خالد أدلى الرئيس السادات بتصريح للصحفيين قال فيه انه **وضع صورة كاملة أمام جلالة الملك خالد حول المباحثات التى أجراها مع شاه ايران وذلك باعتبارنا شعبا عربيا واحدا وأمة عربية واحدة . ووصف الرئيس المحادثات التي اجراها مع جلالة الملك خالد بانها مثمرة ومفيدة وسادها جو من التفاهم الكامل .**

وقال ان **الشعبين المصرى والسعودى امتزجت دماؤهما ومشاعرهما على مر التاريخ ويشهد على ذلك موقف الشعب السعودى قبل معركة أكتوبر المجيدة وأثناءها وبعدها .**

وتحدث الرئيس عن الاجتماع الرباعى لرؤساء وزراء مصر وسوريا والكويت والسعودية المنتظر عقده فى الرياض فقال « **نحن مع كل ما يجمع كلمة العرب**

الرئيس السادات مع أمير قطر .

الرئيس السادات مع رئيس دولة الامارات العربية

والاخوة ويسعدنا أن يتم هذا اللقاء فى الرياض » .

وتحدث السيد الرئيس عن الموقف العربى الراهن فقال ان تقييم العالم لنا بعد معركة رمضان وضعنا فى المرتبة السادسة من حيث القوة ، وهناك بعض التخوف من أن يكون التضامن العربى قد اهتز ولكننى أقول ان التضامن العربى بخير لان ما اتفقنا عليه من أهداف استراتيجية فى اجتماعات القمة العربية وآخرها اجتماع القمة فى الرباط لاخلاف عليها وانما هناك بعض الخلافات حول المواقف التكتيكية ويبدو انها قد ضخمت فى الخارج ولكن المؤكد أننا فى وقت المحنة نقف معا .

ثم وجه الرئيس كلمة الى الشعب السعودى ، اعرب فيها عن خالص شكره للحفاوة البالغة التى استقبل بها ، وقال ان العلاقات بين البلدين وطيدة للغاية ، وهذا ما يجب أن يكون دائما . ■

وصل الرئيس أنور السادات الى قطر مساء الثلاثاء ٢٢ـ٦ ، بعد سلسلة من الاجتماعات عقدها قبل الظهر فى الرياض ، واختتمها بجلسة محادثات ثانية مع الملك خالد . وعقب وصوله بدأ الرئيس على الفور مشاوراته مع الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير قطر . وقد انتهت زيارة الرئيس لقطر باجتماع ثان عقد مع الشيخ خليفة يوم الاربعاء ٢٣ ـ ٦ ، بعده توجه الرئيس الى «ابو ظبى » للقاء مع الشيخ زايد بن سلطان .

وفى مطار الدوحة عقد الرئيس مؤتمرا صحفيا تحدث فيه عن عدد من القضايا الحيوية فى الساحة العربية قائلا :

● ● أن الخلاف مع سوريا أمر مؤسف ، وقد حدثت أشياء كان ينبغى أن نترفع عنها . وقد أكدت التجربة ثبات مصر على عهدها وصدق التزامها القومى وأن ما قلناه منذ شهور طويلة تحقق الان بل انه فى أحداث لبنان على سبيل المثال لم يجد الجميع مفرا من العودة الى ما اقترحته مصر منذ ١٥ شهرا ، عندما اقترحت فى مؤتمر الرياض الذى حضره الرئيس الاسد

تشكيل قوة أمن عربية ، ودعوت الى أن ترفع كل الايدى الخارجية عن لبنان .

● ان مصر عليها مسئولية تاريخية وقد تحملت ما لم يتحمله بشر .

● اننا يجب الا نسمح للقوى العظمى بأن تمارس استعراض العضلات على أرضنا ، خصوصا وأن هناك معركة باردة تحت السطح بين القوتين العظميين فى المنطقة ، وقد حذرنا من « النار تحت الرماد » فى لبنان منذ ١٥ شهرا . « وقد آن الاوان لكى نكون أسياد مصيرنا فى منطقتنا ولا يفرض علينا شىء من الخارج » .

● ان مصر ترحب بعقد مؤتمر قمة عربى فى الوقت الذى يتفق عليه الاشقاء .

● انه يجب أن تقوم دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وغزة » ولا بديل عن اشتراك الفلسطينيين كطرف أساسى فى مؤتمر جنيف « الذى ارجو ان ينعقد هذا العام وما زالت الفرصة مواتية لعقده » .

اجتماع مغلق
بين السادات والشيخ زايد

وبعد المؤتمر الصحفى ، غادر الرئيس السادات الدوحة فى الساعة الرابعة مساء الى أبو ظبى ، وكان فى وداعه الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى وكبار رجال الدولة ، بينما كان الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات على رأس مستقبليه .

وقد رافق الشيخ زايد بن سلطان الرئيس السادات الى قصر « المشرف » حيث يقيم الرئيس السادات خلال زيارته وترافقه فى هذه الزيارة بعثة شرف برئاسة الشيخ أحمد بن حامد وزير الاعلام والثقافة .

وبعد العشاء ، عقدت أول جلسة فى مباحثات الزعيمين ، واقتصر الاجتماع عليهما وحدهما ، وقد تناول الحديث نتائج جولة الرئيس السادات فى كل من ايران والسعودية وقطر ، كما تناول استعراض أزمة لبنان وتطورات الموقف فى الشرق الاوسط والعلاقات الثنائية بين البلدين .

وقد عقد الرئيس السادات والشيخ زايد جلسة ثانية صباح الخميس ٢٤-٦ غادر الرئيس بعدها ابو ظبى الى القاهرة بعد رحلة عمل استغرقت عشرة أيام .

وأكدت وكالات الانباء ان محادثات الرئيس فى ايران والسعودية وقطر ودولة الامارات ، سوف تسفر عن نتائج بعيدة المدى فى مجالات مختلفة ، فى مقدمتها ما يتعلق بالتضامن العربى .

حديث بين الرئيس وحسنى مبارك فى مطار القاهرة عند وصول الرئيس قادما من رحلة ايران ودول الخليج .

وقد وصل الرئيس السادات والوفد المرافق له الى القاهرة فى الساعة الواحدة والثلث بعد ظهر الخميس ٢٤ - ٦ . وكان قد رافق طائرة الرئيس منذ دخولها المجال الجوى المصرى سرب من الطائرات الحربية .

وكان فى استقبال الرئيس لدى وصوله السيد محمد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ، كما كان فى استقباله المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب ونواب رئيس الوزراء والوزراء ، والدكتور مصطفى خليل الامين الاول للاتحاد الاشتراكى ، وكبار المسئولين فى الدولة .

نص الرسالة التى وجهها
الرئيس المؤمن
محمد أنور السادات
إلى مؤتمر الأديان العالمى الثامن
بطوكيو فى الفترة من ٩ إلى ١٦ يونيو ١٩٧٦
والتى قام بإلقائها فى المؤتمر
السيد/ محمد توفيق عويضه
أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
ورئيس وفد مصر الإسلامى فى المؤتمر

أعلن الرئيس أنور السادات فى الرسالة التى وجهها الى مؤتمر الاديان العالمى الذى عقد فى طوكيو أنه لاسلام بغير استرداد الارض العربية وانه اذا لم يتحقق ما نطالب به فان ذلك سيدفعنا الى الحرب دفعا لاسترداد حقوقنا المشروعة ، وان الاديان تدعو الى فداء الحقوق بالارواح والاموال .

وفيما يلى نص رسالة الرئيس التى القاها فى المؤتمر السيد محمد توفيق عويضه أمين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

أيها السادة

أنها فكرة طيبة هذه التى جمعتكم هنا وأسعدتنى بأن أوجه اليكم تحية صادقة صادرة من أعماق شعورى وأملا عظيما فى أن يثمر اجتماعكم أنفع الثمرات .

أنها فكره نبيلة البواعث ساميه الاهداف اذ يجتمع عشرات المئات من بقاع الارض المتنائية ليعرضوا للاديان عرضا موضوعيا يبين آثارها العظيمة فى حياة الافراد والجماعات والامم .

وما من شك فى أن السادة اعضاء المؤتمر وان اختلفت اديانهم يجمعون على هدف واحد ، وهو انقاذ البشرية من ضلالها ، وانتشالها من سوء مآلها ، وتبصيرها بالطريق القويم الذى يكفل الخير لها ، وتربية جيل جديد من الشباب يعرف للقيم الروحية قدرها ، ويتأسى بها فى

معاملة بعضه لبعض ، وفى معاملته لمن هم أكبر منه سنا وأكثر تجربة . فما كانت الاديان فى شتى صورها الا دعوات الى الحق والخير والجمال . وما كانت الاديان فى كل صورها الا صيحة بالسلام الذى يجب أن يسود علاقات الامم والشعوب فيطمئن كل فرد على حياته وماله واسرته ومستقبله ، ويعمل وينتج فى رضا وتفاؤل ورغبة وحماسة ونفع له ولامته وللبشرية كلها .

وما كانت الاديان الا هتافا بالحرية الفردية والجماعية ، وحضا على العدل والمساواة فلا جور فى قضاء ولا استبداد فى حكم ، ولا طبقية فى مجتمع ، بل ينعم الجميع بالحرية العامة كما يستنشقون الهواء ، ويستمتعون بالعدل المطلق كما يتساوون فى ورود الماء ، ويسعدون بالمساواة كما يستحقون الحياة ، فلا يثرى فرد الى التخمة وهو غافل عن اخيه الجائع العريان ، ولا يتطلع قوى الى مزيد من القوة على حساب جاره الضعيف المستغيث .

حقا ان الاديان كلها ينابيع خير وسعادة وحكمة ، لانها ينابيع الاخلاق الفضلى والسجايا المثلى ، تحض على كل فضيلة ، وتنفر من كل رذيلة .

فلو ان الناس استمسكوا بما دعتهم اليه الاديان من فضائل ونفروا مما بغضته اليهم من رذائل ، لساد الحق والعدل والحلم والعطف والتآخى والتعاون والرحمة والسلام .

وحينئذ يبرأ العالم من الجشع والحقد والخداع والوحشية .

أيها السادة

ان مؤتمركم هذا مؤتمر عظيم فريد ، لانه يضم الاديان كلها فى جمع حاشد متاح تخرج مشاعره بأطيب النيات ، ويتوخى أسمى الغايات .

أيها الاخوة

ان السلام العالمى نعمة محبوبة الى كل نفس ، مطربة لكل قلب ، ولقد كملت الاديان السلام ، وكثيرا ما حض عليه الاسلام . ولا يوجد انسان عاقل يفضل الحرب الطاغية على السلام العادل ، ويدعو الى انفاق ملايين الملايين من ثروة الامم كل عام فى التسلح الحذر الذى لا مبرر له ، وفى الحرب العدوانية التى لا داعى لها ، وفى تخريب معالم الحضارة وتراث الانسانية ، وفى الجناية على البشر بترميل الزوجات ، وتيتيم الاطفال ، وتثكيل الاباء والامهات .

فلا غرابة اذن فى أن السلام أصل من أصول الاديان كلها ، لانه هو الذى يتفق مع الفضائل التى تدعو اليها ، وهو الذى يتلاءم وسعادة الناس التى تحرص الاديان عليها ، وهو الذى يتواءم والخيرات الكثيرة التى يحصل عليها البشر من اعمالهم النافعة المطمئنة بهذه الارض التى يعمرونها .

ولكن ليس معنى هذا أن الاديان تدعو الى الرضا بالذل والمسكنه وضياع الحقوق والاعتداء على الاوطان ، **لا ، ان الاديان لاتدعو الى سلام كهذا** ، لانه سلام ضعيف ذليل ، والاديان تدعو الى القوة والعزة والكرامة وفداء الحقوق بالارواح والاموال **كما تدعو الاديان الى السلام الذى يحقق العدالة ، ويصون الحقوق ، ويرعى العهود ، ويؤيد العزة .**

وانني أجد من المناسبة لمؤتمركم ولاهدافكم أن اهيب بكم لتنصروا الحق المضيع فى فلسطين المحتلة فان تشريد الملايين من بينها ، وحرمانهم حقوقهم المشروعة ، واغتصاب وطنهم ، والعدوان على مقدساتهم ومقدسات المسلمين والمسيحيين . عمل وحشى لا يرضاه دين ولا يقره ضمير ، ولا يتغاضى عنه انسان يقدر انسانيته وانسانية بنى جنسه .

فليكن لعرب فلسطين فى مؤتمركم العظيم صوت مؤيد ومؤازرة مسموعة .

أيها السادة

اننى فى هذه المناسبة أعلن لكم أننا ننشد السلام وهذا ما يعرفه العالم كله اليوم .

لقد كانت مؤازرته ومناصرته لنا عندما تحقق من ذلك بعد حرب أكتوبر المجيدة التى نصرنا الله فيها والتى قضينا بها على خرافة ان اسرائيل لا تغلب ولكن السلام الذى ننشده سلام يجب أن يقوم على العدل لا على الجور .

وهذا السلام لن ترسى دعائمه الا باستردادنا كل شبر من أراضينا العربية .

فاذا لم يتحقق ما نطلبه فسنندفع بذلك الى الحرب دفعا لاسترداد حقوقنا المشروعة بلا تهيب ولا تردد لارساء قواعد السلام القائم على العدل .

لمحة إلى بعض مزايا الإسلام

نص المحاضرة التى ألقاها
السيد الأستاذ
محمد توفيق عويضة
أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
فى مؤتمر
الأديان العالمى الثامن
فى طوكيو من ٩-١٦/٦/١٩٧٦

القى الاستاذ محمد توفيق عويضة أمين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلاميه ورئيس وفد مصر الاسلامي فى مؤتمر الاديان العالمى الثامن المنعقد فى طوكيو محاضرة فى المؤتمر الذى حضره خمسة الاف شخص يمثلون جميع الاديان ..

وقد تحدث سيادته فى هذه المحاضرة عن بعض مزايا الاسلام حيث تناولت المحاضرة تقدير الاسلام للعقل والفكر ، وجهود علماء الاسلام ، وتكريم الاسلام للمراه ، كما تناول فى محاضرته الحريه المطلقه فى الاخلاق الاسلاميه . واوضح سماحة الاسلام فى معاملة غير المسلمين واشار فى ختام المحاضره الى مقدره الاسلام على حل مشكلات العصر من خلال قيمه ومبادئه الدينية وبواعثه الروحية .

وقد نالت المحاضره اعجاب الحاضرين وتقدير اللجنة التنفيذيه العليا للمؤتمر التى قررت ترجمتها الى جميع اللغات الحيه . وفيما يلى نص هذه المحاضره :

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الاسلام دين السلام يكرم الانسان ويقدر العقل والفكر والتدبر ويشجع البحث والابتكار .

كما ان الاسلام دين السماحة دين يعنى عنايه فائقه بالاخلاق والقيم والسلوك .

دين جاء بالعلاج والحل لكل مشكلة فى كل زمان ومكان منذ اربعه عشر قرنا .

كما أن الاسلام ينظر الى الاديان الاخرى نظره تقدير واحترام .

لهذا امتاز الاسلام بخصائص كثيرة اكتفى فى هذه المناسبة بلمحة سريعة اليها .

أولا
تقدير العقل والفكر

كثرت فى القرآن الكريم الدعوات الى التعقل ، والتنويه بالتفكير ، والاشادة بالتدبر ، ولوم الغافلين والجهال ، والسخرية ممن لا يفكرون .

ولذلك أشاد القرآن الكريم بالعلم وليست هذه الاشادة مقصورة على نوع من العلم معين ، وليس التفكير الذى يحض عليه القرآن الكريم محصورا فى نطاق من المعرفة محدد فن العلم الذى ينوه به القرآن الكريم عام يشمل العلوم كلها من فقه وتفسير وحديث وطب وفلك ورياضة وهندسة واجتماع الى غير ذلك .

ولا غرابة فى عناية القرآن الكريم بالعلم والفكر ، لان العقل هبة من الله تعالى ينميها التفكير ، ويغذيها العلم ، ويرقيها استخدامها فيما خلقت له » لتهدى الى الحق والخير ، ولتدفع الى الاقرار بوحدانيه الله تعالى وقدرته وحكمته ، ولتمكن للناس ان يتمتعوا بما خلق الله فى الارض وفى السماء ، ولتكفل لهم حياة أرقى وارغد واسعد .

ثانيا
قبس من جهود علماء الاسلام

ولقد كان للمسلمين فى تاريخ العلوم مجد متألق لا يخبو ، فقد عكفوا على العلوم منذ شرح الله صدورهم للاسلام ، ووجدوا فى طلب العلم عبادة واستجابة لدعوة دينهم ، فاقبلوا على مناهل العلوم ، وشجعوا العلماء والادباء تشجيعا جديرا بالثناء .

ولم يأنف المسلمون أن يتلقوا العلوم أحيانا على غير المسلمين من نصارى ويهود ، كما لم يأنف المسلمون الذين يرجعون الى أصل عربى من التلمذة على بعض الموالى مثل الحسن البصرى وسعيد بن جبير وابن سيرين وعطاء بن يسار .

ومن مفاخر المسلمين أن بعض ملوكهم وخلفائهم كانوا يفاخرون بعلمهم وكانوا يقربون العلماء اليهم ، ويمنحونهم الجوائز القيمه » ويرفعون مكانتهم فضربوا بهذا أروع الامثال فى حب العلم وتقدير رجاله ، من هؤلاء الخليفه عبد الملك بن مروان والخليفة هارون الرشيد والخليفة المأمون .

ولهذا شهد للمسلمين بحبهم للمعرفة كثير من الباحثين الغربيين ، مثل العلامة جوستاف لوبون فى قوله : « يعجب الانسان بالهمة التى اقدم بها المسلمون على البحث ، فاذا كانت هنالك أمم قد تساوت هى والمسلمون فى ذلك فانك لا تجد أمة فاقتهم فقد كانوا اذا ما استولوا على مدينة صرفوا همهم الى انشاء مسجد وإقامة مدرسة فيه ، فاذا كانت المدينة كبيرة أسسوا فيها مدارس كثيرة ، ومنها المدارس العشرون التى روى بنيامين التطيلى المتوفى سنة ١١٧٣ م . أنه شاهدها فى الاسكندريه» **وهذا عدا اشتمال المدن الكبرى كبغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة وغيرها على جامعات محتوية على مختبرات ومراصد** ومكتبات غنيه بكل ما **يساعد على البحث** العلمى ، **فكان للمسلمين فى أسبانيا وحدها سبعون مكتبة عامة ، وكان فى مكتبة الخليفة** الحكم الثانى بقرطبة **ست مائة الف كتاب** ، منها أربعة وأربعون مجلدا للفهارس ، على حين أن ملك فرنسا شارل الحكيم لم يستطع بعد ذلك بأربع مائة سنة أن يجمع فى مكتبة فرنسا الملكية أكثر من تسع مائة مجلد ، يكاد ثلثها يختص بعلم اللاهوت .

ولعله من المناسب **أن نمثل بجهود بعض علماء المسلمين فى العلوم الاتية :**

١ - فى الفلك والجغرافيا :

برع الشريف الادريسى فى الجغرافيا ، وقد ولد فى مدينة سبته سنه ٤٨١ هـ « ١٠٨٩ م » وتعلم فى جامعة قرطبة ، ثم جاب شمالى افريقيه وادى الصحرى وغيرهما ، وذاع صيته فاستدعاه روجر الثانى ملك صقلية وجنوبى ايطاليا ، وكان زميلا له فى الدراسة ، وكان بلاطه عربى الثقافه شرقى المعالم ، **فلبى الشريف** طلبه ، والف له كتابه **القيم « نزهه المشتاق فى اختراق الافاق » ورسم صورا لاقاليم على كرة** من الفضة الخالصه عظيمه الحجم .

وكتابه هذا **اوسع كتاب جغرافى الى** عصره ، ولهذا **اهتمت الامم به ، وترجم الى اللاتينيه فى اخر القرن السابع عشر ، وطبع منه** القسم الخاص باسبانيا **مع ترجمته الى الاسبانية آخر القرن الثامن عشر ، وطبعت منه أجزاء عدة بعد ذلك** . ومن **هذا الكتاب العظيم تعلمت أوروبا علم الجغرافيا فى القرون الوسطى** .

ومن الانصاف أن نذكر هنا شهاب الدين أحمد بن ماجد النجدى الذى كان يلقب فى القرن الخامس عشر الميلادى بأسد البحر ، وقد كتب عنه البحاثه جبريل فراند Ferrand بحثا مفصلا اكد فيه انه كان المرشد لفاسكودى جاما فى رحلته الى الهند سنة ١٤٩٨ م وفى الكشف عن الطريق اليها ، ويقول فراند ان وصف ابن ماجد للبحر الاحمر لا يدانيه وصف ، وان ربابنة السفن كانوا الى **النصف الاول من القرن التاسع عشر لا يفارقون كتب ابن ماجد .**

٢ - فى الفلسفة :

تفوق المسلمون فى **العلوم الفلسفية** ، ونبغ منهم كثيرون مثل الفارابى والنظام والرازى وابن سينا وابن رشد والاشعرى والكندى .

ولقد برع الكندى فى الحساب والهندسة والطب

والفلسفة والمنطق والفلك والموسيقى ، وألف فى هذه العلوم أكثر من مئتين وأربعين كتابا ورسالة .

٣ – فى علم الاجتمـــاع :

أما علم الاجتماع فانه مفخرة من مفاخر المسلمين ، وحسبنا أن نمثل بابن خلدون الذى عاش بين سنة ٧٣٢ هـ و ٨٩٨ هـ " ١٣٣١ – ١٤٠٦ م " – وهو المنشىء لهذا العلم كما شهد كثير من العلماء فى الشرق والغرب ، أنشأه قبل أن يظهر علماء الاجتماع فى أوروبا بنحو أربعة قرون ، فأقامه على دعائم سليمة ، واستوعب جميع مسائله .

ولسنا وحدنا الذين نقرر هذا الرأى ، فان كثيرا من علماء الاجتماع يقولون به مثل كود فييج جمبلوفتش وكوتوريو وفارد وسميث ، ويرى سمث فى كتابه سنة ١٩١٠ " ابن خلدون عالم الاجتماع " أن ابن خلدون تقدم فى علم الاجتماع الى حدود لم يصل اليها أوجست كنت فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

٤ – فى الكيميــــاء :

كذلك ساهم المسلمون فى الكيمياء بنصيب كبير .

ومن ذا الذى يستطيع أن ينكر أثر جابر بن حيان ؟

لقد كان له معمل فى بغداد يجرى فيه تجاربه وبحوثه . وكان الخليفة هارون الرشيد يجله ، وله مؤلفات كثيرة فى الكيمياء والطب وغيرهما تبلغ نحو مئتين ، ترجم كثير منها الى اللغات الأوروبية ، وترجم بعضها الى اللاتينية منذ سنة ١١٢١ م فكان هذا حتى سلم بخلوده العلمى فى أوروبا . وفى كتبه وصف كثير من المركبات الكيماوية التى لم تذكر قبله ، مثل ماء الفضة وماء الذهب والبوتاس وملح النشادر ونترات الفضة والسليمانى والراسب الأحمر .

وهو أول من وصف فى كتبه أعمالا أساسية كالتقطير والتصعيد والتبلور .

وما زالت صورة جابر بن حيان بمكتبة آل مديتشى بفلورنسا يشع منها نور الحكمة .

٥ – فى الطب :

لعلماء المسلمين فى الطب تاريخ مشرف ، ويكفى أن نذكر منهم بنى زهر الذين هاجر أجدادهم من جزيرة العرب الى الأندلس ، واستقروا هناك .

منهم أبو مروان عبد الملك الذى درس الطب على أبيه ، وتفوق فى تجاربه على الأدوية ، وله اضافات جديدة مثل وصفه للأورام الحيزومية وخراج التامور ، وهى أمراض لم توصف قبله ، وقد شرح طريقة التغذية الصناعية بمهارة فائقة .

ومنهم أبو بكر الرازى مؤلف كثير من الكتب ، منها كتاب الحاوى الذى تتلمذت عليه أوروبا .

ومنهم ابن سينا مؤلف كتاب القانون الذى بدأت أوروبا تترجمه منذ القرن الثانى عشر ، تم طبعه أكثر من خمس عشرة مرة ، وما زالت صورته وصورة الرازى تزينان القاعة الكبرى بكلية الطب بجامعة باريس .

وما من شك فى أن من واجبنا أن نفاخر بابن النفيس ، لأنه أول من كشف عن الدورة الدموية ، فسبق هارفى بأربعة قرون ، وأول من فرق بين الأوردة والشرايين وأول من وصف جدران القلب ، وأول من عرف الدورة التاجية للقلب ، وهو أول من قال ان أوردة الرئتين ليست مليئة بالهواء .

ثالثـــا

تقدير المرأة

لقد أعز الاسلام المرأة ، ورفعها مكانا عاليا ، وعرف لها قدرها الكبير فتاة وسيدة ، وأما وبنتا وزوجة وقريبة وعضوا فى المجتمع ، ولم يكن لها مثل هذا التقدير عند أمة سابقة ، لهذا كان مسيو ريجين على الحق فى قوله : اننا لا نجد عملا أفاد النساء ورفع من قدرهن أعظم مما أتى به النبى محمد . فهن مدينات له بأمور كثيرة . وفى القرآن آيات كثيرة سماويات فى تقرير حقوقهن ، وما يجب لهن على الرجال .

ولهذا التقدير مظاهر كثيرة منها :

١ – فى الزواج :

أكد الاسلام حق الفتاة فى رضاها بزوجها ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الثيب أحق بنفسها من وليها » ، وقال : «البكر تستأذن فى نفسها واذنها صمتها » .

وكثيرا ما اختارت الفتيات أزواجهن ، فقد رفضت بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الخليفة عبد الملك بن مروان وفضلت عليه يحيى ابن عبد الحكم . وكذلك فضلت عائشة بنت طلحة ابن عمها على خاطب آخر هو بشر بن مروان .

ولقد أوصى القرآن الكريم باحسان معاملة الزوجات . قال تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » . وأوصى النبى عليه الصلاة والسلام بالنساء خيرا . وبين النبى أنه لا عيب فى مداعبة الرجل زوجته ، فقال « اللهو فى ثلاث : تأديب فرسك ، ورميك بقوسك ، وملاعبتك أهلك » . وكان صلى الله عليه وسلم أنبل زوج معاملة . وألطف زوج عشرة ، وهو القائل : خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى .

ولقد حاكاه المسلمون ، فكانوا يحسنون

عشرة نسائهم ، ويوسعون عليهن فى الملابس وغيرها .

واذا كان الاسلام قد أوصى الزوج بزوجته ، فانه أوصى الزوجه بزوجها قال عليه الصلاة والسلام : « اذا باتت المرأة هاجره فراش زوجها لعنتها الملائكه حتى ترجع » .

وقال : « خدمتك زوجك صدقه »

وقال : « خير النساء من تسرك اذا أبصرت ، وتطيعك اذا أمرت ، وتحفظ غيبتك فى نفسها ومالك » .

١ – فى التعليم

حض الاسلام على تعليم الفتيات والفتيان الكتابه والقراءه والعلوم المتعدده فقد امر النبى صلى الله عليه وسلم سيده اسمها الشفاء بنت عبد الله العدويه ان تعلم زوجته حفصه الكتابه . وكانت ام كلثوم وحفصه من امهات المومنين تكتبان . ثم اتسعت ثقافه النساء ، حتى ان سيده اسمها عائشه بنت طلحه وفدت على الخليفه الاموى هشام بن عبد الملك ، فسمرت « سهرت » عنده مع شيوخ بنى اميه ، مما تذكروا شيئا من اخبار العرب واشعارهم وايامهم الا شاركتهم فيه ، وما طلع نجم ولا غار الا ذكرت اسمه . فقال لها هشام اما الاول فلا انكره ، واما النجوم فمن اين لك ؟ قالت : تعلمتها من خالتى عائشه تقصد ام المومنين .

وللمرأه فى روايه الشعر صيت ذائع . وفى الصف الاول من هؤلاء السيده عائشه ام المومنين وعائشه بنت طلحه وسكينه بنت الحسين وعمره الجمحيه .

ولها ضلع قوى فى الشعر نفسه مثل حمدة بنت زياد وولادة بنت المستكفى وعليه بنت المهدى ودنانير ورابعه العدويه والخنساء وعائشه التيموريه .

كذلك ساهمت النساء فى روايه الحديث النبوى الشريف حتى بلغ بعضهن مكانه الاسناد الذى يتلقى عنه الرجال .

من هؤلاء السيده عائشه وميمونة بنت سعد و[illegible] و[illegible] وشهده الكاتبه وفاطمه بنت عباس .

وهن الان يملان المدارس والجامعات ، وينافسن الرجال فى الاعمال .

٢ – فى تعدد الزوجات :

زعم بعض خصوم الاسلام أنه هو الذى ابتدع نظام تعدد الزوجات وهم بهذا الزعم يجهلون او يتجاهلون ما كان قبل الاسلام عند العرب وغيرهم من الامم .

فقدكان الاسرائيليون يبيحون التعدد » فلما جاء موسى عليه السلام لم يضع له قيدا ، بل أوجب على الاخ الذى مات أخوه وليس له ولد ان يتزوج امرأته وان كان متزوجا .

وما زالوا يعددون الى اليوم والربانيون منهم يحددون العدد باربع وكان الفرس يعددون ، ولم يكن عندهم قانون يحدد عدد الزوجات .. وقد عدد الرومان ، وعدد اليونان .

اما المسيحية فلم يكن التعدد فيها محرما أول الامر . لان المسيح عليه السلام جاء مكملا لشريعه موسى لا ناقضا لها .

ولم يحرم الرسول بولس تعدد الزوجات الا على الاساقفه والشمامسه على ان شعوبا اخرى مارست تعدد الزوجات مثل الفراعنة والهندوس القدماء والصينيين والبابليين والاشوريين والعرب فى العصر الجاهلى .

واذا كان الاسلام اباح التعدد فانه اباحه فى اضيق نطاق اباحة ضروره وحاجه لا اباحه عبث واستكثار وجرى وراء لذه مادية .

ا – فربما كانت الزوجه مريضه بمرض عضال ، لا هى تامل البرء منه ، ولا زوجها يطمع شفاءها وهى عاجزة عن تدبير شئون البيت ، والوفاء بحقوق الزوج ، ثم هى مع هذا فقيرة ليس لها مال تنفق منه اذا طلقها زوجها وليس لها عائل يقوم بامرها .

فهل من المروءة ان يطلقها زوجها ؟

لا ، ان المروءة تقضى بان يبقيها فى عصمته .

ولكن هل من الانصاف أن يبقيها فى عصمته وهو فى اشد الحاجه الى من يرعاه ويدبر شئونه ، ويعصمه من الزلل . ويكفل له الذريه وزينة الحياة الدنيا ؟

لا ، ان هذا قضاء عليه وعلى زوجته بالشقاء .

وانما الانصاف أن يباح له الزواج بأخرى .

ب – وقد تكون الزوجه عقيما ، تبذل جهدها للنسل ، فلا ينجح علاجها فيم تقضى العداله ؟

اتقضى بان يحبس الرجل شوقه الى ان يكون له ولد يبهج حياته ، ويرثه من بعده . ويوهمه بانه خالد فيه وفى ذراريه ؟ ام تقضى بان يتزوج بعد ان صبر على عقم زوجته زمانا ، ويئس من انسالها ؟ وقد تكون حسابتها معدمه ، لا عائل لها ، فحق الوفاء للعشره الا يطلقها بل يحرص عليها ويرعاها .

على هذا يتضح ان التعدد مقيد بقيد شديد .

واذا كان بعض المسلمين يعددون زوجاتهم بغير مسوغ فان الخطا ليس خطا الاسلام ، بل هو خطا بعض اتباعه ، كما ان رجال الكنيسة منعوا التعدد ، ومنعوا الطلاق . لكن بعض النصارى عددوا وطلقوا .

٤ – فى الطلاق :

أباح الاسلام الطلاق على أنه ضرورة ملزمة ، وشرعه على أعظم الحكمة والرحمة والمروءة .

فقد يتزوج الرجل بامرأة لا تشاكله « لا تناسبه » وتسيء فيها وسائله . وينفد صبره .

وقد يخدع فى زوجة لم يكن يريدها .

وقد يكشف فى زوجته انها خوانة لعهده .

ومع هذا فقد ضيق الاسلام منافذ الطلاق ، وقيده بعدة قيود ، قال صلى الله عليه وسلم : « ابغض الحلال الى الله الطلاق .

وقضى الاسلام بأن الطلاق لابد ان يكون مقصودا ، فلا يقع طلاق المكره ولا السكران ولا الغضبان .

ثم حرم على الزوج ان يسترد من زوجته المطلقة شيئا مما اعطاها ، ولم ينس الاسلام ان يقرر للمراة حقا فى الطلاق ، فلها ان تطلب من القاضى التفريق بينهما اذا أخل زوجها بشرط اشترطه فى عقد الزواج ، او اذا اذاها اذى لا تستقيم معه العشرة او كان به عيب شرعى ينافى الزوجية ، أو غاب عنها مدة طويلة او امتنع عن الانفاق عليها مع قدرته .

٥ – فى الميراث والحقوق المالية :

أباح الاسلام للمراه ان تمتلك المال والعقار وغيرهما . وأباح لها ان تتاجر ، وقرر حريتها الكاملة فى تصرفاتها المالية بغير اذن زوجها او والدها ما دامت رشيده ، على حين ان المرأة الغربيه ظلت محرومه من حريه التصرف فى مالها الى بضع سنوات مضت ، بغير اذن الوالد أو الزوج .

واذا كان الاسلام قد جعل للانثى نصف الذكر فى الميراث فأنه كان عادلا كل العدل ، لانها غير مكلفه بالانفاق مطلقا ، وانما يكلف الزوج بالانفاق على زوجته .

رابعا

فى الاخلاق

جاء الاسلام بالحق كله وبالخير كله ، فدعا الى كل فضيلة ونهى عن كل رذيلة ، ويتبين للباحث المنصف ان الاخلاق الاسلامية تمتاز بعدة خصائص :

١ – الخيريه المطلقة :

نعم فان المذاهب الاخلاقية التى وضعها الفلاسفه لم يستطع واحد منها ان يكفل الخير الكامل ، لكن الاسلام هو الذى كفل هذا الخير الشامل ، لانه شرع الاخلاق المثلى التى تحقق أعظم الخير لكل فرد ولكل جماعة فى كل بيئة وفى كل عصر وفى كل حالة .

ودعا الاسلام فاعلى الخير وتاركى الشر الى ألا يتوقعوا جزاء من الناس ، بل يتوقعوا الجزاء الاوفى من الله سبحانه وتعالى .

وسما بهم عن اتخاذ الخير سلما الى شهرة أو مجد أو مباهاة أو تسلط أو شعور باللذة أو اجتلاب منفعة مادية ، لان الخير يجب أن يراد به وجه الله تعالى .

٢ – الصلاحية العامة :

وتمتاز الاخلاق الاسلامية بأنها تكفل الخير للناس جميعا فى كل زمان وفى كل مكان . وبأنها سمحة ميسورة لا ارهاق فيها ولا اعنات ولا تكليف بما لا يطاق وقد صدق الله تعالى فى قوله : « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » وفى قوله : « ان الله بالناس لرءوف رحيم » .

٢ – الثبات :

وهذه الاخلاق الاسلامية تتسم بالثبات والدوام والاستقرار ، لان المشرع الحكيم راعى فيها كفالة الخير الدائم العام .

واذا ما نظرنا الى المذاهب الاخلاقية الوضعيه وجدناها غير ثابتة ، ووجدناها متناقضه . فالضمير الذى احتكم اليه بعض الفلاسفه متقلب ومذهب الوسطية لا حدود له ينتهى عندها .

ومذهب السعادة الشخصية والسعادة العامة خاضع للاهواء .

ومذهب المنفعة المادية لا يعترف بالدوافع الروحيه ،ويطبع الناس بطابع الاثرة .

٤ – الالزام المستجاب :

وهذه الاخلاق الاسلامية تستمد من الدين قوة ناقذة تلزم بها فى العلن والخفاء ، وفى السراء والضراء ، لان الرقيب عليها هو الله تعالى .

وأن هذا الالزام محبوب مطاع ، لانه أمر أو نهى من الله .

٥ – نماذج لها :

لا توجد فضيلة الا أمر الاسلام بها ،ولا نجد رذيلة الا نهى الاسلام عنها ، فقد أمر بالكرم ونفر من الجبن . وامر بالعدل ونفر من الظلم ، وأمر بالعفة ونفر من الفجور ، ودعا الى الصدق ونهى عن الكذب ، وحض على الامانة وذم الخيانه . وامر بالصبر ونهى عن الجزع ، ودعا الى العفو ونفر من الانتقام وأمر بالرحمة ونهى عن القسوة ، وأمر بالحياء ونفر من الوقاحة ، وحض على التواضع ونهى عن الكبر ، ودعا

الى الوفاء ونفر من الخيانة ، وأمر بطيب العشرة ونهى عن سوء العشرة ، وحض على العمل ونهى عن الكسل والبطالة ، ودعا الى ايثار السلام ، ونفر من العدوان .

خامسا
سماحته فى معاملة غير المسلمين

عامل الاسلام غير المسلمين ممن خضعوا لحكم المسلمين ، وممن لم يفتح المسلمون ديارهم أطيب معاملة .

١ ـ الدعوه الى التسامح :

فقد حفل القرآن الكريم بدعوة المسلمين الى التسامح فلم يمنع المسلمين من البر بغيرهم ما داموا فى سلام مع المسلمين » .

وامر بمناقشه المخالفين بالحسنى ، قال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » .

وبين الله تعالى للنبى أنه مكلف أن يبلغ الدعوه ، وليس مكلفا ان يحمل احدا عليها بالقوة ، قال تعالى : « فذكر انما انت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » وقال : « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » .

وحض النبى على التسامح ، وحببه الى المسلمين بقوله وبفعله ، قال عليه الصلاة والسلام . « من ظلم معاهدا او انتقصه او كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه ـ نصيره ـ يوم القيامه .

وقد عقد النبى عليه الصلاة والسلام معاهدة مع قبيلة تغلب النصرانيه ، وكان الاسلام قد قوى ودانت به العرب ، ولكنه أباح لهم فيها البقاء على نصرانيتهم وصالح نصارى نجران . وتركهم احرارا فى دينهم .

ثم اقتدى به المسلمون من بعده .

٢ ـ المساواة بين المسلم وغيره :

كان عليه الصلاه والسلام يحضر ولائم اهل الكتاب ، ويغشى مجالسهم ويواسيهم فى مصائبهم ، فكان يفعل ذلك تعليما للامة وتطبيقا عمليا لما يدعو اليه الاسلام من تسامح ومساواة وسلام .

وقد مر الخليفه عمر بن الخطاب برجل ضرير يسأل على الابواب ، فقال له : عمر : من أنت ؟ فقال : يهودى ، قال عمر : ما الذى الجاك الى ما أرى ؟ قال : الحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده ، وذهب به الى منزله ، واعطاه مما وجده ، ثم بعث الى خازن بيت المال وقال له : انظر هذا وامثاله فلا يصح أن نأكل شبابه ونتخلى عنه عند الشيخوخة ، وضع عنه الجزية .

وأمر عمر ان يعطى من صدقات المسلمين قوم من النصارى مصابون بالجذام ، وان يرتب لهم القوت .

وكان عبد الله بن عمر مثل أبيه الخليفة العادل ، قال لغلامه « خادمه » : يا غلام اذا سلخت الشاة فأبدأ بجارنا اليهودى .

وقد وظف عمر بن الخطاب بعض النصارى كتابا له فى الدولة ، ثم توسع معوية بن أبى سفيان فى الحاق النصارى بخدمته .

وطالما شغلوا مناصب عالية فى قصور الخلفاء وفى دواوين الدولة .

ونجد العلامة السير توماس أرنولد يذكر أسماء بعض الوزراء والولاة المسيحيين فى الدويلات الاسلامية . ويذكر اسماء الاطباء المسيحيين المقربين الى الخلفاء .

كما ان الاسلام سوى بين المسلمين وغيرهم فى هذه الاحكام :

ا ـ هم سواء فى القصاص ، فالنفس بالنفس » والعين بالعين ، وهم سواء فى الديات .

ب ـ وهم سواء فى الاحوال الشخصية ، فيباح للذمى كل زواج يقره دينه وان خالف الاسلام ، ويباح له كل طلاق وان لم يتفق مع الاسلام .

ج ـ سوى الاسلام فى الحرمان من الميراث بين الذمى والمسلم . فلا يرث المسلم قريبه الذمى ، ولا يرث الذمى قريبه المسلم ، ولا يرث الزوج المسلم زوجته الكتابية ، وكذلك لا ترثه .

د ـ اباح الاسلام للمسلمين أن يأكلوا من طعام أهل الكتاب ومن ذبائحهم بشرط أن يكون المذبوح مما يحل للمسلمين أكله ، قال تعالى : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم » .

هـ ـ احل الاسلام للمسلم أن يتزوج نصرانية او يهودية ، وتبقى على دينها ، ولها على زوجها من الحقوق مثل ما للمسلمه .

و ـ أما حرية أهل الكتاب الدينية فقد كفلها الاسلام كاملة ، وقد شهد بهذا كثير من الغربيين المنصفين مثل تريتون وتوماس أرنولد والكونت هنرى دى كاسترى ودوزى ونورمان بينز .

وهكذا تنطق تعاليم الاسلام بأنه حقا خاتم الاديان ، لانه صالح لكل زمان ولكل مكان .

سادسا
الاسلام والسلام

اشرف الاسلام داعيا الى السلام والى المثل

العليا فى جميع الصلات والمعاملات ؟ فاذا لم تنجح دعوته الى السلام تمشى مع الواقع » وجارى الاحداث ولكن فى سمو ونبل ومراعاة لما يجب أن يسود بين الناس .

ولا عجب من وصف الاسلام بانه دين السلام ، لان السلام من اسماء الله الحسنى ، ولان المسلمين يقولون فى صلواتهم مرات فى كل يوم ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ويختمون كل صلاة بالسلام .

وكيف لا يكون الاسلام دين السلام والقرآن الكريم يسمى الجنة دار السلام قال تعالى : « لهم دار السلام عند ربهم ، وهو وليهم بما كانوا يعملون » ويجعل التحية فيها سلاما ، قال تعالى : « تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم أجرا كريما » .

كيف لا يكون الاسلام دين السلام والله سبحانه وتعالى يصف عباده المتقين بالمسالمة فى قوله : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

ولقد نهى الله تعالى عن الاعتداء فقال : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

وأمر بالعفو فى قوله : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » .

فاذا لم يكن عفو ، ولم يكن بد من العقاب ، فيجب أن يكون على قدر الذنب ، قال تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله ، واعلموا ان الله مع المتقين » .

كذلك أمر القرآن الكريم بمسالمة المحاربين اذا مالوا الى السلام ، قال سبحانه وتعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم » .

لهذا لم يحارب النبى والخلفاء الراشدون الا مضطرين ، دفاعا عن الدين والوطن والنفس والحقوق التى يجب أن تصان . فلم يحارب المسلمون الاولون الا لصد العدوان ، وعند اليأس من المسالمة .

ولم يحاربوا الا المحاربين ، ولم يكن لهم شأن بغيرهم من البعيدين عن ميدان الحرب واعمالها .

ولم يتجاوز المسلمون فى حروبهم حد الدفاع والارهاب الى التخريب والتدمير والانتقام الوحشى ، كما كان يفعل غيرهم .

ولم يصموا آذانهم عن سماع الدعوة الى السلام اذا ما جنح العدو المحارب الى السلام .

وكانوا فى حروبهم رحماء بالبشر لا يمثلون بالقتلى ، ولا يخربون العمران ولا يجبرون احدا على نبذ دينه واعتناق الاسلام ، ولم ينكلوا بالنساء والاطفال والشيوخ والعاجزين عن الحرب .

وبهذا كله وبما يشبهه شهد كثير من الدارسين المنصفين مثل جوستاف لوبون وتوماس ارنولد والكونت هنرى دى كاسترى ، وحسبنا أن نقتبس من شهادات جوستاف لوبون قوله : لم يعرف العالم فاتحين رحماء متسامحين مثل المسلمين ، ومن كلام الكونت هنرى دى كاسترى قوله : ان المسلمين امتازوا بالمسالمة والرحمة .

سابعا

مقدرة الاسلام على حل مشكلات العصر

العالم كله ينوء اليوم بمشكلات متعددة متراكمة ، يضخم بعضها بعضا ، مثل البطالة وجرائرها ، ونقص المواد الغذائية وعواقبها ، والفقر ومخاطره .

فهل يستطيع الاسلام علاج مشكلات العصر ؟ نعم انه يستطيع علاجها الحاسم .

١ – وأول وسيلة الى هذا العلاج الاعتماد على القيم الدينية ، وعلى البواعث الروحية ، لانها تنبع من القلب ، وتمتزج بالروح ، وتذكر الانسان فى كل لحظة من حياته أن الله عز وجل يراقبه ، ويطلع على سره وعلى جهره ، ويعلم ما يفعل وما يذر ، ولابد أن يثيبه على الخير ، ويعاقبه على الشر فى حياته الدنيا وفى حياته الاخرة .

ولهذا يندفع العاملون الى الجد فى اعمالهم من زراعة وصناعة وتجارة ووظائف وأعمال عامة ، ويتذرعون بالصبر على المشقات التى قد تصادفهم فى هذه الاعمال ، ويتسلحون بالمثابرة على الانتاج فى رغبة ورضا وأمل .

فالمسلم اذن يعمل ما وسعه العمل ليكسب رزقه من حلال ، ويعتقد أن انتاجه ضرب من العبادة ، وأن خير مال هو الذى يكسبه من كده قال عليه الصلاة والسلام : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » أى اليد المعطية خير من اليد الآخذة ، والمسلم اذن لا يكسل ولا

يسرق ولا يفسق ، لان الاسلام حض على العمل الشريف ، ونهى عن السرقة والغش والاحتكار .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا ، وقال : « ليس منا من احتكر

ولقد أباح الاسلام للناس أن يستمتعوا بخيرات الارض فى غير اسراف ، قال تعالى : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين » وقال سبحانه وتعالى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

٢ ـ ومن السهل على من ينظر الى الارض أن يجد مساحات واسعه جدا محتاجه الى أيد عامله لاستصلاحها ولزراعتها ، وهى أضعاف المساحات المزروعه فعلا . فلو انطلق الزراع بقوة دينية ، وبحماسة روحية وبارشاد حكومى سديد الى هذه الارض لاصلحوها ، ولا نتجت كثيرا من الثمرات والمحصولات .
ويكفينا هذه الامثلة

كانت صحراء مصر الغربية مزروعة فى العصور القديمه الى برقة ، وهى الان قاحلة لا ينقصها الا الماء والعمل .

وكانت المساحة بين بغداد والبصرة مزروعة فى القرون الوسطى ، حتى أن أحد الرحالة قال انه سافر من بغداد الى البصرة فلم تسقط الشمس على رأسه ، وهى الان جرداء .
وكانت اليمن قديما ذات حدائق وثمرات ، وهى اليوم مقفرة .

وفى العالم كله أراض لا تحتاج للانتاج النافع الا الى الماء والايدى . وهناك مساحات كبيرة فى افريقيا واسيا تحتاج الى زراعتها .
٣ ـ كذلك تزخر البحار بثرواتها ، وهى مليئة بالاسماك التى تنادى من يصطادها فأين الاساطيل البحرية التى تجوب البحار وتصطاد اسماكها ، يشتريها الناس باثمان زهيدة يقدرون عليها جميعا .

ان خيرات الارض وكنوزها من المعادن المختلفة ، وخيرات البحار والانهار مرهونه بالعمل الجاد الدائب الذى يشبع الجميع ، ويغنى الجميع ، ويباعد شبح المجاعة ، كما حدث فى عهد الخليفه عمر بن عبد العزيز اذ حقق نشاط المسلمين فى سنه من حكمه غنى اقليم كامل من أقاليم الخلافة هو افريقيه أى غربى مصر الى ما يقرب من المغرب ، فجاء يحيى بن سعيد عامل الصدقات على هذا الاقليم ، وأخبر الخليفة أنه لم يجد فى ذلك العام من يستحق الزكاة ، فاشترى بمال الزكاة عبيدا وأطلقهم أحرارا .

٤ ـ على أن فى الاسلام جانبا انسانيا يعنى بشئون الفقراء والمساكين والعاجزين عن الكسب ، هو الزكاة التى يجب على كل مسلم أن يخرجها اذا بلغ كسبه مقدارا معينا من المال فى كل عام ، قدرها فى النقود اثنان ونصف فى كل مائة ، فاذا أراد أن يزيد على هذا القدر كان له ذلك ، وكان له ثوابه .

وكذلك الصدقات ، وهى ما يتبرع به المسلم غير خاضع لتحديد .

ولقد كان فى العصور الاسلامية الاولى بيت للمال من اعماله أن ينفق على الفقراء ويكفل لهم الحياة الكريمة .

وكانت الصدقات من حقوق الشعب مسلمين ونصارى ويهود . فقد أجرى عمر بن الخطاب الصدقة على رجل يهودى ، وأمر أن يعطى منها جماعة من النصارى مصابون بالجذام ، وأن يرتب لهم الطعام .

٥ ـ فلو أحسن الوعاظ والمرشدون والدعاة الى الاسلام توجيه الناس الى الانتاج والعمل والاخلاص فيه لتضاعف الانتاج وكثرت الخيرات وقلت الشكوى من ندرة السلع وغلائها . ولو سلك كل رائد فى عمل مسلك الجد والمثابرة والغيرة لحاكاه مرءوسوه ، فتضاعف المحصول الزراعى ، وكثر الانتاج الصناعى فغطى حاجات الناس ، وقضى على شكاياتهم من قلة السلع وغلاء اثمانها .

ولو استمسك الناس بالقيم الروحية لما كان انحراف ولا منحرفون ، وما كان فساد ولا فاسدون ، ولعم الارض الخير والرخاء والسلام . كذلك لو وجهت قناطير الذهب المقنطرة التى تنفق فى التسابق الى التسلح وفى اختراع وسائل التخريب والتدمير وافناء البشر والجرى وراء التسلط لو وجهت هذه الملايين من الاموال الى التعمير والاصلاح ونفع البشرية لتغير حال العالم بلا جدال الى الافضل وأصبحت رايه السلام والحق والخير والعدل والحرية والمساواة هى التى ترفرف على العالم .

لعل ذلك اليوم قريب

دراسات قرآنية

تفسير سورة

البقرة

الآيات من ٢٨٢ إلى ٢٨٤

الأستاذ أحمد حسين

- معجزة القرآن .
- يستحيل أن يكون من صنع البشر
- تفرقة بين الدَّين المدنى والتجارى لم تعرفها أوربا إلا أخيراً" جداً .
- دحض لمزاعم من قال إن القرآن الكريم يعكس ظروف المجتمع ساعة نزوله.
- مساواة المرأة المطْلَقَة بالرجل لاتعنى المساواة فى الوظيفة .
- بين الأمس واليوم .

يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم ● وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ● لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير ●

الاعجاز القرآنى

وعدت قرائى أن لا أحجب عنهم أحاسيسى ومشاعرى فأنا أرسل القول ارسالا عندما يكون الامر خاصا بتسجيل خواطرى ، والخاطر الذى يلح على الان هو خشيتى من أن يكون توقفى من حين لاخر امام بعض الايات لاظهار ما تنطوى عليه من اعجاز يجعل من المستحيل أن تكون من صنع بشر ، اقول اننى اصبحت أخشى أن يكون ذلك من تحصيل الحاصل ، فالقرآن الكريم هو كلام الله وأنا أتكلم لمسلمين ، وكون القرآن هو كلام الله قضية قد فصل فيها الزمن وانتهى الامر ، فلم تعد ثمة حاجة لتكرار الحديث عن اعجازه وانطوائه على ما يقطع باستحالة ان يكون من صنع البشر ، ومع ذلك فهاأنذا أفعل ، وليس يشجعنى على سلوك هذا المسلك سوى أمرين :

الاول : ان هذا هو أسلوب القرآن نفسه ، فهو يذكر من حين لاخر أنه من عند الله وليس من صنع بشر **« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »** .

الثانى : القول المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **« يعود الاسلام غريبا كما بدأ »** فاذا كان القرآن الكريم قد أخرس ألسنة المشركين والكفار ، ففى عهدنا الحاضر ، قد عاد الكفار والمشركون والماديون ينكرون ما أنكره أسلافهم منذ أربعة عشر قرنا ، فأصبح لزاما أن نسلح كل مسلم بما يجعله يلقمهم حجرا .

منذ الشباب فى كلية الحقوق

وهذه الاية الكريمة التى نحن بصددها اليوم والتى تتحدث عن « الديون » أو بلغة العصر الحديث « الالتزامات » كان لاستاذنا الدكتور المرحوم محمد صالح أستاذ القانون التجارى فضل تنبيهنا للمعجزة القرآنية فى هذه الاية الكريمة ، وعندما شرعت فى الوقوف أمامها ، وجدتها فوق ذلك تنطق بأن القرآن الكريم شرع كل زمان ومكان ، وأن أحكامه ليست كما يتخرص بعض المتخرصين انعكاسا لظروف العرب « المحلية » .

الدين المدنى والدين التجارى

فقد علمونا منذ أربعين سنة فى كلية الحقوق ، كيف وصل الامر فى تطور القانون الرائع فى أوروبا الى حد أن اصبحوا يفرقون بين الدين المدنى والدين التجارى فاذا كان الدين المدنى لا يجوز اثباته الا بالكتابة فان الدين التجارى لا تشترط فيه الكتابة ، فطبيعة المعاملات التجارية وما تقتضيه من سرعة وغير ذلك يجعل الكتابة متعذرة أحيانا كثيرة .

وما زالت أذكر التشدق الكثير الذى قيل فى مدح القانون الالمانى الحديث والذى وصل الى هذه التفرقة ، وها نحن أولاء أمام آية قرآنية تحدد هذه التفرقة فهى تدعو الذين آمنوا الى كتابة ديونهم ، ثم تستثنى من عملية الكتابة **« الا أن تكون تجارة »** .

سمو التشريع الالهى

ولكن التشريع المدنى الوضعى ، بعد أن يؤصل قاعدة عدم جواز اثبات الدين المدنى الا بالكتابة تراه بعد ذلك يكسر القاعدة بأن يجعل ذلك وقفا على حالة أن يكون الدين أكثر من عشرين جنيها ، أما فى العشرين فما دونها فيجوز الاثبات بغير الكتابة ، ولا تفسير لهذه التفرقة واذا كانت العشرين جنيها قد تبدو اليوم مبلغا متواضعا ، فقد كانت عند وضع القانون مبلغا جسيما ، والامور نسبية على كل حال .

قارن هذا الانحراف وهذا التحكم الذى هو ضرب من ضروب التخبط الى التشريع الالهى وسموه ، فهو بعد ان قرر القاعدة وذكر علتها **« وأقوم للشهادة وأدنى الا ترتابوا »** فقد عمم الحكم فى كل الاحوال لان العلة متوفرة ، فحذر مما وقع فيه القانون الوضعى من التفرقة بين ما هو كبير وصغير ، فقال وقوله الحق **« ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله »**

فعلى الباحثين الذين تذهلهم الحضارة الاسلامية وكيف ذهبت بالمجتمع الاسلامى الى هذا الشأو البعيد ان يذكروا دائما أن القرآن الكريم كان هاديهم وحاديهم فها هوذا يهديهم منذ الف واربعمائة سنة الى امر لم تكتشفه أوربا الا وهى فى أوج ازدهارها اى منذ أقل من مائة سنة .

دلالة الحث على الكتابة

على أنه اذا كان التفريق بين الديون المدنية والديون التجارية هو أحد مواطن الاعجاز القرآنى فانه فوق ذلك يحمل الدليل الذى يفقأ عين كل كافر مكابر ، والذى يدعى أن احكام القرآن هى بنت عصرها وظروفه ، وأن ما أصبح فى العصر الحديث من أوضاع جديدة وظروف مستحدثة ، فان ذلك يستوجب أحكاما ونظما جديدة فلا خلاف على أن العرب على أيام نزول القرآن كانوا شعبا أميا لا يعرف القراءة والكتابة منهم الا افراد يعدون على الاصابع ، ومن هنا وصفهم القرآن الكريم بأنهم اميون ، لان النادر لا حكم له **« هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم »** وسيدنا محمد نفسه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ أو يكتب ، فأن يجىء القرآن ليحث على كتابة الديون ، ويحث بالاكثر على عدم اغفال الكتابة مهما صغر الدين ، فهذا هو الدليل على ان التشريع الاسلامى عندما كان ينزل على سيدنا محمد كان منقطع الصلة تماما عن ظروف الحياه الشخصية والعامة التى تحيط بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وانما هو تشريع سماوى يهدف الى ما فيه صلاح البشر فى كل زمان ومكان وقد رأينا هذا وسوف نراه ، ونحن نتحدث عن الطهارة « بالماء » فى بيئة يكاد ينعدم فيها الماء ، وهو يقرر للمرأة مكانتها ، الى غير ذلك مما مر وسوف يمر بنا بعد هذه المقدمة نقول وبالله التوفيق

يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه

قال البعض ان آية الدين اطول آية فى القرآن الكريم ولم تتهيأ لى فرصة تحقيق هذا القول بنفسى ، فعلى من يريد التثبت ان يراجع المصحف ويعد كلماتها ، يقارنها بمثيلاتها من الايات الطويلة .

مفردات :

تداينتم : اى داين بعضكم بعضا . جاء فى معجم الفاظ القرآن :

الدين . ما ثبت فى الذمة وله أجل ، ولا يسقط الا باداء و ابراء .

وتداين . اى تعامل بالدين

الاجل . الوقت المضروب لانتهاء شىء .

المسمى . اى المعين بالتسمية كشهر او سنة او حادث محقق بصفة دورية محددة .

وقد راى البعض ان يخصص الدين بـ « القرض » اى عملية التسليف ، وساق على ذلك قولا عن ابن عباس رضى الله عنه حيث قال فيما نقله عنه البخارى « اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى ان الله قد احله ، وقرأ هذه الايه . وهذا لا يفيد الا ان السلف داخل فى معناها وليس هو المقصود الوحيد ، ولذلك فنحن نؤثر تفسيرها بمعناها العام ، اى كل انواع الالتزامات والتعهدات التى يحدد وقت ادائها . ولا تسقط الا بالاداء او الابراء .

هل الامر للارشاد او الايجاب

واختلفت الاراء « بطبيعة الحال حول طبيعة الامر بالكتابة هنا ، اهو للارشاد والندب ، ام هو امر تقتضى يترتب على عدم الانصياع له الجزاء المقرر لكل معصية . وقد بادر أقوام ممن ياخذون بقواعد اللغة فى التفسير بالقول ان الامر بالكتابة وجوب . غير انه لما كان واقع الحال يقطع بان اكثر المعاملات فى المدينة كانت عن غير طريق الكتابة ، فقد بادروا بالقول ان هذه الايه نسخت بما جاء فى الاية التالية .

« **فان أمن بعضكم بعضا** فليؤد الذى اؤتمن امانته » والحق « فى رأينا ان لا نسخ هنا . فليس فى هذه الايه ما يتعارض مع الايه الاخرى . فقد ساق الله سبحانه وتعالى علة التكليف بالكتابة وانه لصالح المتعاملين « **وادنى الا ترتابوا** » فاذا جاءت الايه التالية تقول انه فى حالة نفى الريبة وامن بعضكم بعضا فلا حرج فى ترك الكتابة . فليس هذا نسخ ، ولا هو « تخفيف » كما ذهب البعض ، بل هو تاكيد للمعنى السابق . وهو ان الكتابة « فى حالة انعدام الثقة » هو الاحكم والاحزم .

فالمسلمون الاوائل لم يفهموا من الامر الا على انه للارشاد والندب ، فكانوا يتعاملون بالثقة وليس فقط بان الامر كله قد شرع لمصلحة الدائن اولا واخيرا ، انه اذا كان من حق الدائن ان يتنازل عن دينه كله . فمن باب اولى يكون من حقه التنازل عما شرع لاثبات هذا الدين ، فالامر له ان شاء احتاط لحقه بالكتابة فهى أقوم ، وان شاء وثق بصاحبه .

وليكتب بينكم كاتب بالعدل

وهكذا عندما تذهب للشهر العقارى ، أمام من يسمونه « الموثق » وعندما تسمع او تتعامل بالعقود الرسمية ، وعندما يقال لك ان هذا هو اخر ما توصلت اليه الحضارة فى ضبط المعاملات ، والحرص على الحقوق ان تشبها الشوائب ، فانظر يا رعاك الله كيف امر القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا المسلمين ان يسيروا على هذا النهج ، ذلك أن الكاتب لم يؤمر بالكتابة لمجرد الكتابة ، اى انه لا يخرج عن كونه اداة بل امره أن تكون كتابته « بالعدل » فيجب ان يكون ملما بما يكتب ، يعرف حدوده ، ووجه الصواب فيه من الخطا ، وما حكم الشريعة فى نوع المعاملة التى تجرى كتابتها . يقول الامام مالك ، على ما نقله عنه القرطبى : « لا يكتب الوثائق بين الناس الا عارف بها عدل فى نفسه مأمون .

ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله

اى ان الكاتب مامور بالكتابة اذا ما دعى اليها ، ومرة اخرى يبادر قوم فيقولون ، انه مامور بذلك بدون قيد او شرط ، فمادام قد دعى للكتابة فلا يمكن الا ان يستجيب . مهما كان ذلك فى وقت غير مناسب لسبب من الاسباب فالامر صريح ان لا يابى . وينسى القائلون بهذا القول ان الايه الكريمة لن تلبث ان تقول . « **ولا يضار كاتب ولا شهيد** » ويسرع اصحابنا فيقولون ان هذه نسخت تلك ، وعندنا ان القول متسق . وان الله سبحانه وتعالى انما نص بالقول على ابعاد الضرر عن الكاتب حتى يؤكد ما هو بديهى وطبيعى ، فليس من المعقول ان يكون انسان ، لمجرد انه يعرف الكتابة الى انه فى يد من لا يعرفها فيدعوه للكتابة فى اى وقت شاء ، لاى قدر شاء ولو كان ذلك ضد مصالحه ، ان القول بذلك هو ضرب من الخلط ولكن الله سبحانه وتعالى والذى يعلم من خلق ، ادرك بسابق علمه ان سيكون من يفهم هذا المعنى ، فقيده بضرورة انتفاء الضرر عن الكاتب ، وهكذا اعاد السلطان والحرية للكاتب فهو الذى يقدر متى يكتب وكم من الوقت والجهد يبذله فى الكتابة بحيث لا يعود الامر عليه باى ضرر .

كما علمه الله

على ان القرآن الكريم سرعان ما ينبه الى ما يفرضه الله على عباده من شكر النعمة التى أنعم بها الله عليه ، وشكر النعمة يكون ببذل بعضها لخدمة المحتاجين اليها ، فكان الشكر على الغنى بالانفاق على الفقراء . وهو هنا يذكر بان شكر العلم والمعرفة يكون بوضع نصيب منها لمنفعة الاخرين ، وهنا يظهر اللون الاسلامى حيث يغرس فى نفس المؤمن ان المال مال الله والعلم علم الله ، وان ما فى يد الانسان ليس الا هبة من الله ، فليتق الله ربه وليسمح بدوره الناس ببعض ما افاء به الله عليه .

وليملل الذى عليه الحق

اى ان المدين وليس الدائن هو الذي يتولى عملية

الاملاء على الكاتب ، والاملاء والاملال لغتان : امل وأملى ، وهنا يجدر بنا أن نقف لنتأمل دقة التشريع وعظمته ، حيث قضى بأن المدين هو الذى يقوم بعملية الاملاء لانه هو الذى سيكون ملتزما بالاداء ، فيجب ان يعرف على وجه الدقة ما سوف يكون مكلفا بادائه ، وحتى ترتفع مظنة أنه ربما يكون قد اكره على الوفاء بشىء لم يلتزم بادائه ، وهكذا يحرص القرآن الكريم على حرية الارادة واستقلالها فلا يلتزم الانسان بشىء يجهله ، أو أكره على أدائه ، قارن ذلك بما أصبح طابع الحياة العصرية حيث يوقع الانسان على عقود مطبوعة ومعدة سلفا ، وما عليه الا أن يذعن لكل ما جاء فيها اذا أراد الحصول على الخدمة او الحق المطلوب « التليفون ، الكهرباء المياه ، المعاشات ، المرتبات .. الخ » .

وأصبح يطلق على هذه العقود « عقود الاذعان » والتى امتدت الى كل نواحى الحياة .

وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا

والسؤال هنا من هو الشخص الموجه اليه الخطاب بتقوى الله وان لا يبخس « ينقص » منه شيئا ، اهو المدين الذى يملى ام الكاتب الذى يكتب ، ذهبت الجمهرة الى ان هذا التحذير موجه للمدين ، ولكننا من راى من قال ان الضمير هنا يعود الى الكاتب باعتباره الشخص الوحيد فى الموضوع الذى لم يعد عليه رقيب فيما يفعل سوى الله عز وجل فهو يكتب ما لا سبيل لمعرفة الطرفين به « عند جهلهما الكتابة » وسوف يكون حجة عليهما عندما يحين اجل الدين فاصبح من اوجب واجبات الكاتب ان يكتب ما املى عليه حيث لا رقيب على ما يكتب سوى الله فشاء الله أن يحذره ، أما المدين فهو يملى تحت اشراف الدائن صاحب الحق ونحسب انه لن يرضى بان يبخس حقه ، ولو تصورنا انه رضى فان ذلك يكون بمثابة اتفاق جديد جار قبوله ، ومن ثم فلا حرج على المدين .

من أجل ذلك اخترنا ان يكون الامر بالتقوى هنا موجه « بخاصة » الى الكاتب ، مع مراعاة ان المؤمنين جميعا على اختلاف مواقعهم فى اية معاملة مأمورون بتقوى الله .

« فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل » .

السفيه : هو المبذر ، من لا يحسن التصرف فى المال ، وقيل هو الاحمق على تفصيل فى كتب الفقه .

ضعيفا : هو الضعيف بسبب صغر سنه أو الشيخ الهرم الذى وصل الى مرحلة الخرف ، ومن هو من هذا القبيل .

أو لا يستطيع أن يمل : اى لا يقدر على الاملاء كالاخرس .

فليملل وليه بالعدل : ولى الانسان هو من يتولى أموره ويقوم بها عنه ، وهنا طالبه الله أن يكون عادلا يتصرف بالحق والقسطاس ، لانه لا يتعاقد عن نفسه وانما يتعاقد عن غيره ملزمه ان يتوخى الصلاح وهو ما يتحقق من خلال العدل .

« واستشهدوا شهيدين من رجالكم » .

وتمضى الاية الكريمة فى وضع الضوابط لقيد الالتزامات وتحديدها بالصورة التى تجعلها فوق الريب والشكوك او الغموض ، وأرجو عندما يذهب انسان الى الشهر العقارى أمام موثق العقود ، فيطالبه باحضار شاهدين ليشهدا على العقد ان لا يتصور انهما يفعلان هذا تطبيقا لنص القرآن ، وانما هما يفعلانه وفقا لاخر ما انتهت اليه أوروبا من اسلوب توثيق العقود ، وعلى المسلم ان يتأمل كيف أن العالم ينتهى الى ما قدره القرآن الكريم

« فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى » ويفتح القرآن الكريم بابا للتخفيف فى حالة تعذر وجود شاهدين عدلين ان يكتفى برجل واحد وامرأتين متى كان ذلك متيسرا ورضى الطرفان باشهادهما .

مكانة المرأة

هنا ويقفز البعض الى القول ، ان ذلك يعنى ان المرأة تساوى نصف الرجل ويدعمون رأيهم بآية المواريث حيث تستحق المرأة فى بعض الاحوال نصف ما يستحقه الرجل ونحن ندع مناقشة قضية الميراث الى أوانها حيث سنرى أن المرأة فى بعض الدرجات تأخذ مثل ما يأخذه الرجل ، وأحيانا تأخذ أكثر مما يأخذ على تفصيل سيرد عند نص الاية الكريمة ، وحسبنا الان أن نقف أمام ما نحن بسبيله فى موضوع الشهادة وطالما قلنا انه حيث صرح القرآن بحكمة أمر من اوامره ، فلم يعد من الجائز أن يجتهد انسان ما فى الاستنباط والتعليل ، وقد صرح القرآن الكريم بالعلة « **أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى** » فلزم الوقوف عند هذا الحد .

فارق ما بين الطبيعة والوظيفة

ولقد تحدثنا من قبل ونعود للحديث أن الناس سواء فى الشرق او فى الغرب يخلطون ما بين الطبيعة الواحدة لكلا الجنسين « الذكر والانثى » وبين اختلاف وظيفة كل منهما وقيام بعض الفوارق نتيجة لاختلاف الوظائف حيث جهز كل منهما بما يقدره على اداء وظيفته ، فالقول بان المرأة لا تساوى الرجل هو نوع من الخلط كهذا الذى غرقت فيه الحضارة الاوروبية ، عندما تزعم انه لا فارق بين الرجل والمرأة ، وبالتالى فيجب ان تتقلد المرأة كل وظائف الرجل ، وكل هذا خلط يقطع بان الانسان اذا ترك وشأنه فلا حد لما يمكن ان يقوله ، ومن هنا فلا مناص من الارشاد الالهى ، وهو ما يثبته القرآن الكريم لصالح البشر وهدايتهم ، وقد قرر القرآن الكريم هذين الاصلين :

– الطبيعة الواحدة للجنسين .

– اختصاص كل منهما بوظيفته التى خلق من اجلها وبالتالى جهز تجهيزا خاصا ليكون أقدر على الاضطلاع بها .

فأما عن المساواة فى الطبيعة فقد قررها القرآن

الكريم واكدها وكررها لتصبح أصلا من الاصول الثابتة ، وحسبنا أن نورد آية واحدة :

« **يا أيها النـاس انا خلقنـاكم من ذكر وانثـى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم** » .

ونحسب انه لا يوجد تعبير جـامع مانع ينطق بالمساواه بين الجنسين من هذه الاية الكريمة ولكن هذه المساواة فى الطبيعة لا تعنى كما قلنا من قبل المساواة فى الوظيفة ، فقد أعدت المرأة لتقوم فى الطبيعة بدور الامومة وقد جهزت تجهيزا خاصا للقيام بهذا الدور وعلى رأس ما جهزت به هو قوة عاطفتها التى تفوق قوة العقل الذى يحتاجه الرجل للوقوف الى جوارها للسير فى الحياة ، فاذا كان يوجد من النساء من يحاولن أن ينكرن ذلك فذلك شأنهن ، ولنا ما يقرره القرآن الكريم .

ومن ذلك هذه الاية التى نحن بصددها والتى تقرر انه طبقا لظروف المرأة الخاصة فانها لا تحتفظ بالدقة ما قد يجرى أمامها من معاملات مثل ما يحفظ الرجل ومن هنا فقد أباح القرآن لطرفى العقد اذا رضيا باشهاد المرأة ان يكونا اثنين بدلا من واحده ، حتى اذا نسيت احداهما ذكرتها الاخرى ، وواضح أن المقصود هو ان تكمل احداهما شهادة الاخرى بحيث ينتهى الاثنان بالمصادقة على واقعة واحدة .

وقد حاول بعض المفسرين أن لا يأخذ بتفسير كلمة « تضل » بأن معناها « تنسى » مع أن ذلك مستفاد من كلمة « **فتذكر احداهما الاخرى** » .

بقى لكى نؤكد أن احلال امرأتين فى الشهادة فى بعض الاحوال مقابل رجل واحد ، انه فى جميع الاحوال الخاصة بالمرأة من « حيض وبكارة وحمل وحالة المولود عند الولادة » فكل هذه امور تكفى لاثباتها شهادة امراة واحدة حتى ولو كانت صاحبة الشأن على تفصيل فى كتب الفقه .

ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا

قامت عظمة المجتمع الاسلامى وستظل تقوم على هذا الاصل الثابت من أصول الاسلام وهو وحدة الامة الاسلامية :

- « **وأن هذه أمتكم أمة واحدة** » .
- « **انما المؤمنون اخوة** » .

وظل القرآن الكريم يؤكد هذا الاصل حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الوحده رابطه مادية عضوية ، وذلك فى حديثه المشهور الذى قرر فيه أن المسلمين جسد واحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ، ولـن ينهض المسلمون فى عصرنا هذا الا اذا عادوا لهذا الاصل من أصول دينهم .

وهذا الامر الذى نحن بصدده والذى يحتم على الشهود ان يدلوا بشهادتهم اذا ما دعوا لادائها هو أحد تطبيقات هذا المبدأ العام فليس لاى فرد من الافراد أن يتخلى عن واجبه فى تقرير الحقيقة التى شهدها .

يأب : أى يمتنع .

ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنـى ألا ترتابوا .

ولا تسأموا : أى لا تملوا .

أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله : قدم وصف الصغير على الكبير تأكيدا لعدم التهاون فى كتابة الدين لصغره ، ونصت الاية على كتابة الاجل ايضا ، اى المدة التى يجب بعدها أداء الدين .

ذلك أقسط عند الله : أى أعـدل ، القسطاس العدل .

وأقوم للشهادة : أى أعون على ادائها على وجه الصحة والدقة .

وأدنى ألا ترتابوا : أى حتى لا تشكوا .

الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها .

استثنى الامر بالندب الى الكتابة موضوع التجاره ، ولكنه اشترط لذلك شرطين عبر عنهما بلفظين : « **حاضرة** » و « **تديرونها** » وهما تعبيران عن حقيقه واحدة ،وهى ان يتم البيع والشراء او المقايضه او المعاملة التجارية أيا كان شأنها على عروض حاضرة ومواد تتداول وتسلم يدا بيد . ففى مثل هذه الحالة تصبح الكتابه ولا ضرورة لها من ناحية ، وهى متعذرة من الناحية الاخرى ، ذلك ان عمليه التجارة سريعه بطبعها ، ولذلك رفع القرآن الكريم الحرج من عدم كتابتها « **فليس عليكم جناح الا تكتبوها** » .

أما اذا كانت العملية التجارية تدور حول موضوع مؤجل ، هنا وتعود الكتابة لتكون هى الاقسط والاقوم .

واشهدوا اذا تبايعتم :

بالغ البعض فاعتبروا هذا القول بمثابة أمر جاء على سبيل الوجوب كلما باع الانسان أو اشترى اى سلعة مهما كانت تافهه « حزمة بقل ، كالفجل او الكرات أو البصل » وهده مبالغة ينبو عنها السياق ، ولو هذا الامر بالاستشهاد جاء فى اية مستقله لجاز الامر أن يكون كذلك ، اما والكلام جزء مما قبله وما بعده فوجب ان يفسر على ضـوء المعانى التى نحن بسبيلها ، فالايه الكريمه تحث على كتابه الديون الاجله واستشهاد عدلين عليها وذلك تفاديا لما قد يقع من ريبه وغموض ثم استثنت الاية الكريمه من ذلك التجارة الحاضرة ، فلا جناح من عدم كتابتها ، ولكن هذه التجاره الحاضرة قد تدور حـول عملية بيع او شراء ضخمة وقد يترتب عليها آثار جانبية ، وفى مثل هذه الحالة ومنعا للشك والغموض أمر القرآن الكريم بالاستشهاد بمعنى انه عندما لا يوجد اى غموض فضلا عن شك وارتياب ، او كما لو كان المباع او

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً

أيام الأسبوع	رجب ١٣٩٦	يوليو ١٩٧٦	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
الثلاثاء	غرة رجب	٢٩ يونيو	١٠	٣	٥٦	٤	٥٨	١١	٣٤	٣	٠٠	٧	٣٣	٨
الأربعاء	٢	٣٠ يونيو	١١		٥٧		٥٨		٣٤		٠٠		٣٣	
الخميس	٣	أول يوليو	١١		٥٧		٥٨		٣٤		٠٠		٣٣	
الجمعة	٤	٢	١٢		٥٧		٥٩		٣٤		٠٠		٣٣	
السبت	٥	٣	١٢		٥٨		٥٩		٣٥		٠٠		٣٢	
الأحد	٦	٤	١٣		٥٨		٥٩		٣٥		٠٠		٣٢	
الاثنين	٧	٥	١٣		٥٩		٥٩		٣٥		٠٠		٣٢	
الثلاثاء	٨	٦	١٤		٥٩		٥٩		٣٦		٠٠		٣٢	
الأربعاء	٩	٧	١٤		٠٠	٥	٠٠	١٢	٣٦		٥٩	٦	٣١	
الخميس	١٠	٨	١٤		٠٠		٠٠		٣٦		٥٩		٣١	
الجمعة	١١	٩	١٥		٠٠		٠٠		٣٦		٥٩		٣١	
السبت	١٢	١٠	١٦		١	٥	٠٠		٣٦		٥٩		٣١	
الأحد	١٣	١١	١٧		٢		٠٠		٣٧		٥٩		٣٠	
الاثنين	١٤	١٢	١٨		٢		٠٠		٣٧		٥٨		٢٩	
الثلاثاء	١٥	١٣	١٩		٢		٠٠		٣٧		٥٨		٢٩	
الأربعاء	١٦	١٤	٢٠		٣		١	١٢	٣٧		٥٨		٢٨	
الخميس	١٧	١٥	٢١		٤		١		٣٧		٥٨		٢٨	
الجمعة	١٨	١٦	٢٢		٤		١		٣٧		٥٧		٢٧	
السبت	١٩	١٧	٢٢		٤		١		٣٧		٥٧		٢٧	
الأحد	٢٠	١٨	٢٣		٥		١		٣٨		٥٦		٢٦	
الاثنين	٢١	١٩	٢٤		٥		١		٣٨		٥٦		٢٦	
الثلاثاء	٢٢	٢٠	٢٥		٦		١		٣٨		٥٦		٢٥	
الأربعاء	٢٣	٢١	٢٦		٧		١		٣٨		٥٥		٢٤	
الخميس	٢٤	٢٢	٢٦		٨		١		٣٨		٥٤		٢٣	
الجمعة	٢٥	٢٣	٢٧		٨		١		٣٨		٥٤		٢٢	
السبت	٢٦	٢٤	٢٨		٩		١		٣٨		٥٣		٢١	
الأحد	٢٧	٢٥	٢٨		٩		١		٣٨		٥٣		٢١	
الاثنين	٢٨	٢٦	٢٩		١٠		١		٣٨		٥٢		٢٠	
الثلاثاء	٢٩	٢٧	٣٠		١٠		١		٣٨		٥٢		٢٠	

المشترى من التفاهة بحيث لا يدور حوله نزاع ، فلو دار يكون من الهوان بحيث لا يستحق تشريعا خاصا به « كشراء حزمة فجل أو جرجير ، من السوق العام »

وانما يكون الاستشهاد : اذا ما خيف من الريبة والغموض حول ما يترتب على عملية البيع من آثار .

ولا يضار كاتب ولا شهيد .

المعنى الذى لا نتصور معنى غيره انه لا يمكن أن تكون الكتابة او الشهادة على أمر من الامور مصدر ضرر على الكاتب او الشاهد ، فاذا كان الله سبحانه وتعالى قد اوجب على الكاتب ان يكتب ، وعلى الشاهد أن يشهد ، فعليهما أن يفعلا ذلك فى حدود الطاقة والقدرة وبما لا يعود عليهما بالضرر .

وان تفعلوا فانه فسوق بكم .

وان تفعلوا : ما نهيتم عنه « فانه فسوق بكم » أى خروج عن الطاعة ، والقول موجه لكل مكلف فى الاية بأمر من الامور .

واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم .

وتختتم بما تختتم به آيات الاحكام من اتقاء غضب الله باتباع اوامره والانتهاء عن نواهيه ، وان كل ما يوجه الينا هو علم يعلمنا اياه الله لخيرنا ونفعنا وصلاحنا .

والله بكل شىء عليم : ولا يذكر العلم الا ويعلمنا الله أنه بكل شىء كان أو هو كائن أو سوف يكون ، سرا كان او جهرا ظاهرا كان او باطنا الا وهو به عليم .

وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة .

ومضى القرآن الكريم يفصل أساليب المحافظة على الاموال والالتزامات والحيلولة دون وقوع الشك والغموض فيها مما يخلق المنازعات فارشد الى الكتابة على نحو ماقدمنا .

وفى هذه الاية التى نحن بصددها يشير الى أسلوب آخر فى حالة تعذر وجود الكاتب كما لو كان الامر فى حالة السفر فأباح كوسيلة للاستيثاق « الرهن » ورهان جمع رهن وجعل شرط الرهن أن يكون « مقبوضا » أى يدا بيد ، لان وجود الشىء المرتهن فى حوزة الدائن دليل على وجود الدين وهو ضمان لاستيفاء الحق .

ويتحدث المفسرون القدامى وبعض المحدثين هنا عن عملية الرهن ونحن نحيل فى هذا الموضوع على كتب الفقه .

رهن سيدنا محمد درعه ليهودى :

على أن ثمة واقعة تروى عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فى هذا المقام لا نستطيع اغفالها ، خاصة وقد جرى بصددها جدال حدث أمامنا واعنى بهذه الواقعة رهن سيدنا محمد درعه عند يهودى ، ومات والدرع فى حوزة اليهودى .

فقد حدث وكنا جلوسا فى مجلس علم أن ذكر احد الحاضرين هذه الواقعة ، فانبرى له أخ فاضل يكذب الرواية وراح يتفجر بأساليب الفصاحة والبلاغة والمنطق ، استنكارا لمثل هذا القول ، وقد ذكرت هذا باعتباره اسلوبا جديدا يصطنعه البعض بحسن نية تحت تأثير اسلوب المستشرقين الذى سرى الينا ، وقد حان الوقت للتحرز منه وعدم الوقوع فيه . فالواقعة قد وردت فى صحيح البخارى ، ونصها « رهن « أى سيدنا محمد » درعه فى المدينة على ثلاثين صاعا من شعير » .

ومجرد وجود الحديث فى البخارى يجعله حقيقا بكامل الثقة ، لا تجوز مناقشته فضلا عن رده الا بدليل من الكتاب والسنة وفقا لقواعد مصطلح علم الحديث ، فكيف اذا كان الحديث قد روى أيضا فى صحيح مسلم ، والنسائى وغيرهم ولم يرتفع صوت بالاعتراض .

ولقد وجدت فى تفسير القرطبى اضافة لهذا الحديث لم يذكر مصدرها ، جاء فيها :

« رهن النبى صلى الله عليه وسلم درعه عند يهودى طلب منه سلف الشعير فقال انما يريد محمد أن يذهب بمالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم : **كذب انى لامين فى الارض أمين فى السماء ولو ائتمننى لاديت أذهبوا اليه بدرعى** » .

يقول القرطبى فمات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة . انتهى .

عظمة بغير حدود وتعليم وارشاد :

ونعود لاخينا الفاضل الذى عز عليه أن يقال ان سيدنا محمد رهن درعه عند يهودى وينسى ما تنطوى عليه الحادثة من عظمة بغير حدود وتقطع بأن سيدنا محمدا هو رسول الله حقا وصدقا ولم يكن ملكا او حاكما ، فهذا الذى دانت له جزيرة العرب بكل من فيها وما فيها ، والذى سير الجيوش لمحاربة الروم ، والذى كان كل من حوله يفتديه بنفسه وماله ، جاءه ظرف احتاج فيه الى ثلاثين صاعا من شعير ، فاستلفها ولم يغتصبها من احد ماديا او معنويا ، وعندما خشى أن يتصور اليهودى أن سيدنا محمدا يأخذ ما يأخذ بقوة ماله من سلطان ، كان هذا الاجراء من ارساله درعه ليكون رهنا ، والموضوع كله ككل ما يتصل بسيدنا محمد ، يراد به التعليم والتوجيه والارشاد . فهاهو يهودى مستأمن يعيش فى كنف المسلمين مشاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يعلمنا الى أبد الابدين ، كيف يكون التعامل .

فليحذر مفكرونا المخلصون ان يناقشوا مسائل سيدنا محمد على مزاجهم وما يرون هم من وجهة نظرهم ان هذا يصح أو لا يصح فالعلوم الاسلامية وعلى رأسها علم الحديث قد كملت وانتهى الامر ، ولست اغلق باب الاجتهاد ولكن لا يتصورن متصور ان الاجتهاد معناه القاء القول على عواهنه وفقا للامزجة والاهواء مهما كان حسن النية والرغبة فى الاعلاء من شأن سيدنا محمد .

فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه .

ويقر القرآن الكريم بعد أن أرشد الى الوضع الامثل والاحسن واقع الحال الذى جرى عليه العمل وسوف يجرى فى المجتمعات التى لا تعرف القراءة والكتابة حيث اعتاد الناس أن يتعاملوا بالامانة ، مرشدا المؤمنين أن هذا التعامل الذى قد يتم فى الخفاء فانه لا يخفى عن علم الله ، ويدعو المؤمن أن يتقى غضب الله بأن يؤدى ما أؤتمن عليه ، قال تعالى : **« ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات . »** .

وقد كان المجتمع الاسلامى أعجوبة لدى غير المسلمين على أداء الامانة واليوم انقلب الحال عند الكثيرين الى الضد ، بحيث أصبحت الكتابة هى السبيل الاوحد للاثبات ، وهكذا يثبت القرآن الكريم أنه ليس من صنع بشر ، فعندما أمر بالكتابة كان يعلم من أمر الناس وما سوف يطرأ عليهم من تغيرات ما يناسب أحوالهم .

ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه .

مر بنا فيما سبق ، قوله تعالى **« ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا »** وهاهوذا سبحانه وتعالى يعود لتاكيد هذا الامر وليغلظه على من لا يصدع بالامر ، فيقرر له أن كتمان الشهادة اثم كبير وذلك مستفاد من نسبة الاثم الى القلب وهو المضغة التى اذا فسدت فسد الجسد كله .

والله بما تعملون عليم : وتختم الاية الكريمة بما يذكر كل مكلف أن لا شىء يغيب عن علم الله فمحاسب عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر .

لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير

فليسامحنى القراء ، بل ليغفر لى الله أولا اذا كنت أقحم على هذا التفسير أحاسيسى التى هى شىء خاص بى وربما ما كان يجوز قولها ، ذلك انى اشعر حيال هذه الاية الكريمة ، كما لو كانت تختم هذا الشوط الكبير ، الكبير جدا الذى قطعناه مع سورة البقره اطول سور القرآن واشملها للاحكام والاوامر والنواهى فى حالتى السلم والحرب ، فى حالتى الحل والترحال ، فى حالتى الزواج والطلاق ، فى حالتى الغنى والفقر ، اثناء الحياة وبعد الممات ، ومصلت لنا من قواعد الاسلام ما فصلت ، فى الصلاه والزكاه والصوم والحج ، والان والسورة الكريمه اوشكت على نهايتها ، بهذه الايات التى اهتز لها الكون اهتزازا خاصا مما سنعرض له فى حينه ، أما الان فحسبنا ان نسجل الاحساس بأن هذه الاية الكريمة هى التى تعد النفس لختام كل مـا مر بنا وتهيئه لاستقبال الانوار الالهية والنفحات القدسية والنغمات الروحية التى تفيض بها نهاية سورة البقرة **« آمن الرسول ... الاية »** .

ويتجلى الاعجاز البيانى القرآنى فى صياغة آية فى كلمات قليلة يمتد اثرها الى كل ما تقدم ويستطيع الانسان أن يكتب حولها مجلدات ومن ناحيتى فانا اعتبر كل ما كتبته ابتداء من أول سوره البقرة يندرج تحتها ولذلك فسوف اكتفى باستعراض الفاظها

« **لله ما فى السموات وما فى الارض** » وهذا هـو ملكوت الله الذى لا يمكننا ان نحيط به وان كان الله سبحانه قد أنعم علينا برؤية صور لبعض اجزائه .

« وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله »

وهذا هو اصل الاصول للايمان بالله وهو أنه سوف يحاسبنا عن كل ما نجترحه من السيئات والاثام ، سواء اظهرناها او ابطناها ، ولا صعوبة هناك باى حال من الاحوال بين كون الانسان محاسب حتى على ما يضمره فى سريرة نفسه وبين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ان الله تجاوز لى عن أمتى ما حدثت به نفسها ما لم تتكلم به أو تعمل** » « رواه الستة »

وقوله عليه الصلاة والسلام :

« **قال الله : اذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه : فان عملها فاكتبوها سيئة ، واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا** » .

نقول ان لا صعوبة على الاطلاق فى الجمع بين هذه الاحاديث وبين الايه التى نحن بصددها . فمن الاعمال ما لا تحدث ضررا من اى نوع كان الا اذا عبرت عنها أعمال وتصرفات ماديه بالقول او بالفعل ، فما لم يعبر عنها الانسان فهى لا تخرج عن دائرة الهواجس والوساوس التى لا تضر أحدا والتى لا قبل لاى انسان ان يدفعها عن ان تساوره ، ويمتاز العبد الصالح انه على الرغم من قيام هذه الوساوس والهواجس فى نفسه فهو يصدها ويصرفها عن نفسه ويستعيد من شرها ، وهذا هو ما بشرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اننا غير محاسبين عليه ولكن من الاثام التى حذرنا الله من الوقوع فيها ما لا محل له سوى القلب ، كاتم من يكتم الشهاده ، او ان يحقد انسان على انسان او يحسده ، فهذه حالات نفسيه لا مظهر خارجيا لها . وقد بقى ان تعرف ان الحقد والغل والحسد تسمم حياه من تنطوى عليها نفسه ، وقد يمتد اثرها بطريقة لا يعلمها سوى الله ولذلك فقد أمرنا ان نستعيذ من شر حاسد اذا حسد .

فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء

فالحساب امر لا مفر منه فى كل الاحوال « **انما الاعمال بالنيات** » وانما تبقى اراده الله العليا فى أن يغفر لمن يشاء أنى يشاء وكيف يشاء ويعذب من يشاء « **والله على كل شىء قدير** »

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

جرائم بني إسرائيل كما قصها القرآن الكريم

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

كتبنا فى المقال السابق نص الاية ٢٤٦ وشرحنا مفرداتها ، ووعدنا باتمام الكلام على هذه الجريمة المزدوجة ، والان نسجل الاية هنا ثانيا قبل شرحها لتكون أمام السيد القارىء فلا يتشتت فكره . وهذا نصها :

« الم تر الى الملا من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله . قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين »

الشرح

الم تر قصة الجماعة من بعد موسى حين قالوا لنبيهم اقم لنا اميرا نقاتل معه فى سبيل الله الوثنيين فى فلسطين ، قال : اتوقع جبنكم ان فرض عليكم القتـــال . قالوا ولم الجبن والحال اخرجنـــا من ديارنا ، وابعدنا عن ابنائنا بسبب سبى الابناء ؟ فلما فرض عليهم القتال تولوا وجبنوا ».

« فلما كتب عليهم القتال تولوا .. الى آخره » .

المتأمل فى سياق الترتيب بين هذه الاية وبين ما سيأتى بعدها يدرك ان فى الكلام تقديما وتأخيرا . والاصل انهم لما قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا نقاتل . واستوضح منهم عن صدق قولهم واجابوه بقولهم الا وما لنا لا نقاتل ..... الى آخره فظن انهم صادقون اتجه نبيهم الى ربه ان يرشده الى من يصلح ان يكونوا تحت قيادته فأخبره سبحانه أن أليق واحد يصلح لذلك هو طالوت ، ولما بلغهم نبيهم ذلك ، تجلى له حقدهم على طالوت وتفضيل أنفسهم عليه فرد نبيهم عليهم بأن الله سبحانه اصطفاه عليهم .. الى آخره بعد ذلك اخبرهم نبيهم أن الله كتب وفرض عليهم القتال فلم يكن منهم الا ان تولوا وجبنوا الا قليلا ... الى آخره

فنرى القرآن قدم الحديث عن وجوب القتال عليهم وانهم تولوا واعرضوا ليسرع الى ذهن السامع جبن هؤلاء الخواريين . وانهم كاذبون فى دعوى طلب القتال وليتجلى صدق ما أخبر الله عنهم من أنهم احرص الناس على حياة « آية ٩٦ البقرة » ثم رجع الى الحديث عن القصة من أولها فقال « وقال لهم نبيهم ان الله قدبعث لكم طالوت الى آخره » . والتعجيل بالمهم ثم ذكر ما حصل قبله معهود فى القرآن ، وذلك لان التعجيل بالنتيجة يلفت نظر السامع للوقوف على سببها بعناية .

اقرأ قصة نبى الله نوح عليه السلام حيث عجل سبحانه بمكان العبرة فى ابنه وانه غرق فى الموج ولم ينفعه ايواؤه الى جبل ثم ذكر سبحانه بعد ذلك استغاثة نوح بربه أن ينجى ابنه من الغرق ، اقرأ القصة من اولها ٤٠ ـ ٤٦ من سورة هود .

فلما فرض عليهم القتال تولوا وجبنوا .. جبنوا جميعا الا قليلا منهم والله عليم بمن ظلموا انفسهم وامتهم بالجبن وسيجازيهم .

« وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالو أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم » آية ٢٤٧ سورة البقرة .

المفردات :

أنى يكون : أى كيف يكون ؟ . **سعة من المال** : أى رزقا واسعا. **بسطة** : أى سعة . **واسع عليم** : كثير الفضل ، عليم بمن يستحقه .

الشرح

قال لهم نبيهم صمويل أن الله قد بعث لكم طالوت ملكا كما طلبتم .

قالوا : كيف يكون هذا والحق اننا أحق بالملك منه لانه ليس من كبرائنا ولا من أغنيائنا فرد نبيهم قولهم بما يفيد بأن ما ذكروه لا دخل له فى استحقاق القيادة بل المعول عليه صفات ذاتية فى الشخص تؤهله لاختيار الله له ومن هذه الصفات :

اولا ، ان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اصطفاه واختاره وهو سبحانه أعلم بالصالح منكم .

ثانيا : ان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن من معرفة الامور السياسية ، وجسامة البدن ليكون أعظم خطرا فى القلوب ، واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم . وقد زاده الله فيها .

ثالثا : انه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله أن يؤتيه من يشاء .

رابعا : انه واسع الفضل يوسع الفضل على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك وغيره .

وشعر نبيهم بأنهم لم يقتنعوا بما احتج به عليهم بما استحق به طالوت من الملك بما اختاره الله وأعد له . فقال ما يأتى :

« وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين » آية ٢٤٨ البقرة .

المفردات :

آية ملكه : أى علامة كونه ملكا . **التابوت** : هو صندوق التوراة وكانوا يجعلونه أمام الجيش لتطمئن قلوبهم . وكان قد اخذه منهم الجبارون الفلسطينيون فى الحرب السابقة ـ كما تقدم فى المقال السابق ـ فحل بهم وباء فظنوا أنه بسبب التابوت ، فوضعوه على عربة تجرها بقرتان ووجهوهما الى الجهة التى فيها بنو اسرائيل .

سكينة : أى سكون للنفوس وطمأنينة لها .

بقية الخ : أى قطع من الواح التوراة .

تحمله الملائكة : قال المرحوم الشيخ محمد عبده : ان العادة جرت على أن كل شىء يحصل من غير سبب ظاهر يقال عنه من فعل ملك من الملائكة .

المعنى

ولما طلبوا من نبيهم دليلا على أن الله اختاره ملكا قال لهم ان دليل ذلك هو أن يأتيكم التابوت فيه ما يطمئن قلوبكم وفيه قطع من الواح التوراة مما تركه اتباع موسى وهارون من أنبياء بنى اسرائيل حال كونه تحمله الملائكة .

قال تعالى :

« فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده . فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » ٢٤٩ البقرة .

المفردات :

فصل طالوت : أى انفصل بالجيش عن محل الاقامة. **مبتليكم** : مختبركم . **لم يطعمه** : أى لم يذق طعمه . **جالوت** : هو أكبر طاغية فى الوثنيين الذين كانوا يحتلون فلسطين . فهم اكبر أعداء بنى اسرائيل .

« **قال الذين يظنون انهم ملاقو الله** » يلاحظ هنا انه عبر بالظن « يظنون » مع ان المقام مقام يقين . فلا يصلح الا « الذين يتيقنون » لان الموقف هنا موقف ايمان بالاخرة .

قال الراغب الاصفهانى : الظن اسم لما يحصل فى الذهن عن أمارة ، ومتى قويت الامارة ادت الى العلم ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حد الوهم ومتى قوى استعمل معه « أن » المشددة كما هنا وكما فى قوله تعالى « **الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وانهم اليه راجعون** ! «٧» أى متيقنين لانهم مؤمنون ومن هذا النوع كثير والمقام هو الذى يبين المراد ، وهنا المراد اليقين .

الشرح

ولما حصل هذا وخضعوا وخرج بهم طالوت من مكان اقامتهم متوجها لقتال اعدائهم الوثنيين ... أراد امتحانهم ليعلم المخلص ذا العقيدة وغيره ليبعده عن الجيش لخطر وجوده عند الشدة ، فسار بهم مسافة اشتد عطشهم فيها ، ثم قال ان الله مختبركم بنهر سيلاقيكم ، فمن شرب منه كثيرا فليبتعد عنا ، ومن لم يطعمه أى لم يذق منه كثيرا فليبق معى ، ولما وصلوا النهر شرب أغلبهم كثيرا ، واكتفى قليل منهم بغرفة بيده يخفف بها قسوة العطش ، ثم تخطى النهر طالوت والمخلصون معه بسرعة وتأخر الاكثرون حتى شبعوا ماء ، فلما جاوزه هو والمخلصون معه أولا ثم لحقهم الباقى ـ بدليل المناقشة الاتية وانما اقتصر فى الذكر على مجاوزة المخلصين لانهم هم الذين صاحبوا

« البقية ص ٤٣ »

خصائص القصة القرآنية

الأستاذ فتحى رضوان

يتسم منهج القرآن الكريم فى ايراد اخبار الانبياء ، وأحاديثهم ، وانباء الامم القديمة والصالحين من عباد الله ، وبعض ما وقع فى الماضى مما يحمل دلالات على أن سنة الله ، التى تقضى بغلبه الحق ، وهزيمه الباطل ، هى سنة ثابتة يتسم هذا المنهج بسمات ، لا تخطؤها العين ، التى تقرأ القرآن ، بروح المتأمل المتدبر .

وسنورد هنا ، الخصائص البارزة فى هذا المنهج ، ونتتبعها باذنه تعالى بما عداها من خصائص ، وأوضحها جميعا .

اولا – أن القرآن الكريم ، لا يعرف بالشخصيات ، التى يدور حولها كلامه ،

ثانيا – انه يجرد كلامه تعالى من الزمان والمكان .

ثالثا – انه يصطنع اسلوبا من الايجاز التام الذى لا نعرف له نظيرا فى آثار الامم الاخرى : مهما سمت مكانتها البيانية .

رابعا – وحدة الغاية فى كل ما ورد فى القرآن من انباء وأخبار واحاديث وذكر .

اولا – الشخصيات فى أخبار القرآن الكريم

الشخصية فى القصة ، وفى النبأ أو الخبر او الحديث ، هى ركن الزاوية . يقوم البناء عليها ، ويدور الكلام حولها ، وتتفاعل مع الحوادث ، فتزيدها الحوادث وضوحا ، وتمنحها قوة وطرافة واثارة ، وتمنح بدورها هى الرقائع ، حيوية ومتعة وتضفى عليها رداء وجمالا . وليست هناك قصة بلا شخصية حتى ولو كانت من قصص الرمز ، أو كانت من حكايات الحيوانات او الجمادات ، تروى للاطفال ، او تنسج على منوال الاساطير القديمة ، التى تنطق فيها الشجرة ، ويتكلم البحر ، وتحكى العصفورة او القطة .

وأساليب الرواة والقصاصين تتباين وتختلف فى تقديم شخصيات حكاياتهم أو انبائهم أو تراجمهم الواقعيه أو المتخيلة ، المنسوجة من وقائع التاريخ ، أو من وحى الابداع . فمنهم من يبدأ بشخصية الحكاية أو الخبر ، منذ مولدها ، ويقدمها للقارىء أو السامع ، خطوة فخطوة وجيلا بعد جيل ، ويتابعها ، تنمو وتكبر ، وتتسع علاقاتها ، وتتشابك روابطها : حتى تصل الى قمة القصة ، ثم تنحدر اما الى المشيب والضعف والموت ، واما الى الافول والذبول والاختفاء .

ومنهم من يدع الحوادث نفسها تروى قصة البطل ،

حتى يخيل اليك انه لا يشغل دورا كبيرا فيها ، ولا تزال الوقائع تتبع وتتوالى ، حتى نعرف منها هذا البطل ، وصفاته وخصائصه ، دون أن يذكر القاص أو الراوى ، هذه الصفات والخصائص ، وصفا او ذكرا مباشرا ، فلا يقول شيئا عن طوله أو قصره ، أو بياضه أو سواده ، او غناه أو فقره ، أو ثرثرته أو صمته ، بل يترك هذه المهمة لمجريات روايته تكشف لنا عن مزاياه ونقائصه ، واسلوبه فى الوقفة ، مظهره وملبسه ميوله ونزواته ..

ومنهم من يقدم لنا شخصيات حكايته دفعة واحدة ثم يدعهم يحيون حياتهم ، ويتحاربون ويتصارعون ، فنرى من حبهم وبغضهم ، وصراعهم وقتالهم ، جوانب من شخصياتهم ، تكاد تخالف كل ما قدمهم به الينا ، ومن صاحب الحكاية يقول ، لقد قدمت لكم ظاهر هؤلاء ، ذكرت الاسماء والتواريخ والصنائع وعدد الاولاد ، ومقدار الثروة ، والمكانة فى المجتمع ، لتعرفوا بعد ذلك ان هذا كله لا يعرف بالانسان : ولا يكشف عن حقيقته ، وانما هو كوثائق الميلاد والزواج والوفاة ، مجرد أوراق ، لا تنبض فيها حياة ، ولا تقوم بها شخصية امرأة أو رجل .

فاذا قارنا هذه الاساليب جميعا باسلوب القرآن الكريم ، وجدنا انه اسلوب قائم بذاته ، لا يمت اليها جميعا بسبب ، ولا يشبهها من قريب أو بعيد ، فهو يذكر من يدور حوله الحديث ، دون أن يقرنه ببلد ، او بزمن ، أو ان يضيف اليه شيئا غير هذا الاسم ، ثم يمضى فى قص ما يريد ان يقصه ، دون ان ينال هذا القص ، ضعف او غموض ، بسبب ما أغفله القرآن الكريم مما تعارف القصاصون والرواة فى القديم والحديث من حقائق أو تفاصيل .

فالقرآن الكريم ، حينما يذكر فقط الاسم الذى يروى شيئا عن صاحبه ، يعنى واحدا من ثلاثة امور ،
١ ـ يعنى اما الناس تعرف صاحب الاسم فلا حاجة الى التعريف به .

ـ واما ان الناس ستعرف عنه ما يجب أن تعرفه مما سيذكره القرآن الكريم ، وهذا القدر حسبهم فى تحقيق الغاية من القصة أو الخبر .

٢ ـ وأما أنه لا ضرورة لان تعرف عنه شيئا حتى ولا اسمه ، لان ذلك ، لا معنى له ، ولا نفع منه .

ولنورد فيما يلى أمثلة على هذه الاساليب الثلاثة .
ففى الحالة الاولى ، لا يتصور ان يكون آدم او نوح او موسى او عيسى ممن يحتاج القرآن الكريم الى التعريف بهم ، ولذلك فهو يذكرهم ، ويروى انباءهم ، وما كان منهم ، دون أن يتوقف ، ليقول من هؤلاء جميعا ، ومتى ولدوا ، واين نشأوا ، ومن تزوجوا ، وكم من الاولاد رزقوا ؟ ما هى خصائصهم البدنية ، وصفتهم النفسية والعقلية ، مما تعنى به القصص فى كل زمان ومكان ، وتتفاوت فيه براعة القصاصين والرواه ، يتنافسون فى رسم شخصيات وابطال رواياتهم ، الى حد ان القصص القديم كان يبذل وقتا وجهودا ، فى وصف ثوب أو ثوب البطلة ، وثنياته ، ولونه ، ومدى انطباقه عليه أو عليها ، وأسلوب كل منهم فى المشيه والقعدة ، والضحكة والبسمة ، وطريقتهم فى تناول الطعام وتوجيه الكلام وهكذا ..

لقد ذكر ابراهيم وموسى عليهما السلام اول ما ذكرا فى القرآن فى سورة الاعلى : فقال تعالى «بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والاخرة خير وابقى ان هذا لفى الصحف الاولى « صحف ابراهيم وموسى » .

وفى سورة الممتحنة ورد ذكر ابراهيم عليه السلام مرتين فى الاية الرابعة : « قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه » « الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك » ..

ولم يتغير موقف القرآن الكريم حينما بدأ يروى ما كان من ابراهيم مع قومه ففى الذاريات مثلا يقول الله تعالى « هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ، اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال سلام قوم منكرون ! .

فابراهيم يذكر اسمه مجردا ، من كل وصف ، وضيف ابراهيم ، لا يذكرون الا بهذين اللفظين ، فهم ضيف ابراهيم ، وحسب ، كم عددهم ، ما مظهرهم ، وما ملبسهم وكيف دخلوا عليه ، هل طرقوا بابه ، أم كان هذا الباب مفتوحا وفى أية ساعة من ساعات الليل او النهار دخلوا عليه ، وفى الحال ، وبلا مقدمات طويلة او قصيرة ، انتهى الامر ، بلا ابطاء الى الحوار الذى تصل به الواقعة الى قمتها . قال فما خطبكم ايها المرسلون ، قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين » ، وقبل ذلك مباشرة سمعنا ما لو جاء فى قصة من قصص البشر لاستنفد من الكاتب جهدا ، ولاحتاج الى غير قليل من الصفحات ليرويه لنا ، بما يثيرنا ويدهشنا ، ولعلق عليه فأطال التعليق : قال تعالى :

« قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم ، فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ! .

وبهذين الوصفين فقط قدم لنا كتاب الله امرأة ابراهيم ، فهى « عجوز عقيم » ، وكل الذى فعلته ازاء هذه البشرى المذهلة أنها « صكت وجهها » وكل الذى ظفرت به حالتها من وصف وهى مقبلة لترى هؤلاء الضيوف الغرباء ، والذين لا يشبهون ضيفا من قبل : « فاقبلت امرأته فى صرة » .

وفى سورة الصافات ، يروى القرآن الكريم ، جانب آخر من حياة ابراهيم عليه السلام ، وهو جانب بدنه

بالدعوة ، وبدئه بأبيه فى نشر هذه الدعوة ، وما كان بينه وبين قومه ، عندما عالنهم بها ، ورأى انصرافهم عنه ، وعزوفهم عن دعوته . وقد استمر المنهج نفسه لا يتغير فقد قال الله تعالى :

« اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون » . ثم انتقل كتاب الله العظيم الى رد الفعل عند هؤلاء الكافرين فقال تعالى : **« قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم ! »** .

ثم تأتى خطوة أخرى وكبرى فى حياته بعد هذا مباشرة : **« رب هب لى من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم »** .

ثم خطوة أكبر وأعظم :

فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى أن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن ياابراهيم قد صدقت الرؤيا ... ! .

ففى هذه الايات يأتى ذكر ١ - والد ابراهيم ثم ٢ - ابن ابراهيم ثم ٣ - قوم ابراهيم . فوالد ابراهيم - على منهج كتاب الله الحكيم - هو والد ابراهيم ولا زيادة ، فلا نعرف مثلا فى اى سن كان هذا الوالد ، عندما وقعت هذه الواقعة الكبرى فى حياة الاب والابن ، ولا ما هى مكانته فى المجتمع الذى كان يعيش فيه ابراهيم وينتسب اليه ، ولا مقدار حظه من العلم اطلاقا ، والعلم الدينى على وجه خاص ، ولا ما يباشره من عمل قبل هذه اللحظة الهامة ، التى رأى ابنه فيها داعيا الى دين غير دينه ، متحديا تقاليد قومه ، خارجا عليها ، متعرضا بسبب هذه الثورة ، للموت حرقا ، وهو أمر يهز كل والد ، مهما بلغت قسوة قلبه ، وتبلد شعوره ، وحرصه على ابقاء الدين القديم حيث هو ، غير مبال بما يصيب ابنه من أذى الا أن يبلغ الاذى هذا المبلغ الخطير وغير المسبوق .

فاذا انتقلنا الى ابن ابراهيم . فهو غلام عليم ، وكفى . هذا ما يجب ان يشغل بال قارىء هذه القصة ، أما لونه وسمته ، وما كان يرتدى عندما وعى الى أن يبذل ذات نفسه من أجل هذه العقيدة التى يؤمن بها أبوه ، ويثير عليه غضب قومه ، الى حد الحكم عليه بالموت حرقا ، لا شنقا ، فأمور يغض عنها القرآن ، ولا يحفل بها . ولو كانت هذه القصة من تأليف انسان ، لسمعنا عن اسماعيل ، وعن صفاته وخصائصه وعن الساعة التى سمع فيها هذا النبأ العظيم ، وعن خواطره حينما طلب منه أبوه أن يموت ، ولوصف لنا الطريق التى سلكوها حتى وصلا الى قمة الجبل ، حيث سيجرى الفداء ، ويتم انقاذه بمشيئة الله ، ولحدثونا عن شجرة تتمايل وكأنها تحنو على الغلام الذى سيموت ، وطائر يرفرف بجناحيه رمزا للحياة التى ستنتهى بعد حين وهكذا وهكذا .

أما قوم ابراهيم ، فكذلك لا نعرف من أمرهم الا أنهم قومه ، فأين اجتمع هؤلاء القوم ، وكيف انتهوا الى هذا القرار ، وما هى صفتهم فى البلدة ، بلدة ابراهيم ، وهل هم قوم سياسة وحكم ، أم هم قوم دين وكهانة ، أم هم قوم مال وتجارة ، وهل اجتمعوا فى معبد ، أم فى دار افتاء ، كالسهندرين الذى كان أحبار اليهود يقيمونه ، ويحاكمون أمامه من يخالف فتواهم ، ويخرج على أسلوب تفكيرهم .

فاذا انتقلنا الى موسى عليه السلام نجد ، الاسلوب نفسه ، فقصة موسى تبدأ من سورة النازعات ، فيقول الله تعالى :

« هل أتاك حديث موسى ، اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب الى فرعون انه طغى ، فقل هل لك الى أن تزكى ، واهديك الى ربك فتخشى ، فأراه الاية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الاعلى ، فأخذه الله نكال الاخرة والاولى » .

ففى هذه الايات القصار ، عرفنا أن موسى نبى مرسل من عند ربه ، وأنه ارسل الى من يسمى « فرعون » ، وأنه دعى فرعون هذا الى دينه ، فأبى ، فأراه بينة مقنعة ، فلم يتأثر بها ، فأخذه الله بعقاب شديد .

أما موسى عليه السلام ، فغنى عن أن يذكر الله غير اسمه ، وفرعون ، لا يقدم فى النبأ أو الحديث ، وصف له أو تعريف به ، اذ أنه ملك ، معتد بسلطانه ، لا يقيم وزنا لدعوة من السماء . وهذا يكفى فى بيان الغاية من ايراد هذا النبأ أو ذلك الحديث . ولا يقع التجريد فى السور القصار فقط ، فهو محقق فى السور الطوال أيضا ، ففى سورة البقرة يذكر موسى عليه السلام وتذكر معه وقائع هى فى أقصى الغاية من الخطرة والاهمية ، بدون أن تقترن بشىء يزيد موسى عليه السلام ، لا يوصف بوصف يتعلق بجسمه أو بنفسه أو بعلاقاته بأهله او بقومه أو بغيرهما فهو فى جميع الاحوال « موسى » فقط ، بلا اية اضافة .

قال الله تعالى :

« واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » . ثم يقول تعالى :

« واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون » .

« واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل » . ثم يقول :

« واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » .

ويتكرر هذا الاسلوب فى سائر الانبياء ، فعيسى عليه السلام ، لا يعرف باكثر من انه عيسى أو المسيح ، فاذا أضيف اليه فهو عيسى ابن مريم ومريم عليها السلام تذكر كذلك ، دون ان تقترن الا بأنها بنت عمران . ويذكر عيسى عليه السلام أول ما يذكر فى سورة الصف :

« واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم ! » .

« كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله » .

ثم فى الحديد :

« وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل ! » .

وفى السور الطوال كالبقرة :

« وآتنا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » .

وفى آل عمران :

« ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم » .

ومريم عليها السلام تذكر أول ما تذكر فى سورة التحريم « ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها » .

وفى السور الطوال ، جاء ذكر مريم عليها السلام ، كما جاء فى السور القصار ، غير مصحوب بتعريف ، يتجاوز اسمها فقد قال الله تعالى :

« وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » .

« واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك ، واصطفاك على نساء العالمين ! » .

ولا يتغير منهج القرآن الكريم حينما يتحدث عن الانبياء الذين لم يكلفوا برسالة دين جديد يؤدونها ، كصالح وهود وشعيب ، سوى دعوة التوحيد المطلقة ، ويبدو هذا واضحا غاية الوضوح فى سورة « الاعراف » ، فان ما صدر عن الانبياء هود وصالح وشعيب الى قومهم ، دعوة لهم الى عقيدة التوحيد ، ونبذ الشرك ، هو قول واحد ، كأنه صادر عن رجل واحد ، فى ظرف واحد ، لقوم بعينهم ، قال الله تعالى :

« والى عاد اخاهم هودا ، قال يا قوم اعبدوا الله ، ما لكم من اله غيره ، أفلا تتقون » .

« والى ثمود أخاهم صالحا ، قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم .. » .

« والى مدين أخاهم شعيبا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم .. ! » .

ونرى مثلا آخر من هذا التطابق فى سورة الشعراء ، قال الله تعالى :

« كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ها هنا آمنين فى جنات وعيون ، وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ، فاتقوا الله وأطيعون ، ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ، ولا يصلحون قالوا انما أنت من المسحرين ، ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ، فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين ، وان ربك لهو العزيز الرحيم » .

ثم يقول عن أصحاب الايكة

« كذب أصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون ، انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون : وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين ، أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم . ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تعثوا فى الارض مفسدين ، واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين ، قالوا انما انت من المسحرين ، وما انت الا بشر مثلنا ، وان نظنك لمن الكاذبين ، فاسقط علينا كسفا من السماء ، ان كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون ، فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ، ان فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ! .

وبهذا المنهج يقل دور الاشخاص ، ليصل الى أدنى حد ، وتبرز الفكرة من النبأ أو الخبر او الحديث ، ولما تطابق الاقوال ، وتتقارب ردود الافعال . وألوان الاستجابة فى المواقف المتشابهة روحيا ، والمتفاوتة زمانا ومكانا ، وبيئة ، تبدو فكرة الدين الواحد ، التى تظل الاجيال المختلفة ، أكثر وضوحا وتبدو مقاومة الدين الواحد ، على اختلاف العصور والحقب ، وكان

البقية صفحة ٢٠١

دعـــاء الأنبـيـاء

من هم الذين مثل الانبياء فى معرفة الله عز وجل ؟

ومن هم الذين يشبهونهم فى قدرهم لله حق قدره ؟

بل من هم الذين يدانونهم فى معرفة الله وعبادته وطاعته ورجاء ثوابه والخشية من عقابه ؟

ومن هم الذين يقاربونهم فى خلوص دعواتهم لله فى النعماء والباساء ؟

لقد قص القرآن الكريم انباءهم ، وذكر دعوات بعضهم ، وعقب عليها بأن الله تعالى قد استجاب لهم .

« ١ » طائفة منهم

الدكتور أحمد الحوفى

استحق نوح وابراهيم ولوط وموسى وهارون وداود وسليمان وأيوب ويونس وزكريا عليهم السلام اجابة الله تعالى لطلباتهم ، لانهم بادروا الى الخيرات ، وسارعوا الى الطاعات ، ودعوا الله راغبين فى ثوابه ، خائفين من عقابه ، وكانوا خاشعين لله خاضعين .

قال تعالى : « **انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ، ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين** » سورة الانبياء ٩٠.

« ٢ » نـــوح

اما نوح فقد كذبه قومه ، واتهموه بالجنون ، وانتهروه بالشتائم ، وتوعدوه بالرجم ، فاستغاث بالله وقال : يارب ان قومى غلبونى ، وعصونى ، وقد يئست من استجابتهم ، فانتقم لى وأهلكهم ، فارسل الله المطر مدرارا موصولا زمنا طويلا ، وفجر الارض عيونا ، فالتقى سيل الماء وسيل الارض علما لحال التى قدرها الله تعالى ، وارادها لتعذيبهم ، ونجى نوحا ومن آمنوا به من ذلك الطوفان فى سفينة كبيرة هى التى أمر الله نوحا بصناعتها من قبل ، وجعلت السفينة تسبح فى السيل المفرق ، ونجا ركابهما بعناية الله تعالى وكلاءته ، استجابة لدعاء نوح .

قال تعالى : « **كذبت قبلهم قوم نوح ، فكذبوا عبدنا ، وقالوا مجنون وازدجر . فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الارض عيونا ، فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات الواح ودسر تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر** » سورة القمر ٩ — ١٤ ازدجر اشتد جنونه أو زجروه ونهروه . انتصر . انصر دينك يا رب فنهره . كثير . قدير . مقدر . يسر . جمع دسار أو دسير أى مسمار .

وقال سبحانه : « ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون . ونجيناه وأهله من الكرب العظيم . وجعلنا ذريته هم الباقين . وتركنا عليه فى الاخرين . سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الاخرين » سورة الصافات ٧٥ — ٨٢

وقال تعالى : « ولقد أرسلنا نوحا الى قومه : فقال : يا قوم اعبدوا الله ، مالكم من اله غيره ، افلا تتقون فقال الملا الذين كفروا من قومه ، ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ، ولو شاء الله لانزل ملائكة ، ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين . ان هو الا رجل به جنة ، فتربصوا به حتى حين . قال : رب انصرنى بما كذبون ، فأوحينا اليه ان اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ، فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ، ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم

مغرقون . فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين . وقل رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين .. سورة المؤمنون ٢٣ ـ ٢٦ ».

وهكذا تكررت دعوات نوح ، قال تعالى : « **قال : رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا : ونجنى ومن معى من المؤمنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون . ثم اغرقنا بعد الباقين** » . سورة الشعراء ١١٧ ـ ١٢٠ ».

وقال سبحانه : « **ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له ، فنجيناه واهله من الكرب العظيم . ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ، انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين** » . سورة الانبياء ٧٦ ـ ٧٧ ».

وقال تعالى : « **وقال نوح : رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا الا فاجرا كفارا** » نوح ٢٦ ـ ٢٧ ».

لكن نوحا عليه السلام بعد أن دعا على مخالفيه بالهلاك طلب المغفرة لنفسه ولوالديه وللمؤمنين برسالته ، « **رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات** » نوح ٢٨ ».

وكان فى الكافرين برسالة نوح ابنه ، فدعا الله ان ينجى ابنه معه ، فلم يستجب الله دعاءه لان ابنه لا يستحق النجاة : « **ونادى نوح ربه فقال : رب أن ابنى من أهلى ، وأن وعدك الحق ، وأنت أحكم الحاكمين .**

قال : يا نوح انه ليس من أهلك ، انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم ، انى اعظك ان تكون من الجاهلين ، قال : رب انى أعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم ، والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين » . سورة هود ٤٥ ـ ٤٧

كفر ابن نوح مفهوم من قوله تعالى : « **ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال : ساوى الى جبل يعصمنى من الماء . قال : لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** » سورة هود ٤٢ ، ٤٣ ».

« ٣ » هـود

واما هود عليه السلام فقد امر قومه بالتوبة الى الله من آثامهم ، وبين لهم آثارها فى قوتهم وفى خيراتهم ، كما جاء فى قوله تعالى : « **ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ، ولا تتولوا مجرمين** » سورة هود ٥٢

وذلك أنه دعاهم الى الايمان بالله تعالى ، والى العدول عن عبده سواه . لان توبتهم عن شركهم لا تصح الا بعد ايمانهم بالله ، ووعدهم بالجزاء العظيم على هذا أن يرزقهم الله تعالى مطرا غزيرا يروى زروعهم وبساتينهم ، وهم حراص عليها أشد الحرص ، وفى حاجة الى الماء الكثير لاروائها ، ووعدهم أن يزيدهم الله تعالى قوة الى قوتهم ، لانهم كانوا ذوى شدة وباس ، وكانوا مدلين بشدتهم وبأسهم .

روى عن الحسن بن على أنه وفد على معاوية ، فلما خرج تبعه أحد الحجاب فقال له : انى رجل ذو مال ولا يولد لى ، فعلمنى شيئا ، لعل الله يرزقنى ولدا ، فقال له : عليك بالاستغفار ، فكان يكثر الاستغفار ، فولد له بنون ، فلما علما معاوية قال للحاجب : هلا سألت الحسن دليله على ما أشار عليك به ؟ ثم لقى الحاجب الحسن فسأله ، فقال له : ألم تسمع قول هود عليه السلام ويزدكم قوة الى قوتكم ؟ وقول نوح عليه السلام : **ويمددكم بأموال وبنين** ؟

« ٤ » ابراهـيم

وأما ابراهيم عليه السلام فقد دعا ربه عدة دعوات ، طلب فيها عدة رغائب ، فأجاب الله دعاءه فماذا طلب ابراهيم ؟

من مطالبـه :

١ ـ أن يزيد الله مكة أمنا ، وأن يرد عنها البغاة .

٢ ـ أن يقيه هو وبنيه من صلبه عبادة الاصنام .

٣ ـ ان يحبب الى الناس المسارعة الى مكة شوقا اليها ، لانه أسكن بها ابنه اسماعيل وابناءه .

٤ ـ **أن ينعم عليهم بخيرات شتى ، لان الوادى مجدب لا ماء به ولا زرع .**

٥ ـ ان يجعله ويجعل بعض نسله مقيمين للصلاة .

٦ ـ أن يتقبل عبادته .

٧ ـ أن يغفر له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات يوم يقوم الحساب .

فاذا استثنينا دعاءه لوالديه ـ وهما كافران لم يكن يعلم امتناع المغفرة لهما ـ وجدنا الدعاء قد تحقق كله ، فجعل الله الحرم آمنا ، وصان ابراهيم ونسله من عبادة الاصنام ، واجتذب الى مكة ملايين الملايين من البشر شوقا الى الحج والى العمرة ، وانعم على سكان الحرم بخيرات شتى وبثمرات تجبى اليه من كل

صقع فى العالم ، وجعل فى ذرية ابراهيم من يقيمون الصلاة الى يوم القيامة ، وتقبل عبادة ابراهيم ، وغفر له .

قال تعالى : « واذ قال ابراهيم : رب اجعل هذا البلد امنا ، واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ، رب انهن اضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم ، ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من شىء فى الارض ولا فى السماء ، الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ، ان ربى لسميع الدعاء ، رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ، ربنا وتقبل دعاء ، ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » سورة ابراهيم ٣٥ ـ ٤١ ـ

ومن دعاء ابراهيم عليه السلام ايضا :

١ ـ ان يمنحه الله تعالى علما او عقلا او نبوة «٢»

٢ ـ ان يجعله مع الصالحين فى الدنيا وفى الاخرة

٣ ـ وان يجعل له ذكرا طيبا بعده .

كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين والحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مبدلين

٤ ـ وأن ينعم عليه بالجنة .

٥ ـ وان يجيره من الخزى يوم القيامة .

٦ ـ وأن يرزقه بنسل صالح .

ولقد استجاب الله سبحانه وتعالى لهذا كله .

قال تعالى على لسان ابراهيم : « رب هب لى حكما ، والحقنى بالصالحين ، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، واجعلنى من ورثة جنة النعيم ، واغفر لابى انه كان من الضالين ، ولا تخزنى يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » سورة الشعراء ٨٣ ـ ٨٩ وقال : « رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم » سورة الصافات ١٠١ .

ولقد منح الله تعالى ابراهيم ما رجاه : فجعل ذكره باقيا بعده فى اليوم والى يوم القيامة ، وجعل فى ذريته النبوة والكتاب ، وجعله قدوة حتى ادعاه اتباع الديانات جميعا ، وجعل اكثر الانبياء من ذريته ، ورضيهم كما رضيه ، واعلى قدرهم كما اعلى قدره .

بقية مقال « انا نحن نزلنا الذكر »

قائدهم فى المجاوزة بسرعة ـ قال الذين شربوا كثيرا : لا قدرة لنا على قتال جالوت وجنوده . وقال الذين يوقنون أنهم ملاقو ربهم ليجازيهم على ثباتهم : كم من فئة قليلة ، أى كثيرا ما حدث أن غلبت جماعة قليلة مؤمنة كثرة غير مؤمنة بتسهيل الله اذا صبروا ، فانه سبحانه مع الصابرين بالنصر والتأييد .

قال تعالى :

« ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين » ٢٥٠ ، ٢٥١ البقرة .

المفردات :

برزوا : ظهروا « **أفرغ علينا صبرا** » أى أصبب على قلوبنا صبرا يقوينا فالمراد صبرنا . **داود** : كان جنديا فى عسكر طالوت . وهو الذى اختاره الله فيما بعد نبيا . **الحكمة** : المراد الزبور المشتمل على معرفة أسرار الشريعة . قال تعالى : « **وآتينا داود زبورا** » ١٦٣ سورة النساء . **آتاه الله الملك** : جعله ملكا على بنى اسرائيل

الشرح :

ولما برز طالوت والمؤمنون معه لجالوت قالوا ربنا أفرغ عليهم بالصبر وثبت اقدامهم فى مواطن القتال . فاستجاب سبحانه وهزموهم ، وقتل داود جالوت فاشتهر داود وعد من الابطال وكان جزاءه أن آتاه الله الملك على بنى اسرائيل والنبوة والزبور وعلمه ما ينفعه كصنعة الدروع . انظر آية ٨٠ الانبياء . فكان عليه السلام نبيا ملكا . ثم بين سبحانه حكمة الاذن فى قتال الجبابرة فقال « **ولولا دفع الله الناس** » الخ : أى لولا ان الله تعالى يسخر اهل العدل والحق لدفع شر اهل الظلم والباطل لتغلب الظالمون وفسدت الارض ومن عليها ، ولكن الله من فضله ورحمته بالضعفاء سخر للظالم من ينتقم منه . انظر بعض هذا الفساد فى قوله تعالى « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ..** » الايه ٤٠ سورة الحج والله أعلم .

العلم في القرآن

❁ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ❁

الدكتور / أحمد حسنين القفل

٦ ـ واذاكان أولياء الله من الصالحين من عباده قد قرر سبحانه ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون فالاولى ان نحترمهم اشد الاحترام على هذه المكانة المرموقة فى جانب الله وان نجتهد لنكون على طريقهم سائرين متخذين منهم الاسوة والمثل الكريم . لكن يعاب على الكثيرين منا ما يأتونه من افعال مشينة كالتبرك بأخشاب الاضرحة ، ومسح الاعتاب : وتقبيل الابواب وفى ذلك يتنافس الكثيرون ، واهمين أن هؤلاء الاولياء يضرون وينفعون ، او فى الاقل القليل يتوسطون عند الله وهذه كلها اعتقادات فاسدة . يقول سبحانه :

● ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك : فان فعلت فانك اذن من الظالمين » ١٠٦ يونس .

● فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين ! ٢١٣ الشعراء .

● ولا تدع مع الله الها آخر ، لا اله الا هو : كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » ٨٨ القصص .

● قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ، لما جاءنى البينات من ربى : وأمرت أن أسلم لرب العالمين » ٦٦ غافر .

● قل أغير الله أتخذ وليا ، فاطر السموات والارض ، وهو يطعم ولا يطعم ، قل انى أمرت ان اكون اول من أسلم ولا تكونن من المشركين ، قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم . من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين » ١٤ ـ ١٦ الانعام .

٧ ـ والله الذى يقرر فى قرآنه ألا اكراه فى الدين بعد اذ تبين الرشد من الغى ، يهيب بعباده أن يكفروا بالجبت والطاغوت ، وان يتجنبوا الفساد وألا يلتمسوا القوة الا منه سبحانه ، وألا يدعوا من دونه أولياء يجعلونهم له شركاء ، والشرك بالله يحبط الاعمال « ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما » « ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » يقول سبحانه :

● لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم . الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ! ٢٥٦ ـ ٢٥٧ البقرة .

● ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء : ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما . الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكى من يشاء

ولا يظلمون فتيلا • انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا • ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين امنوا سبيلا • أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا • أم لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون الناس نقيرا ! ٤٨ _ ٥٢ النساء •

● يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا • ألم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ، وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا • واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » ٥٩ _ ٦١ النساء •

● الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، أن كيد الشيطان كان ضعيفا » ٧٦ النساء •

● قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل • واذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، والله أعلم بما كانوا يكتمون • وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان وأكلهم السحت : لبئس ما كانوا يعملون » ٦٠ _ ٦٣ المائدة

● ولقد بعثنا فى كل امة رسولا : أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ٣٦ النحل

● والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى ، فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، أولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب » ١٧ _ ١٨ الزمر •

٨ _ ويهدد الله الذين يبتعدون عن منهجه ، ويظلمون انفسهم بسلوكهم المسلك الشائك الذى يفضى بهم الى الهلاك والدمار ، ثم الدخول فى النار ، فى اليوم المشهود • يقول سبحانه :

● ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد • وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما أغنت عنهم الهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب • وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه اليم شديد • ان فى ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » ١٠٠ _ ١٠٣ هود •

ثانيا : لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له •

١ _ الله وحده واهب الحياة فهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده • وحتى قرب نهاية القرن التاسع عشر الميلادى كان لنظرية الخلق الذاتى أو الخلق الخاص مكانة محسوبة بين العلماء حتى برهن العالم باستير الفرنسى فى نهاية القرن التاسع عشر على ان كل كائن حى لابد ان يأتى من كائن حى سابق له فى الوجود فقضى بذلك على نظريتى الخلق الذاتى والخلق الخاص •

٢ _ وبناء على النظرية السابقة فان اى كائن حى هو استمرار لكائن حى سابق بدأ خلقه الله سبحانه ولا يمكن لمخلوق مهما عظم شأنه وعلا قدره أن يهب الحياه لشىء ما أو يخلق مخلوقا حيا فالله وحده هو الخالق لجميع الاشياء ، جمادا وحيوانا ونباتا •

٣ _ تقول الاية الكريمة « **ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له** » والمعنى اذن ان هؤلاء المعبودين من دون الله ، متفرقين أو مجتمعين ، لا يستطيعون ان يهبوا الحياة لكائن ايا كان حتى ولو كان شيئا تافها كالذباب •

٤ _ ولكن لماذا نص فى الاية الكريمة على الذباب بالذات • ربما لشيوعه ، فقد لا توجد بيئة تقريبا يسكنها الانسان وتخلو من الذباب • ومن هنا كان ضرب المثل به مناسبا جدا ، فكل انسان مهما اختلفت جنسيته أو مكانته فى المجتمع أو تنوعت بيئته لابد وأن تقع عينه على « ذباب » ذلك لانه شائع وذائع كما سنعرف فيما بعد •

٥ _ ولكن ما هو الذباب • لقد جاء لفظ « ذباب » نكرة فى الاية الكريمة • وتطلق كلمة ذباب علميا على كل حشرة لها جناحان أماميان واختزل جناحاها الخلفيان الى ما يعرف « بدبوسى التوازن _ وعلى هذا الاساس فان مثل هذه الحشرات تكون رتبة من الحشرات تعرف بذات الجناحين أو الذباب « دبترا Diptera » وتضم رتبة الذباب هذه فصائل وأنواعا شتى لا يمكن حصرها فى هذا المقام لكثرتها ولكنا نذكر فقط على سبيل المثال أن هناك ذبابا _ ان كان يسمى بأسماء مختلفة _ الا انه لا يعدو أن يكون ذبابا فى العرف العلمى ، ومن ثم ، كان ضرب المثل بالذباب لشيوع انواعه وتنوعها كما يلى :

تضم حشرات ذات الجناحين أى الذباب :

ذباب الشتاء طويل الارجل _ الذباب طويل الارجل البدائى _ الذباب طويل الارجل المتخفى _ ذباب

الفراش - ذباب الرمل - الهاموش شبكى الجناح - الهاموش - الهاموش اللاسع - الهاموش الانفرادى - الذباب الاسود - بعوض الجاموس - ذباب مارس - هاموش الفطر - بعوض الاورام النباتية - الذباب العسكرى - ذباب الخيل - ذباب الغزال - ذباب النافذة - الذباب معقد التعريق - ذباب النحس - الذباب السارق - الذباب المحب للازهار - الذباب الراقص - الذبب ذو السنام الظهرى - الذباب رمحى الجناح - الذباب مفلطح الاقدام - الذباب كبير الراس - الذباب عايظ الراس - الذباب مبرقش الجناح - ذباب الفاكهة - ذباب الطاووس - الذباب ذو الارجل الخشنة - الذباب القافز - الذباب ذو العيون المشمرخه - ذباب المستنقعات - ذباب حشائش البحر - ذباب الحدأ - ذباب المن - ذباب صانع أنفاق أوراق النبات - ذباب الفاكهه الصغير - ذباب الساحل - ذباب الساق - ذباب الروث - ذباب نغف معدة الخيل - ذباب منزلى - ذباب شبه منزلى مقنع - ذباب نغف أنف الغنم - ذباب نغف جلد البقر - ذباب النغف الممتلىء - الذباب الازرق - ذباب اللحم - ذباب الاسطبل - ذباب تسى تسى - قمل النحل -

هذا بعض ما عن ذكره من انواع للذباب وبقيت انواع كثيرة اخرى لم تذكر ، ولمثل الانواع السابقة أهميتها الاقتصادية فمنها أنواع ماصة للدماء تؤدى الانسان والحيوان ، ومنها ما هو ناقل هام للامراض ومنها ما يضر بالمحصولات ومنها أنواع مفيده .

ثالثا : وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه

للانواع السابقة من الذباب اجزاء فم من النــوع الماص الواخز « الثاقب » كما فى انواع البعوض ، او الذباب الماص للدم وقد تكون من النوع الماص اللاعق بمعنى أنها تفرز سائلا يذيب ما تقع عليه من غداء ثم تمتصه .

١ - ومن هنا فان الاصنام المصنوعة من شىء يؤكل كالعجوة تكون عاجزة عن استرداد ما يسلبه الذباب منها .

٢ - أما الحيوانات كالعجول مثلا فحين يسلبها الذباب مثلا مقدارا من دمها فانها تستسلم له ولا تستطيع ان تستنقده منها ثانيه ، وحتى حين تهشها بذيلها او ترفض الاستسلام لها بحركه عصبيه - احيانا - فان ذلك لا يجديها نفعا لان الذباب يصر على السلب مهما تألم الحيوان او رفض والحيوان بالطبع لن يتطرق الى ذهنه استخلاص ما فقد أو استنقاذه .

٣ - وفى حالة الانسان فحين يسلبه ذباب - كالباعوض مثلا - شيئا من دمه بوخزه وثقب جلده فان محاولة استنقاذه والحصول عليه من الحشره يكون متعذرا . ولو حط الذباب على مأكولات الانسان فامتص منها ولعق - كالحال فى المواد السكرية - فان استخلاصها منه واسترجاعها يكون متعذرا بالطبع ، حالة مقداره ، وضياع معالمه بالهضم وتحويله الى مواد أخرى بعمليات الايض فى جسم الحشرة .

ومما سبق يتضح جليا أن الذباب الذى تختلف أنواعه اختلافا كبيرا كما تختلف اجزاء فمه تركيبا ، لو أنه حط على اى صوره من صور الطواغيت التى تعبد من دون الله فسلبها جزءا من كيانها فى صورة غذاء او دم فانها تقف عاجزه عن استرداده ، ذلك لان الاصنام الجامده الهامدة لا تتحرك لتثار ، كما أن الحيوانات غير العاقله ، غير مهيأه لاسترجاع ما سلبه الذباب منها . وكذلك الطواغيت من البشر مهما علا سلطانهم ، واشتد جبروتهم فليس لهم القدرة على اللحاق بذباب حط على اجسامهم فسلبهم الدم او على غذائهم فسلبهم جزءا منه ثم طار عنهم بما أودعه الله فيه من اعضاء للحس والبصر تمكنه من الهروب وتفادى الوقوع فى المازق بل وحتى لو افترضنا تمكن الانسان من امتصاص ذبابه سلبته شيئا فانه لا يستطيع استنقاده منها لان ما استولت عليه الذبابه قسرا عنه يكون من الدقه بحيث لا تدركه عين الطالب بله يده من جهه ، كما ان الشىء المسلوب سرعان ما تضيع معالمه لاختلاطه بأنسجة الذبابة من جهة أخرى .

رابعا : ضعف الطالب والمطلوب

بينا فيما سبق الصور المختلفة للطواغيت التى يمكن للمنحرفين ان يتخذوها اولياء من دون الله ، وقد اصبح واضحا .

١ - ان الاصنام وما فى حكمها هى عاجزة كل العجز ، ضعيفه كل الضعف فى استرداد ما يسلب منها ، ذلك لانها لا يمكنها بحكم تكوينها من جماد أن تحاول استرداد شىء ، او أن تستنقذ ما أخذ منها ، فهى لا يمكنها أن ترد عن نفسها كيدا ، ولا ان تتجنب سوءا يلحقها ، وليس بعد هذا من ضعف .

٢ - ان الحيوانات التى اتخذت معبودات هى بدورها لا تعقل ، وبالتالى لا يمكنها ان تحاول استرداد ما سلب منها ، بل انها لا تفطن لهذه الخسارة ، وبالتالى فانها تقف عاجزة مستسلمة ، وليس بعد هذا من ضعف .

٣ - والانسان حين يتجبر ويتكبر ، ويبيح لنفسه أن يعبده الاخرون ، هو بدوره عاجز عن ان يرد عن نفسه السوء ، بل هو لا يملك لنفسه وللاخرين ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله ، واذا سلبته ذبابة مقدارا من دمه ، أو شيئا من غذائه ثم طارت عنه فانه لا يملك بنفسه ولا

بكل أتباعه أن يستردن ما سلب منه . وليس بعد هذا من ضعف .

هذا من ناحية الطالب اما من ناحية المطلوب وهو الذباب ، الذى ضرب الله به المثل فيلاحظ :

١ - ان الكثير من أنواع الذباب ضئيل الجسم ضعيف الحركة ، بادى الضعف .

٢ - ان لكثير من انواع الذباب طورا يعرف بالعذراء وهذا الطور يكون مكبلا لا يستطيع حركة ، بل يظل بادى السكون ، لا يملك لنفسه حولا ولا طولا ، وليس هناك اضعف من هذه الصورة .

٣ - أن الذبابة يمكن ان يلحق بها الانسان الموت بضربة مفاجئة ، لا تتطلب منه مجهودا يذكر .

ويبقى بعد هذا الايضاح ان نقول :

١ - ان الله سبحانه بدأ الاية الكريمة بقوله تعالى « **ياايها الناس ، ضرب مثل فاستمعوا له** » وبداية الايه بهذه الصورة تسترعى النظر ، وتركز الفكر وتستدعى التدبر فى المثل الذى سيساق فى أمره ، وكنهه ومبلغ العظة فيه .

٢ - ثم ضرب الله المثل فقال سبحانه « **ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له** » وفى هذا تحقير أيما تحقير للالهه التى يتخذها الناس معبودات من دون الله ذلك لان هذه الالهه منفردة او متجمعة لا تستطيع ان تخلق حتى اتفه الاشياء واحقرها كالذباب ، ثم أن ذلك يتمشى مع الحقيقه العلمية وهى أن المخلوق لا يستطيع ان يخلق شيئا فكل شىء فى الكون بجميع ذراته قد بدأ خلقها الله ، ولا يستطيع مخلوق أن يضيف الى الكون ذرة جديدة اضافيه فكل ذرات الكون ثابتة وان كانت قابلة للتحويل مجتمعه فى صور شتى ، كما أن الكائنات الحية - وهى تتكون من الذرات التى خلقها الله - لا يمكن لاحد غير الله ان يهب لها الحياة ، وما حياة كائن ما الا استمرار لنوعه بدأ خلقه الله . يقول سبحانه :

● **أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون .**

● **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه .**

● **أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ، قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار . ١٦ - الرعد .**

ومن عجب أن يضرب الله المثل فيتخير حشرة كالذباب له من كفاءته التناسلية ما يجعله ينتشر على نطاق واسع وفى بيئات متعددة ، وله من الاضرار ما يجعله فى حرب دائبة مع الانسان . واذن فالمثل الذى ضربه للناس وطلب منهم أن يستمعوا له بكل عقولهم وآذانهم ، قد تخير حشرة تنتشر على نطاق واسع وتشاهد فى كل مكان يسكنه الناس ، ومن هنا تصبح صورة المثل متكررة فى كل زمان ومكان ، يمكن أن تستقى منها العبرة والعظة على دوام وباستمرار .

٣ - ثم يختم الله الاية الكريمة بقوله تعالى « **وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** » ويتضح من ذلك الضعف المتناهى للطرفين ومعرفه الانسان حق ضعفه فيتجه الى خالقه القوى العزيز ، ومن هنا تكون الاية الكريمة التالية « **ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز** » وفى هذا لفت للانظار الى قدرة الله وقوته وعزته وغلبته والى ضعف مخلوقاته . وصدق الله : « **وخلق الانسان ضعيفا** » .

وليس لى أخيرا الا أن أسوق للناس أمر الله لرسوله لتدبره جميعا يقول سبحانه :

« **قل انى امرت أن اعبد الله مخلصا له الدين ، وأمرت لان اكون أول المسلمين ، قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم . قل الله اعبد مخلصا له دينى . فاعبدوا ما شئتم من دونه ، قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين ، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ، ذلك يخوف الله به عباده ، يا عباد فاتقون . والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، اولئك الذين هداهم الله ، واولئك هم اولوا الالباب** » .

والله تعالى اعلم .

القرآن يعالج أمراض النفس والمجتمع

فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع

قلت فى مقال سبق تحت هذا العنوان ان الله عز وجل وضع الوعظ علاجا للنفس المنحرفة وقلت ايضا ان بعض النفوس لا تؤثر فيها عظة ولا تثنيها عن غيها نصيحة ولا علاج لها الا فى عقوبات رداعة . وأقول اليوم ان الله العليم بخفايا النفوس الخبير بمحتويات الاحداث وضع هذه العقوبات الرادعة بقوله « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض » .

فالجريمة هنا هى محاربة الله ورسوله والعقوبات الرادعة عنها القتل والصلب وقطع الايدى والارجل من خلاف والنفى - قد يلاحظ هنا أن الله تعالى عدد فى الاية الوانا من العقوبة ولم يذكر الا جريمة احدة هى محاربة الله ورسوله - نعم هى واحدة لفظا ولكن لفظها مجمل يندرج تحته جرائم متعددة ذلك أن المحاربة فى العرف العام هى القتال بآلة كالسيف مثلا وهذا المعنى مستحيل اسناده الى الله . واذن ينبغى ان تأول المحاربة على معنى مناسب لمقام الالوهيه وانسب ما يقال ان محاربة الله ورسوله هى مخالفة شريعة الله ورسوله والخروج عليها ومظهر الخروج على الشريعة هو فعل ما نهى الله عنه وترك ما أمر به» ينبثق من هذا جرائم متعددة - الاستهانه بالحقوق واستباحة الحرمات حرمة الدماء وحرمة الاعراض حرمة الاموال وغير ذلك من الحرمات وكلها جرائم مندرجة فى محاربة الله ورسوله . ثم العقوبة نقيض المثوبة ،لان فيها من القسوة والالم ما يتحقق بها معنى الردع والزجر والعقوبات المذكورة فى الاية فيها قسوة والم بنسب متفاوتة فى الصرامة والقسوة والجريمة كذلك متفاوتة الضرر والمفسدة والمشرع الحكيم وضع لكل جريمة ما يناسبها من العقوبات بقدر ما ينشأ عن الجريمة من مفسدة او ضرر فمثلا القتل العمد جريمة ذات اضرار ومفاسد وضع لها المشرع الحكيم القتل عقوبة القاتل . والقتل اشد العقوبات قسوة وصرامة . والسرقة جريمة اقل ضررا وفسادا من القتل لذا وضع لها المشرع الحكيم عقوبة قطع الايدى والارجل من خلاف وهى اقل صرامة وقسوة من القتل وهكذا . قد يقال لم يذكر الله هذا التنويع فى الاية المذكورة معنا فمن اين هذا . نعم لم يذكر الله هذا التنويع لان المذكور فى الاية جريمة واحدة هى المحاربة كما قلنا سابقا ولا يناسب معها هذا التنويع وانما يجىء هذا التنويع وتخصيص كل جريمة بما يناسبها من العقوبات فى تتبع خطوات التشريع فى القرآن نرى أنه يتبين ما يناسب كل جريمة من هذه العقوبات فى موضعها المناسب فيقول فى جريمة القتل « **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى** » . ويقول فى جريمة السرقة « **والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا** » ويقول فى جريمة الزنا « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** » والجلد خاص بالزانى غير المحصن - يعنى بمن زنى قبل ان يتزوج رجلا كان او امراة اما المحصن وهو من زنى بعد أن تزوج ولو كان وقت الزنا غير

زوج لوفاة زوجته أو طلاقها فعقوبته الرجم بالحجارة حتى يموت ثبت هذا بفعل الرسول صلوات الله عليه وبالاحاديث الصحاح عنه عليه الصلاة والسلام . ومع ما فى هذه العقوبات من الصرامة والقسوة فان نفعها اكبر من قسوتها وان اثرها فى المجتمع يهون من صرامتها يقول الله بيانا لهذا « **ولكم فى القصاص حياة** » القصاص هو أن يعمل بالجانى مثل ما عمله بالمجنى عليه . يعنى ان قتل يقتل وان جرح يجرح والمعنى لكم فى تشريع القصاص نجاه من القتل والجرح . ذلك أن من هم بقتل أحد وعلم أنه اذا قتله اقتص منه ارتدع وانكف عن هذا العمل الاثم فيسلم هو ويسلم غريمه كذلك ولولا هذا التشريع لفشت الجرائم بين الناس وهذه فوضى مهلكة من هذا أخذ العربى مثله النافذ « القتل أنفى للقتل » واخذ الشاعر حكمته اذ يقول :

والحرب فى حق لديك شريعة

ومن السموم الناقعات دواء

هذا هو التشريع الجنائى الاسلامى وتلك مزاياه وخصائصه لا يشاركه فيها غيره ولقد عاشت الامة الاسلامية فى ظلاله حقبة من الزمن محفوفة بالامن مستمتعة بالطمأنينة شعارها الوحدة والجديه والفضيلة وحليتها العزة والكرامة واذا كانت محل اعزاز واجلال من كبار الدول المعاصرة آنذاك حتى دخل الاستعمار بلاد الاسلام واحتل كثيرا من عواصمه حمل المجتمع الاسلامى الوديع الهادى المعتصم بدينه المستنير بهدى كتابه المترسم خط رسوله حمله الاستعمار باسلوب أو بآخر من أساليبه الماكرة الخادعة حملة على تغيير ما الف من معالم الحق وبينات الهدى والرشاد واستبداله بما لم يألف من السير فى متاهات الباطل . وارتياد مواطن الفتن حتى قلب نظام حياته رأسا على عقب وعاد به الى الهمجيه العابثه التى كانت خطه المجتمع قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام - عاش هذا المجتمع الاسلامى مع الاستعمار ردحا من الزمن فى مخادع الشهوه ومغريات الفتنة ناسيا أو متناسيا ما ورث من آبائه واجداده من خلق وفضيله مسدلا الستار على ايام سجلها التاريخ فى سجل الخلود للامة الاسلاميه اذ كانت ذات الكلمة العليا والحكم النافذ والسلطان المبسوط .

واليوم - وقد شاء الله أن يحيى - مات من معالم الحق ويبعث ما اندثر من تراث الشريعة - اليوم أنبت الله فكرة العودة الى الحياة فى ظل الشريعة الاسلاميه فى نفوس طائفة من رواد الاصلاح والخير فى مجتمعنا المصرى المعاصر ، ونمت هذه الفكرة وتطورت حتى أصبحت مشروعا لتقنين العقوبات الجنائية الاسلامية من تعاليم الشريعه الاسلاميه ، تكونت له لجنة من الاخصائيين لدراسته وصياغته وقد اوشكت على الانتهاء ، كما صرح بعض المسئولين وارجو الله عز وجل أن يتم على المسلمين ما بدأه مصلحوهم واضطلع به أخصاؤهم ومفكروهم كى تعود للاسلام عزته وسلطته وللمسلمين رهبتهم وصولتهم انه تعالى على ذلك قدير - وحول هذا المشروع الجديد نرى اليوم من اقلام الكتاب نشاطا لا يهدأ ومن تفكير الادباء والمفكرين اقتراحات تترى - يرى فريق من هؤلاء الكاتبين والمفكرين البدء بالتنظيمات البناءة اولا وارجاء تطبيق مشروع العقوبات ويقول فى تعليل هذا الراى « والتفكير الايجابى يقتضى البدء بالتنظيمات البناءة فضلا عن أن مجتمعنا فى كثير من معاملاته لا يمكن أن يوصف بانه مجتمع اسلامى والبدء بتطبيق العقوبات يعنى أننا نحمى مجتمعا غير اسلامى بحدود اسلاميه » أذكره مجردا - من غير رد ولا تعقيب - وفريق آخر منهم يصف العقوبات الدينيه بالبدائية ويرى ان فيها امرا وحشيا يهدد كرامة الادميين » كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا وهراء اقل ما يقال فيه انه طعن على حكم الله وانه يعلن كفر الناطق به — وحسابهم على الله — وانى ارى ان الرد على هؤلاء وأولئك مضيعه للوقت وفتح باب لبلبله ويؤدى الى تمييع المشروع والقضاء عليه ولا ياتى بالنتيجه المرجوه منه وهى الوصول الى الحقيقة المرة فى الموضوع - **لذا ارجو من هذه الاقلام غير متخصصه ان تكف عما تدلى من آراء او تقدم من مقترحات وحول هذا المشروع الجديد حتى لا تحدث بلبله عند المجتمع وبالتالى تعوق المشروع او تميعه فيموت وفى موته موت الامه والقضاء على الشريعة واذا كان لديهم راى او فكره فلا حرج ولا مانع من ابدائها ولكن للمختصين المشرفين على المشروع على ان يدون برسالة خاصة له لا على صفحات الصحف العامة يقرؤها الخاص والعام ، والله ولى التوفيق .**

قضايا فكرية فى فهم العربية

النّص والتفسير

الدكتور
محمد بدرى عبد الجليل

والمسألة ليست مسألة امكان وجود هذى المصطلحات عن طريق التجوز فمما تقرر فى المسالك أن للمجتمع اللغوى حقه فى خلع المعنى الجديد على الكلمة ، وكان له بعض التصرف فى صياغتها وخطها كما ذكروا ان للمصحف خطا وللعروض خطا كل ذلك وفق سمات وأصول جديرة بالدرس فالفقهاء مثلا لهم لغتهم وطرائق تعبيراتهم وألوان صياغتهم ، فنجد نطقا فى مادة درك ، والمدرك بضم الميم بيد أن الفقهاء يقولون فى الواحد مدرك بفتح الميم وليس لتخريجه وجه ومعنى فى كلمة ذمة اذ هى فى الاصل العهد لان نقضه يوجب الذم والفقهاء استعملوه فى معنى آخر لا تعرفه العرب فقالوا هو معنى يصير به الادمى على الخصوص أهلا لوجوب الحقوق له وعليه . وصياغة فى مرقوق اذ استعملته الفقهاء وقالوا : لم يسمع من ائمة اللغة رقه حتى يشتق منه مرقوق، ورد بأن الازهرى حكى عن ابن السكيت أنه جاء عبد مرقوق وهو ثقه ، وتجد فى مواد صمم وادب وطوب وبل كلاما لهم . ولهم فى اللغة آراء لكن المسأله مسألة اجازة الادلاج بها اذ تهرب هذى الكلمات من مجتمعها اللغوى الخاص الى المجتمع اللغوى العام متسربة لتجد طريق حياة يضاف الى مسارها العام .

فهل من الممكن أن نفرد كلمات الغدايا ومازورات ومحسوس وما الى ذلك خارج مجتمعاتها ؟

نحن نقرر أن هذا فى الامكان بما هى مصطلح خلق خلقا جديدا خاصا لا شأن له بالاسم العادى وان اشتق من أصوله ، فسلامته انما يحددها مطابقته لصفات واتساقه مع تصانيف .

فالمحس عرف لغوى عام والمحسوس عرف فقهى خاص له فى هذه الصورة الشكلية دلالة مكن لها أو أمكن منها التجوز اذ قد يكون هذا التجوز فى اللفظة بما هى لفظة او تجوز فى اللفظة بصورة ما او بصيغة ما حاملة المعالم الجديدة وهو تغير دلالى وتطور تجوزى اذ هو مرتبط لا من حيث الصورة الشكلية ، ولكن من حيث الظلال التى عرت هذه الصورة من البيئة المستخدمة للكلمة ، فهى علم على مرحلة دلالية تكشف عن شيوع وتوثيق فى بيئة علمية او مجتمع لغوى فى فترة ما يحتفظ بها التاريخ اللغوى فالغدايا وما على شاكلتها استخدامها بهذه الصورة المغايرة للموروث اللغوى فى عمومه فيه ظلال الحديث النبوى دون ذكر الحديث ، وقيم بها هذه الخاصية الكونية ، وقوم لها هذه الخاصية البصرية ومن ثم اجاز المجمع ما للبيئتين ، وزوجه فيها هذا الاستخدام الحضرى وهى صورة من صور التاريخ اللغوى الذى يبلغ طوله اربعة عشر قرنا او يزيد لحياة اللفظة التى هى جزء من الكيان الحى .

واستخدام هذا هو ما قد ينطوى – فى فترة – تحت مصطلحات مثل الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح ، وما يمكن اعتباره آثار الاصطلاح على اللغة وسيلة اثراء بها اللغة تطوع ، وتتمكن من احتواء المجتمعات اللغوية بما هو اتصال وتفاعل ، وبما هو توليد ياخذ طريقه الى الالسنة المستعملة لها الفاظا جديدة او اختراعا لاساليب او معانى جديدة تضاف يحدث ذلك اثره فى استعمال اللغة وفى ادراك خصائصها التعبيرية بما هو بيان لكيفية حدوث التطور فى اللغة .

واذا كانت اللفظة فى مجتمعها لها هذا الاعتبار القوى داخله وخارجه وقد صدرت عن تكوينات مضافا اليها هذا الحس الذى اشرنا اليه مما لا سبيل الى التعبير عنه لدى مجتمعاتها فضلا عن ادراكه خارجها – اذا كان ذلك كذلك فى داخل اللغه – الامر الذى دعا الراغب الاصفهانى الى دراسة اللفظة القرآنية فى اطارها – فان الامر جد مختلط اذا ماكانت الترجمة سواء أكانت لمجتمع لغوى خاص أم لمجتمع لغوى عام لا نجد مناصا من رفضها على هدى مما قررنا .

وهاهم أولاء الغربيون لا يجدون بدا من ترجمة لفظ « الله » الى لغتهم فلم تسعفهم لغتهم : فاحتفظوا بذات الكلمة .

وكانت عبارات القوم دالة على هذا الرفض بهذه المعانى التى اليها اشرنا وان كان كلامهم انحصر فى القرآن الكريم معولين على ما أسموه بالاتساع ، والمذاهب بيد أن الجاحظ تحدث عن الوزن فى غير القرآن ، وللنيل من المدلول كان تعويل فريق .

أيا ماكان الامر فان هذا المجاز الذى يعنى تحولا بطريق استخدام لفظة فى غير ما وضعت له ، من الضرورى أن نضع فى تصورنا بصدده اصول التيارات التى كانت تحكم الاقوال الصادرة من القوم كاشفة عن للتصور مسوغة للحكم ، مبينة عن تحفظ أهل السنة واسراف المعتزلة فى ذلك ثم ظهور مصطلحى التمثيل والتخييل لديهم ، وربط ذلك بالخيال فى مصطلح اليوم ، وتوسط الاشاعرة بين الاطلاق والتقييد بيد أن عناية اللغوى ليست فى هذا وانما تنحصر فى لون المجاز المرسل الذى يأتى به الاتساع وهو تصرف لغوى خالص .

وفى الكشف عن مقاصد التجوز نجد بيانا لطبيعته ، فهو المعين على مواكبة الحياة ، المساعد على الوفاء بمطالب المتلاغين بالعربية ، وانه يحمل هذا الوسط بين القديم والجديد من التعبير ، والوصلة بين الفكر والمادة ، ادناه ما يتصل بتغيير اسم وأعلاه ما يصل الى هذه المعميات وفى الحالين هو صرف اللفظ عن ظاهره .

ولم يكن المجاز هملا ولكن له من القوانين ما يؤمن اللبس وقسموا الكلام فيه الى قسمين قسم خاص بالعلاقات التى اسماها القدماء الاولون الجهات وهى الصلة بين الاصل والفرع ، القديم والجديد وهو بتعبير آخر محدد لنوعيه هذى الصلة ، وكان استقصاء لالوان من التعبير داخلها شىء من الهوى نتيجه المسبقات كما يرى فى حمل قوله تعالى : « **يوم نقول لجهنم هل امتلات** » لا على أنها من باب حذف المضاف ولحظ الاقدمون أنفسهم هذا التاثر فجنحوا الى حصرها نلمس طرفا منه لدى الاموى وابن الاثير مما كان له اثره فى الدرس اللغوى المحدث وحصرها بما هى الوان تغير وضروب تطور ، وانتهينا الى أن المشروط فى العلاقة نوعها لا شخصها ، اما عن تحديدها فالمنقول عنه وضرورة ملاحظة هذه العلاقة .

وكان من هذه القوانين ايضا القرائن وهى التى تشكل القسم الثانى – بما هى ملابسات الدرس واطار ينجم منه التعبير أراد المعبر أو لم يرد ، على القابل مراعاتها ، واستعرضنا طرفا منها فى مقالات سابقة أفردنا فيها قرينتين بالحديث .

بيد أنه قد توجد القوانين كاملة دون ادراكها أو التعرف عليها وهى التى اسموها بمسالك التجوز اى اثبات علته انحصرت فيها أحاديث الاقوام فى نوعين مجتمع قد يكون عرفا عاما أو عرفا خاصا ، وهو ما يسمى فى فقه اللغة بالمجتمع اللغوى الذى يملك أسباب التجوز وهو التحديد لصلة المجتمعات اللغوية بالمجتمع العام دون الفرد الذى اذا ما حاول تجوزا ناله القصر الاجتماعى بأفانين من سلطانه .

والنوع الاخر بعض السمات التى نصوا عليها وكانت مثار جدل ونقاش وتحديد نوعية الدلالة المجازية انما يعبر عنه قولنا أنها عرفية لا وضعية ولا عقلية وهو النهج اللغوى الاصولى .

وينحصر اثر هذا التجوز فيما نراه فى ثلاث نقاط :

الاولى » قيمة التجوز التى يكشفها الحديث عن آثار التجوز بما يثيره فى النفس من رغبة أو رهبة ، وتشوف وتاكيد نجده فى هذا الاتساع ، وطبيعة هذا التجوز بما هى مقاصد ترتبط تماما وآثار هذا التجوز فيما يسمى بالمصطلح الذى تعددت الوانه واختلفت بيئاته واختلف المتناولون له انتاجا وتقبلا وقد كان للعرب جهد بالغ دفع للحديث عن المعاجم وانها لا تغنى الغناء فى الدرس الدلالى . وبهذا كان المجاز سببا من اسباب درس تاريخ الكلمات اذ هو يمثل مدرجا من مدارج اللغة وضح فى عرضنا لبعض المصطلحات مثل

الحسن والقبح العقليين ، وأيا ماكان الامر فان المجاز يكشف عن طبيعة المعرفة التى تسود عصرا ما فى جانب الفهم وارتباط التجوز ومن ثم بالتاويل .

الثانية : الاعتبار بما هو حديث عن الضوابط التى تحد من الهوى وتقيد طبيعة اللغة فهما مطلقا منبعثا ماكان لديهم من درس اصيل يعالج من خلاله بعض القضايا التى نجمت حول فهم اصيل للشعر . وتحديد معانى الكلمات تحديدا واعيا دقيقا . فان « الى » فى قوله تعالى [**فصرهن اليك**] تجعلنا نحملها على معنى لا يحملهـا عليه كثير من المفسرين فـان التقطيع والتمزيق لا يستقيم امرهما مع هذا الحرف [الى] لانه لا معنى للتقطيع اليك او التمزيق اليه لان هذا الصر انما هو الامالة اليه ومعنى هذا ان الايه الكريمة تامر ابراهيم عليه السلام بالاخذ وفى الاخذ انتقاء ثم تأمره بالصر اليه وفيه التعويد والامالة اليه اى عليه ان يعلم هذا الطير ويستميله اليه ثم يجعل على كل جبل منهن جزءا من الاربعة ثم يدعوهن ، وقد عودهن عليه واصبح بصيرا بهن — فاذا بهن يأتين سعيا واذا كان ابراهيم بذا قد اضحى بصيرا بطيره التى علمها وخبرها وعودها وامالها فان هذا يكشف عن قدرة البصير بالعباد الذى خلقهم وجعلهم بله هذا الصر الذى تحدثنا عنه ، فان الموتى اذا ما دعا هرع الخلق اليه بيانا لاحياء الموتى تطلب قوم ابراهيم . وهذا الشاعر الذى عيب عليه قوله :

بكت عينى اليسرى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

انما الاعتبار يرد اليه اعتباره وما فى هذا البيت من عيب والشاعر يتلفت نحو الحى موكرا بعبرة على هذه الديار التى قرر مغادرتها ابدا وقلبه متعلق بها دوما وكلما طال به المسير اضطر الى لى عنقه وتندى لينه واخدعه حتى يتمكن من متابعة الرنو ولا شك ان شئون العين التى يكون ازاءها هذا اللى وذاك الثنى قد استثارت الدمع فكان دمع اليسرى دمع اعياء ولم يكن دمع بكاء وسماه بكاء مشاكلة لدمع الباكى أو لاعتبار ما سيكون او لامكان هذا البكاء دون أن يتم واختياره لليسرى ربما اقتضاه المكان لهذا البيت واتجاهه من هذه الناحيه ، وربما كان تعبيرا موفقا لهدى اليسرى الموازية للقلب فهى اسرع فى ترجمة وجيب القلب .. ثم كان زجر الشاعر لهذه العين اليسرى بدمعها كأن هذه الدمعة اذكرته البكاء الحقيقى ولم لا ؟ ربما هو ذا الصبى على الارض يقع فتبادره بقولك « حذار ان تبكى انك رجل » فيشرع يبكى ولم يسبق له بكاء كأنك أذكرته به او طلبت اليه ان يتحمل بما يمدح به اذا لم يفعله ، ولا يذم عليه ان وصف به . **الثالثة** . المشاكله وهى جهه دلالة نرى فيها مشاكلة القرآن للاسلوب البشري ولذا فان فهمه لا ينبغى ان يخلع على غير هذا المستوى ، كان منه متفهم من افراد ما ورد مشاكلة فى وصف الله سبحانه وتعالى وآيات الكتاب الكريم علمتنا اسلوب التعبير مع المولى سبحانه وتعالى .

والى مقال تال ان شاء الله .

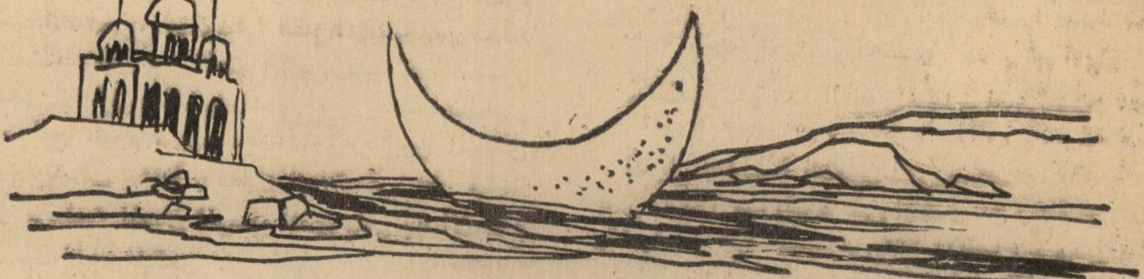

إعجاز القرآن البياني

الدكتور عبد الغني الراجحي

البيان والتبيين والابانة ، بمعنى الافصاح والايضاح لازالة الغموض والابهام ، وافادة واستفادة المعاني كوسيلة للفهم والتفاهم ، ومجال تتفاوت فيه العقول والافهام والالسن والاقلام ، ميزة أودعها الله بني الانسان يتميزون بها عن غيرهم من المخلوقات ، ويتمايزون في مجالها بمراتب ودرجات بعضها فوق بعض ، بدءا من أصوات كأصوات العجماوات والببغاءات ، وانتهاء الى درجة الاعجاز أو ما يقرب منه ، وقد قال الجاحظ في كتاب « البيان والتبيين » « ان البيان نور والعي ظلمات ، ان البيان بصر ، والعي عمى » وقد قال الله في محكم كتابه « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » .

مدح الله نفسه بأنه علم الانسان الابانة والبيان ، وجعل ذلك منه نعمة وقدرة نظمت مع انزال القرآن وخلق الانسان في سلك واحد : ثم ان الله مدح كتابه واثنى عليه بأنه مبين فيه الابانة والبيان ، فقال سبحانه تلك آيات الكتاب المبين » سورة يوسف وقال تعالى « تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » سورة الحجر وقال تعالى « حم والكتاب المبين » سورتي الزخرف والدخان . ووصف الانسان بالابانة مدح وثناء . ووصفه بالعي والفهاهة وعدم الابانة ذم وهجاء .

ومن هذا المنطلق المتفق عليه بين بني البشر حاول فرعون ان يعيب موسى ويعيره بعدم الابانة ، فقال فيما حكاه القرآن عنه « **يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ، ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين** » سورة الزخرف . وصفه بعدم الابانة لان موسى قبل ان يصل الى فرعون بالرسالة كان قد قضى من حياته عشر سنوات ببلاد الشام مع شعيب وابنتيه فتغيرت لهجته وطريقته في الحديث عما كان مألوفا ومعروفا لدى المصريين والفراعنة ، والمفسرون يقولون ، كان في لسانه لثغة من الجمرة التي وضعها على لسانه وهو صغير في بيت فرعون ، وقد ازالها الله استجابة لدعاء موسى في قوله « رب اشرح لي صدري ، **ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري** كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا **انك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك ياموسى**» سورة طه . وفي سورة القصص نجد موسى يقول لربه ، **وأخي هارون هو** أفصح مني لسانا فأرسله معي **ردءا يصدقني اني** اخاف ان يكذبون قال **سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن** اتبعكما الغالبون » وفي سورة الشعراء يقول موسى لربه « **اني اخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق** لساني فأرسل الى **هارون ولهم علي ذنب فأخاف ان يقتلون** » فالبيان والابانة اذن من أمضى أسلحة دعوة الرسل الى ربهم ، وأساسها سلامة اللسان وقوة

اللسن ، وكان نوح عليه السلام كثير الجدال لقومه حين يدعوهم الى عبادة الله وحده ليلا ونهارا وسرا وجهارا ، ولهذا نراهم يقولون له فيما حكاه القرآن عنهم في سورة هود « **يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين** » وكان شعيب طويل النفس في الحوار مع قومه والبيان والابانة ، حتى نراهم يقولون له فيما حكاه القرآن عنهم في سورة هود « **يا شعيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز** » وكان ابراهيم الخليل ذا حجة وبيان وجدال حتى قال الله فيه في سورة الانعام عقب حجاجه مع ابيه وقومه « **وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم** » . وكان هود يستعمل في بيانه لقومه اسلوب الوعظ حتى قالوا له فيما حكاه القرآن عنهم في سورة الشعراء « **سواء علينا اوعظت أم لم تكن من الواعظين** » .

على أن الذي تحار العقول فيه وهي تحاول أن تدرك سره ان هذه الظاهرة الانسانية ، ظاهرة البيان والابانة والكلام ، تجعل الحكمة الالهية منها في اعلى صورها واسمى كمالاتها معجزة وآية ليست من بيان أو كلام بشر . ولكن من كلام خلاق القوى والقدر ، تطالب الناس أن يأتوا بمثلها في الابانة وما يتعلق بها ، فان لم يفعلوا ولن يفعلوا فليؤمنوا بأن الرسول الذي ارسل بها وجاءت على لسانه صادق في رسالته وان ما اتى به من كلام وقرآن انما هو من عند الله .

واذا كان البيان الذي جعلت ظاهرته معيار اعجاز ، هو في حد نفسه ظاهرة انسانية يتميز بها النوع الانساني ، فانه كذلك كان الدين الذي جعل البيان العربي معجزة له هو الآخر دينا يعتبر الى حد كبير ظاهرة انسانية لها صفة العموم والخلود ما بقي الانسان فوق ظهر هذه الارض . فالاسلام هو دين الفطرة وكل مولود يولد على الفطرة .

واذا كانت معجزات الرسل السابقين على الاسلام ، معجزات مادية حسية تنقضي بانقضاء وقت حصولها وتساق في الاصل لمن يراها فقط ، فقد كانت معجزة الاسلام بيانا يتلى وقرآنا يوحى مراعى فيه صفة العموم والخلود ، واعجز الجن والانس ان يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

من عصا موسى حية وثعبانا مبينا : ونار ابراهيم بردا وسلاما عليه ، وسفينة نوح وطوفانه ، وناقة صالح ، وحوت يونس ، وريح سليمان وجنده من الجن والانس والطير ، وتحويل الطين طيرا ، وابراء الاكمه والابرص ، واحياء الموتى لعيسى باذن الله ، من كل ذلك وما اشبهه الى قرآن محمد ، كلاما يتلى وبيانا من عند الله يلقي « نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » . سمعه أعداؤه من شياطين العرب وفصحائهم وبلغائهم ، فقالوا ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اوله لمثمر وان آخره لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى عليه وما هو بقول بشر » وسمعه الجن فقالوا « **انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا** » وقالوا ايضا « **انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم** » وفي هذا المعنى يقول شوقي أمير الشعراء مخاطبا محمدا خاتم الانبياء

جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجئتنا بكتاب غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جلال العتق والقدم
في منزل الوحي تترى وهي صادقة
تروي الوقائع عن عاد وعن ارم

ليس الاعجاز البياني في القرآن لانه اشتمل على أعلى انواع الفصاحة في الكلمة وأعلى انواع البلاغة في الكلام فحسب . ولكن لانه اشتمل في هذا المجال ، مجال البيان وروعته واعجازه على ظاهرة عجيبة لم يسبق اليها سابق ، ولا يستطيع ان يلحق به في مضمارها لاحق ، ولا تتأتى في غيره الا متابعة له او اقتباسا منه ، او محاكاة لصنيعه . هذه الظاهرة ، هي تمكين المعنى وزيادة البيان والايضاح بوضع الجملة في موضعها اللائق بها واللائقة هي به . ثم بحسن الكلمة ورنينها وهيئة التراكيب والكلمات وأجراسها الصوتية . وفواصل الآيات وتقاطعها واساليبها واختيار الالفاظ لها حتى يتناسب التعبير مع المعبر عنه بأي وجه من وجوه التناسب وتساعد الجمل والعبارات والكلمات بوضعها وكيفياتها واجراسها الصوتية وطريقة النطق بها على تصوير المعاني وتجسيدها . وبعد . فاذا كانت هذه ظاهرة أو نظرية اجملنا فيها القول على النحو الذي رأيناه . واذا كان ذلك كله يتضح بالتفصيل وذكر الامثلة والجزئيات التي تشهد بصدق ما ادعيناه فاننا سوف نفعل ذلك في مقال قادم اذا أعان الله .

تأملات فى البيان القرآنى

الصورة القرآنية

● الدكتور ابراهيم عوضين ●

وهذه صورة أخرى من صور البيان القرآنى المقامة على المواقف الفكرية،والمؤسسة..على المرائى الخيالية ، لتقدم واقعا حيا ملموسا .
يقول تبارك وتعالى فى سورة الاعراف :

« واذ آخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم
« ألست بربكم ؟
« قالوا ، بلى شهدنا
« ان تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين

« أو تقولوا : انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم . افتهلكنا بما معل المبطلون ؟!
وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون
واتل عليهم نبأ الذى آتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكأن من الغاوين .
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه
فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .
ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »

ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون »

ينظر المتأمل فى تلك الايات الكريمة فيجد نفسه أمام لوحة متعددة المشاهد ، ولكنه تعدد تام ، يسير فى منهج مرسوم ليصل بالتلقى الى غاية واضحة واحدة ، وهى قضية الايمان الموحد ، فالصورة – مع تعدد مشاهدها – واحدة .. واحدة البناء وواحدة المسار وواحدة الاشخاص وواحدة الهدف ..

تبدأ الصورةبتقديممشهد الفطرية البشرية كيانا ماديا يرى ، ويسمع ، وينطق ويفكر ، ويحس ، ويتألم .

« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم . واشهدهم على أنفسهم ، الست بربكم ؟
« قالوا : بلى شهدنا
« أن تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين

« أو تقولوا : انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم » ..
« أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟! »

ويلاحظ المتأمل فى ذلك المشهد أنه يقوم مواقف فكرية ، ويعتمد على اسسمن الاحداث الخيالية، فأحداثه ليست واقعا يرى بالعين ، وليست متوقعات سوف ترى فى مستقبل آت ، كما أنها – الى هذا وذاك – ليست واقعا ماضيا رآه السابقون وحكوا عنه ، وتواصلت حكاياتهم ..

ولكنه واقع من لون اخر وقع فى ضمير الزمان ، ولم يقع تحت دائرة الرؤية البشرية المعتادة ، بل هو مما يرى بالفكر المرتب ، والوعى الصادق ، والحس المتوثب ، والنظر الشامل فى الكون الرحيب الممتد وما يقوم عليه فى أدق مكوناته .

والبيان القرآنى يأخذ بيد المتلقى فى تؤدة لينقله من واقعه المادى الذى اعتاد عليه فى هذا الواقع الفكرى الذى أفنى الفلاسفة فيه حياتهم على مدى الاف السنين ، دون ان يصلوا من ورائه الى ما هدفوا ، ودون ان يستطيعوا تجلية تلك الحقائق أمام من تتلمذوا عليهم وأخذوا عنهم .

أقول : ان البيان القرآنى خلص من تعقيدات الفلاسفة وتصعيباتهم خلوصا تاما ، فقدم فى رفق ولين ، وفى يسر وسهولة تلك التى شق على أبناء البشر أن يقدموها على مدى أجيال وجيال .

والبيان القرآنى يبدأ جولته تلك بفتح مغاليق الفكر مستخدما فى ذلك كلمة واحدة تفعل فعل السحر مع المتلقى ، فلا تصل اليه تلك الكلمة حتى يتحرك فكره فى مختلف الاتجاهات ليستكنه أبعاد المشهد المعروض .. تلك الكلمة أو ذلك المفتاح هو قوله تعالى : « واذ »

وكلمة « اذ » فى مثل هذا المعرض تعنى الزمان الذى وقع ، ولكنها الى ذلك تطلب من المتلقى أن يذكر هذا الزمان الذى وقعت فيه الاحداث الاتية .

ومن ثم كانت « اذ » مفتاحا يحرك به الفكر ، وتثار به الذكريات ، ويوجه به العقل الى ما قد وقع وكان ، فهى تمهيد لتسلل وقائع المشهد وتوالى أحداثه .

اما الحدث الذى يوجه اليه الفكر ، وتفتح له منافذه فهو ما تشير اليه بقية الاية بعد « اذ »

« واذ أخذ ربك من بنى أدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟
« قالوا : بلى شهدنا

« أن تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين

« أو تقولوا : انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم .

« افتهلكنا بما فعل المبطلون ؟! »

رب بنى أدم أخذ من ظهور بنى آدم أصولهم وقررهم – منذ المبدأ – على ربوبيته لهم ، وأشهدهم على ما اقروا به ، ليقطع عليهم طريق التهرب من المسئولية .

ويعيد المتامل النظر فى هذا المشهد فيرى أن المشهد يقوم على حوار بين رب بنى ادم . وأصول بنى ادم بعد أن يجمعهم ويقيمهم أمامه . وان هذا الحوار يدور حول اقرار هذه الاصول - وهى فى مرحلة الذر - بربوبيته .

ثم يعيد النظر فى هذا الذر ، ويتفحص هذا الحوار على ضوء ما توصل اليه من علم ، فيذكر قانون الوراثة ، وما يقوم به فى نقل أصول الطبائع البشرية من جيل الى جيل .

ومن ثم يقف على حقيقة الايمان بالله رب الكون وفاطره ..

ولكن المتلقى لايستطيع ان يوقف فكره عند ذلك الحد ، بل ان هذا الحوار بين بنى ادم - على هذا النحو - وربهم يستدعى معلومات جدت عليه . فكشف من خلالها عن معميات كثيرة ..

فلا يصل الى ذلك الموقف من المشهد حتى تتراءى له اصول البناء الادمى تلك التى تقوم على الخلية البسيطة . او قل ان شئت : التى تقوم على الذرة ، بل على النواة فى داخل الذرة ، تلك النواة التى استودعها خالقها كل تفاصيل الحياة لصاحبها ، دقيقها وجليلها ، فهى الفرد البشرى او الكيان الادمى فى ادق صوره ، قبل ان يلبس بالجسم الادمى المادى . والخلية الاولى - كما وصل العلم فى أحدث مراحله - تحمل كل خصائص وطبائع صاحبها حيث استودعها بارئها فطرته التى فطر الناس جميعا عليها .

اى ان الكيان الادمى لا يفترق من واحد لاخر فى احتوائه على اصول الحياة ، والوان الطبائع والخصائص ، انما الافتراق طارىء ، يحدث استجابة لما يمليه الجسم المادى الذى يكسو تلك النواة الاولى ، ويحاول بما طرأ عليه من مؤثرات أن يطمس معالم تلك النواة ويغفلها حتى يحقق الاشباع المزعوم .

نعم .. فالحوار الذى تقدمه الايات فى هذا المشهد هو حوار بين الخلايا الاولى فى تكوين البناء الادمى وبين ربها . يقررها فى خلاله انه ضمنها الفطرة الحقة الاصيلة الموصلة الى الصراط المستقيم ، وجعلها فى مقابلة الانحرافات التى تتلبس بالثوب الخارجى الذى سيكون الغلاف لتلك النواة فيما بعد .. ومن ثم لا يقوم لواحد من أبناء آدم حجة من اى لون ..

فلن يستطيع آدمى أن يعتذر بالغفلة والجهل ، لان فى كيانه ما يصرفه عن الغفلة ويخلصه من الجهل ويذهبه عنه ان هو رجع اليه .

ولن يستطيع ادمى ان يعتذر بمتابعة الاباء والانقياد لهم ، فقد ضمنت نواة الابن ما ضمنته نواة ابيه ، دون تفريق ولا تمييز ، فالكل سواء .. !

فليس من حق احد متابعة أحد دون ان يكون هو نفسه مسئولا عن نفسه وما وضعها فيه من المتابعة والاحتذاء ، وليس لسابق فى هذا السبيل فضل على اللاحق ، ولا للاحق فضل على سابق ، فالجميع على قدم المساواة أودع منذ المبتدأ كيانه أصول الفطرة .

« أن تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين

« او تقولوا : انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم . أفتهلكنا بما فعل المبطلون »

ومن ثم يتبادر الى الذهن موقف اخر ينضم الى موقف الاقرار بالربوبية ، فتتسع قاعدة المشهد ، وتتعدد جوانب الرؤية فيه .

فعلى اثر تلك الجولة الفكرية يرى المتامل أن حشد الذر هذا بعد أن أقر بربوبية ربه ، استجاب لمبدأ آخرمن أهم مبادىء الحياة الدنيا .. وهو مبدأ المسئولية الفردية ، فالفرد الذى أودعت نواته نفس ما اودعته نواة الاخرين ممن يشاركونه الحياة فوق الارض لا يستطيع ان يتنصل من مسئوليته عما ياتى ويدع ، وانما هو مسئول عن كل ما يصدر عنه ، ولا تزر وازرة وزر اخرى .

ولكن الذاكرة لا تقف عن ذلك الحد ، فالمواقف تتداعى ، والاحداث تتوالى ، والمشهد يمتد ليسع كل ما يرد على فكر المتلقى لياخذ مكانه من المشهد المرسوم فى عناية ودقة معجزة .

ولو أنا ظللنا - على هذا المنهج - نتتبع الحدث بعد الاخر لضاق بنا المقام ، ولكننا نتوقف عند ذلك الحد . تاركين ذلك للتامل والنظر !

واذا كان المشهد بما ضمن من أحداث يوضحها احدث ما وصل اليه العلم البشرى المعاصر .. اذا كان المشهد بذلك بلغ درجة الاعجاز التصويرى : فان المشهد بعباراته التى قدمت تلك الاحداث قد بلغ درجة الاعجاز التعبيرى كذلك .

يتامل المتلقى فى عبارات المشهد فيرى الاعجاز البيانى وراء كل جملة : بل فى اختيار كل لفظة من الفاظه .

ولعل من اوضح مايرينا سر الاعجاز البيانى هنا : ما يلاحظه المتلقى من ذلك المنهج التعبيرى الغريب .

« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم »

ويتساءل المتامل عن السر فى ذلك .. ؟

ولم لم يات على المنهج المعتاد « واذ اخذت ذرية بنى آدم من ظهورهم » ؟

ولكن مع شيء من التامل في النسق القرآنى والنسق البشرى : يتبين أن الفارق بين النسقين هو الفارق بين ماهو الهى معجز وما هو بشرى ممكن .

فالنسق البشرى لا يستطيع الفكر معه أن يرى فى المشهد سوى ذرية بنى ادم وربهم

ولكن مع النسق القرآنى يتسع المشهد : فيرى الفكر فيه ربه مع بنى ادم وقد أخذ من ظهورهم الذر الذى يقوم عليه بناؤهم .

فالتعميم والتخصيص فى النسق القرآنى مقصود مراد ليحقق اضافة الى المشهد لا يستقيم المشهد بدونها .

هذا الى أن التعميم - كماأنه يبرز بنى ادم فى المشهد - يشير الى أن الاخذ مسلط على مبتدأ بنى آدم واصولهم حيث تفيد « من » الابتداء : كما انه يشير الى أن المأخوذ شائع في بنى ادم مركز في ظهورهم : حيث تفيد من الجزئية او البعضية

وبالتصور نفسه يرى المتامل فى ايثار التعبير بكلمة « رب » على التعبير بكلمة الله او اى اسم من اسمائه تعالى سرا من اسرار الاعجاز البيانى : اذ كلمة رب توحى بالعلاقة بين الله سبحانه وتعالى وبين بنى ادم موضوع الحوار : فهى علاقة بين خالق ومخلوق : بين كافل ومكفول : بين من هوفى غنى شامل ومن هو فى حاجة دائمة لاتنقطع : بين راع ورعيته : بين رب ومربوبه .

ثم فى اضافة « رب » الى ضمير المخاطب ما يفتح المغاليق : ويثير أرق الاحاسيس : فيستقبل الصورة بنفس هادئة مطمئنة لا يخالجها ريب : ولا يمسها توجس .

ومن ثم يجد المتامل نفسه أمام سر جديد من أسرار البيان القرآنى يجيبه عما وراء الالتفات فى هذه الاية من بناء الفعل على ضمير المتكلم الى بنائه على الظاهر

« البقية ص ٦٢ »

إياك نعبد وإياك نستعين

الدكتور محمد عبد المنعم القيعي

اياك نعبد واياك نستعين

هذه آية لو سبر الناس معناها لاستقامت حياتهم فى العاجل والاجل .

والمعنى : نخصك بالعبادة . والمقام هنا مقام الغيبه . اذ الاصل أن يقول : اياه . لكنه عدل من الغيبه الى الخطاب للالتفات . والعرب يستكثرون منه . ويرون أن الكلام اذا انتقل من اسلوب الى أسلوب صار ادخل فى القبول عند السامع . واحسن تطريه لنشاطه : واملا لاستلذاذ اصغائه ..

ولما ذكر سبحانه انه الحقيق بالحمد والثناء واجرى على نفسه تلك الصفات العظام - تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانه فى المهمات ، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : اياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين به لا غير ..

وقدمت العباده على الاستعانه . لان تقديم الوسيله قبل طلب الحاجه اقرب الى الاجابه ، والوسيله مقدمه على الغايه فى الذهن والخارج ..

ومعنى « نعبد » : اى نطيع ، والعباده : الطاعة والتذليل ، وطريق معبد اذا كان مذللا للسالكين يسهل عليهم السير فيه . ونطق المكلف به اقرار بالربوبية وتحقيق لعباده الله تعالى ، اذ سائر الناس يعبدون سواه من أصنام وغير ذلك ، أو يسوون غيره به سبحانه ..

ودعوة القرآن الى التوحيد لا تقتصر على مجرد الاقرار به ..

وانما تستهدف تقرير أفراده وحـده بالعبـادة وتحول القلوب والوجوه اليه وحده :

« **ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فانى يؤفكون** »..

ومن أوجه تقديم المفعول أنه خاص بالمعبود ، وهو مقدم على العابد فى الوجود والرتبة ..

وكرر الاسم ، لئلا يتوهم اياك نعبد ونسـتعين بغيرك ..

واذا تتبعنا آى القرآن وأساليب اللغة واستعمال العرب لكلمة « عبد » وما يماثلها ويقاربها فى المعنى - كخضع ، وخنع ، واطاع ، وذل - نجد أنه لا شىء من هذه الالفاظ يضاهى كلمة « عبد » أو يحل محلها ويقع موقعها ..

اذ العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ، ناشىء عن استشعار القلب عظمة للمعبود ، لا يعرف منشأها ، واعتقاد بسلطة له لا يدرك كنهها وماهيتها ، وقصارى ما يعرفه أن سلطة المعبود محيطة بالعابد ، وهى فوق ادراكه ..

فمن ينتهى الى اقصى الذل لملك من ملوك البشر ، لا يقال انه عبده وان قبل مواطىء اقدامه ، مادام سبب الذل والخضوع معروفا وهو الخوف من ظلم المعهود ، أو الرجاء بكرمه المحدود ..

اللهم الا بالنسبة الى الذين يعتقدون أن للملك قوة غيبيه سماويه افيضت على الملوك من الملا الاعلى ، واختارتهم للاستعلاء على سائر أهل الدنيا ، لانهم اطيب الناس عنصرا واكرمهم جوهرا ، وهؤلاء هم الذين انتهى بهم هذا الاعتقاد الى الكفر والالحاد ، فاتخذوا الملوك آلهة وأربابا ، وعبودهم عبادة حقيقيه ..

وللعبادة صور كثيرة فى كل دين من الاديان شرعت لتذكير الانسان بذلك الشعور بالسلطان الالهى الاعلى ، الذى هو روح العبادة وسرها ..

ولكل عبادة من العبادات الصحيحه اثر فى تقديم اخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه . والاثر انما يكون عن ذلك الروح ، والشعور الذى هو منشأ التعظيم والخضوع فاذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة ، كما أن صورة الانسان وتمثاله ليس انسانا .

خذ عبادة الصلاة مثلا ، وانظر كيف أمر الله باقامتها دون مجرد الاتيان بها ، واقامة الشىء : هى الاتيان به مقوما كاملا يصدر عن علته وتصدر عنه آثاره . وآثار الصلاة ونتائجها هى ما انبأ الله تعالى بها بقوله :

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ..

وقوله عز وجل :

ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين ..

وقد توعد الذين يأتون بصورة الصلاة من الحركات والالفاظ مع السهو عن معنى العبادة وسرها فيها المؤدى الى غايتها بقوله تعالى :

فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون : الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » ..

فسماهم مصلين ، لانهم آتوا بصوره الصلاة .
ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التى هى توجه القلب الى الله تعالى المذكر بخشيته ، والمشعر للقلوب بعظم سلطانه ..

ثم وصفهم بأثر هذا السهو وهـو الرياء ومنع الماعون ، وقد ورد فى بعض الاحاديث أن :

من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر : لم يزدد من الله الا بعدا » .. وانها تلف كما يلف الثوب البالى ويضرب بها وجهه ..

والاستعانه : طلب المعونة ، وهى ازالة العجز والمساعدة على اتمام العمل الذى يعجز المستعين عن الاستقلال به بنفسه ..

وقد امرنا الله تعالى بألا نعبد غيره ، لان السلطة الغيبية التى هى وراء الاسباب ، ليست الا له دون غيره ، فلا يشاركه فيها أحد وأمرنا بألا نستعين بغيره أيضا ، وهذا يحتاج الى البيان ..

فكل عمل يعمله الانسان تتوقف ثمرته ونجاحه على حصول الاسباب التى اقتضت الحكمة الالهية ان تكون مؤديه اليه ، وانتفاء الموانع التى من شأنها بمقتضى الحكمة ان تحول دونه ..

وقد مكن الله تعالى الانسان بما أعطاه من العلم والقوة من دفع بعض الموانع وكسب بعض الاسباب ، وحجب عنه البعض الاخر ، فيجب علينا أن نقوم بما فى استطاعتنا من ذلك ، ونبذل فى اتقان أعمالنا كل ما نستطيع من حول وقوة ، وأن نتعاون ويساعد بعضنا بعضا ، ونفوض الامر وراء كسبنا الى القادر على كل شىء ، ونلجأ اليه وحده ، ونطلب المعونة المتممة للعمل والموصلة لثمرته منه سبحانه دون سواه ، اذ لا يقدر على ماوراء الاسباب الممنوحة لكل البشر على السواء الا مسبب الاسباب ورب الارباب ..

وغاية ما يرجى من الخلق انهم كالالات فى يد الانسان ، تتحرك بقدرة الله لا بالعجز . والاشراك بالله اعتقاد أن لغير الله اثرا فوق ما وهبه الله من الاسباب الظاهرة ، وأن لشىء ما من الاشياء قدرة فوق قدرة المخلوقين ..

فالاستعانة بالبشر باعتبار أنهم مجرد آلات لا حرج فيها ..

وأما الاستعانة بهم على أنهم مؤثرون بأنفسهم - فكفر بالله ، واشراك به ، وكل معرض عن ذلك فهو عن ذكر ربه معرض ، وعن الصراط المستقيم ناكب ..

وايضا : عبادة الله تعالى ، هى غايه الشكر له فى القيام بما يجب لالوهيته ، واستعانته هى غاية الشكر له فى المقام بما يجب لربوبيته ..

ومن هنا نعلم أن ايراد ذكر العبادة والاستعانة بعد ذكر اسم الجلالة الاعظم ، واسم الرب الاكرم ، انما هو لترتب العبادة والاستعانة عليهما .

ثم ان لفظ . الاستعانه - يشعر بان يطلب العبد من الرب تعالى الاعانة على شىء له فيه كسب ليعينه على القيام به . وفى هذا تكريم للانسان بجعل عمله اصلا فى كل ما يحتاج اليه لاتمام تربية نفسه وتزكيتها ، وارشاد له الى أن ترك العمل والكسب ، ليس من سنة الفطرة ولا هو من دين الله ، وان على الانسان ان يحس بضعف نفسه وحاجته لربه حتى لا يبقى للغرور مكان فى قلبه ..

واذا كانت الاستعانة على هذا ثمرة من ثمار العبادة ، فلا ينافى ذلك ان الاستعانة مطلوبة ايضا فى القيام بنفس العبادة . لان الثمرة التى تخرج من الشجرة تكون حاوية للنواة التى تخرج منها شجرة اخرى ..

فالعبادة تكون سببا للمعونة من وجه ، والمعونة

تكون سببا للعبادة من وجه آخر . كذلك الاعمال تكون الاخلاق التى هى مناشىء الاعمال ..

وكل من العبادة والاستعانة - مقصود بالذات ، فلا يستلزم كل منهما الاخر ، وافضل الاستعانة ما كان على الطاعة والخير ، وقد آخذ النبى صلى الله عليه وسلم ، بيد معاذ وقال :

والله انى لاحبك ، اوصيك يا معاذ : لا تدعن فى دبر كل صلاه ان تقول : اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » .

والعباده اعلى مراتب الخضوع ، ولا يجوز شرعا ولا عقلا فعلها . الا لله تعالى لانه المستحق لذلك .

وما ورد من نحو قوله تعالى :

« انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » .

فبناء على زعمهم تعريضا لهم ، ونداء على غباوتهم ..

وتستعمل العبادة بمعنى مجرد الطاعة ، ومنه :

« ان لا تعبدوا الشيطان » .

أى لا تطيعوه أية طاعه ..

وبمعنى الدعاء ، ومنه :

« ان الذين يستكبرون عن عبادتى ، سيدخلون جهنم داخرين » .

اى يستكبرون عن دعائى ..

وبمعنى التوحيد . ومنه :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »

أى ليفردونى وحدى بالعباده ..

وذكر بعض المحققين أن للعبادة ثلاث درجات :

الاولى : أن يعبد سبحانه رغبه فى ثوابه او رهبة من عقابه . وفاعل ذلك يسمى زاهدا ، حيث يجرد نفسه من الدنيا ، طمعا فيما هو ادوم وابقى ..

والثانية : أن يعبد الله تعالى تشرفا بعبادته وقبول تكاليفه والانتساب اليـه ، وتلك المرتبـة أعلى من الاولى ..

والثالثة : أن يعبد الله تعالى لاستحقاقه الذاتى من غير نظر الى نفسه بوجه من الوجوه .. وهذه اعلى الدرجات ..

والاولى عبـــادة .. والثانية عبودية .. والثالثة عبودة ..

وقول الحق : « أياك نعبد » يدل على أن فعل العبادة صادر من العباد انفسهم ..

وهذا يستدعى قدرة يكون بها الايجاد ومن لا قدرة له ، أو له قدرة لا مدخلٌ لها فى الايجاد ، لا يقالُ له أنه أوجد ..

وقوله سبحانه : « واياك نستعين » يدل على نفى الاستقلال فيه ، وأنه باذن الله تعالى واعانته ..

وفى هذا السياق ، تنبيه للعباد أن يكونوا من أول الامر موقنين بأن الله هو المعبود ، وهو الذى يستعان به ، فلا يتكاسل احد فى التعظيم ، ولا يلتفت يمينا وشمالا لسواه فان ذكره سبحانه أولا أهم للمؤمنين فى كل حال ، لاسيما حال العبادة ، لانها محـل وساوس الشيطان من الغفلة والكسل والبطـالة ، والتصريح من اول وهلة بأن العبادة له ، فكان أبلغ فى التوحيد ، وابعد عن احتمال الشرك .

وايضا فيه الاشارة الى حال العارف ، وأنه ينبغى أن يكون نظره الى المعبود أولا وبالذات ، ثم الى العبادة من حيث انها وصلة اليه وراحلة تغدو به عليه ، فيبقى مستغرقا فى مشاهدة أنوار جلاله ، مستقرا فى فردوس أنوار جماله ..

وقوله سبحانه : « نعبد » دون « أعبد » للدلالة على مزج عبادة العبد بعبادة غيره ، لينال بركه غيره ، ليقمع الغرور عن نفسه ، فينخرط فى جمله العابدين ، وليبين انه يعبد ربه بكل شيء فيه ، اذ لله حق العبادة على كل عضو ومفصل فى الانسان .

فليست « النون » نون العظمة ..

وانما هى « نون » الجمع ، لان المقام مقام تواضع لا مقام كبرياء أو اغترار ..

والدارس للايات القرآنية فى الموضوع الواحد ، يرى فرقا بين من ادخل نفسه مع الاخرين تواضعا ، وبين من افرد نفسه بالذكر ..

ولما قال موسى : « ستجدنى ان شاء الله صابرا » لم يصبر .. ولما قال الذبيح : « **ستجدنى ان شاء الله من الصابرين** » صبر وعافاه الله ..

والعبادة مما يتقرب بها الى الله ، ومن اجل ذلك قدمت على الاستعانه . وان العبادة مطلوبه من الله ، والاستعانه مطلوبة من العبد . فقدم طلب الله على طلب العبد . وان العبادة واجبة حتما لا مناص للعبادة عن الاتيان بها ، حتى جعلت كالعلة لخلق الانس والجن ، فكانت أحق بالتقديم ..

وان العبادة أشد مناسبة بذكر الجزاء المشار اليه فى قوله : « **مالك يوم الدين** » . وأن الاستعانة أقوى التئاما بطلب الهداية والمشار اليه فى قوله تعالى : « **اهدنا الصراط المستقيم** » .

وأن أول ما يطلب من المسلم تخصيص اللـه بالعبادة ، ثم بعد ذلك يطلب منه طلب المعونة . ومقام السالكين ينتهى عند قوله « اياك نعبد » وبعده يطلب التمكين ..

وصلى الله على معلم الناس الخير .

وقوع النسخ في حجج الشرع

الدكتور محمد سعاد جلال

اتفق القائلون بالنسخ على أن الكتاب ينسخ الكتاب : لتساويهما فى افادة العلم ووجوب العمل . وأن السنه المتواتره بنسخ السنة المتواترة كذلك لتساويهما فى افادة العلم ووجوب العمل ، وأنها تنسخ السنة الإحادية لانها اقوى منها من حيث افادتها للعلم . دون سنه الاحاد التى لا تفيد غير الظن ، وان افادت لزوم العمل ، وان السنة الاحادية تنسخ نظيرتها لتساويهما من كل وجه .

واختلفوا فى احتمال نسخ سنة الاحاد للسنة المتواترة : فذهب جمهور العلماء الى جوازه فعلا ومنعوا من جواز وقوعه شرعا الا « داود الظاهرى » واهل الظاهر .

ثم اختلفوا فى جواز نسخ القرآن بالسنة ، ونسخ السنه بالقران فمنع من ذلك الشافعيه بوجه عام . واثبته الحنفيه على القطع ، وفى ذلك تفصيل اليك بسطه .

نسخ الكتاب بالسنة :

أما نسخ الكتاب بالسنة — والمراد بها السنة المتواترة فقط ، فقد قال به جمهور الفقهاء وعامة المتكلمين من الاشاعرة والمعتزلة ومحققو الشافعية . ونص الشافعى فى عامة كتبه على أنه لا يجوز ، وهو مذهب أكثر اهل الحديث ، ثم اختلف هؤلاء فيما بينهم ، فمنهم من ذهب الى أن عدم الجواز هذا ، ثابت عقلا ومنهم من ذهب الى أنه ثابت شرعا .

ادلة المثبتين ، ومناقشتها :

استدل المثبتون لنسخ القرآن بالسنة بدليل العقل ، وبالوقائع الشرعية .

فأما دليل العقل ، فذلك أن القرآن والسنة كلاهما وحى من الله تعالى لقوله **وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى** » . غير ان القرآن وحى متلو والسنه وحى غير متلو . ولا يمتنع فى نظر العقل أن ينسخ احد الوجهين الاخر ، فلا يمتنع ان تنسخ السنة القران . ولو ورد خطاب الشرع بجواز نسخ السنة للقرآن لما ترتب على فرض ذلك لذاته محال عقلا ، فكان نسخ السنه للقران جائزا عقلا .

ونوقش هذا الدليل — بأن القرآن والسنة وان كان كلاهما وحيا — الا ان القرآن وحى اقوى من السنة ، بثلاثة أوجه :

الوجه الاول : ان النبى — صلى الله عليه وسلم — قال لمعاذ : **بم تحكم قال بكتاب الله تعالى . قال : فان لم تجد قال** : بسنة رسول الله فأقره النبى تأخير السنه عن الكتاب فى العمل .

الوجه الثانى : أنه أقوى من جهة لفظه فان لفظه معجز ومتعبد به ، والسنة ليست معجزة بلفظها ، ولا متعبد بها فاكتسب بذلك اصالة فى الدلالة على الوحى .

الوجه الثالث : أنه اقوى من جهة تعظيمه اذ لا يجوز مسه الا بطهارة ويحرم مسه على غير طاهر كالحائض والجنب .

واذا كان القرآن أقوى من السنة تعاظم من حولها عن منال نسخه بها .

ولنا وجه رابع : وهو ان الفاظ القرآن قطعية الدلالة على مراد المتكلم بها — وهو الله سبحانه — سواء كانت قطعية الدلالة فى افهامنا أم لم تكن . أما السنة فمن حيث جواز روايتها بالمعنى — وان كانت متواترة — يجوز ان يبدل بعض الرواة الفاظها بألفاظ تساويها فى الدلالة على المعنى لكن لا تكون هى هى ، فاحتمل ذلك وقوع الفرق بين اللفظين ، ولم يتعين ان تكون الفاظ السنة فى الدلالة على مراد المتكلم بها قطعية — كلفظ الكتاب ، فامتنع الحاق السنة بالكتاب لهذا الفارق ، وهو فارق جوهرى فى نظرنا .

وأما الوثائق الشرعية منها :

١ — « حديث لا وصية لوارث » فانه نسخ قوله تعالى « **كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصيه للوالدين والاقربين** » .

ونوقش النسخ بهذا الحديث

أولا — بأنه خبر واحد لا يقوى على نسخ القرآن المتواتر وذهب البزدوى ، وشارحه الى ان هذا الحديث — وان لم يحصل به نسخ الاية — الا انه ليس من قبيل خبر الاحاد بل هو « فى قوة المتواتر اذ المتواتر نوعان ، متواتر من حيث الرواه . ومتواتر من حيث ظهور العمل به من غير تكبر فأن ظهوره يغنى الناس عن روايته ، وهو بهذه المثابه فان العمل به من أئمه الفتوى بلا تنازع فيجوز النسخ به والحق

ظهوره من غير تكير لا يجعله متواترا ولا ينيط به الاحكام المرتبة على المتواتر » .

وان الناسخ الحقيقي لهذه الاية انما هي اية « الميراث لقوله — صلوات الله عليه — « **ان الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث** » .

وقد وضح الشافعى في الرسالة هذا المعنى ، فقال : ما نحيصه ، وردت الاية بكتابة الوصية للوالدين ، والاقربين ، وردت آيه المواريث ، فاحتمل أن تكون الايتان عاملتين معا فيأخذ الوالدان والاقربون مرة بحكم الوصية ومرة بحكم الميراث ، وان تكون آية الميراث ناسخة لايه الوصية المكتوبه ، فالتمسنا مرجحا ومبينا . فوجدناه في قوله صلى الله عليه وسلم — « **لا وصيه لوارث** » فكان الحديث مبينا لكون اية المواريث ناسخة لاية الوصية المكتوبة .

ثانيا — حديث الرجم الثابت عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم من أنه رجم « ماعزا » « والغامدية » لثبوت الزنا عليهما وهما محصنان فانه يعتبر ناسخا لقوله تعالى « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** » . فان هذه الاية تتناول بعمومها الزانى المحصن وغير المحصن فنسخ حكمها في حق الزانى المحصن بسنة الرجم الثابتة عنه — صلى الله عليه وسلم ..

ونوقش الاستدلال بهذه الواقعة — أيضا خبر احاد ولا يقوى على نسخ القرآن المتواتر ، ولا يقال انه تقوى بانعقاد الاجماع عليه ، لانه حكم بعد انعقاد الاجماع منسوب للاجماع فيكون الناسخ هو الاجماع لا خبر الاحاد كما قال الكمال بن الهمام من الحنفية لكن الاجماع لا يصلح ناسخا للكتاب كما قدمنا وقد يذكر بعض الاصوليين امثلة اخرى اضعف في دلالتها على النسخ من هذين المثالين « فاعرضنا عن ذكرها ، ثم ان هذا المساق في علاقة أحاديث « الرجم » بآية الزنا » تلقى شبهه كبيرة على صحة القول برجم الزانى المحصن ، وهو ما أجمع عليه فقهاء المذاهب وأوشك ان يكون معلوما من الدين بالضرورة ، والمخلص منها صعب » .

أدلة المانعين :

واستدل المانعون من تجويز نسخ الكتاب بالسنة من جهة العقل ومن جهة الشرع بالادلة الاتية :

فمن جهة العقل ، قالوا أن النسخ لا يكون الا في حياة النبى — صلى الله عليه وسلم — ولا نسخ بعد وفاته ، والتواتر الذى يعطى السنة قوة النسخ لا يكون الا بعد وفاته قطعا ، فحيث يحتمل وجود النسخ لا يحتمل وجود السنة المتواترة . وحيث يحتمل وجود السنة المتواترة ينعدم احتمال وجود النسخ فاستحال لذلك امكان نسخ القرآن بالسنة المتواترة ، ولهذا لا يجوز النسخ بالاجماع اذ لو جاز النسخ به لكانت المعرفة به موقوفة على انعقاد الاجماع في الزمان المستقبل على نسخه . مع أنه لا يكون الا في حياة النبى ، والوحى ينزل ، وبعد انقطاع الوحى بموته — عليه السلام — لا يتصور حصول النسخ ، حيث يتصور حصول الاجماع ، لكن يتصور الاجماع في الاخبار عن سبق النسخ في عهد النبى لبعض الاحكام ، فلا يكون النسخ بالاجماع بل يكون بنص ، أو عمل ، دل عليه الاجماع .

ومن جهة الشرع استدلوا بالنصوص الاتية :

١ — قوله تعالى : « **ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها ، أو مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير** » . ووجه الدلالة من الاية في ثلاثة مواضع :

ا — اسناد النسخ ، والاتيان بالبدل الى الله ، وان ما يأتى به الله يكون قرآنا لا سنة .

ب — قوله « **نات بخير منها أو مثلها** » فان ما كان خيرا من الشيء يكون من جنسه بحسب الظاهر : تقول لمن اخذت منه دينارا لاعطينك خيرا منه ، يفهم السامع انك تعطيه خيرا مما اخذته منه ، فدل ذلك على المجانسه بين المنسوخ والناسخ ، فتعين ان يكون الناسخ للقران قرآنا .

جـ — قوله « مثلها » دل على المماثلة بين البدل والمنسوخ فتعين ان يكون البدل قرآنا

ثانيا . قوله تعالى **قل ما يكون لى أن ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى** » ووجه الدلالة في الايه اخباره — صلى الله عليه وسلم — بانه ليس له ولاية التبديل ، وانما هو متبع لما أوحى اليه ، لا مبدل له ، والتبديل باطلاقه يتناول تبديل اللفظ وتبديل الحكم . فينتفى الامران جميعا : ولا يكون له ولاية تبديل الحكم ، كما لا يكون له ولاية تبديل اللفظ . فاذا حصل النسخ — وهو تبديل للفظ المشتمل على الحكم فلا يكون الا بما هو قرآن

ثالثا : قوله — صلى الله عليه وسلم — « اذا روى لكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق الكتاب ، فاقبلوه ، والا فردوه » . ووجه الدلالة في الحديث ، انه أمر برد الحديث الى الكتاب عند ظهور المخالفة بينهما وجعل الكتاب قاضيا على الحديث ومحكما فيه فلا يكون الحديث ناسخا للكتاب .

نسخ السنة بالكتاب :

وأما نسخ السنة بالكتاب فقد اجازه كل من اجاز نسخ الكتاب بالسنة واجازه ايضا بعض من منع نسخ الكتاب بالسنه — كعبد القاهر البغدادى — ولوحبه الشافعى في بعض كلامه ، وصريح كلامه المنع منه .

أدلة المثبتين :

استدلوا بدليل العقل ، والوقائع من النصوص أما دليل العقل . فذلك — كما سبق ان ذكرنا — ان الكتاب والسنة كل منهما وحى . غير ان الكتاب وحى متلو ، والسنة وحى غير متلو ، فلا يمتنع في حكم العقل ان ينسخ احدهما الاخر فتنسخ السنة الكتاب وينسخ الكتاب السنة : وهذا الاستدلال صحيح في جانب نسخ الكتاب للسنة ، وهو موضوع الاستدلال — وكما بينا سابقا — ليس بصحيح في جانب جواز نسخ الكتاب بالسنة ، لان الكتاب اقوى من السنة المتواترة كما بينا فينسخها ولا تنسخه .

وأما الوقائع من النصوص فكثيرة منها ان النبى صلى الله عليه وسلم – صالح أهل مكة عام الحديبية على أن من جاء مسلما رده الى الكفار حتى أنه رد « أبا جندل » وجماعة من الرجال ، فجاءت اليه امرأة فانزل الله تبارك وتعالى « **فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار** » .

فهذا قرآن نسخ ما فعله النبى – صلى الله عليه وسلم – وفعله سنة

ومنها أن المباشرة فى ليل رمضان كانت محرمة على المسلمين فنسخت بقوله تعالى

« **فالان باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم** » .

ومنها ان صوم عاشوراء كان واجبا بالسنة فنسخ بفرض صوم رمضان فى قوله « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » وان كان هذا فى نظرنا غير واضح الا بقرينة من قبل النبى عليه السلام تبين أن صوم رمضان ناسخ لصوم عاشوراء لان اضافة حكم لاحق لحكم سابق لا يضاره ، ولا يقضى ازالته ولا يعد نسخا له

ادلة المانعين :

استدلوا بالمعقول ، وبالنص « أما المعقول فلان نسخ الكتاب للسنة يتخذ ذريعة للطعن على الرسول صلوات الله عليه – اذ يقول خصومه كذبه ربه ولم يرض له ما سنه وفيه تنفير من اتباعه ، وهو ضد مقصود الرسالة ، فامتنع القول بجوازه

ونوقش هذا الدليل بانه لا موضع لهذه التهمة فى حقه – صلى الله عليه وسلم – فان موضعها ان لو كان النبى ناطقا بالسنة عن نفسه لكنه ليس ناطقا بالسنة عن نفسه بل هو ناطق بوحى الله له معلنا ذلك للناس بقوله تعالى « **وما ينطق عن الهوى** » فلما كان موضع السنة من النبى كذلك امتنع الطعن عليه بنسخها القرآن ، اذ ليس فى ذلك شائبة تكذيبه ، او بيان عدم الرضاء بسنة أوحيت اليه بذلك من ربه

وأما النص فقول تعالى « **وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم** » ووجه الدلالة فيه على المطلوب افادته ان السنة بيان للكتاب فلو نسخت به لم تكن بيانا له وذلك غير جائز .

ونوقش هذا الدليل من طريقين : احدهما ان المراد بقوله لتبين لهم انما هو التبليغ وذلك يعم تبليغ الناس من القران وغيره . وليس فى الاية حينئذ ما يمنع ان يكون القرآن ناسخا للسنة

الطريق الثانى ، نسلم ان المراد بالتبيين فى الاية هو بيان ما فى الكتاب من المجمل ، والمطلق العام والمنسوخ بالسنة ، لكن ليس فى الاية ما يدل على انحصار نطقه فى هذه الاقسام فقط ويمنع ان يكون له نطق زائد عليها لا يوصف بكونه بيانا ، ويحتاج هو الى البيان .

تلخيص البحث :

ويتلخص مما تقدم ان الناس فى نسخ الكتاب والسنة على ثلاثة مذاهب منهم من ذهب الى ان النسخ جائز بين الكتاب والكتاب وجائز بين السنة والسنة : وجائز بين الكتاب والسنة متبادلا بينهما على جهة سواء ومنهم من ذهب الى أن النسخ لا يكون الا بين كتاب وكتاب فقط ، وبين سنة وسنة لا غير

ومنهم من فصل فقال ينسخ الكتاب السنة ، ولا تنسخ السنة الكتاب وهو المذهب الذى يختاره وقد لوحنا ترجيحه اثناء سرد المذاهب فى الموضوع اذ ناقشنا ادلة المذهب المضاد لهذا الرأى ، أما هو فقد عرضنا ادلته سالمة عن المناقشة والاعتراض لترمز الى اقتناعنا به .

بقية مقال « الصورة القرآنية »

هذا الى أن الالتفات هنا يمنح الصورة مزيدا من الوضوح : حيث جعل فاعل الاخذ ظاهرا ... ليوحى بظهور آثاره التى لا تخفى على ذى لب : ومن أبرزها أنه « ربك » .

ومن ثم تحقق لعناصر هذا المشهد أسباب الظهور : فلم يعد عسيرا على الفكر أن يرى المشهد ويتتبع أحداثه ويتسمع الى أصوات الحوار فيه : ويقف على مضمونه : فيتعرف من خلاله فى يسر على أدق وأصعب ما عالج الفكر البشرى من قضاياه الفلسفية تلك هى قضية المنشأ : والوراثة . وطبيعة التكوين : وعلاقة الانسان بالشر والخير : ومسئولية الفرد : الى غير تلك القضايا : فكل هذه القضايا يستطيع المتامل ان يراها مبسوطة مكشوفة من خلال ذلك المشهد الذى يقدمه قول الله عز وجل :

؟ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم : ألست بربكم ؟

؟ قالوا : بلى شهدنا

؟ ان تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين

؟ أو تقولوا : انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم

؟ افتهلكنا بما فعل المبطلون !

ومن ثم ذيل المشهد بما يمهد لتقديم المشهد الثانى فى الصورة وذلك قوله تعالى ؟ وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون !

فالمشهد ملىء بالاحداث فياض بالمقررات القائمة على الحجة الواضحة : والبرهان الصادق .. حتى يبصر الانسان موقفه على حقيقته رجاء أن يثوب الى رشده : ويعتز بما منح من قوى فيرجع ويثوب .

من أخلاق القرآن

إقامة الوجه لله

الدكتور أحمد الشرباصي

تقول لغة العرب — وهى لغة القرآن الكريم : ان الوجه هو الجزء من الانسان الذى فيه الفم والانف والعينان ، ويطلق الوجه على الذات ، لان الوجه اشرف الاجزاء ، ويطلق ايضا على صدر الشىء وأوله .

وأقام الشىء عدله وازال عوجه . واقام دين الله اظهره وعمل بتعاليمه ، واقام حدود الله : حافظ عليها ولم يجاوزها ، واقام وجهه للشىء : اهتم به واقبل عليه بنشاط . ومادة « أقام » تدور المعانى التى تفيدها حول النهوض او انتصاب القامة ، او الاعتدال ، بالمعنى المادى او المعنوى .

وهى المادة كذلك معنى الدوام والمحافظة .

واقامة الوجه لله — او اسلام الوجه لله — خلق من أخلاق القرآن الحكيم ، وفضيلة من فضائل الاسلام العظيم ، وجانب من هدى الرسول عليه الصلاة والتسليم ، وهو خلق ينهض على اساس التوحيد لله ، والاخلاص فى طاعته ، واللجوء اليه على الدوام ، والرجاء منه فى كل حال ، وعدم الالتفات الى سواه ، وقد تحدث التنزيل المجيد عن هذا الخلق فى مواطن كثيرة ، فمن ذلك قوله فى سورة البقرة :

« بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ، ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون » واسلم هنا معناها استسلم وخضع وفوض ، واخلص عمله لبارئه ، او كما يعبر « تفسير المنار » اسلام الوجه لله هو كمال التوجه اليه وحده ، وتخصيصه بالعبادة دون سواه ، كما قال فى سورة الفاتحة : « اياك نعبد واياك نستعين » .

وقد عبر عن اسلام القلب ، وصحة القصد الى الشىء ، باسلام الوجه ، كما عبر عنه بتوجيه الوجه ، او اقامة الوجه ، فى مواطن أخرى ، كما سنرى بعد قليل . وذلك لان قاصد الشىء يقبل عليه بوجهه ، فلما كان توجيه الوجه الى شىء له جهة ، تابعا لقصده ، واشتغال القلب به ، عبرعنه به ، وجعل التوجه بالوجه الى جهة مخصوصة — وهى القبلة — بأمر الله مذكرا باقبال القلب على الله الذى لاتحدده الجهات .

فالانسان يتضرع ويسجد لله تعالى بوجهه ، وعلى الوجه يظهر أثر الخشوع . والمراد من اسلام الوجه لله افراده بالعبادة والاخلاص له ، بأن لا يجعل الانسان بينه وبين ربه وسطاء يقربونه اليه زلفى ، فانه أقرب اليه من حبل الوريد .

ويقول الله تعالى فى سورة النساء : « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، واتخذ الله ابراهيم خليلا » أى أخلص دينه ، وخضع له ، وتوجه اليه فى العبادة ، وكان له مثل أعلى فى ابراهيم أبى الانبياء وخليل الرحمن ، الذى كان محبا لله ، وكان محبوبا لله .

ولا أحد أحسن دينا ممن جعل قلبه سالما خالصا لله وحده ، لا يتوجه الى غيره فى دعاء أو رجاء ، ولا يرى فى هذا الوجود الا آثار صفات الله وسننه ، فلا يطلب الا من خزائن رحمته ، وهو مع ايمانه وتوحيده ، محسن فى عمله ، متخلق بأخلاق الله الذى أحسن كل شىء خلقه .

والامام محمد عبده يقول ان العبرة عند الله بالقلوب والاعمال ، وملة ابراهيم الحنيفية هى الصفوة فى اخلاص التوحيد واحسان العمل ، وعبر عن توجه القلب باسلام الوجه ، لان الوجه أعظم مظهر لما فى النفس من الاقبال والاعراض والسرور والكآبة ، وغير ذلك .

ويقول التنزيل الحكيم فى سورة آل عمران : « فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن » . والمقصود من الدين انما هو الوفاء بلوازم الربوبية ، فاذا أسلمت وجهى لله لا أعبد غيره ، ولا أتوقع الخير الا منه ، ولا أخاف الا من قهره وسطوته ، ولا أشرك به أحدا ، كان هذا هو تماما الوفاء بلوازم الربوبية والعبودية .

ويذكر الفخر الرازى فى معنى اسلام الوجه لله ثلاثة أقوال :

الاول : أخلصت عملى لله . يقال : أسلمت الشيء لفلان ، أى أخلصته له ، ولم يشاركه فيه غيره .

الثانى : أسلمت وجه عملى لله . فكل ما يصدر منى من الاعمال ، فالوجه فى الاتيان بها هو عبوديتى لله تعالى ، والانقياد لالهيته وحكمه .

الثالث : أسلمت نفسى لله ، وليس فى العبادة مقام أعلى من اسلام النفس لله ، فيصير العبد كأنه موقوف على عبادته ، عادل عن كل ما سواه .

وقيل ان معنى الاية السابقة : ان جادلوك بالاقاويل المزورة والمغالطات ، فاسند أمرك الى ما كلفت به من الايمان والتبليغ ، وتوجه الى الله بذاتك ، كما جاء فى الحديث الشريف : « سجد وجهى للذى خلقه وصوره » وكان النص الكريم يقول – كما يعبر الاستاذ الامام محمد عبده – ان من يقصد الى الحجاج ، بعد تأييد الحق ، وتفنيد الباطل ، لا يقصد الا الى المجادلة والمشاغبة ، لمحض العناد والمشاكسة وذلك شأن المبطلين . واما طالب الحق فانه يبخل بالوقت أن يضيع .

ولقد تعرض الفخر لمعنى اسلام الوجه لله عند تفسير قوله تعالى فى سورة البقرة : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . وذكر فى ذلك وجوها .

اولها : ان الوجه اشرف الاعضاء ، من حيث انه معدن الحواس والفكر والتخيل ، فاذا تواضع الاشرف كان غيره بالتواضع أولى .

ثانيها : ان الوجه قد يكنى به عن النفس ، قال الله تبارك وتعالى : « كل شيء هالك الا وجهه » ، وقال : « الا ابتغاء وجه ربه الاعلى » .

ثالثها : أن أعظم العبادات هى السجدة ، وهى انما تحصل بالوجه . فلا جرم خص الوجه بالذكر . ولهذا قال زيد ابن عمرو بن نفيل :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت
له الارض تحمل صخرا ثقالا

وأسلمت وجهى لمن أسلمت
له المزن تحمل عذبا زلالا

فيكون المرء واهبا نفسه لهذا الامر باذلالها .

وذكر الوجه وأراد به نفس الشيء ، وذلك لا يكون الا بالانقياد والخضوع واذلال النفس فى طاعته ، وتجنب معاصيه .

ومعنى : « لله » أى خالصا لله ، ولا يشوبه شرك ، فلا يكون عابدا مع الله غيره ، او معلقا رجاءه بغيره . وفى ذلك دلالة على أن المرء لا ينتفع بعمله الا اذا فعله على وجه العبادة فى الاخلاص والقربة .

وأما قوله تعالى : « وهو محسن » أى لابد أن يكون تواضعه لله بفعل حسن لا بفعل قبيح . وبين أن من جمع بين الامرين : الاخلاص والاحسان ، فله ثواب عظيم عند ربه ، وفوق هذا لا يلحقه خوف من مستقبل ، ولا يناله حزن من الحاضر أو الماضى .

ويقول التنزيل المجيد فى سورة الانعام : « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين » . وهذا الكلام على لسان أبى الانبياء خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام ، أى وجهت عبادتى وطاعتى لربى ، وذلك لان من كان مطيعا لغيره ، منقادا لامره ، فانه يتوجه بوجهه اليه . فجعل توجيه الوجه كناية عن الطاعة .

وانما جعلت وجهى خالصا لله ، لانه الذى أبدع خلق السموات والارض وما فيهن ، وأكمل خلقهم أطوارا .

ويقول الحق جل جلاله فى سورة الاعراف : « قل أمر ربى بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون » :

أى اقبلوا على مساجد الله ، وعلى الصلاة فيها باخلاص . والاخلاص يقتضى تجرد النية ، ولذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « انما الاعمال بالنيات » . ويقول : « ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم » .

والمعنى : أعطوا لربكم توجهكم عند كل مسجد تعبدون الله فيه ، مع صحة النية ، وحضور القلب ، وصرف الشواغل ، وادعوه مخلصين له الدين – ولنتذكر أن كل شيء من اعمال العباد هالك وباطل ، الا ما أريد به وجه الله ، ولذلك يقول القرآن فى سورة القصص : « ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو ، كل شيء هالك الا وجهه ، له الحكم واليه ترجعون » . ويقول فى سورة يونس : « وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين » .

واقامة الوجه هنا كناية – كما يقول الرازى – عن توجيه العقل بالكلية الى طلب الدين ، لان من يريد أن ينظر الى شيء نظرا بالاستقصاء فانه يقيم وجهه فى مقابلته ، بحيث لا يصرفه عنه بالقليل ولا بالكثير ، لانه لو صرفه عنه ولو بالقليل ، بطلت تلك المقابلة ، واذا بطلت فقد اختل الابصار ، فلهذا حسن جعل اقامة الوجه للدين كناية عن صرف العقل بالكلية الى طلب الدين . وحنيفا أى مائلا اليه ميلا كليا ، معرضا عما سواه اعراضا كليا . ويتحقق ذلك بالاخلاص التام ، وعدم الالتفات الى غيره .

ويقول التنزيل الحكيم فى سورة الروم : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لايعلمون » اى اقبل بكلك على الدين ، مائلا عن كل ماعداه والزم فطرة الله وهى فطرة التوحيد . وكذلك يقول فى السورة نفسها : « فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله ، يومئذ يصدعون » .

ويقول الذكر المجيد فى سورة الانسان : « انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » .

وقد جاءت فى تفسير « مفاتيح الغيب » عند هذه الاية الكريمة العبارة التالية : « الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله تعالى ، وتارة يكون لغير الله تعالى ، اما طلبا لمكافأة ، أو طلبا لحمد وثناء ، وتارة يكون لهما ، وهذا هو الشرك . والاول هو المقبول عند الله تعالى ، واما القسمان الباقيان فمردودان . قال تعالى : « لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس » وقال « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله . وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون » .

ولا شك أن التماس الشكر من جنس المن والاذى .

اذا عرفت هذا فنقول : القوم لما قالوا : انما نطعمكم لوجه الله ، بقى فيه احتمال أنه أطعمه لوجه الله ولسائر الاغراض على سبيل التشريك ، فلا جرم نفى هذا الاحتمال بقوله : « لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » .

● ● ●

ولاقامة الوجه لله ثمرات أشار القرآن الى جانب منها حين قال فى سورة البقرة : « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . وفى هذه الاية الكريمة اشارة الى ثلاث ثمرات هى :

١ – نيل الاجر الجزيل ، واستحقاق الكرامة فى دار الاقامة .

٢ – عدم الخوف .

٣ – عدم الحزن .

وتتحقق تلك الثمرات – كما نفهم من النص الكريم – باجتماع أمرين ، هما التوحيد النابع من الايمان الخالص ، واحسان العمل .

واما غير المؤمنين فهم نهب الخوف والحزن ، ولاشك – كما يقول تفسير المنار – ان المخاوف والاحزان تساور الذين لبسوا ايمانهم بظلم الوثنية ، وأساءوا أعمالهم بالاعراض عن الهداية الدينية .

« البقيه ص ٦٩ »

من فضائل علوم القرآن

علم التفسير

مثل الفقيه العالم الذى يفسر القرآن كمثل من يحمل مصباحا فى الظلام يضىء به الطريق لنفسه ولمن يسير معه .

والمفسرون لكتاب الله تفقهوا فى كتاب الله وتدبروا الايات الكريمة بعقيدة راسخة وايمان ثابت وفهم عميق وقلب سليم . فاهتدوا الى الطريق السليم والنور المبين وأوصلوا ما جاء به النبى الامين الى الناس عن فهم ودراية . ولذلك اختصهم الله تعالى بالمدح والتكريم فقرن أسمهم مع أسمه عز وجل . قال تعالى « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم سورة آل عمران آية ٧ .

الأستاذ محمود السعيد الطنطاوى

آداب المفسر للقرآن وشروطه

والرسوخ هو الثبوت فى الشيء . ورسخ الايمان فى قلب الانسان يعنى يرسخ رسوخا أى ثبت ثبوتا قطعيا عن يقين . والنبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه لابن عباس - اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل - متفق عليه .

ولقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . يتفقهون فى القرآن ليعرفوا مقاصده النبيلة . عن أبى عبد الرحمن السلمى . قال : كنا اذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم التى بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها . - والاخبار متواترة عن ابن عمر قال : تعلم عمر ابن الخطاب البقرة فى اثنتى عشرة سنة - يعنى تعلمها حفظا وفهما وتدبرا .

● **مايشترط فيمن يفسر القرآن :**

● أولا : يشترط فيمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يكون تقيا ورعا حافظا للقرآن لانه لا يفسر القرآن من لا يحفظ القرآن ولان القرآن يفسر بعضه بعضا وما أجمل فى مكان فسر فى موضع آخر وما اختصر فى موضع بسط فى موضع آخر :

● ومن أحسن ما قيل فى آداب المفسر وشروطه قول ابن جرير الطبرى : اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولا ولزوم سنة الدين فان من كان مغموسا عليه فى دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ثم لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين . ثم لا يؤتمن على الاخبار من عالم فكيف يؤتمن فى الاخبار عن أسرار الله تعالى .

● وقال الامام الالوسى : الذى ينبغى أن يعول عليه أن من كان متبحرا فى علم اللسان مترقيا منه الى ذوى العرفان وله فى رياض العلوم الدينية أوفى مرتع وفى حياضها أصفى مكرع ، يدرك اعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد وقد غدا ذهنه لما اغلق من دقائق التحقيقات أحسن

اقليد فذلك يجوز له ان يرتقى من علم التفسير ذروته ويمتطى منه صهوته ·

● ثانيا : أن يكون عالما بالسنة النبوية الشريفة الصحيحة واقوال الصحابة · لان السنة النبوية شارحة للقرآن الكريم · فمثلا الصلاة فرضت فى القرآن من غير بيان أوقاتها وأركانها وشروط صحتها فبينت السنة النبوية كل ذلك بالاقوال والافعال · وأيضا الحج فرضه القرآن ولم يبين مناسكه فشرحت السنة النبوية كيفية الحج ومناسكه ، وكذلك أقوال الصحابة لانهم عاصروا نزوله :

● وثالثا : علم اللغة العربية : لانه يعلم اللغة يعرف شرح مفردات الالفاظ واعراب الكلمات · لان الخطأ فى الاعراب يفسد المعنى · وقد روى ابن أبى مليكة قال : قدم أعرابى فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه · فقال · من يقرئنى مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم · قال · فأقرأه رجل براءة · فقال ان الله برىء من المشركين ورسوله بالجار ،فقال الاعرابى أو قد برىء الله من رسوله فان يكن برىء من رسوله فانا أبرأ منه · فبلغ عمر ابن الخطاب مقاله الاعرابى فدعاه· فقال يا أعرابى اتبرأ من رسول الله · فقال يا أمير المؤمنين انى قدمت المدينة ولا علم لى بالقرآن فسألت من يقرئنى فأقرأنى هذه السورة · فقال أن الله برىء من المشركين ورسوله · فقال عمر ليس هكذا يا أعرابى · قال فكيف هى يا أمير المؤمنين · قال « أن الله برىء من المشركين ورسوله » فقال الاعرابى · وأنا والله أبرأ مما برىء الله ورسوله منه · فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ألا يقرىء الناس الا عالم باللغة · وأمر أبا الاسود الدؤلى فوضع علم النحو – وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه – رواهما القرطبى فى مقدمة تفسيره ، وقال ابن عطية : اعراب القرآن أصل فى الشريعة لان بذلك تقوم معانيه التى هى الشرع ، والاجماع منعقد على أن علم اللغة يظهر جمال المعنى ويوضحه ·

● رابعا · علم البلاغة : لانه من أعظم أركان علم التفسير فبه يدرك المفسر ما يقتضيه تأويل الايات القرآنية واعجاز القرآن ، لان المفسر العالم بعلم البلاغة من بيان وبديع ومعانى واستعارة وتشبيه ، يستطيع ان يعرف خواص تراكيب الكلام من جهة افرادها واختلافها وافادتها المعنى وخواص التراكيب فى الكلمات من حيث اختلافها بحسب وضوح دلالتها وخفائها ووجوه محاسن الكلام ·

● خامسا : معرفة أسباب النزول · لان العلم بالسبب يوجب الفهم بالمسبب ومعرفة أسباب نزول القرآن توجب معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ، قال الواحدى · لا يمكن معرفة تفسير الاية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها · فمثلا قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء » سورة المائدة آية ٥١ ، جاء فى سبب نزولها أن عبادة ابن الصامت قال : يا رسول الله ان لى موالى من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم · وانى أبوء الى الله ورسوله من ولاية اليهود وآوى الى الله ورسوله · فقال عبد الله بن أبى : انى رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية اليهود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم · يا أبا الحباب ما تجلب به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه · فقال · قد قبلت · فأنزل الله تعالى فيهما « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين · فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن ياتى بانتاج أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » سورة المائدة آية ٥١ ، ٥٢ ·

وقال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى القرآن ·

● سادسا : معرفة الناسخ والمنسوخ ، لان المحكم والمتشابه لا يعرف الا بهما ·

● سابعا : علم القراءات · قال الزركشى فى البرهان : القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحى المنزل على محمد عليه السلام للبيان والاعجاز ، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما · والقراءات السبع متواترة عند الجمهور ·

وقال ابن شهاب : بلغنى أن تلك الاحرف السبعة انما هى فى الامر الذى يكون واحدا لا يختلف فى حلال ولا حرام · أى تلك القراءات تكون أحيانا فى آية واحدة وفى كلمة واحدة ولكن لا يتغير معناها من حلال الى حرام وعكسه بل المعنى باق ، كمالك يوم الدين ، وفى قراءة ملك يوم الدين ، وكأنعمت عليهم – بكسر الهاء وضمها · والمعنى فى الكل واحد · فاختلاف اللهجات العربية لا يغير المعنى ، اما اذا غيرها فلا يجوز ، وفى السنة النبوية عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم : قال : أقرأنى جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة أحرف – رواه البخارى ومسلم ·

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم · أقرأنيها فكدت ان اعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم · فقلت يا رسول الله انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها فقال · أرسله · اقرأ ياهشام · فقرأ القراءة التى سمعتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم · هكذا أنزلت · ثم قال لى · اقرأ فقرأت فقال هكذا أنزلت ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه – رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى ·

قال الطحاوى : انما كانت السبعة على الناس فى الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم فوسع لهم فى اختلاف اللغات اذا كان المعنى متفقا ·

وقال ابن عطية معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم – أنزل القرآن على سبعة أحرف – أى فيه عبارة سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن · فيعبر عن المعنى مرة بعبارة قريش ومرة بعبارة هذيل · ألا ترى ان فطر معناه عند غير قريش ابتدأ · ولم يعرف ابن عباس المراد منها حتى اختصم اليه أعرابيان فى بئر فقال أحدهما · أنا فطرتها – فقال ابن عباس فهمت حينئذ موقع قوله تعالى « فاطر السموات والارض »وقال أيضا ما كنت أدرى معنى قوله تعالى « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت بنت ذى يزن تقول لزوجها تعال أفاتحك أى أحاكمك ·

● وقال بعض العلماء لا يجوز تفسير القرآن الا لمن كان جامعا للعلوم التى يحتاج اليها المفسر وهى خمسة عشر علما · اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعانى والبديع وعلم القراءات أى وأصول الدين أى الكلام وأصول الفقه وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ للعلم المحكم من غيره والفقه والاحاديث المبينة لتفسير المبهم والمجمل ، وعلم الموهبة وهو علم

« البقية ص ٧٥ »

التشريع الإسلامي

من أحكام
الشريعة الإسلامية وآدابها

العدة

فضيلة الشيخ محمد خاطر

لقد أوضحنا فى مقالاتنا السابقة احكام العده بالتفصيل وسببها وانواعها وتحولها من نوع الى آخر . وقد بقى من أبحاثها التى لم نتعرض لها بعد – تحول عدة الطلاق الى عدة وفاة والعدة بأبعد الاجلين ومبدأ العدة ونهايتها .

وسنوفى هذه الموضوعات بحثا فى هذا المقال ونبين حكمها الذى نختاره ونفتى به .

تحول عدة الطلاق الى عدة وفاة :

قد يطلق الرجل زوجته طلاقا رجعيا ثم يموت ومطلقته لا تزال فى العدة لم تكمل عدة الطلاق بعد فهل تكمل عدة الطلاق فى هذه الحالة أم تتحول عدتها الى عدة وفاة ؟

لقد قرر الفقهاء أن المعتدة من طلاق رجعى فى هذه الحالة وقد توفى زوجها وهى فى العدة تعتد عدة الوفاة ابتداء من وقت وفاة زوجها ، لان المطلقة رجعيا زوجة من كل وجه مادامت فى العدة – ولذا يتوارثان اذا توفى أحدهما وهى فى العدة فينطبق عليها قول الله تعالى : « **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** » .

هذا فى حالة الطلاق الرجعى ، أما اذا طلق الرجل زوجته طلاقا بائنا ثم توفى وهى فى العدة فانها تكمل عدة الطلاق ولا تعتد عدة الوفاة اذ لا يصدق عليها انها زوجة وقت وفاة مطلقها فلا تنطبق عليها الايه المذكورة الخاصة بعدة الوفاة وذلك لان الزوجية قد انقطعت بينها وبين مطلقها من وقت الطلاق البائن ولذلك لا يكون هناك توارث بينهما اذا توفى احدهما وهى فى العدة فى هذه الحالة لعدم وجود سبب الارث بينهما وهو الزوجية وقت الوفاه الا اذا كان قد طلقها وهو مريض مرض الموت وتحققت شروط الفرار من الارث على نحو ما أوضحناه سابقا فى طلاق الفار – وورثت من المتوفى بالفعل فانها فى هذه الحالة تعتد بأبعد الاجلين من عدة الطلاق وعدة الوفاة وهذا هو ما سنبينه بالتفصيل فيما يلى .

العدة بأبعد الاجلين :

قلنا أن الرجل قد يطلق زوجته طلاقا بائنا وهو مريض مرض الموت ثم يموت فى مرضه هذا وهى لا تزال فى العدة وقد تحققت شروط فراره من الارث ورد عليه قصده – واعتبرت وارثة . فهى فى هذه الحالة وقد أعتبرت وارثة من زوجها المتوفى وهى فى العدة أعتبرت زوجيتها قائمة عند وفاته حتى يتحقق سبب الارث بهذا الاعتبار واذ كان الامر كذلك وقد اعتبرت زوجيتها قائمة حين الوفاة فتعتد عدة الوفاة لهذا الاعتبار .

واذا لاحظنا انها مطلقة طلاقا بائنا تكون زوجيتها قد انقطعت من وقت حصول الطلاق فتعتد عدة الطلاق لهذا الاعتبار .

ومراعاة لهذين الاعتبارين وعملا بهما رأى الفقهاء أن المطلقة بالصفة المذكورة تعتد بأبعد الاجلين من عدة الطلاق وعدة الوفاة .

وعدة الطلاق تبتدىء من تاريخ الطلاق وعدة الوفاة من وقت الوفاة .

فاذا فرضنا أن المطلقة كانت من ذوات الحيض وكانت قد حاضت قبل الوفاة حيضتين ولم تحض الثالثة بعد الوفاه حتى انتهت عدة الوفاة فانها تكمل عدة الطلاق مع أن عدة الوفاة قد انتهت – واذا حاضت الحيضة الثالثة بعد الوفاة وقبل انتهاء عدة الوفاة فانها فى هذه الحالة تكمل عدة الوفاة مع أن

عدة الطلاق قد انتهت . وهذا معنى انها تعتد بأبعد الاجلين اى انها تعتد بعدة الطلاق وعدة الوفاة لان أقصرهما داخل فى أبعدهما أما اذا توفى المطلق فى مرض موته بعد انتهاء عدة من طلقها بائنا وهو مريض مرض الموت فانها لا تعتد عدة الوفاة لانقطاع الزوجية بينهما من كل وجه وقت وفاته بانتهاء عدتها منه ولذلك لا ترث منه فى هذه الحالة كما قرر فقهاء الحنفية حتى ولو كان قصده من تطليقها حرمانها من أن ترث منه لانه لا يمكن فى هذه الحالة أن تعتبر الزوجية وهى سبب الارث قائمة وقت استحقاق الارث وهو وقت الوفاة لانقطاعها وقتئذ وعدم بقاء أى أثر من اثارها بانتهاء عدتها منه .

هذا – وقد بحث الفقهاء مبدأ العدة ونهايتها . وهل يشترط فى ابتداء العدة ان تعلم الزوجة بالفرقة بينها وبين زوجها أم لا يشترط ذلك . وان العدة تبتدىء بمجرد وجود سببها وهو الفرقة وتنتهى بانتهاء اجل العدة ولو لم تعلم الزوجة بحصول سبب العدة .

سنبين رأى الفقهاء فى ذلك بالتفصيل فيما يلى :

مبدأ العدةونهايتها :

بالطلاق أو الفسخ أو الوفاة فى النكاح الصحيح تبدأ العدة كما تبدأ بالمتاركة فى الزواج الفاسد . وعلى ذلك تبتدىء العدة بعد الفرقة مباشرة لان العدة سببها الفرقة – ومتى وجد السبب وجد المسبب ولا يشترط فى ابتداء العدة ان تعلم الزوجة بالفرقة بينها وبين زوجها بل تبتدىء العدة بمجرد وجود سببها وهو الفرقة وتنتهى بانتهاء اجل العدة ولو لم تعلم الزوجة حصول سبب العدة وذلك لان العدة عبارة عن مدة حددها الشارع لانتظار المرأة فلا يشترط العلم بمضيها ولا بسببها وهذا هو رأى جمهور الفقهاء وجمهور الصحابة والتابعين . وبناء على هذا الراى قد تبدأ عدة المرأة وتنتهى وهى لا تعلم . لكن مشايخ بخارى وسمرقند من فقهاء الحنفية خالفوا فى ذلك بعدا عن التهمة فكانوا يفتون بأن العدة لا تبتدىء من وقت الفرقة فى النكاح الصحيح الا اذا ثبتت الفرقه بحجة متعدية . اما اذا ثبتت باقرار من الزوج سواء صادقته المرأة على ذلك او لم تصادقه فانها لا تبدأ الامن وقت الاقرار وذلك بعدا عن التهمةفقديتواضعان على الطلاق وانقضاء العدة ليصح اقراره لها بما يريد ان يقربه لها من دين فى حال مرضه مرض الموت او ليتزوج اختها أو رابعة سواها .

وقد علق الكمال بن الهمام على هذا الرأى وقال ان هذه الفتيا التى ذهب اليها مشايخ بخارى وسمرقند من فقهاء الحنفية مخالفة لما نقل عن جمهور الصحابة والتابعين وما ذهب اليه أئمة المذهب . فالواجب ان يتحرى عند الافتاء بذلك محل التهمة فقط والناس الذين هم مظنة هذه التهمة فلا يطلق الامر فى ذلك . ولهذا فصلوا فقالوا اذا كان الزوجان متفرقين تبتدىء العدة من الوقت الذى أسند اليه الطلاق متى كان بعد تفرقهما اما اذا كانا مجتمعين فلا يصـــدقان فى الاسناد للتهمة على أن هذا الخلاف لا يوجد فى فرقة تثبت بحجة متعديه على نحو ما ذكرنا .

وفى حديثنا المقبل ان شاء الله سنبين آراء باقى الفقهاء فى ذلك مع اتمام ابحاث العدة .

بقية مقال « من اخلاق القرآن »

ترى أصحاب النزعات الوثنية أو الالحادية فى خوف دائم حتى مما لا يخيف ، لانهم يعتقدون ثبوت السلطة الغيبية القاهرة لكل ما يظهر لهم منه عمل لايهتدون الى سببه ، ولا يعرفون تأويله .

يستخذون للدجالين والمشعوذين ، ويرتعدون من حوادث الطبيعة الغريبة ، اذا بدا لهمنجم مذنب ،تخيلوا انه منذر يهددهم بالهلاك ، واذا أصابتهم مصيبة بما كسبت أيديهم من الفساد ، توهموا أنها من تصرف بعض العباد . وتراهم فى جزع وهلع من حدوث الحوادث ، ونزول الكوارث ، لا يصبرون فى البأساء والضراء ، ولا ينفقون فى الرخاء والسراء : « **ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون** » .

ويلح التفسير فى البيان فيقول ان هذه حال من فقد التوحيد الخالص ، وحرم من العمل الصالح فى هذه الحياة الدنيا : « **ولعذاب الاخرة أخزى وهم لاينصرون** » .

وانما كان صاحب النزعات الوثنية فى خوف مما يستقبله ، وحزن مما ينزل به ، لان ما اخترعه له وهمه السلطة الغيبية لغير الله التى يحكمها فى نفسه ، ويجعلها حجابا بينه وبين ربه ، لا يمكنه ان يعتمد فى الشدائد عليها ، ولا يجد عندها غناء اذا هو لجأ اليها ، وما هو من سلطتها على يقين ، وانما هو من الظانين او الواهمين .

واما ذو التوحيد الخالص فهو يعلم ان لافاعل الاالله تعالى ، وانه من رحمته قد هدى الانسان الى السنن الحكيمة التى يجرى عليهافى أفعاله . فاذا أصابه ما يكره بحث فى سببه ، واجتهد فى تلافيه من السنة التى سنها الله تعالى لذلك ، فان كان أمرا لا مرد له ، سلم أمره فيه الى الفاعل الحكيم ، فلا يحار ولا يضطرب ، لان سنده قوى عزيز ، والقوة التى يلجأ اليها كبيرة لا يعجزها شىء . فاذا نزل به سبب الحزن أو عرض له مقتضى الخوف ، لا يكون أثرهما الا كما يطيف الخاطر بالبال . ولايلبث ان يعرض لــه الزوال . « **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب** » .

ومن ثمرات اقامة الانسان وجهه لله تبارك وتعالى النجاة والامان ، والترقى الى اعلى الدرجات . والاستمساك بحبل متين لا ينقطع ، لان أوثق الاسباب هو جانب الله ، وكل ما عداه هالك ومنقطع : « **ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى . والى الله عاقبة الامور** » .

اللهم انا نسألك بفضلك وطولك وحولك أن تقيم وجوهنا لك وحدك ، وان ترزقنا الاخلاص فى عبادتك . انك أنت البر الرحيم .

التطبيق المعاصر لزكاة المال

مفهوم إطار الجزية كنظام ضريبي بديل لأهل الذمة

الدكتور شوقي اسماعيل شحاته

فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة المال على المسلمين وفرض الجزية على أهل الذمه ، وزكاة المال والجزيه كلاهما قد أمر الله به رسوله بنص وتختلف الجزية عن الخراج وكلاهما من مال الفيء فى ان الخراج باجتهاد أما الجزية فهى بنص •

قال سبحانه وتعالى ، « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يديبون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » . قال ابو عبيدة « حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال : نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بغزوة تبوك ، قال : وسمعت هشيما يقول : كانت تبوك اخر غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة من الهجرة » . ويقول : حدثنا يحيى بن سعيدالقطان عن سفيان عن منصور - أو خصيف - عن مجاهد فى قوله « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم » قال : من قاتلك ولم يعطك الجزية •

ويقول الماوردى فى كتابه الاحكام السلطانية: « فاما الجزية فهى موضوعة على الرؤوس واسمها مشتق من الجزاء والاصل فيها قوله تعالى « **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ! . وقوله تعالى حتى يعطوا الجزية فيه تأويلان احدهما حتى يدفعوا الجزية والثانى حتى يضمنوها لان بضمانها يجب الكف عنهم • وفى الجزية تأويلان احدهما انها من الاسماء المجملة التى لا نعرف منها ما أريد بها الا أن يرد بيان والثانى انها من الاسماء العامة التى يجب اخراجها على عمومها الا ما قد خصه الدليل •

وهذا ما يعبر عنه فى عالمنا المعاصر بسيادة الدولة وسلطانها ويكون تأويل وهم صاغرون أى وهم خاضعون ومنقادون لسلطان الدولة •

كما يقول الماوردى : ويلتزم ولى الامر لهم ببدلها حقين أحدهما الكف عنهم والثانى الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين •

ويقول : روى نافع عن ابن عمر قال كان آخر ما تكلم به النبى صلى الله عليه وسلم أن قال احفظونى فى ذمتى •

وقال بعضهم فى قوله تعالى « **عن يد** » اى نقدا يدا بيد •

وقال ابو يوسف : والجزية واجبة على جميع أهل الذمة ولا يؤخذ منهم فى الجزيه ميتة ولا خنزير ولا خمر فقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينهى عن اخذ ذلك منهم فى جزيتهم وقال ولوها اربابها فليبيعوها وخذوا منهم اثمانها هذا اذا كان هذا أرفق بأهل الجزية •

ويقول ابو يوسف : ولا تؤخذ الجزية من أعمى لا حرفة له ولا عمل ، ولا من ذمى يتصدق عليه ولا مقعد . والمقعد والزمن اذا كان لهما يسار اخذ منهما كذلك الاعمى . وكذلك المترهبون الذين فى الديارات اذا كان لهم يسار أخذ منهم وان كانوا انماهم مساكين يتصدق عليهم أهل اليسار منهم لم تؤخذ منهم ، وكذلك

أهل الصوامع ان كان لهم غنى ويسار . ولا تؤخذ الجزية من الشيخ الكبير الذى لا يستطيع العمل ولا شىء له . وليس فى مواشى أهل الذمة من الابل والبقر والغنم زكاة والرجال والنساء فى ذلك سواء .

وقال : ولا يحل للوالى ان يدع أحدا من النصارى واليهود والمجوس والصبائين والسامرة الا أخذ منهم الجزية ولا يرخص لاحد منهم فى ترك شىء من ذلك لا يحل ان يدع واحدا ويأخذ من واحد ولا يسع ذلك لان دماءهم وأموالهم انما احرزت بأداء الجزية ، والجزية بمنزلة مال الخراج .

يحدثنا أبو زهرة فيقول : ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما يحن العاشرين الذين يقفون فى مداخل المدن الاسلامية وأقاليم الدولة ومسالحها وارتضى ذلك الصحابة قد قال لهم : خذوا من المسلم ربع العشر ومن الذمى نصف العشر ومن أهل الحرب العشر ولم يجز الاخذ فى أقل من عشرين مثقالا من الذهب أو ما قيمته ذلك من عروض التجارة .

ولا شك أن ما يؤخذ من المسلم زكاة لا ريب فى ذلك وله كل أحكام الزكاة ومصارفها ولكن ما يؤخذ منه لا يعد زكاة الصادر والوارد بل يعد زكاة النقود او زكاة عروض التجارة ولذلك اذا ثبت أنه أدى الزكاة على هذه الاموال التى تمر بالعاشر فانه لا يسوغ للعاشر أن يأخذ شيئا ويثبت الاداء بقول صاحب المال مع يمينه أو بورقة البراءة – أى الايصال – التى تثبت الاداء كما روى الحسن بن أبى زياد اللؤلؤى عن ابى حنيفة رضى الله عنهما ، واذا عاد العاشر بتلك الاموال مرارا فى العام الواحد لا يؤخذ منه الا قدر واحد لا يتكرر بتكرر المرور ، ولو كانت زكاة صادر ووارد لتكررت بتكرر المرور وما ساغ اعفاؤها عند ادعاء أداء الزكاة عنها بالحلف أو باثبات البراءة لانها تؤخذ حينئذ بوصف آخر . وساغ للعاشر أن يأخذ الزكاة من النقود وعروض التجارة للمسلم اذا مرت عليه لان انتقالها من بلد الى آخر يخرجها من مكامن الخفاء الى وضوح الظهور فتنتقل من أموال باطنة الى أموال ظاهرة كما قررنا .

ونصف العشر الذى يأخذه العاشر من أهل الذمة هو من قبيل الجزية أو ما يشبهها ويصرف فى مصارفها ويودع بيت المال الخاص بذلك ، ولذلك لا يعد من الزكاة فى شىء ، لان جمهور المسلمين لا يرون جواز اخذ زكاة من اموال أهل الذمة .

والجزية فى جملتها قائمة مقام الزكاة ، واذا لم تتحد المصارف فقد اتحدت الغاية ، وهى قيام الدولة على أسس متينة من العدالة فى الحكم وفى الاجتماع والاقتصاد وسد حاجة المحتاجين من اى ملة كانوا ، بلا تفريق بين مذهب ومذهب ودين ودين ، فان المسلمين مسئولون عن فقراء أهل الذمة وينفق عليهم من أموال الجزية .

وقد يقول قائل : « لماذا أخذ من أهل الذمة نصف العشر وأخذ من المسلمين ربع العشر ؟ واذا لم يكن ما يؤخذ من الذمى زكاة فلماذا اشترط النصاب وهو عشرون مثقالا من الذهب أو مئتا درهم من الفضة ؟

والجواب عن الجزء الاول انه أخذ من الذمى ضعف ما يؤخذ من المسلم لان المسلم عليه فرائض مالية أخرى يؤديها فعليه زكاة الانعام وليس على الذمى شىء منها ، وعليه زكاة النقود وعروض التجارة سواء انتقل بها من بلد الى بلد ام لم تنتقل ، فكان قانون المساواه يوجب ان يؤخذ من الذمى ضعف ما يؤخذ من المسلم عند الانتقال ، ولعل النصف لا يحقق المساواة تحقيقا كاملا بل مازال على المسلم زيادة لم تعوض .

وأما اشتراط النصاب فلانه هو الحد بين الغنى والفقر ، والفقير لا يؤخذ من ماله شىء فى تكليفات اجتماعية مالية ، ولان ما يؤخذ زكاة او جزية هو فى نظير حماية الاموال وما دون النصاب قدر تافه لا يحتاج الى حماية ، ولذلك جاء فى البدائع ما نصه:«ما دون النصاب قليل لا يحتاج الى الحماية».

وأما العشر الذى يؤخذ من مال الحربى الذى يمر بالديار الاسلامية للاتجار فيرى أبو زهره انه قد ينطبق عليه انه من قبيل الاخذ على الوارد عند مروره ولكن الغاية منه ليست هى الغاية من الرسوم الجمركية فى الازمنة الحاضرة لان السبب فى أخذه هو حمايته وماله ، ولذلك اذا كان ما معه من مال يقل عن عشرين مثقالا من ذهب فانه لا يؤخذ منه شىء لان القليل مال لا يحتاج الى حماية ، وذلك ما قرره عمر رضى الله عنه ووافقه عليه الصحابة فكان اجماعا عند طائفة من الفقهاء .

ويصح أن يتكرر الاخذ من الحربى فى العام الواحد كما يصح أن يؤخذ من الصادر من ديار المسلمين الى غيرها اذا كان الحربى هو الذى يحمل ذلك الصادر ولقد جاء فى كتاب الخراج لابى يوسف ما نصه: « أما الحربى خاصة فاذا أخذ منه العشر وعاد ودخل فى دار الحرب ، ثم خرج بعد شهر منذ أخذ منه العشر مر على العاشر فانه يأخذ منه اذا كان ما معه يساوى مائتى درهم أو عشرين مثقالا ، من قبل انه حيث عاد الى دار الحرب فقد سقطت عنه احكام الاسلام » .

وما يؤخذ من الحربى على ذلك الوجه لا يسمى زكاة ، انما هو من قبيل الفىء والغنائم ، ولذلك يودع فى بيت المال الخاص بها ويصرف فى مصارفها .

اطار الجزية كنظام ضريبى بديل لزكاة المال لأهل الذمة :

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن برسالة فيها : « وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فانه من المؤمنين له مالهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهودية او نصرانية فانه لا يفتن عنها وعليه الجزية » . ويقول أبو عبيد : حدثنا عباد بن العوام عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن شداد . قال : « **كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل صاحب الروم** : «من محمد رسول الله الى صاحب الروم : انى أدعوك الى الاسلام ، فان أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم ، فان لم تدخل فى الاسلام فاعط الجزية ، فان الله تبارك وتعالى يقول « **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** » والا فلا تحل بين الفلاحين وبين الاسلام : أن يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية » يقول ابو عبيد قوله « والا فلا تحل بين الفلاحين وبين الاسلام » لم يرد الفلاحين خاصة ولكنه أراد أهل مملكته جميعا وذلك ان العجم عند العرب كلهم فلاحون لانهم اهل زرع وحرث .

ويقول ابو يوسف : والجزية واجبة على جميع أهل الذمة ، ما خـلا نصـارى بنى تغلب وأهل نجران خاصة ، **وانما تجب الجزيه على الرجال منهم دون النساء والصبيان : على الموسر ثمانيه وأربعون درهما ، وعلى الوسط أربعة وعشرون ، وعلى المحتاج الحراث العامل بيده اثنتا عشر درهما يؤخذ ذلك منهم فى كل سنة** ، وان جاءوا بعرض قبل منهم مثل الدواب والمتاع وغير ذلك ويؤخذ منهم بالقيمة ، **ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذى يتصدق عليه .**

كما يقول أبو يوسف : حدثنا سفيان عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عبد الله بن عباس قال : « **ليس فى أموال أهل الذمة الا العفو** » . **وكانت تؤخذ : ثمانيه واربعين درهما على الموسر مثل الصيرفى والبزاز وصاحب الضيعه والتاجر والمعالج الطبيب وكل من كان منهم بيده صناعة وتجارة يحترف بها أخذ من أهل كل صناعة وتجارة على قدر صناعتهم وتجارتهم** : ثمانية واربعون درهما على الموسر اربعة وعشرون درهما على الوسط ، **من احتملت صناعته ثمانية وأربعين درهما أخذ منه ذلك ومن احتملت أربعة وعشرون درهما أخذ منه ، واثنا عشر درهما على العامل بيده مثل الخياط والصباغ والاسكافى والخراز ومن أشبههم .**

وكتب أبو يوسف : وقد ينبغى يا أمير المؤمنين أيدك الله ان تتقدم فى الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم **ولا يؤخذ شىء من اموالهم الا بحق يجب عليهم** ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « **من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه** » .

ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذى يتصدق عليه وفى ذلك يقول أبو يوسف : « وحدثنى عمر بن نافع عن ابى بكر قال : **مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بباب** قوم وعليه سائل يسأل : شيخ كبير ضرير البصر فضرب عضده من خلفه وقال : من أى اهل الكتاب انت فقال يهودى . قال فما ألجأك الى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن . قال : فأخذ عمر بيده وذهب به الى منزله فرضخ أى اعطاه شيئا ليس بالكثير — له بشيىء من المنزل ، ثم **ارسل الى خازن بيت المال** فقال : **انظر هذا وضرباءه ، فوالله ما انصفناه ان أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم « انما الصدقات للفقراء والمساكين » والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب . وضع عنه الجزية عن ضربائه . قال أبو بكر : انا شهدت ذلك من عمر ورأيت ذلك الشيخ** » .

مقدار الجزية :

ويحدثنا ابو عبيد عن مقدار الجزية فيقول : « هذا عندنا مذهب الجزية والخراج **انما هى على قدر الطاقة من اهل الذمه بلا حمل عليهم ولا اضرار بفىء من المسلمين ليس فيه حد مؤقت الا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كان فرض على أهل اليمن دينارا على كل حالم** فى الاحاديث التى ذكرناها فى كتبه الى معاذ وقيمة الدينار يومئذ انما كانت عشرة دراهم او اثنى عشر درهما ؟ **فهذا دون ما فرض عمر رحمه الله على أهل الشام وأهل العراق . وانما وجه هذا منه أنه انما زاد عليهم بقدر يسارهم وطاقتهم .** وقد روى عن مجاهد مثل ذلك . وقال ابو عبيد : بلغنى عن سفيان ابن عيينة عن ابى نجيح قال : **سألت مجاهدا : لم وضع عمر على اهل الشام من الجزيه اكثر مما وضع على اهل اليمن ؟ فقال : لليسار** . قال ابو عبيد : والذى اخترناه ان **عليهم الزيادة كما يكون لهم النقصان ، للزيادة التى زادها عمر على وظيفة النبى صلى الله عليه وسلم ، وللزياده التى زادها هو نفسه حين كانت ثمانيه واربعين فجعلها خمسين .**

ويقول أبو عبيد : ولو عجز أحدهم لحظة عن دينار لحطه من ذلك حتى لقد روى عنه أنه اجرى على شيخ منهم من بيت المال ، وذلك أنه مر به شيخ وهو يسأل على الابواب . وتبعه عمر بن عبد العزيز . وقال حدثنا محمد بن كثير عن ابى رجاء الخرسانى عن جسر ابى جعفر . قال شهدت كتاب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطأة — قرىء علينا بالبصرة : أما بعد فان الله سبحانه انما أمر ان تؤخذ الجزية

على من أطاق حملها . وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فاجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه .

وقال ابو يوسف : انه ليس فى شىء من أموال أهل الذمة زكاة الا ما اختلفوا به فى تجارتهم فان عليهم نصف العشر متى بلغ مائتى درهم أو عشرين مثقالا من الذهب او قيمة ذلك من العروض للتجارة .

ويقول **الماوردى : واختلف الفقهاء فى قدر الجزية : فذهب ابو حنيفة الى تصنيفهم ثلاثة أصناف أغنياء** يؤخذ منهم ثمانية وأربعين درهما **وأوساط** يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهما **وفقراء يؤخذ** منهم اثنا عشر درهما فجعلها مقدرة الاقل والاكثر دفع من اجتهاد الولاة فيها .

وقال مالك لا يقدر أقلها ولا أكثرها وهى موكولة الى اجتهاد الولاة فى الطرفين .

وذهب الشافعى الى انها مقدرة الاقل بدينار ولا يجوز الاقتصار على اقل منه وغير مقدرة الاكثر يرجع فيه الى اجتهاد الولاة ويجتهد رايه فى التسوية بين جميعهم أو التفضيل بحسب أحوالهم .

اسقاط عمر بن الخطاب الجزية عن نصارى بنى تغلب ومضاعفة الزكاة عليهم

ويقول أبو يوسف : وفى شأن نصارى بنى تغلب : حدثنا ابو حنيفة عمن حدثه عن عمر بن الخطاب انه اضعف الصدقة على نصارى بنى تغلب عوضا من الخراج — ضوعفت عليهم الصدقة فى اموالهم وأسقطت الجزية عن رؤوسهم .

ويقول أبو عبيد . « وقبل منهم الامـوال لم يجعلها جزيه كسائر ما على أهل الذمه ولكن جعلها صدقه مضاعفه وانما استجازها فيما نرى وترك الجزية لما راى من نفارهم وانفهم منها فلم يأمن شقاقهم ولحاقهم بالروم فيكونوا ظهيرا لهم على أهل الاسلام ، وعلم أنه **لا ضرر على المسلمين من اسقاط ذلك الاسم عنهم مع استيفاء ما تجب عليهم من الجزية فاسقطها عنهم واستوفاها فهم باسم الصدقة حين ضاعفها عليهم فكان فى ذلك رفق ما خاف من فتقهم مع الاستيفاء لحقوق المسلمين فى رقابهم : وكان مسددا .**

ويقول ابو عبيد : فالذى يؤخذ من بنى تغلب وان كان يسمى صدقة فليس بصدقة لما اعلمتك ولا يوضع فى الاصناف الثمانية انما موضعها موضع الجزية » .

ويقـول المـاوردى : « فـان صـولحوا على مضاعفة الصدقة عليهم ضوعفت كما ضاعف عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع تنوخ وبهراء وبنى تغلب بالشام »

ومن كل ما تقدم يبين لنا أن الجزية ليست بالتأكيد عقوبة على اهل الذمة لعدم اسلامهم او لحملهم على الاسلام ولكنها نظام ضريبى بديل فرض على أهل الذمة ليتحمل جميع المواطنين المتساوين فى الدولة بنصيب من الاعباء الضريبية تحقيقا لمبدأ العمومية فى الضريبة والاستقطاع الضريبى ، والعدالة تقتضى أن يسهم كل مواطن بنصيب عدل فيتحمل أعباء الدولة تبعا لمقدرته على المدفع ويساره بقصد تمويل الاعباء العامة وبقصد احداث آثار اقتصادية او اجتماعية معينة . والجزية فى رايى ضريبة على الاموال — وان كانت تربط على الاشخاص والرؤوس — واطـارها العام هو اطار الضرائب على الدخل أو الايراد للاسباب الاتية :

١ — أنظر الى قول ابن عباس « ليس فى أموال أهل الذمة الا العفو » والعفو هو الفضل والزيادة على راس المال أى الايراد أو الدخل » .

٢ — أنظر الى قول أبى يوسف ان الجزية تؤخذ من أهل كل صناعة وتجارة على قدر صـناعتهم وتجارتهم . وقد ذهب الحنفية الى تقسيم أصحاب الدخول الخاضعين للجزية الى ثلاثة اصناف حسب يسارهم ومقدرتهم المالية وطاقتهم الضريبية أغنياء أو موسرين يؤخذ منهم ٤٨ درهما ، وأوساط يؤخذ منهم ٢٤ درهما ، العاملين بأيديهم ويؤخذ منهم ١٢ درهما . وأما المالكية فلا يقدرون أقلها ولا أكثرها فهى موكولة الى اجتهاد الولاة . وكذلك الشافعية يرون أن أقل الجزية مقدر بدينارا اما اكثرها فغير مقدر يرجع فيه الى اجتهاد الولاة فى التسوية أو التفضيل حسب الاحوال .

وقد اختلفت مقادير الجزية من زمان لاخر ومن مكان الى مكان بقدر اليسار والطاقة وقد زاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجزية على أهل الشام والعراق عن أهل اليمن لليسار .

٣ — ان الجزية لا تؤخذ من المسكين انما يجرى عليه من بيت المال ما يصلحه .

٤ — ان الجزية — كما يقول الشيخ أبو زهرة — فى جملتهـا قائمة بالنسـبة لاهـل الذمة مقام الزكاة للمسلمين ، واذا لم تتحد المصارف فقد اتحدت الغاية وهى قيام الدولة على اسس متينة من العدالة فى الحكم وفى الاجتماع والاقتصاد وسد حاجة المحتاجين من أى ملة كانوا بلا تفريق بين مذهب ومذهب او دين ودين .

٥ — ان المسلم مخاطب بزكاة المال كفرع من فروع الشريعة الاسلامية وركن من اركان الاسلام والزكاة

للمسلم فريضة من فرائض الاسلام وعبادة دينية مالية يستهدف بها المثوبة والجزاء من الله فى الدنيا والاخرة أما أهل الذمة فلا يخاطبون بها كعبادة لعدم اسلامهم انما يخاطبون بالجزيه كنظام ضريبى بديل لزكاة المال حتى يتحملو بنصيب عادل من الاعباء الضريبية فى الدولة (*)

جواز تطبيق نظام زكاة المال كتنظيم ضريبى موحد على جميع المواطنين مسلمين وغير مسلمين

وانطلاقا مما فعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع نصارى بنى تغلب من مضاعفة الزكاة عليهم فى أموالهم واسقاط الجزية عنهم وانه قد استجاز ترك الجزية واسقاط ذلك الاسم عنهم لاهداف سياسية واجتماعية مع استبقاء ما يجب عليهم من الحقوق المالية واستيفائها منهم باسم الزكاة ذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه علم - كما يقول ابو يوسف - انه لا ضرر على المسلمين من اسقاط ذلك الاسم عن نصارى بنى تغلب مع استيفاء ما يجب عليهم باسم الزكاة وقد ضاعف عليهم الزكاة أخذا فى الاعتبار أن اهل الذمة لم يكن يستعان بهم فى ذلك الحين فى جيوش المسلمين ،وقد وجدنا من سنن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نص ذمة عنه ان من استعين به من اهل الذمة فى جيوش المسلمين لايدفع جزية .لذلك كله ولما كان اهل الذمة ينخرطون الان فى سلك القوات المسلحة ولهم فى مجتمعنا المعاصر من الحقوق والواجبات ما لنا سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا كمواطنين متساوين فى الدولة ، وتأسيسا على أن زكاة المال حق يتعلق بالمال نفسه ، وتحقيقا لتحمل جميع المواطنين فى الدولة بنصيب عادل من الاعباء الضريبية ارساء لمبدأ العمومية فى الضريبة ولمبدأ العدالة فلا مانع من جواز اخضاع جميع المواطنين فى الدولة لتنظيم ضريبى موحد قوامه نظام زكاة المال لكن المسلم لاسلامه يخاطب بزكاة المال كفرع من فروع الشريعة الاسلامية وركن من أركان الاسلام ولا يكمل ايمان المسلم الا بالزكاة يؤمن بها كعبادة دينية وفريضة من فرائض الاسلام يؤديها طيبة بها نفسه ويعتبرها مغنما لا مغرما ويحمد الله على التوفيق لادائها راجيا المثوبة والجزاء من الله فى الدنيا والاخرة ، وهذا الهدف وهو هدف العبادة فى زكاة المال غير قائم بداهة بالنسبة لغير المسلم لعدم اسلامه ، اما بالنسبة لغير المسلم فهى نظام عام .هذا ومقدار الجزية كما سبقت الاشارة اليه عند الشافعية والمالكية موكول تقديره الى اجتهاد ولاة الامر .

أما بالنسبة للاجانب فقد كتب القاضى أبو الحسن الماوردى يقول : « ولاهل العهد اذا دخلوا دار الاسلام الامان على نفوسهم وأموالهم ولهم أن يقيموا فيها أربعة أشهر بغير جزية ولا يقيمون سنة الا بجزية وفيما بين الزمنين خلاف . **والتشريعات المعاصرة** **للضرائب تتعدى الى الاجانب الذين يقيمون فى البلاد او يمرون بها على درجات تتفاوت وارتباطهم بالمجتمع الذى يقيمون فيه ومدى بقاء هذا الارتباط .**

وفى رسالة الماجستير المقدمة الى كلية التجارة بجامعة الازهر فى الزكاة والهيكل الضريبى فى الفكر الاسلامى انتهى الباحث فى مشروع قانون زكاة الذى يقترحه الى أن :

الزكاة نظام عام يخاطب به جميع رعايا الدولة مسلمين وغير مسلمين بوصفهم ملاكا لاموال ، وهى فريضة مالية بالنسبة للجميع ، غير انها فى ذلك بالنسبة للمسلمين عبادة دينية وركن من اركان الدين الاسلامى الحنيف .

واستند فى ذلك الى أن الزكاة تكليف متعلق بالمال ، والى أن الهيكل الضريبى الاسلامى فى ظل ظروفنا الحاضرة ينبغى أن يتأسس على الزكاة بالاضافة الى الانفاق فى سبيل الله كمرحلة الزامية تتيح للدولة فرض ضرائب أخرى غير الزكاة والى ما فعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع نصارى بنى تغلب ، وان معيار التفرقة فى صدر الاسلام هو أن المسلمين كانوا يدافعون عن دين الله أما أهل الذمة فلم يكونوا يسهمون معهم فى تلك الحروب ، أما الان فالكل ينضم الى القوات المسلحة دون تفرقة بين مسلم أو غيره دفاعا عن أرض الوطن وتحقيقا لسيادته ، الا أن الزكاة بالنسبة للمسلم فوق أنها ضريبة مالية فهى عبادة دينية .

مشروع قانون مقدم الى مجلس النواب المصرى فى عام ١٩٤٨ بفرض الزكاة على المصريين أيا كانت دياناتهم

وقد نص مشروع القانون بفرض الزكاة المقدم الى مجلس النواب المصرى فى ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م والذى قام بوضعه وصياغة مواده وتفسيرها الاستاذ محمد ابو زهرة أستاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة مع لفيف من أساتذة الازهر الشريف الاجلاء بكلية أصول الدين نص فى مادته الثانية على سريانه على جميع المصريين وعلى جميع الاموال الخاضعة لسيادة الدولة أيا كان مالكها .

وجاء فى مذكرته التفسيرية عن تلك المادة ما يأتى :

« تنص هذه المادة على أن **الزكاة تؤخذ من المصريين أيا كانت دياناتهم وأيما كانت أملاكهم فى** داخل الديار ام خارجها كما تؤخذ عن الاملاك الخاضعة لسلطان الدولة أيما كان مالكها سواء أكان مقيما بمصر أم كان مقيما خارجها .

ونرى فى هذا ان الزكاة تؤخذ من المسلم وغير المسلم وذلك لاننا لاحظنا الامور الاتية :

١ - أن **الزكاة تكليف على المال** فتؤخذ من المكلف وغير المكلف أن تؤخذ من المجنون والصغير بل حتى قال أحمد بن حنبل تؤخذ من مال الجنين . وذلك لان

الائمة الثلاثة مالكا والشافعى واحمد اعتبروها كذلك ، ولذلك تؤخذ عندهم من مال كل مسلم من غير اشتراط نية او تكليف واشترط ابو حنيفه النيه والتكليف فى غير الزروع والثمار .

٢ – أن الذميين كانت تؤخذ منهم فى الماضى جزية والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لا تسمح الان بفرضها فكان حقا علينا أن نعالج الامر فوجدنا الطريق معبدا منيرا ، اذ وجدنا **الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو العبقرى الذى لم يفر فرية أحد فى الاسلام قد كان فى حال تشبه حالنا بالنسبة لنصارى بنى تغلب فأخذ من أموالهم ضعف ما يؤخذ من اموال المسلم وسمى فقهاء المسلمين ذلك صدقه كما جاء فى كتاب الخراج لابى يوسف وغيره** وكان حقا علينا ان نأخذ من الذميين اليوم ضعف ما يؤخذ من المسلم ولكن المساواه فى الحقوق والواجبات بين المصريين التى اوجبها الدستور حالت دون ذلك وما لا يؤخذ كله لا يترك كله .

٣ – ان الاموال التى تحميها السيادة المصرية وتنمو من دخل المصريين يجب أن يفرض فيها زكاة **ولو كان ملاكها أجانب لاننا جعلنا الزكاة تكليفا ماليا فهى تتبع المال ولا تتبع المالك ولاننا لو أعفينا الملاك** الاجانب من الزكاة وأخذناها من أموال المصريين لكان ذلك بخسا للمال المصرى وتنمية بغير الحق للمال الاجنبى ، فكان من **العدل الاقتصادى أن تكون هذه الاموال على سواء بالنسبة لفريضة الزكاة** ولان هذه الاموال تنمو وتزيد من اموال المصريين فحق عليها أن تؤخذ منها الزكاة التى تؤخذ من كل مصرى . والله ولى السداد والرشاد » .

مشروع قانون آخر مقدم لوزارة الشئون الاجتماعية « من لجنة توحيد المذاهب الاسلامية » بفرض الزكاة على كل قاطن بالوطن

كما تقدمت لجنة توحيد المذاهب الاسلامية الى وزاره الشئون الاجتماعية والى الازهر الشريف بمشروع قانون بفرض الزكاة ينص فى مادته الثالثة عشرة على انه « **تجبى الزكاة جبرا من كان قاطن بالوطن على حسب المبين بالمواد السابقة** » .

وسوف نناقش فى البحث القادم باذن الله موضوع الزكاة والهيكل الضريبى الاسلامى فى عالمنا المعاصر .

والله الموفق والمستعان .

« بقية مقال « من فضائل علوم القرآن »

يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم واليه الاشارة بحديث النبى – من عمل بما علم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم – من كتاب كشاف اصطلاحات القانون للتهانوى .

● **التفسير الذى نحن فى حاجة اليه فى هذا العصر .**

القرآن الكريم هو المصدر الاول للشريعة الاسلامية التى جاءت خاتمة الشرائع كلها . لذلك جاء القرآن كتاب عقيدة وشريعة وعلم وعمل ومكارم أخلاق ، وأحكام وحكم ومواعظ وعبر . للناس أجمعين كما ورد الخطاب فيه لكل الناس فى أكثر من آية كريمة يقول «**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** » سورة البقرة آية ٢١ ، «**يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم** » سورة النساء الاية ١٧٠ ، « **يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم** » سورة يونس ٢٣ ، وفهم القرآن واجب على كل الناس ، وتدبر معانيه ومعرفة مقاصده ، لان القرآن خاطب العقل الانسانى ، والمشرع الاول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذى فتح باب التفسير فكان يفسر للصحابة ما يسألونه عنه . ودعا لابن عباس بان الله تعالى ينعم عليه بالتفقه فى الدين وعلم تأويل القرآن الكريم تاويلا لا يخالف جوهر الشريعة الاسلامية – وقد قام فريق من العلماء من عصر الصحابة الى عصرنا هذا بتفسير القرآن الكريم حسب فهمهم وعلى قدر طاقتهم حتى اصبح لدى المسلمين موسوعات ضخمة باعداد كثيرة من التفاسير فى مختلف العصور ، ولكن حاجة المسلمين ما زالت تتطلب تفسيرا جامعا لبحوث قرآنية يكون القرآن أصلا تعتمد عليه هذه البحوث كالعقيدة ، والنظر فى الكون ، والعلم والعلوم العملية . والعمل لعمران الحياة وسعادة الناس . وبيان الضوابط والروابط التى تقيم مجتمعات متماسكة يتمتع الناس فيها بالطيبات من الرزق فى ظل المحللات الدينية ،وبيان عدالة الاسلام وسماحته ونظام المواريث كما جاء فى القرآن، بشرط ان تقوم هذه الابحاث على منهج البحث العلمى الذى يبين للناس صلاحية القرآن لكل العصور ، لان اول اهداف القرآن هى اطلاق حرية الفكر المسئول واحترام العقل السليم الذى يفهم ويتدبر ويأتى بتأويلات للقرآن لاتخالف جوهر الشريعة الاسلامية ، وقد كان الامام محمد عبده رحمه الله يتخذ من عقله السليم المثقف المتفقه اساسا للنظر فى الايات القرآنية الكريمة وفهمها ، فكان يغتنم فرصة تفسير الايات القرآنية . وعندما يقوم بتفسير آيات من القرآن لها صلة بالقضايا الاجتماعية . يفيض بالبحث والدراسة والمواعظ والعبر فى الوضع الاجتماعى للمسلمين . فمثلا عند تفسيره لقول الله تعالى « **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » من سورة العصر تحدث عن تطبيق ذلك التواصى بالحق والتواصى بالصبر على مجتمع المسلمين وبين مانتج عن فقدان الصبر فى حياة طلاب العلم والقائمين بأمر الدعوة واصحاب المهن من جهل وفقر وبطالة واضطراب احوال وتأخر للمجتمع .

فالتفسير الذى نحن فى حاجة اليه هو تفسير القرآن تفسيرا علميا لايخالف جوهر الاسلام ويتعرض لكل المشاكل والقضايا التى تشغل اذهان الناس ليعلم الناس ان القرآن هو الاصل فى كل البحوث العلمية وانه منبع العلوم الذى لايشبع منه العلماء وان من عمل به فقد اهتدى الى الصراط المستقيم ومن حكم به عدل ، وباب التفسير مفتوح لعلماء كل عصر فى كل مكان .

الحجر وأحكامه

١٤ ـ الحجر وأحكامة

الحجر هو منع المحجور عليه لمدة زمنية معينة ـ تنتهى بزوال سبب الحجر ـ من التصرف فى كل أو بعض ما له واسباب الحجر اما ان تكون عامة واما ان تكون خاصة بما زاد على الثلث . فالاسباب العامة هى اسباب الفلس الاعم والاخص وقد تناولناها فى بحث سابق عن الفلس وأحكامه واما الاسباب الاخرى فهى الجنون بصرع او استيلاء وسواس . وعدم بلوغ سن الرشد والسفه أى تبذير المال . والمرض المتصل بموت ونكاح زوجة فالزوج يحجر عليها فيما زاد على الثلث وليس لها حجر على زوجها .

الدكتور محمد عبد المنعم خميس

الجنون : فالمجنون بما ذكر محجور عليه ـ والحجر لابيه أو وصيه أن وقع جنونه قبل بلوغه والا فللحاكم ان وجد منتظما والا جماعة المسلمين . ويمتد الحجر عليه للافاقة من جنونه ـ ثم ان افاق رشيدا انفك حجره بلا حكم فان كان فاق صبيا أو سفيها حجر عليه لاجلهما .

عدم بلوغ سن الرشد : فالصبى محجور عليه لمن ذكر لبلوغه رشيدا فان بلغ سفيها حجر عليه للسفه فى الولد ذى الاب . ولا يحتاج لفك حجره وفك الوصى وفك المقدم عليه من القاضى .

والحاصل ان الصبى اذ رشد بحفظ ماله لا يحتاج الى فك الحجر عنه من أبيه بخلاف المقدم والوصى فيحتاج ان يقول للعدول ـ اشهدوا انى فككت الحجر عن فلان واطلقت له التصرف لما قام عندى من رشده وحسن تصرفه ـ فتصرفه بعد الفك لازم ولا يرد ولا يحتاج لاذن الحاكم فى الفك ـ وزيد على البلوغ والرشد وفك الوصى والمقدم فى الانثى دخول زوجها بالفعل وشهادة العدول بحفظها مالها . وللولى ـ اب او غيره رد تصرف سفيه او صبى مميز بمعارضة بلا اذن وليه كبيع وشراء وهبه ثواب والا يكن بمعارضة كهبة وصدقة تعبن على الولى رده كاقرار المحجور عليه بدين فى ذمته وللمميز رد تصرف نفسه قبل رشده ان رشد حيث تركه وليه لعدم علمه ببلوغه او سهوه او للاعراض عن ذلك لغير مصلحة أو لم يكن له ولى . ولو حنث بعد رشده . كما لو حلف حال صغره انه اذا فعل كذا فزوجته طالق ففعله بعد رشده فلا يلزمه الطلاق وله امضاؤه ـ أو وقع تصرفه حال صباه صوابا فله رده بعد رشده وامضاؤه حيث تركه وليه الا كدرهم لعيشه فلا يحجر عليه فيه ولايرد فعله الا أن لايمس التصرف فيه . وضمن الصبى ولو غير مميز ما أفسده من مال غيره فى الذمة فيؤخذ ما افسده من ماله الحاضر ان كان له مال والا اتبع بما فى الذمة الى وجود مال ان لم يؤمن الصبى على ما اتلفه والا فلا ضمان عليه لان من أمنه قد سلطه على اتلافه فان كان الذى أمنه عليه هو رب المال فقد ضاع هدرا وان كان غيره فعلى المؤمن الضمان لتفريطه .

والمشهور فى المجنون والصبى غير المميز اذا اتلفا مالا أو حصل منهما جنايه ولو على نفس ايهما يضمنان المال فىذمتهما والدية علىعاقليهما ان بلغت الثلث والا فعليهما فى مالهما حيث وجد لتعلقهما بالذمة .

السفه : هو التبذير أى صرف المال فى غير ما يراد له شرعا . ويفسر بانه صرف المال فى معصيه كخمر وقمار او بصرفه فى بيع أو شراء بغبن فاحش بلا مصلحة تترتب عليه بأن يكون شأنه فى غير مبالاة او صرفه فىشهوات نفسانية علىخلاف عادة فى مثله فى مأكله او مشربه وملبوسه ومركوبه او باتلافه هدرا كأن يطرحه على الأرض او يرميه فى بحر ولا يتصدق .

والسفيه مثل الصبى المميز فى جميع ما تقدم — وللولى رد تصرفه واستثنى من ذلك استثناء منقطعا لان غالبه لا يدخل فى احكام الصبى وهو **الطلاق** فانه يلزمه بخلاف الصبى فلايلزمه وللولى ردهوله هو آن رشد — والا **استلحاق نسب** بأن يقول هذا ولدى ونفيه **النسب** بلعان فلازم له ليسلوليه رده — وهذه الثلاثة لا تتصور فى الصبى . **والا قصاصا ثبت عليه بالبينة فيلزمه** ويقتص منه بخلاف الصبى فالديه على ما تقدم . والا عفوا من قصاص ثبت له على جان عليه او على وليه فانه يلزمه ولا يرد والا **الخطا العمد** الذى يتعين فيه المال كالجايفه فليس له العفو لانه من المال بخلاف الصبى فليس له عفوا مطلقا . **والا اقرار بعقوبه** فيلزمه الحد بخلاف المجنون فى الجميع فلا يلزمه شىء من ذلك كالصبى — **والديه ان بلغت الثلث** فاكثر على عاقلته والا فعليهما كالمال . وتصرف الذكر السفيهالمحقق السفه قبلالحجر عليهكان مهملا ولا يرد لان علة الرد الحجر عليه وهــو مفقود . بخلاف الصبى فانه غير ماض وله رده أن رشــد وبخلاف الانثى المهملة فتصرفها مردود ولو تزوجت الا ان يدخل بها زوج ويطول مكثها معــه ، وتصرف السفية بعد الحجز عليه مردود وله حسنتصرفهمالم يحصل الفك عنه من ولى او حاكم أو مقدم .

المرض الذى ينشا معه الموت :يحجر على المريض ذكرا او انثى سفيها او رشيدا اذا مرض مرضا ينشأ عنه الموت عادة وان لم يغلب الموت عنه . والحجر للوارث . ولا حجر بمرض خفيف نحو رمد وصداع وحمى خفيفه ومرض بيد أو رجل من كل ما لا ينشأ عنه الموت عادة ويحجر على المريض فى تبرع كهبة وصدقة وحبس ووصية اذا زاد على ثلث ماله لا فى الثلث فدون — ومثل ذلك كان تزوج المريض اذا زاد المهر على الثلث ويفسخ قبل البناء ولا شىء لها — وبعده لها الاقل من المسمى وصداق المثل أو الثلث ان مات . وكان تخالع المريضة زوجها بأكثر من ثلثها فان صحت مضى وان ماتت من مرضها فللوارث رد ما زاد على الثلث — لا تعاون من مرضه فلا حجر عليه فيه ولو زاد وأولى مؤنته ومؤنة من تلزم نفقته ولا حجر عليه فى معارضة ماليه كبيع وشراء وقرض وقراض ولو بدون الثلث حتى تظهر حالة من موت او حياة الا بمال مأمونه أى المأمون العقار من ارض وما اتصل بها من شجر وبناء فلا يوقف بل ينجز . فان مات المريض الذى اوقف وقف تبرعه غير المأمون فمن الثلث مما وجد وقت التنفيذ قل او اكثر فان صح مضى جميع ما تبرع به .

الحجر على الزوجة : الحجر على الزوجة الحرة الرشيدة لزوجها فقط — اما الامة والسفيهه فالحجر عليهما مطلقفىتبرع زائد علىثلثها . ولو كان تبرعها الزائد حاصلا بكفالة أى ضمان لغير زوجها فله رده الا ان ضمنته فليس له رده . وتبرعها بالزائد ماض حتى يرد الزوجه جميعه أو ما شاء منه . وقيل مردود حتى يجيز هو على المشهور فيمضي اذا لم يعلم الزوج به حتى بانت منه او مات احدهما كمدينتبرع بشىء او باع شيئا ولم يعلم غريمه الذى احاط دينه بذلك ثم وفى دينه الذى لغريمهفتبرعه ماض وليس للغريم ولا لغيره بعد وفاء الدين كلام . وللزوج رد جميع ما تبرعت به ان تبرعت زوجته بزائد على الثلث الا ان تبرعت بالثلث فدون أى فله رد ما زاد فقط بعضه وله امضاء الجميع . واذا تبرعت الزوجة بالثلث ليس لها تبرع بعد ذلك الثلث الا ان يبعد الزمن بعد التبرع بهلنصف سنة فاكثر فلها التبرع من الثلثين الباقيين كان البعد صيره ما لا براسه لم يتقدم فيه تبرع . والا يبعد فليس لها — وله الرد ان تبرعت .

الدين

أساس القانون الإسلامي

الشريعة الاسلامية تقوم على الدين ، فهو أساسها وعلى هديه تسير • وفقهاء المسلمين مهما تشعبت مسالكهم واختلفت مناهجهم يتجهون جميعا صوب الدين ، وينهلون من عذبه ، ويربطون بين ما يستنبطون والوحي المنزل على لسان النبي المرسل بأسباب تقصر وتطول وتقرب وتبعد •

ومن يحاول أن يفهم الشريعة الاسلامية على أنها قوانين مجردة ومعالجات لاصلاح طوائف المجتمع وتنظيم معاملاتهم من غير أن يربطها بالاسلام ، فلن يفهمها على وجهها الصحيح ، لان الفهم المستقيم ما قام على رد الفروع الى أصولها ، والنتائج الى مقدماتها والاحكام الى غاياتها والاراء الى مقاصد قائليها ، وأن من يحاول هذه المحاولة كمن يتصور أن ثمرا يكون من غير شجر •

• المستشار أحمد محمود خليل •

وفى كون الفقه الاسلامى مستمد ينابيعه من الدين ، فهو أمكن فى الضمير وأقر فى النفس يطيعها الناس لا بعصا السلطان ولكن بصوت القلب ورهبة الديان ورغبة فى النعيم فتكون الطاعة لتنمية نوازع الخير وتطهير النفس من نوازع الشر •

وجعل القوانين مستمدة من الدين من شأنه ان يقلل القرارمن احكامها لان الناس يستشعرون الخشية من الله اذ يحاولون الفرار ويحسون من داخل نفوسهم مراقبة اللـه ، اذا ضعفت مراقبة الانسان •

وربط القانون الاسلامى بالدين جعله مرتبطا كل الارتباط بقانون الاخلاق ، وبما اتفقت عليه الجماعات الانسانية قاطبة على أنه فضـائل ، فكانت الشريعة الاسلامية بحق أول قانون تلتقى فيه الشريعة بالاخلاق ، ومن قبلها كان ذلك حلما للفلاسفة والمصلحين ، عبثا حاولوا تطبيقه •

واستمداد الفقه الاسلامى ينابيعه من الدين جعله شاملا فى سلطانه للراعى والرعية ، وجعل القانون مسيطرا على الحاكم والمحكوم ، فكان من حق الناس ان يقولوا للحكام انتم مقيدون بأحكام الشريعة ، وانتم مسئولون عن تنفيذها وذلك فى ازمان كانت سلطة الحكام مطلقة بلا قيد ولا نظام يضبطها ، فكانت الشريعة بارتباطها بالدين قيدا على الحاكم وتهذيبا للمحكوم •

ومن اجل أن الشريعة الاسلامية تستمد سلطانها من الدين وجب ونحن نتقصى ادوارها ونتتبع مدارجها ان نرجع الى زمن الوحى والرسول ينزل الله عليه هذا الدين الكريم ، فأول دور من أدوار الفقه الاسلامى كان فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن الفقه فى هذا الدور من عمل الناس ، بل كان المرجع الرسول عليه السلام ، يستفتونه بوحى من الله بقرآن ينزل او بوحى يوحى او باجتهاده عليه السلام ثم يقره الله تعالى عليه ، وان كان خطأ نبهه الله الى الصواب فيه • ومن ثم فقد حق القول بان القانون الاسلامى فىعصر النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتمد على القرآن الذى نزل على النبى صلوات الله عليه وعلى اقوالهوفتاويه واحكامه عليه السلام • ونتكلم فى كل من هذين القسمين كلمة •

القرآن الكريم: هو معجزة النبى صلى الله عليه وسلم الكبرى ، نزل به الروح الامين على النبى عليه السلام فى ثلاثة وعشرين عاما ، تنزل

عليه الاية أو الايات لما يناسبها من موضع الدعاية أو مقام لهداية أو احداث اجتماعية لتكون تلك الاحداث مبينة لمرماها ، وليكون الناس على بينة من حكمة الشريعة فيها ، وليكون المؤمنون أكثر اقبالا عليها ، اذ تنزل وقت الحاجة اليها وكثيرا ماكانت تنزل الاية بعد تكرار السؤال فى موضوعها ، فيكون معناها متمكنا فى الناس أفضل تمكين .

وفى القرآن سور مكية واخرى مدنية ، فالمكية ما نزلت بمكة ، والمدنية ما نزلت بالمدينة ، والسور المكية تتصدى فى اكثر ما تتصدى له لبيان الاصول الاولى للاسلام فتبين العقيدة الاسلامية وأساس الوحدانية وتجادل المشركين ثم تبين بعض العبادات التى تؤكد عقيدة التوحيد ، وتثبتها فى القلوب ولا تتصدى الا قليلا لبيان الشرائع التى تنظم المدنية والاسرة ، وتربط الجماعة الانسانية بأواصر من المودة والرحمة . وحكمة ذلك جلية واضحة ، فان المسلمين الاولين كانوا مستضعفين فى الارض ولم تكن قد تكونت منهم وحدة اجتماعية تستقل بشئون نفسها ، ويشرع لها من النظم ما تسير عليه وتحكم به ، حتى اذا هاجر النبى الى المدينة وكان من المسلمين جماعة مستقلة بأمورها لها وحدة جامعة وشوكة وقوة نزلت الايات القرآنية المنظمة لهذا الاجتماع ، الرابطة بين أحاده . فكانت لهذا السور المدنية مشتملة على الشرائع والاحكام لتتكون بها من هذه الجماعة المدنية الفاضلة التى كانت أمنية المصلحين والمفكرين ، لذلك نقول أن أكثر شرائع القرآن كانت بالمدينة ، لان أكثر آيات الاحكام نزل بالمدينة .

ويكون المكى والمدنى من سور القرآن الكريم وحدة متلاقية متناسبة الاجزاء ، فالمكى اصل ينبنى عليه المدنى ، أو المكى ابتداء نهايته المدنى . فالقرآن مترابط الاجزاء بعضه أخذ بحجز بعضه الى غاية واحدة وهو متماسك بعروة واحدة ، هى اصلاح الناس فى معاشهم واقامة بنيانهم على دعامة من الفضيلة والرحمة وهو فى هذا يسير سير التدرج والتنقل من المألوف الى غيره ولا يصار الى الثانى حتى تستأنس النفس به وتسكن اليه . والايات القرآنية مترابطة من حيث اصلاحها تنزل الاية لاصلاح حال قد حان حينه وجاء ابانه ، وهى تسير فى هذا بخطوات متلاحقة كل خطوة متممة لسابقتها وممهدة للاحقتها ، حتى اذا تم نزوله كملت الشريعة وكان بين يدى الناس وحدة كاملة فيها اصلاح للناس وفيها هداهم وفيها أصول لاكمل الشرائع ولقد صدق الله تعالى اذ يقول فى آخر آية نزلت « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

والقارىء لفقه القرآن المتفهم له يلاحظ ثلاثة أمور واضحة بينة

الاولى : أن الايات القرآنية التى تتعرض لبيان أمر شرعى واجب الاتباع لازم الاداء ، تقرن الحكم بالحكمة ، والامر بما فى الاجابة من نفع للمطيع ومصلحة للناس، فتحريم الخمر مثلا اقترن بحكمته وصاحبه بيان مغبة العصيان وغايته ، اذ يقول تعالى « يأيها الذين آمنوا ، انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » . ونرى انه سبحانه وتعالى فى آية المداينة بعد أن طلب من المتداينين ان يكتبا وبين مايجب ان يكون عند الكتابة ، يقول فى بيان الحكمة والغاية الصالحة « ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا » ، وربما لا يكتفى فى بعض أى القرآن الحكيم بالحكمة والوصف المناسب للطلب أو المنع ، بل يضاف الى ذلك الترهيب بعذاب الله ومقته ينزل بالعصاة الاثمين كما ترى فى النهى عن أكل أموال الناس بالباطل فالله سبحانه وتعالى يقول « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا » . ويقول تعالى فى تحريم الربا « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف ، وأمره الى الله ، ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يمحق الله الربا ، ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم » . وهكذا ترى اقتران الامر القانونى بحكمته ، والترغيب عند الطاعة . والترهيب بالعذاب فى اليوم الاخر عند المعصية ، وما ذاك الا لان القرآن الكريم كتاب هداية عامة وارشاد وتهذيب للنفس وتطهير لها من أدران الاثم والطغيان ، فلم يكن قانونا ككل القوانين تحكم صياغته وسوط العذاب وغيابات السجن تتولى التنفيذ ، بل انه قانون السماء وشرع الله يحمل فى نفسه ذرائع تنفيذه ، ويخاطب الوجدان ، فتمتنع النفس عن العصيان ، ويكون من الخشية والروعة والرهبة رقباء على التنفيذ ، فهو قانون الله وحديثه للناس يرون فيه رياض الروح ونور الله ورهبة المنتقم الجبار ، ولقد صدق سبحانه وتعالى اذ يقول « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد .

الثانية : ان الايات التى تتصدى لبيان الاحكام قليلة ان اضيفت الى مجموع أى الكتاب الكريم ، فمجموع آى القرآن نحو ستة آلاف آية ، تصدى لبيان الاحكام منها نحو مائتين على خلاف فى بعض هذه الايات من حيث دلالتها على الاحكام ويلاحظ أن تلك الايات منثورة فى القرآن الكريم وليست مفصولة عن سائر آيه ، ولا تجتمع ايات الموضوع الواحد فى موضع واحد ، بل تتفرق ، فتجد الايات المتعلقة باليتامى فى مواضع فى كتاب الله متفرقة تتباعد وتتقارب ، ففى سورة البقرة وفى سورة النساء وفى سورة الانعام وفى سورة الاسراء وغير ذلك ، وأحيانا تجد أكثر الاحكام الخاصة بموضوع فى موضع والقليل منه فى مواضع كأحكام النكاح . تجد أكثر ما تعرض له القرآن فى سورة النساء والباقى متفرق فى سور مختلفة ، والميراث كذلك ، والطلاق تجد أكثر احكامه فى سورة البقرة والقليل فى بعض سور أخرى . وهكذا اقتضت حكمة الله ، وهو العليم الخبير ، ان يسير فى كتابه على نهج يحاكى خواطر النفوس ، وخلجات القلوب ، لا على نهج التاليف والتجميع الذى يأخذ البشر به أنفسهم فيما يؤلفون .

الثالثة : ان القرآن الكريم لم يبين الاحكام بالتفصيل ، بل ذكرها اجمالا ، وليس ذلك مقصورا على بيان ما يتعلق بنظام المجتمع ، بل فيما يتعلق بالعبادات كذلك . فقد أمر بالزكاة ولم يفصل احكامها وأمر بالصلاة ولم يبين أركانها . وفى

« البقية ص ٨٣ »

سمات التشريع الاسلامى

انه زاد الاتقيــاء
انه سبيل الانقياء
انه خبز الاقــوياء

كلما عمق الباحث فى احــكام التشريع الاســلامى زاد ادراكا للنظم التشريعية التى يتميز بها هذا التشريع فقــد أحكمت الفــاظه ومعانيه ودقت أحكامه ومبانيه - ولا عجب فى ذلك فهو تشريع ربانى من لدن عزيز قدير نطق به سيد الخلق الرسول الامين .

الأستاذ
أحمد بهجت المحامى

هذا والتشريع الاســلامى هو خــاتم التشريعــات فالبشرية فى مسيرتها منذ ان خلق الله الارض ومن عليها تتمتع بفضل الله تبارك اسمه اذ أعان البشر لسبيل الهداية والرشاد فبعث الرسل يضيئون للاقوام طريق الصلاح فهدف الانبياء والرسل واحد وغايتهم موحدة الا وهى السمو بالبشرية والنهوض بالانسان . فقد جاءت رسالات السماء مندرجة فى انتظام شديد فأتى كل رسول تلو الاخر بتعاليم وأحكام وقواعد وقوانين تعد الخلق لتقبل الرسالة التالية للرسالة الاولى .

وظل الامر كذلك حتى هيأت البشرية لتقبل شريعة عامة دائمة باقية بين الناس الى أن يرث الله الارض ومن عليها . فكانت خاتمة الشرائع .. كانت الشريعة الاسلامية . فلا شريعة بعدها .. ولا رسالة تليها ولا رسول بعد خاتم النبيين .

ولذا فان الله يقول وقوله الحق وهو العليم الخبير :

« ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »

فأول ما تتصف به الشريعة الاسلامية والتشريع الاسلامى هو الخلود والعموم فالشريعة باقية على مر الازمان والتشريع الاسلامى أبدى وكلاهما خطاب من الله تبارك وتعالى للعالم أجمع على اختلاف الاوطان والازمان . فالشريعة الاسلامية عامة شاملة سواء بالنسبة لمن يجرى عليهم تطبيقها والمخاطبين بها أو من حيث الزمان مجال سريانها - فهى شريعة الجميع . شريعة كل مكان وزمان تسوى فى المعاملات بين الناس جميعا مسلم وغير مسلم وهى بهذا تتميز عن الشرائع جمعاء فالشرع الاسلامى بسط حماية على الجميع

وهذا جانب يطلق تعميم الشريعة الاسلامية لا من حيث المكان والزمان فحسب بل من حيث انه تشريع سن للانسان عامة . وهى شريعة الله وتشريعه وهى النهج الصالح الذى أراده الله لاصلاح حال العباد فالتشريع هذا فضلا عن شموله وعمومه فى مضمونه اذ يضع نظاما اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا فهو دستور البشرية ونبراسها الذى يضىء جنبات الحياة الانسانية وينظم نواحيها فهو نظام قانونى ربانى شرع لصالح البشر وخير العالمين . فالتشريع الاسلامى نعمة كبرى افاء الله بها على عباده فمن تابعها يكون من المفلحين وما يضل عنها الا الخاسرين .

فالتشريع الاسلامى وهذا شأنه جدير بأن يعمق الانسان فى أحكامه ويوغل فى تبين مميزاته وسماته حتى يدرك قبسا مما امتاز به هذا التشريع العظيم . ولعل أول ما يدركه الباحث فى التشريع الاسلامى هو اليسر الذى يمتاز به هذا التشريع فأول سماته أنه هدف الى دفع كل عسر عن البشر حتى فيما قرره من تكاليف التى الاصل فيها المشقة فنجد أن تلك التكاليف ازال الله المشقة عنها .

« وما جعل عليكم فى الدين من حرج »

« يريد الله أن يخفف عنكم »

فالله تبارك اسمه أرسل خاتم النبيين بالتشريع الاسلامى رحمة بالعالمين .

« لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

فجاءت الشريعة من الرحمن لتضــع عنا اصرنا والاغلال التى كانت فى معاصم البشرية . والاصفاد التى كانت تحيط بها فبعث رسوله بشريعة سمحة

غايتها اليسر وشيمتها دفع العسر .

ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه اذا خير بين أمرين اختار أيسرهما مادام لا ينطوى على الاثم .

فالشريعة شيمتها الاولى رفع الحرج ودفع المشقة وهذه الخلة تتمثل فى جميع شئون الشرع الحنيف فلا حرج في العبادات فالشرع ملىء بالتراخيص حتى فى أصول العبادة من صلاة وصيام وحج .

وتتجلى سماحة التشريع الاسلامى أيضا فى أحكام المعاملات . فقد جرد التشريع الاسلامى العقود من الشكليات وجعل عرف الناس مصدرا من المصادر التشريعية فجعل العرف الصحيح شرعه لهم اقرارا لما ألفه الناس مادام فيه صلاح لحالهم وحتى لا ينتزع الانسان من عاداته مادامت صالحة . فاذا ما كان الصالح له ببديل هذه العادات فان الله سبحانه رحمة منه بعباده بيسر الامر فيأتى التشريع متدرجا يهيىء النفوس لتقبل المبادىء القرآنية السامية . **فالتشريع الاسلامى علاج للبشر يتفق دائما مع طبائع الخلق التى يدركها الخالق الحكيم .**

والتشريع الاسلامي هو رحمة بالعالمين واليسر والتيسير صفة غالبة فى احكامه ولنرى كيف عولج امر الخمر مثلا فى التشريع الاسلامى فقد نهى الله سبحانه عنه وبدأ هذا النهى ببيان للناس عما انطوى عليه من اثم يغلب على المنفعة ثم بيان آخر ينطوى على عدم امكان الصلاة مع مقارفة الخمر . ثم الدعوة الى الاجتناب ثم نزل التحريم بالقطع .

« انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون »

وهكذا كان التدرج التشريعى سواء فى الخمر او الزنا او غير ذلك من الاحكام . كل هذا كان لغاية عظمى وسياسة تشريعية مثلى الا وهى رفع الحرج ورفع العسر هذا جانب من الجوانب فى التشريع الاسلامى على ان الجوانب التى يمكن للباحث ان ينظر للتشريع منها كثيرة فكلما اعمل فكرة وسبر غور الاحكام اتضحت له الرؤية الصادقة ووضحت له سمات هذا التشريع المتكامل واطل على ميزات ومزايا .

وعلى طريق البحث نطل على جانب آخر فى التشريع الحكيم غير خفى وهو هدف التشريع لنجد انه تشريع هادف الى صالح الخلق وخير البشر مهما اختلفوا موقعا أو أزمانا **فالتشريع الاسلامى ثورة على فساد شاع واستشرى .. ثورة تقضى على الاضرار بالناس . توصد الروافد التى تؤدى الى هذا الاضرار فلا خداع ولا تغرير وانما علاقات طاهرة نقية بين العباد . فصالح الفرد فى المجتمع الاسلامى مكفول وحريته محصنة ولكن فى اطار الصالح العام ـ فصالح الجماعة مقدم على كل صالح خاص . فلا احتكار ولا استغلال .**

فنزعة التشريع الاسلامى جماعية غير فردية والطابع الذى يتميز به طابع جماعى فالزكاة مثلا قد شرعت سدا لحاجة الناس وحماية المجتمع الاسلامى من الفقر والفاقه وللقضاء على الاحقاد بين الناس .. شرعها الله تحقيقا لصالح عام حصانة للجماعة وتحصينا للمجتمع وجعلها من العبادات وركن من اركان الاسلام .

وفى المعاملات ايضا أحل الله البيع وحرم الربا فلا استغلال للمستغلين ولا طمع للطامعين وقد توعد الله هؤلاء بحرب منه ورسوله عليهم .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

هذا خلق لمجتمع طاهر نقى لا أحقاد فيه ولا أطماع انما اخاء ومودة وعلاقات اجتماعية شريفة نقية عنه ابية .

وفى التشريع الاسلامى العديد ما يقطع بجماعية هذا التشريع فالحاكم يخرج الطعام من يد محتكره قهرا عنه وبيع الحاضر للبادى غير جائز ولا مقبول . ولا يجوز لمن يملك دارا ان يمتنع عن بيعه اذا اضطر الناس اليه لاقامة دار عبادة أو تلقين . **فصالح الجماعة مقدم دائما على صالح الفرد ـ والاضرار بالغير فى التشريع الاسلامى أمر مرفوض .**

ولئن كانت بعض التشريعات الحديثة التى توصف بالتقدم قد فطنت مؤخرا الى بعض هذه المبادىء فان التشريع الاسلامى قد سبقها الى ذلك ويمكن القول انه مهما عمقت التشريعات الوضعية فى هذا التقدم فان التشريع الاسلامى سيظل دائما أعمق فكرا وأوسع رحابا وأطهر قصدا هو تشريع ربانى لا يمكن بحال للبشر ان يصل الى سموه فهو تشريع من عزيز حكيم .

هذا ومن السمات الواضحة للتشريع الاسلامى بل لعله السمة الاولى له ارساء العدل بين الناس . هذا الهدف الذى قصدت اليه شريعة القرآن فالعدل هو قصد الشرع ومبتغاه ويستوى فى منطق التشريع الاسلامى ميزان العدل بين الناس جميعا فلا فرق بين حاكم ومحكوم .. غنى وفقير .. شريف أو غير شريف . عدل فى تولي المناصب .. عدل فى مراقبة الولاه .. عدل فيما يفرض على الناس من أعباء .. عدل فيما يجبى من الناس من أموال .. عدل بين الزوج وزوجته .. عدل بين الخصم وخصمه .

فالمبدأ التشريعى فى الاسلام

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين . أن يكن غنيا او فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » .

فالشريعة الاسلامية هى شريعة اليسر هى شريعة الجميع هى شريعة العدل تحفظ الدين والنفس .. تحفظ العقل والمال والنسل جاء بها القرآن وأوضح ما فيها من بيان . فمن اراد صلاح حاله جعل زاده ما جاء فيها من أحكام ومن قصد ضلاله عمى من طريقها فى صلف واحجام فكان مصيره جهنم وبئس المقام .

حقوق الجار

فى الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى

٥

تحدثنا فى مقال سابق [illegible] القراء عن حق الجار فى الاخذ بالشفعة اذا بيع عقارجاره .. فعرفنا الشفعة وأوضحنا مشروعيتها وشروطها والاحكام الخاصة بحق الجار فى الشفعة .. وذلك فى الشريعة الاسلامية .

واليوم نتحدث عن كل ذلك فى القانون الوضعى ، وهو القانون المدنى المصرى .

المستشار عبد الستار آدم

نص القانون المدنى المصرى على تعريف الشفعة وشروطها واحكام حق الجار فى الاخذ بالشفعة فى المواد ٩٣٥ ومابعدها ويهمنا فى هذا المقال المواد الاتية :

المادة ٩٣٥ :

« الشفعة رخصة تجيز فى بيع العقار الحلول محل المشترى فى الاحوال وبالشروط المنصوص عليها فى المواد التالية » .

وكان مشروع القانون المدنى المذكور قد اضاف فقرة ثانية الى هذه المادة ، وكان نصها كما يلى :

« ٢ - والحق فى الشفعة لا ينتقل بالحوالة ، وانما ينتقل بالميراث ، وهو حق لا يتجزأ فى استعماله » .

وعند مناقشة هذه المادة بالبرلمان حينذاك انتهى راى أغلبية أعضائه الى حذف الفقرة الثانية المنوه عنها وترك حكمها لاجتهاد القضاء ، ولذلك صدرت المادة المذكورة بفقرة واحدة حسبما تقدم .

وبهذا النص حسم القانون المصرى الخلاف الذى كان قائما بين فقهاء الشريعة الاسلامية على تعريف الشفعة .. كما نص على أنها ليست حقا وانما هى رخصة .

المادة ٩٣٦ :

« يثبت الحق فى الشفعة :

« أ » لمالك الرقبة اذا بيع كل حق الانتفاع الملابس لها او بعضه .

« ب » للشريك فى الشيوع اذابيع شىء من العقار الشائع الى اجنبى .

جـ لصاحب حق الانتفاع اذا بيعت كل الرقبة الملابسة لهذا الحق أو بعضها .

« د » لمالك الرقبة فى الحكر اذا بيع حق الحكر ، وللمستحكر اذا بيعت الرقبة .

« هـ » للجار المالك فى الاحوال الاتية :

١ - اذا كانت العقارات من المبانى او من الاراضى المعدة للبناء سواء أكانت فى المدن ام فى القرى .

٢ - اذا كانت للارض المبيعة حق ارتفاق على أرض الجار ، أو كان حق الارتفاق لارض الجار على الارض المبيعة .

٣ - اذا كانت أرض الجار ملاصقة للارض المبيعة من جهتين وتساوى من القيمة نصف ثمن الارض المبيعة على الاقل » .

وهذه المادة حسمت الخلاف الذى كان قائما بين فقهاء الشريعة الاسلاميه عما اذا كان للجار الحق فى الاخذ بالشفعة من عدمه السابق الاشارة اليه . فنصت على احقية الجار فى الاخذ بالشفعة اذا بيع عقار جاره ولكنها وضعته فى آخر من لهم هذا الحق ، كما أنها لم تجعله لكل جار ملاصق على الاطلاق ، سواء أكان ملاصقا من جانب واحد ام أكثر ومهما كانت قيمة الارض المشفوع بها الملاصقة للارض المشفوع فيها طبقالما اتفق عليه فقهاء الشريعة الاسلامية حسبما تقدم ، بل نص القانون المدنى على ان يكون الجار ملاصقا من جهتين وتساوى أرضه نصف ثمن الارض المشفوع فيها على الاقل .

• •

المادة ٩٣٧ :

١ - اذا تزاحم الشفعاء يكون استعمال حق الشفعه على حسب الترتيب المنصوص عليه فى المادة السابقة .

٢ - واذا تزاحم الشفعاء من طبقة واحدة ، فاستحقاق كل منهم للشفعة يكون على قدر نصيبه .

٣ - فاذا كان المشترى قد توافرت فيه الشروط التى كانت تجعله شفيعا بمقتضى نص المادة السابقة ، فانه يفضل على الشفعاء الذين هم من طبقته او من طبقة ادنى ، ولكن يتقدمه الذين هم من طبقة أعلى » .

ويلاحظ أن هذه المادة قد نصت على أنه اذا تزاحم الشفعاء على استعمال حق الشفعة كان الجار آخر من يستعمل هذا الحق لان ترتيبه فى المادة السابقة - وهى المادة ٩٣٦ - هو الاخير حسبما تقدم .

المادة ٩٣٩ :

« ١ - لا يجوز الاخذ بالشفعة :

« أ » اذا حصل البيع بالمزاد العلنى وفقا لاجراءات رسمها القانون .

« ب » اذا وقع البيع بين الاصول والفروع ، أو بين الزوجين ، أو بين الاقارب لغاية الدرجة الرابعة ، أو بين الاصهار لغاية الدرجة الثانية .

٢ - لا يجوز للوقف ان ياخذ بالشفعة » .

وهذه المادة قد نصت على أحوال عدم جواز الاخذ بالشفعة سواء للجار أو لغيره من الشفعاء .

أما اجراءات طلب الشفعة فقد نص عليها القانون المدنى فى المواد ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ وتخلص فى انه يجب على من يريد الاخذ بالشفعة ان يعلن رغبته فيها الى كل من البائع والمشترى خلال خمسة عشر يوما من تاريخ الانذار الرسمى الذى يوجهه اليه البائع او المشترى والا سقط حقه ، ويزاد على تلك المدة ميعاد المسافة اذا اقتضى الامر ذلك • على ان يشتمل الانذار على بيان العقار المشفوع فيه بيانا كافيا والثمن والمصروفات وشروط البيع واسم كل من المشترى والبائع والا كان باطلا •

واعلان الرغبة فى الاخذ بالشفعة يجب أن يكون رسميا والا كان باطلا ، ولا تكون له حجية على الغير الا اذا سجل •

وخلال ثلاثين يوما على الاكثر من تاريخ هذا الاعلان يجب أن يودع طالب الاخذ بالشفعة المحكمة الكائن بدائرتها العقار كل الثمن الحقيقى الذى حصل به البيع ، على أن يكون هذا الايداع قبل رفع دعوى الشفعة والا سقط الحق فى الاخذ بالشفعة •

وقد استقر القضاء فى مصر على أنه لا يشترط حصول الايداع فى اليوم السابق على رفع الدعوى ، وانما بفاصل زمنى غير محدد بمدة وهو مجرد الاسبقية على رفع الدعوى •

ثم نصت المادتان ٩٤٣ ، ٩٤٤ على دعوى الشفعة ووجوب رفعهـــا على البائع والمشترى أمام المحكمة الكائن فى دائرتها العقار فى ميعاد ثلاثين يوما من تاريخ الاعلان سالف البيان والا سقط الحق فيها ، ويحكم فى الدعوى على وجه السرعة •• وعلى أن الحكم النهائى بثبوت الشفعة يعتبر سندا لملكية الشفيع مع مراعاةقواعد التسجيل، وعلى أن يحل الشفيع قبل البائع محل المشترى فى جميع حقوقه والتزاماته •

واخيرا نصت المادة ٩٤٨ علـى حالات سقوط الحق فى الاخذ بالشفعة حيث نصت على الاتى :

« يسقط الحق فى الاخذ بالشفعة فى الاحوال الاتية :

« أ » اذا نزل الشفيع عن حقه فى الاخذ بالشفعة ولو قبل البيع •

« ب » اذا انقضت أربعة أشهر من يوم تسجيل عقد البيع •

« جـ » فى الاحوال الاخرى التى نص عليها القانون » •

ويستفاد من هذا النص أن الشفعة يمكن طلبها ولو كان عقد البيع غير مسجل ، ولكن اذا سجل عقد البيع ومضى على تسجيله أربعة أشهر سقط حق الشفيع فى طلب الاخذ بالشفعة ولو لم يحصل انذاره بالبيع انذارا رسميا •

ومدة الاربعة أشهر المذكورة لا يقف سريانها بـالنسبة الى القصر أو الغائبين ، وذلك لانها مدة سقوط وليست مدة تقادم •

هذا وغنى عن البيان أنه اذا لم يسجل عقد البيع فان حق الشفيع يسقط فى حالة عدم انذاره بالبيع بعد مضى خمسة عشر عاما على عقد البيع لان ذلك هو حكم القواعد العامة •

● ●

وبهذا نكـــون قد انتهينا ـ بعون الله وتوفيقه ـ من الحديث عن حقوق الجار فى الشريعة الاســلامية وفى القانون الوضعى •• والحمد لله اولا وآخرا ، والصلاة والسلام على نبيه الكريم وخاتم المرسلين وعلى آلـه وصحبه أجمعين •

بقية مقال « الدين اساس القانون الاسلامى »

معاملات الناس وتنظيم اجتمـاعهم يتصدى للقضايا الكلية ، لا يفصل الفروع الجزئية • فهو ينهى النـاس عن أكل الاموال بالباطل من غير أن يبين انواعه ويحصى فروعه • ويامر بالوفاء بالعقود والقيام بالتعهدات من غير أن يبين انواعها وأقسامها ، ويامر بالعدل من غير أن يبين ذرائع تحقيقه • وبالشورى من غير انيبين أساليبها وطرقها • فقد بين القرآن القواعد الكلية ولم يبين التفاصيل الجزئية لان القرآن يخاطب باحكامه المؤمنين به فى كل زمان ومكان • والناس لا يكادون يختلفون فـى القواعد الكلية التى يقوم عليها بنيان الاجتماع والتعامل بين الناس • من أجل ذلك كان القرآن صالحا لكل زمان ولكل مكان • لان الكليات تشتق من الفطرة الانسانية ، وفطرة الانسان لا تؤثر فيها البيئات • فجاء القرآن كاشفا عن تلك الفطـرة مبينـا لقضاياها ، فكان الاسلام بحق دين الفطرة « فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون » •

السنة النبوية : هى المصدر الثانى للشريعة الاسلامية • وقد كانت هى القطب الذى اعتمد عليه المسلمون فى شرائعهم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم • فما كان المسـلمون الاولون فى عهده يرجعون فيما يشكل عليهم من أمور الى الكتاب رأسا ، بل كان النبى يبينه لهم ، ويوضح ما يخفى عليهم من أحكامه • فكان النبى المرجع فى كل شىء • فى بيان القرآن وفى الفتيا فيما لم ينزل فيه قرآن وفى الاقضية بينهم • وكل ذلك بـوحى يوحى أو باجتهاده الذى يقره الله عليه وبهذا الاقـــرار وعدم التنبيه على الخطأ يرتفع الى منزلة الوحى به مادام فى أمر يتصل بالشرع الشريف وحكم من أحكامه • وتطلق السنة على أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، وتقريراته ، وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام يجب الاخذ بها والسير على منهاجها • لانهـا الحجة الثانية لهذا الدين • وبهذا أمر الله فقال تعالى « من يطع الرسول فقـد أطـاع اللـه » • وقـال تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » • وقـال سبحانه « أطيعوا اللـه وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ، فـان تنازعتم فى شىء فردوه الى اللـه والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا » •

فالسنة النبوية حجة فى الشريعة الاسلامية وكان الاعتماد عليها مع القرآن فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، بل كانوا لايعولون فى بيان القرآن على ما يسمعونه منه عليه السلام • على أن الحجة الشرعية فى ذلك تتمثل فى كل ماصدر عن النبى تبليغا لرسالة ربه وبيـانا لاحكام شرعه • أما ماكان منه من أقوال وأفعال لا تتصل بالرسالة وتبليـغ الشرع فليس رأيه فيه حجة فى الشرع ولا مصدرا من مصادره ، لان ما يكون حجة هو ما يفعله الرسـول بوصف كونه رسولا • قال عليـه الصلاة والسلام « انما انا بشر اذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به • واذا امرتكم بشى ءمن رأيى، فانمـا أنا بشر » •

حرمة النفس

الدكتور أحمد عمر هاشم

عن انس رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « ابى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة » رواه الطبرانى فى « معجمه الكبير » والحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسى فى كتاب : « الاحاديث المختارة » .

وسبب ورود هذا الحديث : ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث سرية فأغاروا على قوم ، فشذ رجل منهم فاتبعه رجل من السرية شاهرا سيفه ، فقال : انى مسلم ، فقتله فنمى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قولا شديدا ، ثم ذكر الحديث .

وقد أخرج هذا الامام أحمد فى مسنده ، عن عقبة بن مالك الليثى قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية ، فأغارت على قوم فشذ مع القوم رجل فاتبعه رجل من السرية شاهرا سيفه ، فقال الشاذ من القوم : انى مسلم ، فلم ينظر فيما قال ، قال فضربه فقتله فنمى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولا شديدا ، فبلغ القاتل ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب اذ قال القاتل : والله ما قال الذى قال الا تعوذا من القتل ،قال فاعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وعمن قبله من الناس ، واخذ فى خطبته ، ثم قال ايضا : يا رسول الله : ما قال الذى قال الا تعوذا من القتل ، فاعرض عنه وعمن قبله من الناس ، واخذ فى خطبته ثم لم يصبر حتى قال الثالثة : والله يا رسول الله ما قال الذى قال الا تعوذا من القتل ، فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف المساءة وجهه فقال : « ان الله ابى على من قتل مؤمنا ثلاثا ، ورواه النسائى من حديث سليمان بن المغيرة والقتل من اكبر الكبائر ، واشد الجرائم خطرا على الناس انها جريمة اذا ظهرت فى مجتمع أو تفشت فى بيئة نشرت الرعب والفزع ، وقضت على الامن والاستقرار ، واشاعت الاحن والبغضاء ، وقضت على الروابط الانسانية ، ورملت النساء ويتمت الاطفال ، قال الله تعالى : « من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكانما احيا الناس جميعا .. » ولقد انزل الله تعالى فى شان القاتل بلا حق من الوعيد ما لم ينزل فى غيره . فقال تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما » ، واذا كان هذا هو جزاء قاتل الغير ، فان جزاء القاتل لنفسه قد صوره الرسول صلى الله عليه وسلم فى صورة رهيبة تدل على بشاعته روى ابوهريرة رضى الله عنه قال : قال الرسول صلى الله عليه وسلم « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يتوجأ - اى يضرب بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ، ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده ، يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو متردٍ فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « كان ممن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات . قال الله تعالى : « بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة » أخرجاه ومثله فى رواية ابى داود من حديث جابر بن سمرة قال اخبر النبى صلى الله عليه وسلم برجل قتل نفسه فقال : « لا اصلى عليه وهكذا تصور لنا السنة النبوية الشريفة هذا النوع من القتل وهو : « جريمة الانتحار » بصورة أليمة من العذاب يوم القيامة .

فعلى الشباب وغيرهم ممن تضيق بهم الحياة أو يستولى عليهم عامل الغضب ، وأحوال الضعف النفسى فيحاولون الاقدام على تلك الجريمة

عليهم أن يقووا من ايمانهم أولا فان ضعف الايمان وفقدان الرجولة ، ومحاولة الانسحاب عن الحياة والتخلص منها بتلك الصورة البشعة كل ذلك من أسباب اليأس الذى يؤدى الى تلك الجريمة « الانتحار » واذا عرفنا أسبابها ، فان العلاج منها لا

يكون الا بتقوية الايمان فيوقن الانسان ان كل شيء بقضاء الله وأن احوال الدنيا لا تثبت فكم من فقير اغتنى وكم من مخفق فى سعيه نجح بعد ذلك وكم من تجارة كاسدة رزق الله صاحبها الربح اضعافا ، فليس لمن اصيب بشيء من ذلك أن يفقد الامل بل عليه بالصبر الجميل « **انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** » .

وإذا كانت جريمة الانتحار ، قد حاربها الاسلام ونهى عنها ، وحذر منها ، على نحو ماسبق ، فان هناك نوعا آخر من القتل له عواقبه الاليمة ، ونهايته الوخيمة انه يتمثل فى ظاهرة « الثأر » فان بعض الناس من أهل القتيل يتخذون من ظروف القتل ذريعة لارواء أحقادهم ، وتحين الفرص لاهدار الدماء فتسيل الدماء على مذابح الاضغان العائلية ، فبين الحين والاخر يهدر دم من هنا ودم من هناك ، لهذا كله شرع الاسلام القصاص ، ليكف الجانى أولا عن جنايته حين يعلم انه سيدفع حياته ثمنا لحياة من يقتله ، وأيضا فبالقصاص ينتهى شفاء نفوس اهل القتيل من الحقد ومن الرغبة فى الثأر وصدق الله اذ يقول : « **ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون** » . وضمانا لتنفيذ القصاص على وجهه الصحيح بغير اسراف أو تقصير قرر جمهور الفقهاء أن القصاص والحدود لابد فيها من حكم الحاكم ، وأن الاصل فى استيفاء الحقوق انما هو للحاكم لا لصاحب الحق .

ولكن ما حكم القاتل بالنسبة اذا تاب ؟ هل تقبل توبته أم لا ؟ وللاجابة على هذا السؤال نقول : ان فريقا من العلماء قد وقف عند ظاهر الاية الكريمة : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما** » ، فرأوا أن توبته غير مقبولة ، وقد روى ذلك عن ابن عباس وزيد بن ثابت وغيرهما .

والذى عليه الجمهور من سلف الامة وخلفها أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله ، ان تاب واناب وعمل عملا صالحا ، لقول الله تعالى : « **ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** » وقوله تعالى : « **والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما** » ، ولقوله تعالى : « **قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم** » .

وفيما رواه الامام مسلم ، عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال : انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ فقال : لا فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال : انه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها ارض سوء ، فانطلق حتى نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب : انه لم يعمل خيرا قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم - اى حكما - فقال : قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة وفى رواية : فأوحى الله الى هذه ان تباعدى ، والى هذه ان تقربى .

ولكن ليس معنى هذا ، ان أمر القتل والتوبة بعده يسير أو هين لا ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « **لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم** » ، وانما المراد بالتوبة هو : **ان يقف الجانى والا يستولى عليه اليأس من الرحمة فتتحول حياته الى صورة عدوانية فأمامه باب التوبة وأما قوله تعالى: « ومن يقتل مؤمنا متعمدا** ... » ، فقد قال الامام أبو سعيد البيضاوى تعليقا على رأى ابن عباس : ولعله أراد به التشديد اذ روى عنه خلافه ، والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب ، لقوله تعالى : « **وانى لغفار لمن تاب** .. » ، ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل فى مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر قاتله فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا ، أو المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم ا هـ .

وأما حديث : « **أبى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة** » .

فان كلمة جعل تأتى لمعان كثيرة منها ما يأتى بمعنى : سمى ، ومن ذلك قوله الله تعالى « **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا** » وتأتى بمعنى : اقبل وأخذ كقولهم : جعل يفصل كذا ، وتأتى بمعنى الخلق ومنه قوله تعالى « **وجعل الظلمات والنور** » وبمعنى التبيين كقوله تعالى : « **انا جعلناه قرآنا عربيا** » .. الخ . المعانى التى تأتى بها وهى فى الحديث بمعنى التبيين والاظهار قال الحرانى فى قوله صلى الله عليه وسلم « **أبى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة** » من الجعل وهو اظهار امر عن سبب وتدبير وقال الراغب : جعل لفظ عام فى الافعال كلها وهو اعم من فعل وضع وسائر أخواتها ، وقال العلامة المناوى فى كتابه فيض القدير عن هذا الحديث « **ان استحل والا فهو زجر وتخويف** » وقال الزمخشرى فى الاية السابقة « ومن يقتل مؤمنا متعمدا .. الخ هذه الاية فيها من التهديد والابعاد والابراق والارعاد أمر عظيم ، وخطب غليظ ، ومن ثم روى عن ابن عباس ما روى من أن توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة » .

وعن سفيان : كان أهل العلم اذا سئلوا عنها قالوا : **لا توبة لها وذلك محمول منهم على سنة الله فى التغليظ والتشديد ، والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا** .. وعلى ذلك فيمكن حمل ماروى عن ابن عباس وغيره من عدم قبول توبة القاتل على سنة الله فى التغليظ والتشديد لعل هذه السنة نفسها هى محمل آية النساء وما اشتملت عليه من التهديد والابعاد والابراق والارعاد . وكل ذلك ان دل على شيء فانما يدل على عظم هذه الجريمة فى نظر الامة سلفا وخلفا ، وفى نظر الاسلام .

أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل

وجدير بنا ونحن نتكلم عن الاصول التى بنى عليها الامام احمد مذهبه أن تقرر منذ البداية ان طريقته فى الاصول الفقهية كانت تماثل الى حد بعيد طريقة الصحابة والتابعين حتى لكأنهما يخرجان من مشكاة واحدة ٠
كان هذا مسلكه فى التوحيد والفتيا وفى جميع أموره وأحواله حتى وصفه أحد معاصريه بأنه سلفى تخلف به الزمن ، وذلك لانه كان ورعا الى حد بعيد ٠ وقد ذكر ابن القيم أن الاصول التى بنى عليها الامام احمد فتاويه ترجع الى خمس ٠

الدكتور عبد العزيز محمد عزام

احدهما النصوص ، فاذا وجد النص أفتى بموجبه ، ولم يلتفت الى ما خالفه ولا ممن خالفه كائنا من كان ،ولهذا لم يلتفت الى خلاف غير فى المبتوتة ٠ وهى المطلقة طلاقا بائنا ، لحديث فاطمة بنت قيس وهى احدى فقهاء نساء الصحابة فهى تقول : ان المطلقة طلاقا بائنا لا نفقة لها ولا سكنى وبه يقول الامام احمد وأصحابه واسحاق بن راهويه وأصحاب داود بن على وأصحابه وسائر اهل الحديث ٠

وللفقهاء فى هذه المسالة ثلاثة اقوال : وهى ثلاث روايات عن احمد أحدها هذا الذى كانت تقول به فاطمة والذى اشرنا اليه والثانى : ان لها النفقة والسكنى وهو قول عمر بن الخطاب وابن مسعود وفقهاء الكوفة ٠ والثالث : أن لها سكنى دون النفقة وهذا مذهب أهل المدينة وبه يقول مالك والشافعى ٠ وقد ذكر ابن القيم عدة مطاعن وردت على هذا الحديث قديما وحديثا « زاد المعاد جـ ٤ ـ ص ١٥٨ ٠

وكذلك لم يلتفت الى خلاف عمر فى استدامة المحرم الطيب الذى تطيب به قبل احرامه لصحة حديث عائشة فى ذلك ، ولا خلافة فى منع المفرد والمقارن من الفسخ الى التمتع لصحة أحاديث الفسخ ، وكذلك لم يلتفت الى قول عثمان وعلى ٠ وطلحة وأبى أيوب ، وأبى بن كعب فى ترك الغسل من الاكسال أى اذا جامع الرجل ولم ينــزل ٠٠

ينزل او عزل ، وهــذا رأى لبعض العلماء وهو غير المشهور ٠ ولم يأخذ الامام احممد بهذا الرأى لصحة حديث عائشة رضى الله عنها فقد صح أنها فعلته هى ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلا ٠ ولم يلتفت الى قول ابن عباس واحدى الروايتين عن على ٠ على أن عدة المتوفى عنها الحامل اقصى الاجلين لصحة حديث سبيعة الاسلمية ، ولم يلتفت الى قول معاذ ومعاوية فى توريث المسلم من الكافر لصحة الحدبث المانع من التوريث بينهما ، ولم يلتفت الى قول ابن عباس باباحة لحوم الحمر كذلك ٠

ولم يقدم على الحديث الصحيح عملا ، ولا رأيا ، ولا قياسا ، ولا قول صاحب ولا عدم العلم بالمخالف الذى يسميه كثير من الفقهاء اجماعا ، ويقدمونه على الحديث الصحيح ، وقد كذب احمد من ادعى هذا الاجماع ، ولم يسغ تقديمه على الحديث الثابت ، وكذلك الشافعى أيضا نص فى رسالته الجديدة على ان ما لا يعلم فيه بخلاف لا يقال له اجماع ، ونص عبارته :

« ما لا يعلم فيه خلاف فليس اجماعا ، وقال عبد الله بن الامام احمد سمعت أبى يقول : ما يدعى فيه الرجل الاجماع فهو كذب ، ومن ادعى الاجماع فهو كاذب ، لعل الناس اختلفوا ، هذه دعوى بشر المريسى والاصم ، ولكنه يقول : لا نعلم الناس اختلفوا ، او لم يبلغنى ذلك ، ٠وهذا من ورع الامام احمد رضى الله عنه ٠

الاصل الثانى : ما افتى به الصحابة ، فانه ـ رضى الله عنه ـ اذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يعدوها الى غيرها ، ولم يقل ان ذلك اجماع ٠ بل من ورعه فى العبارة يقول : لا أعلم شيئا يدفعه كما قال فى رواية أبى طالب ٠ لا أعلم شيئا يدفع قول ابن عباس وابن عمر واحد عشر من التابعين عطاء ومجاهد وأهل المدينة على تسرى العبد ٠٠ وهكذا قال انس ابن مالك : لاأعلم احدا رد شهادة العبد حكاه عنه الامام احمد ٠

وقال ابن القيم « واذا وجد الامام احمد هذا النوع عن الصحابة لم يقدم عليه عملا ولا رأيا ولا قياسا »

الاصل الثالث : انه اذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها الى الكتاب والسنة ، ولم يخرج عن أقوالهم ٠ فان لم يتبين له موافقة احد الاقوال حكى الخلاف فيها ، ولم يجزم بقول ٠

قال اسحاق بن هانىء فى مسائله : قيل لابى عبد الله يكون الرجل فى قومه فيسأل عن الشىء فيه اختلاف ، قال : يفتى بما وافق الكتاب والسنة ، ومالم يوافق الكتاب والسنة أمسك عنه ٠

الاصل الرابع : الاخذ بالمرسل والحديث الضعيف اذا لم يكن فى الباب شىء يدفعه ، وهو الذى رجحه على القياس ٠ وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ، ولا ما فى روايته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب اليه ٠ بل الحديث الضعيف قسيم الصحيح ٠ وقسم من أقسام الحسن ، ولم يكن يقسم الحديث الى

« البقيه ص ٩٢ »

مع
الدعوة
والدعاة
يشرف على تحرير هذا الباب :
منصور الرفاعى عبيد
فؤاد هيبة
على عياد

سبيل الحق

يقول الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم ، مخاطبا سيد الانبياء ، وخاتم المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه « قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » الاية ١٠٨ من سورة يوسف عليه الصلاة والسلام أى « قل » يا محمد للمشركين الذين يناصبونك العداء ، ويقفون منك موقف التعنت والاستهزاء « هذه سبيلى » اى الدعوة التى ادعوكم اليها ، هى طريقى التى « أدعو » اليها ، وهى توحيد الله عز وجل ، وافراده بالعبادة ، وترك عبادة الاصنام « الى الله » أى الى عبادة الله وحده دون سواه ، والى الايمان به ربا واحدا لا شريك له « على بصيرة » اى على تبصر ويقين ومعرفة .. وقدرة على التمييز بين الحق والباطل - فما أدعوكم اليه هو سبيل الحق الواضح ، وما تتمسكون به هو سبيل الباطل ، الذى لا شك فى بطلانه « أنا ومن اتبعنى » أى أنا ومن آمن بى ، وصدق برسالتى - واستجاب لدعوتى - فكل من آمن بى ، انما يسلك سبيل الحق ، ويدعو الى عبادة الله ، والى افراده بالطاعة والتقديس ،

فضيلة الشيخ أحمد كامل الحضرى

وفى هذه الاية مدح لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتمجيد لشأنهم ، وشهادة لهم بأنهم دعاة خير ورشد قال ابن عباس رضى الله عنه « ان المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على أحسن طريقة وافضل هداية ، وهم معدن العلم ، وكنز الايمان ، وجند الرحمن » ،

وقال ابن مسعود رضى الله عنه « من كان مستنا فليستن بمن قد مات ، اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة ، وابرها قلوبا .. واعمقها علما ، واقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ونقل دينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطريقهم فهؤلاء كانوا على الطريق المستقيم ، « وسبحان الله » اى قل يامحمد سبحان الله أى تنزه الله وتعالى عن الشريك وعن كل ما لا يليق بجلاله من النقائص ومن الشركاء والاضداد والانداد ، « وما أنا من المشركين » أى قل يا محمد ، ما أنا من المشركين الضالين ، الذين اشركوا مع الله غيره فى العبادة ..

فهذه السبيل ، سبيل دعوته صلى الله عليه وسلم هى سبيل الحق وهى الطريق القويم المعتدل ، وهى الشريعة الغراء ، وهى الدين الاسلامى ، الذى لا يعتد بغيره عند الله تعالى - يقول سبحانه « ان الدين عند الله الاسلام » من الاية ١٩ من سورة آل عمران - ويقول ايضا « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين » الاية ٨٥ من سورة آل عمران ....

فسبيل الحق ، هو الدين الحق الذى يرضى الله عنه ، والذى لا يقبل سبحانه غيره ، وهو دين الاسلام ، وقد رضيه الله تعالى لنا - يقول جل ذكره « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » من الاية ٣ من سورة المائدة ....

وقد أنزل الله هذه الاية الكريمة على النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، يوم الجمعة بعد العصر ، وهو صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات ، على ناقته العضباء ، فلما نزل الوحى بها عليه صلى الله عليه وسلم بركت ناقته لثقل الوحى ، وكادت عضدها ان تندق - وذلك فى السنة العاشرة من الهجرة النبوية الشريفة ..

أخرج الشيخان البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى ، عن طارق بن شهاب رضى الله عنه قال - جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يا امير المؤمنين آية فى كتابكم تقرءونها ، لو علينا معشر اليهود نزلت ، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا .. قال : فاى آية قال اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا - فقال عمر : انى لاعلم اليوم الذى نزلت فيه ، والمكان الذى نزلت فيه ، نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعرفات • فى يوم الجمعة - أشار عمر رضى اله عنه الى أن ذلك اليوم يوم عيد لنا ..

وأخرج الترمذى رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنه . انه قرأ اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا - وعنده يهودى فقال : لو نزلت هذه الاية علينا لاتخذناها عيدا - فقال ابن عباس .فانها نزلت فى يوم عيدين . فى يوم جمعة . ويوم عرفة ..

روى انه لما نزلت هذه الاية . بكى عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم . ما يبكيك يا عمر ؟.. فقال ابكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فأما اذا كمل فانه لا يكمل شىء الا نقص . قال صدقت فكانت هذه الاية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم . عاش بعدها واحدا وثمانين يوما فقط . ولم ينزل بعد هذه الاية . حلال ولا حرام ولا شىء من الفرائض .

ويروى ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه . لما نزلت هذه الايه انتحى وحده جانبا . واخذ يبكى على فراق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ايقن انه لابد منتقل الى الرفيق الاعلى فى وقت قريب . حيث تم اكمال الدين على يديه . وتم ابلاغه الرسالة . التى ارسله بها الله عز وجل ..

وكان الله تبارك وتعالى بهذا الالهام الذى الهم به أبا بكر رضى الله عنه يعده لذلك اليوم العظيم .. يوم وفاته صلى الله عليه وسلم . فقد كان رابط الجاش ثابت الجنان . بينما اخذ الصحابه رضوان الله عليهم اخذا شديدا ازاء هذه الصدمة . وهاجوا واضطربوا . وجن جنونهم . حتى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو هو .. مبرله وقوه .. ! اخرج سيفه من غمده . وصاح فى الناس قائلا : من قال . ان محمدا مات . قتلته بسيفى هذا ...

أما أبو بكر رضى الله عنه ... فانه لما رأى ان الموقف قد اشتد بالناس .. وقف فيهم . وخطب خطبته المشهورة الرائعة - فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه ...

« أما بعد » **أيها الناس .. من كان يعبد محمداً . فان محمدا قد مات . ومن كان يعبد الله . فان الله حى لا يموت .. ثم تلا قوله تعالى « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل .. أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين »** . الاية ١٤٤ من سورة آل عمران ...

عند ذلك هدأ الصحابة رضوان الله عليهم . وتطامنت نفوسهم . وصبروا على قضاء الله تعالى - واعاد عمر رضى الله عنه سيفه الى غمده قائلا : رحم الله أبا بكر .. والله لكأنى ما تليت هذه الاية ! ..

فسبيل الحق . هو سبيل الله وهو سبيل الرشد والخير وسبيل الرشاد والسداد . وهو سبيل المؤمنين . الذى يقول فيه الحق تبارك وتعالى « **ومن يشاقق الرسول بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** » الاية ١١٥ من سورة النساء

وهو صراط العزيز الحميد . الذى قال الله تعالى فيه : فى أول سورة ابراهيم . عليه الصلاة والسلام « **الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد** » ..

وهو الصراط المستقيم . الذى يضرع المسلمون الى الله تعالى فى كل يوم . وفى كل صلاة يصلونها . مفروضة او نافلة . طالبين منه عز وجل أن يهديهم اليه . بقولهم فى أم الكتاب المباركة . وفاتحته الشريفة . « **اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** » وقوله تعالى « **صراط الذين انعمت عليهم** ! اى من الانبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين .

وهو الصراط السوى . الذى قال الله فيه ، على لسان خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام مخاطبا اباه آزر . داعيا له الى الحق « **يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا** » الاية ٤٣ من سورة مريم عليها السلام ..

وهو الطريق المستقيم الذى قال الله تعالى فيه على لسان اخواننا الجن رضوان الله عليهم حينما سمعوا آيات القرآن الكريم يتلوها عليهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنوا بها وانذروا بها قومهم حينما عادوا اليهم « **قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم** » الاية ٣٠ من سورة الاحقاف

فالسبيل والصراط . والطريق بمعنى واحد .. والحق كلمة لها عدة معان - منها - انها اسم من أسماء الله تعالى الحسنى . التى قال فيها المولى عز وجل « **ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها** » من الاية ١٧٩ من سوره الاعراف .. وقد ذكرها المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح . الذى رواه الشيخان البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى . عن ابى هريره رضى الله عنه . انه قال **ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة . وفى رواية « من احصاها دخل الجنه »** ..

هذا وقد اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى . وليس معناه انه ليس له أسماء غير هذه التسعه والتسعين . وانما المقصود من الحديث . ان هذه التسعة والتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة . ومن الادعية المأثورة ان يقول العبد . **أسألك بكل أسم هو لك .. سميت به نفسك او انزلته فى كتابك . أو علمته أحدا من خلقك . او استأثرت به فى علم الغيب عندك الخ** » ان تفعل بى كذا وكذا .. وتعطينى كذا وكذا ..

وقد ذكر الحافظ ابو بكر بن العربى رحمه الله . عن بعض العلماء . ان لله ألف اسم - قال وهذا قليل ..

واشهر اسمائه سبحانه وتعالى « الله » وقيل انه هو اسم الله الاعظم .. وأسماؤه سبحانه وتعالى توقيفية فلا ندعوه الا بما سمى به نفسه . او سماه بها

الرسول صلى الله عليه وسلم ..

ومما يدل على ان الحق اسم من اسمائه تعالى. قوله سبحانه وتعالى « **ذلك بأن الله هو الحق** » من الاية ٣٠ من سورة لقمان – وقوله « **ويعلمون ان الله هو الحق** » من الاية ٢٥ من سورة النور .. وقوله « **فذلكم الله ربكم الحق** » من الاية ٣٢ من سورة يونس عليه الصلاة والسلام .

والحق أيضا ضد الباطل .. ويأتى بمعنى الصدق – واليوم الحق هو يوم القيامة ..

وقد ذكرت كلمة الحق فى القرآن الكريم اكثر من مائة وخمسين مرة ...

فسبيل الحق .. هو السبيل الذى يسلكه من انعم الله عليهم من أهل الحق . وهم الذروة العليا من خلق الله تعالى ..

وهو – كما أسلفنا – الدين الاسلامى الكريم . الذى ختم الله به سائر الاديان . وجميع الرسالات . والذى اصطفى لرسالته وتبليغه سيد الانبياء وخاتم المرسلين . عليه افضل الصلاة وأتم التسليم ..

روى البغوى رحمه الله بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « **قال جبريل : قال الله عز وجل .. هذا دين ارتضيته لنفسى . ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق .. فأكرموه بهما ما صحبتموه** » ..

وهذا حديث قدسى رائع عن رب العزة سبحانه . ما أحرانا أن نقف بين يديه . وأن نمعن النظر فيه . وان نعمل جادين على تحقيقه بكل اخلاص وصدق ..

فالسخاء . من أعز الصفات الكريمة وأسماها – وحسن الخلق هو الهدف الاول من أهداف الرسالة المحمدية – يقول صلى الله عليه وسلم « **انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق** » .

والحق تبارك وتعالى حينما أراد أن يمجد حبيبه وخاتم انبيائه وسيد رسله .. وصفه بقوله « **وانك لعلى خلق عظيم** » الاية ٤ من سورة القلم .. ما ذلك الا لان حسن الخلق هو أجل الصفات واعزها عند الله تعالى ..

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « **مكارم الاخلاق من أعمال الجنة** » ويقول أيضا « **أقربكم منى مجلسا يوم القيامة .. احاسنكم اخلاقا . الموطئون اكنافا . الذين يألفون ويؤلفون** » .

والدين الاسلامى اشتمل على أسس السعادتين . الدنيوية والاخروية . للناس كافة . وجاء بما لم يأت به دين آخر .. فهو دين المحبة والاخوة والتعاون على الخير والبر . الحق والصدق والعدل والايثار والتسامح وسائر صفات الكمال الانسانى .

ولقد بلغ من سمو هذا الدين . انه يطلب من اتباعه ومعتنقيه أن يحسنوا الى من أساءوا اليهم .. فهو لا يكتفى بالصفح والعفو عمن يسىء اليهم . بل يطلب منهم الاحسان اليهم – يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . « **أحسن الى من اساء اليك تكن أعبد الناس** » فما أجل هذا .. وما أسماه ! ..

وحسب المسلم فضلا ، ان ينعم بالحنان الالهى الرائع ... وبالعناية الربانية الساميه التى لا حد لها – يقول جل ذكره ... « **هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا** » الاية ٢٥ من سورة البقرة .. فهو سبحانه وتعالى يتوجه الى عباده بخطابه الكريم . مبينا لهم ان كل ما خلقه عز وجل .. انما خلقه لهم . ومن أجلهم . ولخيرهم وسعادتهم .. ويقول سبحانه وتعالى أيضا « **هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما . تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم أجرا كريما** » الايتان ٤٣ – ٤٤ من سورة الاحزاب .

اى أنه سبحانه عناية بنا . يصلى علينا هو وملائكته . ليخرجنا من الظلمات الى النور . وانه رحيم بنا .. انه يمنحنا السلام والامان عند لقائه فى اليوم الاخر العظيم . وأنه أعد لنا يوم القيامة أجرا كريما وثوابا عظيما . وهى جنة عرضها السموات والارض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ..

ومعلوم ان الصلاه من الله تعالى الرحمة . ومن الملائكة الاستغفار ومن العباد الدعاء ..

وأى انسان .. عنده ذرة من العقل . ولمحة ولو يسيرة من التفكير . والقدرة على الحكم على الاشياء . ويكون خالى النفس من التعصب والتحيز . اذا امعن النظر فى هذا الدين الاسلامى الحنيف . وما اشتمل عليه من مبادىء . وما جاء به من آداب وشرائع وأحكام .. يرى ويقطع . بأن هذا الدين . هو الدين الحق المستقيم .. الذى لا تشوبه أية شائبة من شوائب الزيف والباطل ..

والحمد لله .. نرى فى كل يوم . كثيرا ممن عاشوا فترة من الزمن حائرين . يدرسون ويبحثون عن الدين الحق – يعلنون اسلامهم وايمانهم بهذا الدين الحنيف . مبينين أنهم انما يعلنون اسلامهم . بعد البحث والتحقيق والتحرى والاطمئنان الى أنه هو الدين الحق ..

وواجبنا معشر المسلمين .. فى سائر انحاء الدنيا . ان نعمل دائما على دعوه الناس الى الاسلام .. ونبين لهم محاسنه ومزاياه . فهذا واجبنا الدينى . الذى فرضه الله علينا . كما انه واجبنا الذى تفرضه علينا الاخوة الانسانية أيضا ..

وحينما يوفق المرء المسلم الى هدايه واحد من الناس الى الاسلام . فان ذلك يكون مكسبا عظيما لنفسه . ولدينه وللانسانية كلها – ولا ننسى أبدا قول صاحب الشريعة الغراء . صلوات الله وسلامه عليه « لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير من الدنيا وما فيها » .. فليظفر الداعى بهذا الجزاء الوافر العظيم ..

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا للتمسك بدينه الحنيف .. وان يعيننا على نشر الدعوة اليه . وأن يهدى الناس جميعا الى اعتناقه .. والاخلاص له . فذلك وحده . هو سبيل السعادة للبشريه جمعاء . والله ولى التوفيق . والهادى الى أقوم طريق .

أضواء على الدعوة الإسلامية

فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم

في سبيل الدعوة الاسلامية ، قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه اشواطا طويلة تحملوا فيها ما تحملوا ، وصبروا على ما يعترضهم، حتى أخذت الدعوة تنمو وتترعرع الا ان حادثتين قد وقعتا فكان لهما فى حياته صلوات الله وسلامه عليه أكبر الاثر . اما الاولى ، فهي موت عمه - أبى طالب - الذى كان قد تجاوز الثمانين من عمره ، وقبل أن يشارف الموت نمى الى علم قريش وخشيت ما يقع بينها وبين محمد بعد ذلك ، وداخلها الخوف على مستقبلها خصوصا وقد دخل الاسلام عمر بن الخطاب وحمزة ، فذهب أشراف القوم الى أبى طالب وقالوا له ابا طالب انت منا حيث قد علمت وخطرك ماترى وتخوفنا عليه ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن اخيك ، فادعه فخذ له منا، وخذ لنا منه ليكف عنا ، ونكف عنه وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم والقوم حضور فلما عرف أمرهم قال : نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ، قال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات ، قال : تقولون : لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه .

قال بعضهم : والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون وانطلقوا .

ورغم ما كان عليه ابو طالب من مخالفته لدين ابن أخيه ، فانه كان حريصا على نصرته ، غيورا على دعوته ، فعند موته قال : يا معشر بنى هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا وانتهز الرسول صلى الله عليه وسلم الفرصة وقال : يا عم تمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك ؟

فأجابه قائلا : فما تريد يا أبن اخى ؟

قال : اريد ان تقول فقط : لا اله الا الله .

فقال : يا ابن اخى قد علمت انك صادق غير أنى اخشى بداتهم بالخوف عندما حان حينى ، ولولا ذلك تبعت نصيحتك لاقر عينيك اللتين ارى فيهما مبلغ حزنك . ومات أبو طالب وما آن مر على موته ايام الا وكانت الفاجعة الاخرى، وهى: موت زوجه «خديجة » ومن هى خديجة؟ انها التى آمنت به حين كذبه الناس وواسته بنفسها ومالها ووقفت بمثاليتها الايمانية تناصر الرسول صلوات الله وسلامه عليه وتنتصر لدعوته الحبيبه. ماتت وقد بلغت الرسول صلى الله عليه وسلم من العمر خمسين وقد تجاوزت هى الخامسة والستين ، وبعد موت هذين السندين العظيمين قاسى صلوات الله وسلامه عليه فى حياته ما قاسى وعانى ما عانى ، لقد ماتت خديجة بحنانها ، ومواساتها ومناصرتها تعينه على تبليغ دعوته وتشاطره همومه . ومات ابوطالب هذا السند القوى ، وذلك الركن العظيم ، فنالت منه قريش ما نالت كما قال : ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب .

وعن ابن مسعود قال : بينما رسول الله صلى الله عريه وسلم يصلى عند البيت وابو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس ، فقال أبو جهل : أيكم يقوم الى سلا

جزور بنى فلان فيضعه بين كتفى محمد - عليه الصلاة والسلام - اذا سجد ؟ فانبعث اشقى القوم ، فأخذه فلما سجد النبى صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه فاستضحكوا . وجعل بعضهم يميل على بعض ، وانا قائم انظر لو كانت لى منعة طرحته عن ظهره ، والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة فجاءت - وهى جويرية - فطرحته عنه ثم اقبلت عليهم تشتمهم فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم ، وكان اذا دعا ثلاث مرات ، واذا سأل سأل ثلاث مرات ثم قال : اللهم عليك بقريش ثلاثا ، فلما سمعوا صوته ، ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته .

ثم قال : اللهم عليك بأبى جهل بن هشام وعقبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ووليد بن أبى معيط ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن ابى معيط قال راوى الحديث : وذكر السابع ولم أحفظه فوالذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لقد رأيت الذى سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر .

وهكذا بلغ الامر فى الايذاء ، فضاعفوا الاضطهاد ، وبلغ منهم هذا العنت كل مبلغ فلم يجد النبى صلى الله عليه وسلم بدا من ان يذهب الى قرية اخرى ، لعله يلتمس منها عونا .

أو لعله يجد بها قوما فيهم قبول ، او انصاف .

فذهب الى الطائف حيث تقيم ثقيف . وقبل ان نتعرض لموقف ثقيف ، نحب ان نلقى هنا نظرة هامة .

وهى ان قريشا قد استعملت مع المسلمين كل الاساليب والسياسات المتعددة ، لقد اتبعوا اسلوب الاغراء والرشوة مرة ، واسلوب التهديد والوعيد مرة خرى ، كما كانوا أيضا يتبعون أسلوب الاستخفاف والازدراء منهم ، وقد كانت قريش لا تسكت عن ايذائهم ، والنيل منهم بغية الاجهاز على دعوته والانتهاء من هذا الامر ، الذى اعتنقوه ، ودعوا الناس اليه ، لكن المسلمين وعلى رأسهم النبى صلى الله عليه وسلم ، ما زادهم ذلك الا ايمانا وتثبيتا . وجلدا واحتمالا وواجهوا كل ذلك بغاية المثابرة والمصابرة وهم فى غاية الحكمة ، ويدعون الى الله على بصيرة وهدى ، وبالموعظة الحسنة متبعين منهج القرآن الذى رسمه الله تعالى فى قوله :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

اذا كان هذا هو جهاد الرسول وصحبه ، وصبرهم على الايذاء من أجل نشر الدعوة ، فماذا قدمنا نحن اليوم ؟

ان واجب الدعاه . وواجب المسلمين جميعا معهم لكبير ، يحفزهم دائما وأبدا الى تحقيق كلمة الحق ، ونشر أسباب الخير ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله .

بقية مقال « اصول مذهب ابن حنبل »

صحيح وحسن وضعيف ، بل الى صحيح وضعيف ، وللضعيف عنده مراتب . فاذا لم يجد فى الباب أثرا يدفعه ، ولا قول صاحب ولا اجماعا على خلافه كان العمل به عنده اولى من القياس .

وليس احد من الائمة الا وهو موافقه على هذا الاصل من حيث الجملة ، فما منهم من احد الا وقد قدم الحديث الضعيف على القياس . فقدم أبو حنيفة حديث القهقهة فى الصلاة على محض القياس وأجمع أهل الحديث على ضعفه ، وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر على القياس ، وأكثر أهل الحديث يضعفه . وقدم الشافعى خبر تحريم صيد وج «بفتح الواو وتشديد الجيم - موضع بناحية الطائف - مع ضعفه على القياس ، وقدم خبر جواز الصلاة بمكة فى وقت النهى مع ضعفه ومخالفته لقياس غيرها من البلاد . وأما مالك فانه يقدم الحديث المرسل والمنقطع والبلاغات وقول الصحابى على القياس

الاصل الخامس : القياس ، وقد ذكر ابن القيم انه اذا لم يكن عند الامام احمد فى المسألة نص ولا قول صحابى ولا أثر مرسل أو ضعيف أخذ بالقياس فاستعمله عند الضرورة . وقد نقل ابن القيم عن الخلال قال سألت الشافعى عن القياس: « انما يصار اليه عند الضرورة » .

فهذه هى الاصول الخمسة التى ذكرها ابن القيم فى كتابه اعلام الموقعين وبين أن مدار الفتوى عليها عند الامام احمد . على أننا نلاحظ ان النص عنده أعم من أن يكون نص كتاب أو نص سنة وهو فى هذا يضاهى استاذه الامام الشافعى الذى سبقه فى ذلك ، فقد اعتبرهما الشافعى شيئا واحدا . وهذا حق ، فان السنة أما ان تكون مبينة للكتاب أو مفصلة لجملة ولذلك جعلها فى مرتبة الكتاب . وقد يقال فى الاصل الرابع وهو الاخذ بالحديث المرسل والضعيف انه يدخل فى الاستدلال بالنصوص خاصة وان ابن القيم ذكر الحديث الضعيف ولا يراد به الباطل ولا المنكر ، ولا ما فى روايته متهم ، بل هو قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن .

ولعل الحكمة فى هذا الترتيب ان الامام احمد وهو بصدد ترتيب الادلة لا يقدم المرسل والضعيف على فتوى الصحابى . ثقة منه فى أن الصحابى ، اذا قال قولا أو حكم بحكم او أفتى بفتيا فله مدارك ينفرد بها فانهم كانوا يهابون الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقللونها خوفا من الزيادة او النقص . ويحدثون بالشىء الذى سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم مرارا ولا يصرحون بالسماع ، ولا يقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان هذا حالهم ، فان فتواهم - ولا شك - تعتمد على أصل صحيح ثبت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر الذى يرجح تقديمها على الحديث المرسل والضعيف .

الإسلام وعالمية الدعوة المحمدية

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

(وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (سورة البينة) .

كان كل رسول يرسل الى قومه خاصة . اما سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه فقد ارسله ربه للناس كافة ، والله يقول لرسوله الكريم :

(وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ..) (سورة سبأ - ٢٨) .

(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (سورة الانبياء - ١٠٧) .

(وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) (سورة النساء - ٧٩) .

(قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) (سورة الاعراف - ١٥٨) .

والله قد بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وليصلح به عقول الناس بالعقائد الصحيحة ، وليهذب نفوسهم بالاخلاق الكريمة والتربية القويمة ، وبهذا الهدى يسير الانسان فى طريق الكمال الذى يسر الله سبيله لمن شاء أن يستقيم ، ولقد جاء القرآن مشتملا على أجل ما يهذب النفوس ويزكيها ويؤدبها ويرقيها ، كما جاء مصدقا لرسالات النبيين والمرسلين السابقين . « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ..) (سورة الشورى) .

فهذا الدين الاسلامى هو الدين الذى ارتضاه الله لرسله جميعا ، وان اختلفت الشرعة والمنهاج ، لكن الاسلام واحد فى أصوله ، فكل نبى دعا قومه الى التوحيد الخالص ومحاربة الكفر والشرك والوثنية ، (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ..) .

والاسلام دين رسل الله جميعا ، فلا نفرق بين أحد من رسله فى الدعوة الى التوحيد الخالص ، وفى محاربة شوائب الشرك وذلك بتطهير النفس من النفاق والزيغ ، لان الاسلام اسم للدين الالهى الذى ارتضاه الله لعباده :

(اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ..) (سورة المائدة) .

ويقول عليه الصلاة والسلام (نحن معاشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد) .

فنوح عليه السلام - وكان من أولى العزم من الرسل - كان يدعو قومه للتوحيد ، ويقول لهم ، (انى لكم نذير مبين . ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون . يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) (سورة نوح ٢ - ٤) .

ويقول نوح لقومه (وامرت ان اكون من المسلمين) .

وقد أرسل الله نوحا الى قومه خاصة كما جاء فى القرآن الكريم « انا أرسلنا نوحا الى قومه) .

ويقول عز وجل فى نبى الله يونس عليه السلام :

(وان يونس لمن المرسلين) ثم يقول جل جلاله (وارسلناه الى مائة الف او يزيدون) .

واما نبى الله صالح عليه السلام فقد أرسل الى ثمود كما أرسل هود عليه السلام الى عاد : (كذبت عاد المرسلين . اذ قال لهم اخوهم هود ألا تتقون . انى لكم رسول امين) (سورة الشعراء ١٢٣ - ١٢٥) (كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون . انى لكم رسول أمين) (سورة الشعراء ١٤١ - ١٤٢) .

وقد أرسل لوط لقومه (كذبت قوم لوط المرسلين . اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون . انى لكم رسول أمين) (سورة الشعراء ١٦٠ - ١٦٣) .

وأرسل شعيب عليه السلام الى قومه (أصحاب الايكة) (كذب أصحاب الايكة المرسلين . اذ قال لهم شعيب ألا تتقون . انى لكم رسول أمين) (سورة الشعراء) .

أما المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فقد أرسل الى بنى اسرائيل ، كما جاء فى القرآن الكريم : (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين ، ثم يقول جل شانه « ورسولا الى بنى اسرائيل » ..

أما موسى عليه السلام فقد أرسل الى فرعون والملا من قومه ، وأرسل الله معه أخاه هرون وزيرا :

(ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه) (سورة هود - ٧٩) .

وهكذا كان كل نبى يرسل الى أقوام بأعيانهم وأما رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فقد كلفه ربه أن يدعو بالحكمة أهل الكتاب جميعا للدخول فى دين الله الخالد « الاسلام » :

(قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (سورة آل عمران ٦٤) .

ويقول عز وجل :

(ياأهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم . انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا) (سورة النساء - ١٧١) .

وقد يبتلى المرشدون الى الهدى من المرسلين بمن لا خلاق لهم فلا مناص من الصبر والاحتمال فى سبيل الله ، وتلك هى طبيعة البشر من قديم الزمن ، وكان من فضل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الذى أرسله للناس كافة أن قص عليه أنباء الرسل لكيلا يحزنه قولهم وعنادهم ، كما جاء ذلك فى سورة الحج : (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير) (سورة الحج ٤٢ ـ ٤٤) .

ويقول جل جلاله لرسوله الكريم :

(وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) (سورة هود ـ ١٢٠) ويقول عز وجل : (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ، وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد) (سورة ق ـ١٢ـ ١٤) .

وقد يجهل كثير من الناس أن رسل الله جميعا كان دينهم الاسلام ، فهذا ابو الانبياء ابراهيم عليه السلام يدعو ربه أن يجعله هو وذريته أمة مسلمة له فيقول خليل الرحمن عليه السلام : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم) . (سورة البقرة ـ ١٢٨) .

ويقول جل جلاله : (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) (سورة آل عمران ـ ٦٧) .
ويقول : (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل .) (سورة الحج ـ ٧٨) .

ويوصى يعقوب بنيه بالاسلام :

(ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) (سورة البقرة ١٣٢) . فيستجيب أبناؤه حينما قال يعقوب لهم لما حضره الموت ما تعبدون من بعدى ؟ فتكون الاجابة بالاستجابة لدعوته : (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون) (سورة البقرة ١٣٣) .

والله يأمرنا بالايمان بجميع رسله فيقول : (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا . وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) (سورة البقرة-١٣٦) .

وموسى عليه السلام يقول لقومه: (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) (سورة يونس ـ ٨٤) .

ويوسف عليه السلام يقول : (رب ء اتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين ، يوسف ـ ١٠١ ، .

وسليمان عليه السلام كان يدعو للاسلام فيقول: (الا تعلوا على واتونى مسلمين) . (سورة النمل ـ ٣١) ثم يقول عليه السلام (... يأيها الملا ايكم ياتينى بعرشها قبل ان ياتونى مسلمين سورة النمل ـ ٣٨ ، . فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين . « سورة النمل ـ ٤٢ ـ ٤٤ » .

وسليمان عليه السلام كان مسلما فهو برىء مما تدعيه اسرائيل اليوم ، وبرىء من كل ما تفعله فى الارض المقدسة بحجة البحث عن هيكل سليمان !!

اما المسيح عليه السلام فقد اذاقه بنو اسرائيل العذاب لانه كان يدعو للاسلام . (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله ؟ قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون» سورة آل عمران ٥٢ » .

« واذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) (سورة المائدة ١١١) .

« واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه أحمد) (سورة الصف ٦) . وكل نبى قد اعترف بأنه من المسلمين ، ودعا الناس ليكونوا مسلمين ، وتلك هى رسالتهم جميعا .. فلا خلاف من نبى ونبى فى العقيدة والايمان بالله رب العالمين .

(آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) (سورة البقرة ٢٨٥) .

والله يقول لرسوله خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ● لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (سورة الانعام ١٦٢ ـ ١٦٢).

وعلاقة الاسلام بالاديان السماوية السليمة هى علاقة الشىء بنفسه لان جوهر الاسلام هو جوهر كل الرسالات الالهية ، والدعوة المحمدية هى دعوة رسل الله جميعا عليهم الصلاة والسلام ، مع اختلاف فى الشرعة والمنهاج الذى يتطلبه كل زمن ولكن القرآن جاء مصدقا للكتب السابقة ومهيمنا عليها ، وقد أمرنا الله بالتعامل بالحسنى حتى مع أعداء الله ما لم يعتدوا أو يظاهروا الاعداء علينا . !!

(وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) وهكذا تمتد ظلال الامن حتى تشمل ايواء المشرك وتكفل أمنه ، وتقدم له النصح بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، بل تكفل له الرعاية بالتوجيه السديد النافع ، « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

والاسلام يسالم من يسالمه ويحارب من يحاربه والله يقول :

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ● انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ●) (سورة الممتحنة ـ ٨ ـ ٩ ـ) .

ولم تدع رسالة الاسلام خلقا كريما الا شرعته ، ولم تدع جانبا من جوانب السلوك فى التحية والمعاملة والاستئذان والاخلاق الرفيعة الا جعلته عبادة خالصة

البقية ص ١٠٧ .

منهج الإسلام في تربية الشباب

● فضيلة الشيخ منصور الرفاعي عبيد

فى الاونة الاخيرة زارنى بعض الشباب بالوزارة وكانوا يحملون ورقة بها أسئلة يريدون أن يتعرفوا على رأى الاسلام فيها وطرحوا أول سؤال مضمونه ..

ما رأى الاسلام فى ارتداء الشباب للقمصان المشجرة واطالة الشعر وتعليق السلاسل الذهبية فى الرقاب أو أساور حول اليد وهى ما تسمى باللغة الشائعة « خنفسة » .

وقد أجبتهم قائلا : الاسلام هو دين الفطرة جمع بين الروحانية والمادية الدين والدنيا فى اطار واحد قال الله تعالى : « وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين » فبين الروحانية المغرقة والمادية المفرطة تبرز النظرة الاسلامية وسطا بين هذا وذاك ونحن نعلم ان المادية الجسدية اذا انغمس الانسان فيها كان مثله كمثل الحيوان الاعجم الذى يعيش على الاكل واللذة وفى مثل هذا ورد قول الله تعالى **« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون »** .

كما ان الروحانية التى يكون من شأنها اهمال الحياة أمر يتنافى مع مهمة المسلم فى المجتمع .

ولقد عاب الله على قوم ابتدعوا لانفسهم رهبانية عزلتهم عن الحياة وركبها قال تعالى « **ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون** » ومن هنا يتبين لنا ان الاسلام كما أنه دين مسجد هو كذلك دين الشارع وكما أنه مصحف هو كذلك عمل فى مصنع لان الله تعالى أراد للحياة أن تنطلق فى مسارها بخلافة بنى آدم فيها لذلك رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى قوما أرادوا أن يقلدوه فكان أحدهم يريد أن يصوم الدهر والثانى يريد أن يعتزل النساء والثالث يريد ان يصلى ليلا ونهارا ولا يرقد فجاء التوجيه النبوى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « **ان لجسدك عليك حقا** » والجسم وعاء ، فعلى المؤمن ان يبقى نظيفا فى الباطن والخارج لان سلامة الجسم به يستطيع الانسان أن يمارس العبادات التى أمره الله بها والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « **المؤمن**

القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف] .

وتعالوا بنا نقف أمام ما طرحتموه بعد هذه المقدمة بالنسبة للقمصان المشجرة فعندنا مثل شعبى يجرى على ألسنة الحكماء من أهل الريف « كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس » .

هذا المثل يعطينا تصورا أن البيئة لها دخل فى سلوك الانسان وقد تختلف البيئة من مكان الى مكان والذى نشأ فى بيئة معينة تعارف أهلها على زى معين بالوان معينة وتتوارث الاجيال هذه التقاليد ويسيرون عليها فالاسلام ينظر الى هذا العرف لا يحلله ولا يحرمه مادام لم يتعارض مع نص صريح من كتاب الله أو سنة نبيه أو اجماع الامة وليس فى الاسلام زى معين يفرضه على أتباعه ، وانما حدد العورة بالنسبة للرجل من السرة الى الركبة فيجب على الرجل ستر هذا الجزء بملابس تمنع تحديد العورة وتفصيل جسم الانسان اما بالنسبة للمرأة فان جسدها عورة فيجب عليها ستر جسدها بأكمله ما عدا الوجه والكفين بملابس فضفاضة بحيث لا تكون ضيقة تحدد اجزاء الجسم او مشقوقة مفتوحة فتظهر الجسم وذلك يتنافى مع تعاليم الاسلام . هذا هو الأساس أولا ستر العورة المحددة فى الشرع حسبما يتفق للانسان بأى نوع من الاقمشة تتناسب مع البيئة وظروفها الاجتماعية .. ومع تطور البشرية ورقيها زادوا فى الملابس قطعة قطعة وتعددت أنواعها فمن سروال الى جلباب الى عباءة الى حلة « بدلة وقد يلجأ بعض الشباب تخفيفا فى الحر الى ارتداء بنطلون وقميص . والاسلام لا يفرض رأيا معينا ولكنه يطالب الشاب أن يلبس ما يتفق وظروف بيئته وما اتفق عليه أهل محلته ، فان كانوا يلبسون القمصان المشجرة فهو زى متعارف او غير ذلك ، فليس هناك اعتراض ، وكذلك الفتاة وهنا نقطة الارتكاز ، فالاسلام يطالبها بالاحتشام وعدم ابداء الزينة وتغطية سائر الجسد والله تبارك وتعالى يقول « **يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصه يوم القيامه كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** »

ولكن يبقى هناك أمر آخر وهو الا تتشبه المرأة فى لبسها بلبس الرجل وكذلك الرجل لا يتشبه فى لبسه بلبس المرأة . فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لعن الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل . وكذلك ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « **أربعة لعنوا فى الدنيا والاخرة وأمنت الملائكة . رجل جعله الله ذكرا فانث نفسه وتشبه بالنساء . وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال والذى يضل الاعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا الا يحيى بن زكريا** » وحصور أى مبالغ فى حبس نفسه عن الشهوات والملاهى المباحة شرعا مثل الزواج والترفيه عن النفس بالامور المعقولة وورد كذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « **ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا ، الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر قالوا يارسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث قال الذى لا يبالى من دخل على أهله قلنا فما الرجلة من النساء قال التى تتشبه بالرجال** نخلص من هذا على أن الزى الذى تعارف عليه اهل المجتمع بأنه خاص للنساء فى لونه وصناعته لا يليق بالشباب أن يلبسوه لانه يجعل ألسنة الناس تتناولهم بالتجريح وتتعرض لهم باللوم « **ومن وضع نفسه موضع الشبهة لا يلومن الا نفسه** وكذلك على المرأة أن تحتاط فى زيها فلا تلبس ملابس الرجال حتى لا تكون عرضة للقيل والقال وتتناولها الالسنة وتكون محل ريبة فى نظر الجميع .

والاسلام يريد للناس أن يعيشوا فى أخوة تامة ومحبة عامة ليس بينهم ما يوجب الريبة أو يكون سببا فى ايجاد الضغينة لهذا وضع الحدود وبين الامور بمنهاج واضح وصريح .. أما مسألة الشعر وتطويله فهذا أمر يتعلق بشخص الانسان ان اطاله مع تنظيفه وتسريحه وتحسينه ووضع الطيب عليه فهذا أمر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى شرح المصابيح لم يحلق النبى صلى الله عليه وسلم راسه فى سنى الهجرة الا فى عام الحديبية وعمرة القضاء وحجة الوداع ولم يقصر شعره الا مرة واحدة .. وقد سئل الامام احمد عن الرجل يتخذ الشعر قال سنة حسنة لو أمكننا اتخذناه كان للنبى صلى الله عليه وسلم جمة « بضم الجيم وشد الميم شعر الراس يصل الى المنكبين ويستحب ان يكون شعر الانسان على صفة شعر النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان له مشط يسرح به شعره ويقوم بترجيله وتسريحه أما الذى يترك شعره ثائرا « منكوش

الشعر » فقد حدث أن رجلا دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ثائر الرأس واللحية فأشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يأمره باصلاح شعره ولحيته ففعل ثم رجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **أليس هذا خيرا من** أن يأتى أحدكم **ثائر الرأس كأنه شيطان** وقد دخل رجل على النبى صلى الله عليه وسلم وله شعر طويل فلما رآه قال : ذباب ذباب . يقول الرجل فرجعت فجززته ثم أتيته من الغد فقال انى لم أعنك وهذا أحسن . من هذا يتبين أن تطويل الشعر مسألة من وجهة نظر الاسلام ليس فيها تحريم ولا كراهة الا اذا كان الشعر ثائرا ويجعل منظر الانسان مخيفا كأنه شيطان هذا بالنسبة للرجل - أما بالنسبة للاطفال فيستحب حلق رؤوسهم للنظافة وبالنسبة للمرأة عليها أن تترك شعرها ويحرم عليها وصل شعرها بشعر آخر وهذا الحكم ينسحب على الشباب وهذا ما نسميه بلغة العصر الباروكة **وكذلك ما يستعمله بعض أهل الريف من وصل شعرهم بالصوف فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم زجر المرأة التى تصل برأسها شيئا قال الحنفيون ومالك الوصل ممنوع سواء وصله بشعر أو بصوف ويقول الشافعى .. ان وصلت شعرها بشعر آدمى فهو حرام وان وصلته بشعر نجس من غير آدمى فهى تحمل نجاسته وان وصلته بشعر طاهر من غير الادمى « كالشعر الصناعى » ولم يكن لها زوج فهو حرام أيضا وقد ورد عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت جاءت امرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان لى ابنة عريسا أصابتها حصبة فتمزق شعرها أفأصله فقال لعن الله الواصلة والمستوصلة . يقول الامام أحمد والامام الليثى الوصل الحرام مختص بوصل الشعر بالشعر لما فيه من التدليس واستعمال المختلف فى نجاسته هذا بالنسبة للجنسين** وأحب أن أوضح لكم يا شباب ان ما قلناه فى مسألة اللبس بالنسبة للبيئة والمجتمع والامور المتعارف عليها فهذه أمور ينبغى مراعاتها وعدم اغفال رأى الناس خاصة فيما درج عليه الناس وتعارفوه ولما كنا فى مجتمعنا هذا قد تعارفنا على تقصير الشعر بالنسبة للرجل فيجب مراعاة ذلك أدبا وذوقا وتمشيا مع المجتمع بما لا يتعارض مع رأى الاسلام أما لبس الذهب سواء كان أساور أو سلاسل فانه يحرم على الرجل استعمال الذهب مطلقا فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن استعمال الذهب بالنسبة للرجل واباحه بالنسبة للنساء فقد أمسك الذهب والحرير فى يديه وقال هذان حرام على ذكور أمتى حلال لاناثها والله تبارك وتعالى يقول « **أو من ينشؤ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين** » لقد جعل الحلية من شيمة المرأة ومن طبيعتها لتتزين بذلك لحليلها

لهذا فان استعمال الذهب محرم لان فيه نوعا من الترفيه والتعالى والكبرياء وادخال الغرور على نفس الانسان والرجل اجتماعى بطبعه يغشى المجالس ويتردد على المساجد ففى لبسه للذهب كسر لقلب الفقير الذى لا يجد ما يأكله بينما يتحلى هذا بالذهب فى رقبته ويده واذا كان بعض الشباب يلجأون الى وضع السلاسل فى رقابهم فهذا أمر غير مألوف وهو تقليد أعمى نسأل الله لشبابنا العافية والبعد عن التقليد الاعمى المضر بالاخلاقيات والذى يجر الى المفاسد وخلاف هذا أحب أن أضع أمامكم نقطة اساسية وهى سنن الفطرة يقول الله تعالى « **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن** » والكلمات التى ابتلى الله بها ابراهيم هى الطهارة وهى عشر خصال خمس فى الجسد وخمس فى الرأس أما التى فى الجسد .. تقليم الاظافر وحلق العانة .. والختان .. ونتف الابط .. وغسل أثر الغائط والبول بالماء . وأما التى فى الرأس فقص الشارب والمضمضة .. والاستنشاق .. والسواك وفرق الرأس واذا كانت هذه سنن الفطرة التى فطر الله الناس عليها فلا يليق بانسان الخروج على تلك الفطرة والبعد عن أمور الدين زاعما أنه يساير التيار الحضارى ويمشى فى ركب التقدم ونحن لا نمنع أن يسير التطور فى طريقه وأن يصل الى أبعد مدى ولكن الذى نخشاه أن يفسر التطور على حساب الدين والاخلاق والاداب - فان الدين وما يتبعه من تعاليم خلقيه وأدبية انما هو من وحى الله شرعه لكل عصر وزمان والدين هو الذى فتح للعقل الانسانى آفاق الكون لينظر فيه وينتفع بهذا التطور ليصل بحياته الى اقصى ما قدر له من تقدم ورقى وليس هناك تعارض بين الدين والدنيا ولكن التعارض جاء نتيجة عدم فهم الدين فلنحاول يا شباب أن نتفهم أمور ديننا خاصة ونحن على ابواب أجازة الصيف والوقت أمامنا متسع والمساجد مفتوحة والعلماء فيها والكتب موجودة تملأ المكتبات فعلينا أن نتزود بالثقافة الدينية التى تقوى عقيدتنا وتنهض بعزائمنا وتوطننا على تحمل المسئولية وعدم التهرب من الواجب الملقى على عاتقنا تجاه امتنا وهى تبنى مجدها التليد وتنهض من كبوتها.

فاذا سافر بعضنا الى الخارج فليكن رسول خير يحمل الدعوة الى الله على لسانه بالكلمة والقدوة واذا كنا فى ميدان أمتنا وعلى ساحة أرض جمهوريتنا فلنعمل عملا بناء يكون من شأنه المساهمة الايجابية فى دفع عجلة الحياة والنهوض بالامة .

السعادة في الرضا

لما كانت ظروف الحياة غير ميسورة لكل الناس وان الحظوظ فيها موزعة حسب ما اراده الله وسبق فى علمه . نجد الرسول عليه السلام يطمئن أمته ويبين لها بأن السعادة فى الرضا بالمقسوم فيقول « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » وذلك حتى يسلم أفراد هذه الامة من التكالب على حب الدنيا لانها فى الحقيقة ليست كل شىء فى حياة الانسان حيث أوضح عليه السلام طريق النجاة فى قوله « ذاق حلاوة الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا » لان الانسان بماركب فيه من شهوة تستهويه وتزين له الدنيا بما فيها قد يجنح لذلك ويفكر فيه ويتخذ له الوسائل والاسباب التى قد تكون غير مشروعة والتى تضره مستقبلا فى اخراه ان لم يكن فى دنياه ايضا . ومن رحمته عليه السلام بأمته نجده يقول « انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر الا تزدروا نعمة الله عليكم » وبهذا التوجيه النبوى يفيق الانسان من غفلته ويرضى بما قسمه الله له فى حياته وتنطفىء نار الشهوة فى قلبه ويشعر ببرد الرضا الذى فيه سلامته وسعادته . حيث اللجوء الى الله وحمده وشكره على كل حال - لانه ان ظن ان ما أعطاه فى الدنيا قليلا فهناك من أعطى أقل منه .

ونلمس ذلك فى الارشاد النبوى فى قوله عليه السلام « اذا نظر احدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه وذلك حتى يظل تحت كنف الرضا الذى هو العاصم له من فتنة الحياة . وقد امر الله رسوله بذلك فى قوله تعالى « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » الاية ١٣١ من سوره طه . وبما ان الاسلام وضع اتباعه فى هذا الاطار حتى لا يشذوا عن هذه القاعدة فأوضح الرسول عليه السلام لامته كيف تحافظ على واجبها الدينى والدنيوى والاخروى فيسلم لها عملها فى كل مجال من هده المجالات مادامت تنفذ أمر رسولها الذى يقول « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا : من نظر فى دنياه الى من هو دونه فحمد الله على فضله عليه ، ومن نظر فى دينه الى من هو فوقه فاقتدى به ، واما من نظر فى دنياه الى من هو فوقه فأسف على ما فاته فانه لا يكتب شاكرا ولا صابرا » ونلمح فى هذا التوجيه النبوى الكريم كيف ينجح المؤمن العاقل فى حياته مهما قل رزقه او ساء حظه وما ذاك الا عن طريق الرضا فلا يحقد على زميل له مثلا سبقه فى الدراسة او على تاجر اوتى حظا اكثر منه او على ذى جسم اقوى منه او على ذى مال اكثر منه فقد قسم الله الحظوظ والارزاق بين عباده والسعيد منهم من

عاش راضيا حامدا شاكرا كل همه أن يرضى الله عنه وان يكون الله له ولو انفض أهل الدنيا جميعا عنه لانه يؤمن انهم لا يملكون له نفعا ولا ضرا وان كان عز الدنيا بالمال فعز الاخرة بصالح الاعمال .و لم ينس الرسول عليه السلام امته فى هذه الامور الغيبية فنبه عليها بقوله « كل ميسر لما خلق له تدليلا على الواقع المشاهد بيننا من اختلاف المواهب والاعمال التى شاءها الله وقدرها لعباده . ومما يلفت النظر فى هذا المعنى المثل المشهور « لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع » مما يؤكد الاطمئنان الى عدالة الله سبحانه فى توزيع المقدرات بين عباده حيث هو أعلم بصلاحية كل فرد لعمله فى الحياة وهذا يؤكد سلامة التوازن الاجتماعى بين الناس الذى نادى به القرآن الكريم فى الاية ٢٥١ من سورة البقرة فى قوله تعالى « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض** » وفى الاية ٢٧ من سورة الشورى فى قوله تعالى « **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض** » وفى الاية ٣٢ من سورة الزخرف فى قوله تعالى « **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا** » وبهذا يمكن أن تقضى المصالح وتسير الحياة بخضوع كل فرد وسيره فى طريقه يبتغى الخير من الخالق فى دنياه ويرجو السعادة منه فى أخراه . ولزيادة الايضاح فى أن السعادة فى الرضا نسوق للقارىء الكريم حادثتين كان للرضا فى نفس ابطالهما أثر كريم كلنا فى حاجة اليه الاولى – حدثنا التاريخ الاسلامى ان حاتم الاصم وهو من الصالحين اراد أن يخرج للحج ولما أخبر زوجته بذلك قالت له « لمن تكلنا وليس فى البيت رزق يكفينا مدة غيابك عنا ، وكان الحديث أمام ابنته التى شابهت اباها فى الاعتماد على الله والتوكل عليه – فقالت لامها « دعيه يخرج فليس برازق » وترك بيته فى رعاية الله وخرج يسعى فى طاعة ربه ، ولاجل أن يصدق الله أهل الرضا واليقين والاطمئنان سخر أمير البلد للمرور فى المكان الذى يقع فيه البيت وقد أدركه العطش وطلب ماء من اهل هذا المنزل فخرجت له بنت حاتم بكوز فيه ماء بارد فشرب واودع الله فى الماء حلاوة لفتت نظر الامير فسأل عن صاحب البيت فقيل له انه بيت حاتم الاصم وقد خرج للحج – فوضع فى الكوز قطعا من النقود ذهبا او فضة حسب اختلاف الرواية وقال للعسكر الذين معه من احبنى فليفعل مثل ما فعلت فوضعوا جميعا فى الكوز نقودا حتى امتلا وناولوه لبنت حاتم الاصم التى دخلت تبشر أمها بهذا الخير الذى ساقه الله لهم وقالت لها بلسان المتوكلة على الله الواثقة من فضله وخيره « ألم أقل لك دعيه يخرج فليس برازق » وعلى هذا نلاحظ أن القدوة الصالحة هى باب من أبواب النجاة لصاحبها فى الازمات والشدة ووقت الحاجة فلو لم ينشىء حاتم الاصم ابنته هذه على الطاعة والاستقامة والخلق الكريم ما كان لها أن تعظ أمها بما سمعناه منها وقد استجاب الله لها لانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

الحادثة الثانية – تدل على أن الدين حينما يتمكن من نفس صاحبه ينأى به عن المعصية او الوقوع فى الخطأ او الخوف من المستقبل مادام هو مع الله وعلى باب الله – فنجد الرجل الذى كان يعمل خادما لدى امراة مشركة وكان كبيرا فى السن وله ولد ولا وحيد يخدمه وينفق عليه ويقوم على رعايته امتثالا لواجب الابوة الذى قرره الاسلام – وقد مات الولد فجأة فقالت المراة للرجل . كيف تعيش بعد ابنك الذى كان ينفق عليك وليس لك احد غيره وماذا ستفعل وماذا ستصنع بلغة الماديين الذين لا يعرفون الا انفسهم وفقط – أما هو فكان على صلة بربه راضيا بقضائه وقدره . فجاء الجواب مطابقا لدينه وعقيدته وقال لها « ان كان ابنى قد مات فالرب موجود لا يموت » وهنا صحا عقل المراة وتنبه ضميرها وادركت انها كانت فى غفلة وافاقت منها على صوت الايمان المدوى المنبعث من قلب هذا الرجل الكبير العامر بالايمان وثيق الصلة بالله سبحانه وقالت « ان دينا يهون المصائب على أهله الى هـــذا الحد لهو الدين الذى يجب أن يعتنقه جميع الناس . وانى أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله » .

ولو اتخذ الناس القدوة العملية التى جاء بها رسول الله وكلفهم القرآن بتنفيذها لنجوا .

واخيرا نستطيع أن نقول ان الرضا هو الخلق الحسن الذى ينفع صاحبه فى الدنيا والاخرة وفيه راحه الضمير وسلامه القلب وسعادة البال وبالتالى هو نفحه من اللـه سبحانه لهؤلاء الذين احبوا دينهم واخلصوا لربهم واقتدوا برسولهم فى كل ما جاء به من أجل سعادتهم فى دنياهم واخراهم وان امتلاك الدنيا كلها بدون خلق لا يعدل فى ميزان الاسلام مثقال خردلة وامثال هؤلاء وان عدوا فى نظر أهل الدنيا اغنياء فهم فى نظر الدين أفقر الفقراء لانهم افتقدوا النور والضياء وعاشوا فى ظلام الجهل وحب الدنيا والرغبة فيها ونسوا انهم راحلون عنها ومحاسبون عليها بينما تخفف العقلاء من ثقل الدنيا المادى وجمعوا ما أمكنهم من صلاح وتقوى هو زادهم ورصيدهم فى أخراهم عملا بقوله سبحانه « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » ، هذا وبالله التوفيق .

على فريح حسنين
وكيل الدعوة الاسلاميه بمديرية كفر الشيخ

من تاريخ

السيدة زينب

رضى الله عنها

فى ذكراها الخالدة

ولدت رضوان الله عليها فى السنة السادسة من الهجرة بعد اخوتها الحسن والحسين ومحسن رضى الله عنهم وهى بنت الامام على كرم الله وجهه . وأمها السيدة فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود ، وخاتم النبيين ولقد فرح بها جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم عند ولادتها . وسر بطلعتها سرورا بالغا ، وأدركت من حياته الشريفة خمس سنوات ، وتلك مدة كافية لان تعرف فيها أن جدها رسول الله ، وأنه يوحى اليه من السماء ، وينزل عليه القرآن العظيم . من لدن حكيم عليم ، وساعد على سمو ادراكها لما يدور حولها ما عرفت به من ذكاء خارق فى طفولتها المبكرة .

ونشأت فى بيت زكى شريف ، وجو نقى عفيف ، هيأته لها . وهيأتها له عناية الله جل جلاله ولما بلغت سن التمييز ابتدرها أبوها كرم الله وجهه بالتأديب والتهذيب . والتعليم والتثقيف فلقنها العلم والحكمة ، وحفظها كتاب الله وسنة رسوله حتى صارت غرة فى جبين الزمان ، فريدة بين الاقران ، ولها قدم صدق عند الله رب العالمين .

وعندما اكتمل عقدها ، ونما عودها . وبلغت سن الزواج رغب فيها الكثيرون من شباب بنى هاشم ومن شبيبة قريش . وكل منهم يود من أعماقه أن يتصل نسبه بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن ينال خيرا وبركة ، وصلاحا وهدى بمصاهرة الامام على كرم الله وجهه والحسن والحسين رضى الله عنهم .

لكن الذى نال هذا المجد وذلك الشرف هو ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . وقد كان عبد الله هذا شهما كريما عفوا جواد ، لم يضن بمعروف ، ولم يرد سائلا أتاه . وهو أول مولودمسلم فى أرض الحبشة . وقد أحاطه الرسول الكريم بعطفه وكرمه . ودعا له قائلا « اللهم بارك لعبد الله فى صفقة يمينه » . وكثيرا ما مسح على رأسه بيده الشريفة وقال « اللهم اخلف جعفرا فى ولده » وأثمر زواج عبد الله بن جعفر بالطاهره زينب ذريه طيبة ، هم على ومحمد وعون الاكبر ، وأم عبد الله ، وأم كلثوم ، وكلهم مات دون أن يعقب الا عليا وأم كلثوم فمنهما كانت السلالة الزينبية المنبثة فى الافاقق .

وقد كان للسيدة زينب رضى الله عنها حال عظيم ، وشأن عال فى عبادة ربها . فقد كانت متعبدة متهجدة . صوامة قوامة . تناجى مولاها فى هدأة الليل وسكونه قائلة « يامن لبس العز وتردى به وتعطف بالمجد وتحلى به ، اسألك بمعاقد العز من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك . وباسمك الاعظم ، وكلماتك التامات التى تمت صدقا وعدلا . أن تصلى على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين ، وأن تجمع لى خيرى الدنيا والاخرة . ومن استغاثاتها وتوسلاتها ما كان يجرى به لسانها رطبا دواما فتقول :

وكم لله من لطف خفى
يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر
ففرج كربة القلب الشجى
وكم أمر تساء به صباحا
وتأتيك المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاحوال يوما
فثق بالواحد الفرد العلى
توسل بالنبى فكل خطب
يهون اذا توسل بالنبى
ولا تجزع اذا ما شاب خطب
فكم لله من لطف خفى

ولقد ضربت سيدتنا السيدة زينب رضى الله عنها . مثلا أعلى لما يجب أن تكون عليه المرأة العربية المسلمة ، عندما تنهض مطالبة بحق ، أو مؤدية لواجب . وعندما تذوق السراء والنعمة ، أو تمسها الضراء والمحنة ، فالمسلمة مسلمة فى كل آن ، متمسكة بدينها ومثلها فى كل حال .

ولقد كان من قدر الله المقدور أن يستشهد الامام الحسين رضى الله عنه فى ساحة الشرف والجهاد وأن تشهد استشهاده العقيلة الطاهره . فلم يك منها الا الاعتصام بالحق أثناء المعركة . والرضا بالمقدور بعد وقوع الواقعة . فانها لما سمعت صيحة أخيها الحسين فى البقية الباقية من أصحابه قامت تحمس الجند ، وتبث فيهم روح الجلاد والمدافعة ، فقالت ، أيها الطيبون ، دافعوا عن بنات رسول الله ، وحرائر أمير المؤمنين » .

وحين رحل الامام الحسين الى ربه وأدخلت السيدة زينب ومن معها من أهل البيت على عبيد الله بن زيد الطاغية انتحت من القصر ناحية ، وحولها اماؤها ، وهى متجلدة صابرة ، فقال ابن زياد من هذه التى انحازت فجلست ناحية ومعها نساؤها . فلم تجبه اباء وترفعا . فأعاد الكلام مرة ومرة فقال بعض امائها . هذه زينب بنت فاطمة الزهراء فنطق

ابن زياد نطق الشماتة ، وابدى خلائق الشر والسوء . فلم تسكت سيدتنا على ضيم ، ولم تدعه يتكلم بما شاء له شيطانه من اثم بل ردت عليه – وهى المثقلة بهمومها وأتراحها – بما أفحمه وألجمه وبهته فقالت الحمد الله الذى أكرمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم محمد وطهرنا من الرجس تطهيرا ، أنما يفضح الفاسق ، ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا والحمد لله «فقال ابن زياد» كيف رأيت صنع الله باهل بيتك « فقالت راضية بالقضاء ، صابرة على البلاء ، موقنه بيوم الجزاء» ما رأيت الا جميلا ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده فأنظر لمن يكون له الفلج يومئذ » .

ولما دخلت على يزيد بن معاوية المتجبر الطاغية ، وهى فى حزنها الحزين . وظن القوم أنها لابد ساكتة ، خاطبت يزيد بما أوجعه وآلمه . وأبان له أن أهل الحق على الحق مهما أصيبوا وتنكرت لهم الايام ، وأن من الناس من يأخذ الامور بظواهرها لغفلتهم عن الحقيقة ، وعدم فهمهم لها . فقالت « صدق الله يايزيد » ثم كان عاقبه الذين اساءوا السوءى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » . أظننت يايزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الارض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما تساق الاسرى أن بنا هوانا على الله . وأن بك عليه كرامة وتوهمت أن هذا لعظيم خطرك فشمخت بأنفك . ونظرت فى عطفيك جذلان فرحا حين رأيت الدنيا مستوسقة لك ،والامور متسقه عليك . ان الله ان أمهلك فهو قوله : « ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انمـا نملى لهم ليزدادوا اثمـا ولهم عـــذاب مهين » . أيزيد ، والله ما غيرت الا فى جلدك ، ولا حززت الا فى لحمك ، وسترد على رسول الله برغمك ، ولتجدن عترته ولحمته من حوله فى حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجـر المؤمنين » . وستعلم أنت ومن بواك ومكنك من رقاب العباد . اذا كان الحكم ربنا ، والخصم جدنا ، وجوارحك شاهدة عليك فبئس للظالمين بدلا ، هناك تعلم اينا شر مكانا واضعف جندا ، فوالله ما اتقيت غير الله ، ولا شكوت الا لله ، فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك فوالله لا يرحض عنك عار ما أتيت ابدا ، والحمد لله الذى ختم بالسعادة والمغفره لسادات شبان الجنان ، فأوجب لهم الجنة ، واسأل الله أن يرفع لهم الدرجات ، وأن يوجب لهم المزيد من فضله انه ولى قدير » .

ولما انتهت من خطبتها البليغة الرصينة ارتاع اليزيد فارسلها معززة مكرمة هى ومن معها من أهل بيتها الى مدينة جدها عليه الصلاة والسلام ، وصاحبهم فى سفرهم رجل امين يخدمهم ويرعى شئونهم ، حتى وصل ركبهم الى المدينة المنورة ، فهل أنستهم الفاجعة والمأساة جميلا قدم اليهم ، أو معروفا صنع معهم ، كلا : فان فاطمة بنت الحسين رضى الله عنها تقدمت الى عمتها زينب وقالت : لقد أحسن هذا الرجل صحبتنا فهل لنا أن نصله ، فقالت السيدة الطاهرة : والله ما معنا الا حلينا ، ثم نزعتا ما كان معهما من الحلى وبعثتا به الى ذلك الرجل باعتذار رقيق بأن هذا يسير بجانب كرم صحبته ، وحسن معاملته فرده الرجل معتذرا قائلا «لو كان ما صنعته للدنيا لكان فى حليكن ما يرضينى ولكن والله ما فعلته الا لله ولقرابتكم من رســول الله صلى الله عليــه وسلم » .

وعندما نزلت السيدة زينب مدينة جدها اجتمع الناس من حولها يسمعون منها ما جرى لها ولاهل بيتها من عدوان يزيد بن معاوية ، وبغى عبيد الله بن زياد فكتب والى المدينة عمرو ابن سعيد الى يزيد يقول له « لقد استجاب الناس لدعوتها ، ودخلوا تحت رايتها مما دعانى أن أكتب اليك بشأنها والراى ما ترى » . فرد عليه أن فرق بينها وبينهم ، وامرها بالخروج الى اى بلد تختار سوى الحرمين الشريفين وحمل ابن سعيد كتاب يزيد اليها ، ودعاها ورجاها ان تغادر البلد . الى أي البلدان تحب ، فاختارت مصر . وسارت اليها فلما علم بذلك واليها مسلمة بن مخلد الانصارى خرج ومعه جمع من وجوه البلد وكبرائها فاستقبلوها عند قريه شرقى بلبيس عرفت فيما بعد بقريه العباسة ، وكان لقاء حافلا بعواطف الود والحب والاعزاز والتكريم لاهل البيت الكرام . وقد نزلت السيدة الطاهرة عاصمة البلاد فى اول شعبان سنة احدى وستين من الهجره . واقامت بدار الوالى عابدة متبتلة ، الى ان لقيت ربها مساء الاحد لخمسة عشر ليلة مضت من شهر رجب سنة اثنتين وستين هجرية ودفنت بمحل سكناها فى مقامها المعروف الآن باسمها تاركة فى امة العرب والاسلام مثلا أعلى للمرأة العربية المسلمة فى كفاحها ونضالها ، وورعها وتقواها ، وصلاحها وعفافها فرضى الله عنها وأرضاها .

ابراهيم جلهوم
شيخ المسجد الزينبى

رسالة المسجد

الحمد لله نحمده ونستعينه . ونتوب اليه وسنتغفره . ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادى له .. واشهد الا اله الا الله الواحد الاحد . والفرد الصمد . والذى بيده وحده النفع والضر . والحياة والموت « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها . وما يمسك فلا مرسل له من بعده » ..

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله . وأمينه على وحيه . وخيرته من خلقه ورحمته المهداة للناس أجمعين .. صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان ..

أما بعد : فيقول الله تعالى :

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب « سورة النور

ويقول سبحانه :

« لمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين « سورة التوبة »

أيها المسلمون :

هكذا يوضح الاسلام رسالة المسجد . ويحدد أهدافه .. فالمسجد فى نظر الاسلام محراب للعبادة . وساحة للتربية . ومدرسة للتعليم والتوجيه ..

١ ــ فى المسجد يلتقى المؤمن بربه . ويعيش فى حضرته لحظات مشرقة يتجرد فيها من الدنيا وغرورها . ويترفع فيها على الشهوات وسلطانها . يدخل خاشعا ويجلس متواضعا . ويتضرع مخلصا .. ان نطق فنطقه ذكر . وان صمت فصمته فكر . وان احنى هامته . او عفر جبهته فانما يفعل ذلك لا لدنيا يصيبها . ولا لغرض ينشده . ولا لبشر يتملقه . ولكن لمن دان له الخلق . وسجد له الكون رب السموات ورب الارض رب العالمين « **ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء** سورة الحج

ان هذه العبودية لله . والتصاغر فى ساحته . هى الحرية فى أجمل صورها والعزه فى ذروة مجدها . ولهذا كان من الدعاء الذى يرتله الرسول متفهما لهمستمتعابه « **اللهم أنت ربى وأنا عبدك . ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك ..** »

وهذا سليمان عليه السلام أوتى ملكا لم يؤته احد . وسخرت له الرياح وانقاد له الجن . ومع ذلك كانت امنيته التى يتمناها . أن يقبله الله عبدا . ويسلكه فى عباده الصالحين « **قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه . وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين** » سورة

النمل .

٢ – وفى المسجد يلتقى المؤمن بالمؤمنين من كل الطبقات وجميع المستويات . يزاحمهم ويزاحمونه . ويلاصقهم ويلاصقونه . لا يذكرون فاصلا من حسب أو نسب أو رتبة او لقب . أو جاه أو سلطان . وانما يذكرون جميعا انهم اخوة اكرمهم عند الله اتقاهم . وخيرهم عند الله أنفعهم لعباد الله . واجملهم أمام الله أطهرهم قلبا . وازكاهم نفسا . وأيقظهم ضميرا . .

٣ – وفى المسجد يستمع المؤمن الى آيات الله البينات توجهه للخير . وتدعوه للحق . وتوصيه بالصبر . وتأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر . وتحل له الطيب وتحرم عليه الخبيث وتشفى ما فى صدره من حرج . وما فى قلبه من كبر ومافى نفسه من شح . وما فى رأسه من غرور « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** » سورة الاسراء

هذه الحكم البالغة لو وعاها المسلم بعقله وقلبه . ورعاها حق رعايتها . لخرج من المسجد الى حياته التى يحياها . وهو مشحون بطاقات هائلة . من النوايا الطيبة والتوجيهات الصائبة . والرغبة فى العمل الصالح . والقول النافع . والخير العام وهذا هو التطهر الذى يذكره القرآن . والذى يحبه الله للمؤمنين ويتمناه الوطن للمواطنين

لا عجب اذا أن يربط الاسلام بين المسجد وبين الرجولة الحقة التى لا يصرفها عن الواجبات الشريفه شىء من عرض الدنيا .

ولا عجب اذا ان تكون الصلاة منطلقا الى البطولة الاصيلة التى تمارس نشاطها بحكمة . وتؤدى واجبها بأمانة . فلا تستعلى على الاولياء . ولا تستخذى للاعداء . وانما تضع الندى فى موضع الندى . والسيف فى موضع السيف . وانظروا كيف يربط الله بين ذلك وبين الركوع والسجود « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود** » سورة الفتح

لهذا كان أول ما بدأ به الرسول عليه السلام حين هاجر من مكة الى المدينة وجمع شمل الانصار والمهاجرين أن أسس مسجده على التقوى من أول يوم . . اشترى أرضه بماله . وعمل فيه بيده . وعفر جبهته بغباره . وبلل ثرواه بعرقه لانه كان يعلم أنه لا يبنى بناء كأى بناء . وانما يبنى مصنعا يصوغ الرجال ويخرج الابطال . ويقدم للعالم خير أمة أخرجت للناس . .

ولقد تخرج من مسجد الرسول هؤلاء القواد الذين فتحوا البلاد وارشدوا العباد ونصروا الله فنصرهم الله .

وتخرج من مسجد الرسول العلماء العاملون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله .

وتخرج من هذا المسجد النبوى الشريف المؤدبون والمربون الذين لم يتركوا فى الامة عوجا الا قوموه . ولا انحرافا الا أصلحوه . .

وتخرج من هذا المسجد المجتمع الاسلامى الذى لم ير التاريخ له مثيلا . والذى يقف مبهورا وهو يكتب صفحاته ويعدد حسناته . . وما ظنك بمجتمع يظل عاما كاملا لا يختصم فيه اثنان .

يروى التاريخ أن أبا بكر ولى عمر القضاء فظل عمر عاما لم يحتكم اليه خصمان فذهب الى ابى بكر . وقال له قلدنى عملا غير القضاء فانى لا أجد شاكيا أو متخاصما . . أو متظلما !!

وكيف يختصمون وقد بين الله لهم معالم فانتهوا اليها . . وحد لهم حدودا فلم يتعدوها . وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها . . وحبب اليهم الايمان والانصاف . وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان . ووعدهم بالجزاء فلم يتعجلوه ولم يستبطئوه ولكن قالوا بلسانهم وقلبهم ان وعد الله حق . فاذا جاز لاحد ان يقول : من بنى مدرسة فقد أغلق سجنا . فان من حقنا أن نقول : من بنى مسجدا فقد أسهم فى بناء أمة صالحة . ومجتمع راشد .

قال عليه الصلاة والسلام « **من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتا فى الجنة** » .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدا طيبا يليق بجلاله . ويتسامى الى علاه . واشهد الا اله الا الله بيده نواصى الخلق . ومقاليد الامر . وملكوت السموات والارض .

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ادى الامانة وبلغ الرسالة . وترك الناس على المحجة البيضاء صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه . ومن استن بسنته واتبع هداه أما بعد .

فان المساجد هى الحلقة التى تصل العبد بربه . والساحة التى تؤلف بين المسلمين وتجمعهم على كلمة سواء . ومن هنا كانت الدعوة الى الصلاة مقرونة بالدعوة الى الفلاح فى كل أذان يدعو للصلوات الخمس .

ومهمة الداعى الى الله تنبثق من رسالة المسجد الذى أعد لتطهير القلوب وتقويم السلوك . وترويض النفس على فضائل الاعمال . . فليفطن الدعاة الى خطر هذه المهمة . وليعلموا أنهم على قدم رسول الله فلينظروا ما هم فاعلون .

زكريا ابراهيم
الزوكة الوكيل العام لادارة الدعوة وزارة الاوقاف

الإسراء

وحياة الأنبياء

تعتلى بعض الاحداث الكبرى قمة التاريخ الانسانى وتظل متربعة على عرشه لا يستطيع حدث آخر ان يدانيها أو يأخذ مكان الصدارة معها مهما واتته الاسباب وتهيأت له الوسائل ٠

وقد تظهر بعض اسرار ذلك الخلود والتألق فى جبين الدهر فتبهر وتملأ النفوس دهشا واستغرابا » وقد نستطيع ان نحكم بأن كل ما يبدو منها قليل وأنه لا يعد وان يكون رشفه من بحر زاخر تبل الصدى ولا تنقص قدر الماء ،

وآية ذلك هذا المدد الدائم لكل باحث وكاتب فجميعهم يأتى بما يروى وينفع الغله دون ان يكرر كلمة واحدة من كلام أخيه ٠

وقد يتصدى بعض الحاقدين والحاسدين للتقليل من شأن تلك القمم أو لطمس معالم الروعة فيها ،، ومحاولة هؤلاء وان باءت بالفشل الذريع كما باء جيش ابرهة فرد عن قصده وجيش التتار فى محاولاته القضاء على أمة الاسلام ، ولكن هؤلاء ايضا قد ضمنوا لانفسهم خلودا فى صفحات التاريخ ٠ خلودا فى الجانب الاخر وليس ثمة سبب لتخليدهم ذاك الا تلك الوقفات البلهاء والرميات الطائشة لقمم جبال شاهقة لا تضير الجبل ولكنها على كل حال تبقى ببقائه ويحتفظ بها مع ما يحتفظ من رمال دلالة على الصمود وآية عظيمة وخلود ٠

وحدث الاسراء والمعراج من بين الاحداث الاسلامية الجسام حظى بمثل ما حظيت به من ابحاث وآراء منصفة كشفت عن بعض اسراره وآيه وحاقده وحاقد لم تزده الا نصوعا وضياء ٠

بيد انه فيما يبدو لنا قد دار فى مجالات فكرية وعقدية لم تدر فيها الهجرة مثلا وان كانت نقطة تحول فى التاريخ كما كان أيضا نقطة تحول فى تاريخ الدعوة الاسلامية ومسارها الزمنى والتشريعى على سواء

فبعد أن كانت دعوة معروضة على العقول بأدلة منطقية وبيان آخاذ يكشف ران القلوب ويكسر مغاليق الاسماع ويمسح غشاوة الابصار ويهز أوتار الوجدان ، كانت صيحة الاسراء دعوة متحدية أيضا ، متحدية لافكار لم تألف الا سوى البعير فى البوادى ولم تعرف من عالم السماء الا نجما يهديها دروب الطريق ٠ وانى لها أن تعرف ما وراء ذلك اذ لا حاجة اليه ما دامت خطاهم الوئيدة فى الرعى واسفارهم القاصدة فى التجارة تدر عليهم ما يكفل لهم العيش والحياة وقد قنعوا فى الجانب العقدى من حياتهم بعبادة احجار لا تضر ولا تنفع

يتقربون اليها ويسجدون بين يديها تحدثهم بما ظل معجزا حتى عصر الصاروخ عابر القارات ومركبات الفضاء وستظل ان شاء الله

وكان لهذا التحدى الذى أراده الله أهدافه ومراميه ، كشفت أستار الغيب منها الكثير ، فميز الله عز وجل الخبيث من الطيب فارتد القهقرى ضعاف الايمان وازداد الذين اهتدوا هدى حتى بلغوا القمة فى التصديق والايمان ولا عجب اذ نال اسبرعهم تصديقا ذلك اللقب الفريد « الصديق من بين المؤمنين والمصدقين ٠

كما كانت نقطة تحول فى التشريع فأصبح للمؤمنين شعار هو الصلاة ٠

والصلاة وان كانت قبل الاسراء عبادة تؤدى ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى ولكنها بعد الاسراء أصبحت كتابا موقوتا تؤدى طرفى النهار وزلفا من الليل ، ولئن تكشفت صبيحة الاسراء عن أمور عظام وحقائق كانت مثار علامات استفهام كثيرة فان من اخطر ماكشفت عنه هو ذلك اللقاء بين الانبياء وخاتم النبيين لقاء فى الارض وآخر [١] فى السماء ٠

رآهم فوصف ألوانهم وملابسهم وهيآتهم واعمالهم ورحبوا به ودعوا الله له ، رأى آدم فرحب به ويوسف وقد أعطى شطر الحسن » وموسى بن عمران رجلا آدم طوال جعده [٢] كأنه من رجال شنوءه كما رآه مرة اخرى هابطا من

الثنية وله جؤار [٣] الى الله بالتلبية ؟ ويونس بن متى على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف ، خطام ناقته ليف خلبه [٤] ».

مارا بثنية هرش ملبيا ، ورأى أباه ابراهيم الخليل وذكر أنه صلى الله عليه وسلم أقرب الناس شبها به ، ورأى عيسى ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس «٥» واضعا يديه على منكبى رجلين وهو بينهما يطوف بالبيت أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى ، وجميعهم كان يصلى فلما حانت الصلاة صلى بهم اماما صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

وما يعنينا الان وما عنى به السابقون من أئمة العلماء هو تلك الحياة الحية النابضة بالحس والحركة وتلك الهيئة الكاملة التامة من لون وشعر وملبس ومركب وتلك الزلفى الى الله عز وجل بالصلاة والطواف والتلبية .

وهل لنا أن نتساءل بعد أن أثبت القرآن الكريم لمن هم أقل منهم شأنا وأدنى منزلة الشهداء مثل تلك الحياة « **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »

لامراء فى انهم أحياء ولكن اى حياة تلك الحياة ؟ وما كيفيتها ؟ لقد فارقت أرواحهم الابدان وهم على ظاهر الارض ، ورآهم من عاصرهم أجسادا لا حس فيها ولا حركة ودفنوهم بأيديهم فى قبورهم .

لاشك انها حياة تغاير تلك الحياة ، وأقرب مثل يوضح ما نقول ؟ هو الفارق بين حياة النائم وحياة اليقظان فالنائم يرى ويسمع ويأكل ويشرب ويسافر ويركب ويفعل كل ما يفعله المتيقظ ، دون أن يفارق بدنه مرقده ولا أحد ينكر عليه مرائيه ولا يكذبه فيما يدعيه ، وقد تتحقق رؤياه كما رآها بأوقاتها وأشخاصها ومناظرها ومسامعها وحركتها وسكونها .

وما يمكننا أن نقوله الان أن الله عز وجل قد جعل لحياة بنى الانسان أطوارا مختلفة ومتباينة كل طور منها له مقوماته الخاصة به ، فحياته فى صلب أبيه غير حياته فى رحم أمه وحياته على ظاهر الارض غير حياته فى باطنها وكل ذلك تختلف عنه حياته الابدية فى الدار الباقية .

وقد أخبرنا القرآن الكريم ان رب العزة اخذ العهد والميثاق على جميع بنى آدم وهم فى الاصلاب فعاهدوه وشهدوا بأن لا اله سواه « **واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون** »

فهل من حقنا أن نقول : كيف أخذهم ؟ وكيف عاهدوا ربهم ؟ انه القادر الذى لا يعجزه شىء ومادام الخبر الصادق قد جاءنا بأنهم أحياء فلنطمئن به قلبا ولنقبله قبول أبى بكر الصديق ان كان قد قاله فلقد صدق .

أما كيف رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر ذلك هين ويسير ، مادمنا قد عددناه من معجزات الانبياء . ومادام الحق الذى أسرى قد قال وهو القدير « **لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير** »، وقد يلقى كثيرا من الضوء على نوعية تلك الحياة تصورنا لصلاتهم مقتدين بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتصور أن تكون صلاة المأموم تغاير صلاة الامام ركوعا وسجودا ودعاء وتسبيحا .

اللهم هذا ما جاء به كتابك وقولك الحق ، وما ينطق به لسان رسولك وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ، فآمنا به وصدقناه واتبعنا النور الذى أنزل معه » وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

عبد الحميد محمد ندا
وزارة الشئون الاسلامية
بدولة الامارات العربية

---

١ - روى هذا كله الشيخان بتصرف
٢ - آدم : اسر - طوال : طويل - جعد - مكتز . اللحم أو ملتوى الشعر - شنوءة : قبيلة يمنية .
٣ - جؤار : صوت مرتفع واستغاثة
٤ - الخطام : الحبل الذى يقاد البعير - الخلبة - الليف - تثنيه هرش : جبل على طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة .
٥ - ديماس : حمام

معجزة الاسراء والمعراج

وحقوق المسلمين فى المسجد الأقصى

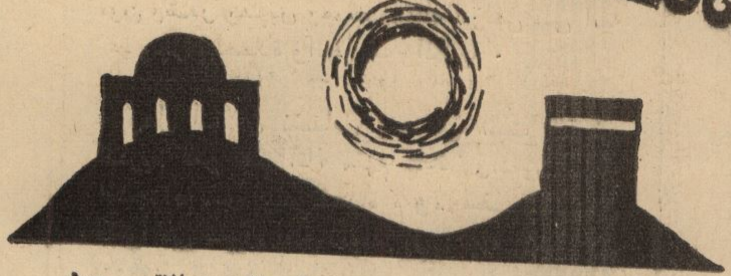

« الحمد لله الارض قبضته والسموات مطويات بيمينه وأمره بين الكاف والنون سبحانه سبحانه اذا اراد شيئا قال له كن فيكون واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له يقدر ولا يقدر عليه ويجير ولا يجار عليه ويعدل ولا يعدل عليه والامر منه واليه .

« وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون » واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله صاحب المقام المحمود والحوض المورود وهو أول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض وهو الذى قال له ربه ولسوف يعطيك ربك فترضى وحاشاك يا سيدى يا رسول الله ان ترضى وواحد من امتك فى النار اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين أما بعد :

فقد تعود المسلمون فى كل عام فى مثل هذه الايام المباركات من شهر رجب الحرام تعودوا أن يحتفلوا بذكرى معجزة الاسراء والمعراج التى أكرم الله بها عبده ونبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وكلما تحدثنا عن هذه المعجزة نقول ما بين طرفة عين وانتباهتها بغير الله من حال الى حال فى طرفة عين كان الرسول الذى يؤذى ويضطهد يصل الى المسجد الاقصى حيث جبريل وميكائيل فى ركابه وحيث الانبياء فى استقباله ليصلى بهم اماما ليكون ذلك انصع دليل على ان رسالته هى آخر كلمة قالتها السماء للارض ما بين طرفة عين وانتباهتها بغير الله من حال الى حال حيث يصعد الى سدرة المنتهى بل الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام بل يزج به فى الانوار الالهية والفيوضات الربانية وازاء هذا الموقف الرائع جعل الرسول يهتف التحيات لله والصلوات والطيبات لله فيسمع الجواب من العلى الاعلى السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته وفى هذا الموقف الرائع لم ينس الرسول عباد الله الصالحين من الاولياء والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فاخذ يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا الكون كله ارضه وسماؤه ونجومه وكواكبه يهتف بهتاف واحد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله . نعم رأى الرسول ربه وسمع كلامه وخلع القبول التى خلعها عليه وفرض عليه وعلى امته خمسين صلاة فما زال يتردد بين موسى وربه وربه يحط عنه خمسا خمسا حتى أصبحت الصلاة خمس صلوات فقال له سيدنا موسى عليه السلام ارجع الى ربك فاساله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فقال له قد راجعت ربى حتى استحييت ولكنى ارضى وأسلم فعندئذ سمع النداء ان قد امضيت فريضتى وخففت عن عبادى هى خمس فى الفعل وخمسون فى الاجر مايبدل القول لدى ولاينسخ كتابى ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة . فان عملها كتبت له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه

فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة وعندئذ قال له سيدنا موسى عليه السلام أهبط باسم الله فنزل صلوات الله وسلامه عليه من السموات العلا الى المسجد الاقصى ثم رجع الى مكة المكرمة ٠

وهكذا ٠ كانت رحلة الاسراء والمعراج المعجزة الخارقة التى أكرم الله بها عبده ومصطفاه محمدا صلى الله عليه وسلم كانت أنصع دليل على أن الله لم يصطف بذاته الا ذاته صلى الله عليه وسلم وكانت امتحانا ظهر فيه قوى الايمان من ضعيف الايمان « فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون » ياأتباع سيد الخلق عليه الصلاة والسلام أذكروا وأنتم تحتفلون بذكرى الاسراء والمعراج اذكروا المسجد الاقصى الذى فتحه المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستشهد فيه خمسة وعشرون الفا من خيرةالمسلمين أذكروا قضية فلسطين وانها ليست قضية مليون أو مليونين طردوا من ديارهم وانما هى قضية بلد الاسراء والمعراج هى قضية التوحيد هى قضية رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وان قضية فلسطين تمر الان بمحن عصيبة فقد رأينا دماء أبنائها تسيل فى هذه الايام العصيبة لا بيد اليهود ولكن بيد المسلمين ٠ الرصاص يوجه الان الى صدر العربى المسلم وكان حقه أن يوجه الى صدر اليهودى ٠ لحساب من تسفك هذه الدماء لحساب الرحمن أم لحساب الشيطان لحساب الخالق أو لحساب المخلوق ان فلسطين بمسجدها الاقصى أمانة فى عنق كل مسلم ومسلمة لا فرق بين مصرى وسودانى وعراقى وسورى واندونيسى وصينى مادام الجميع يقول لااله الاالله محمد رسول الله والناس يتساءلون أسئلة كثيرة حول هذه الرحلة المباركة فيقولون حينما تجلى ربنا على الجبل خر موسى صعقا وحينما كان رسولنا يشاهد الانوار الالهية لم يصعق بل كان ثابت القلب فلم صعق سيدنا موسى ولم يصعق نبينا ؟ وللاجابة على هذا السؤال نقول تأدبوا فى حق رسولكم فسيدنا موسى هو الذى طلب من ربه الرؤية قال ربى أرنى انظر اليك أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فالحق تبارك وتعالى هو الذى طلب أن يراه سيدنا موسى كان طالبا ورسول الله كان مطلوب سيدنا موسى كان محبا ورسول الله كان محبوبا وشتان بين طالب ومطلوب وبين محب ومحبوب والمسلم لا ينبغى له أن يتساءل هذه الاسئلة السخيفة فيقول هل كانت الرحلة بالروح ام بالجسد بعد ان قال ربك جل جلاله « سبحان الذى اسرى بعبده »

يا ايها المسرى بى شرفا الى
مالم تنله الشمس والجوزاء
يتساءلون وانت اكرم مرسل
بالروح ام بالهيكل الاسراء
بهما سموت مطهرين كلاهما
روح وروحانية وبهاء

اسأل الله العظيم رب العرش الكريم ان يجعل من احتفالنا بهذه المعجزة فاتحة خير وبركة ونجاح وتوفيق للاسلام والمسلمين وأن يعيد المسجد الاقصى الينا عزيزا منتصرا وان يجمع كلمة العرب والمسلمين وان يحول حالهم الى احسن حال اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ٠

مرتضى محمد متولى
امام وخطيب مسجد
الجمعية الشرعية بالحافظية

بقية مقال « الاسلام وعالمية الدعوة المحمدية

تقرب العبد من ربه كما هو موضح فى سورة الحجرات والفرقان والنور والاحزاب والمجادلة ٠وغيرها ،وقد شرع الله الضمان فى التعامل بين الناس فقال جل شأنه :

« ياأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ٠ ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولايبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ٠ ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ٠ ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ٠ فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد ٠ وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم ● وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ●)٠ (سورة البقرة ٢٨٢ ـ ٢٨٣) ٠

ان الاسلام هو المنقذ للبشرية من تعقيداتها وآلامها وشرورها وآثامها ، وهو الدواء الشافى من جميع العلل التى تصيب جسم المجتمع الانسانى والتى أفسدت الحياة ، والافكار الدخيلة هى تلكم العلل الدنيئة التى ترتبط بحياة الانسان ، فتثير غرائزه وتحوله الى انسان بغير انسانية ، وهناك أقوام لم ينبتوا فى بيئة اسلامية فشبوا مستهترين بدينهم ، وفريق آخر لا يعرف الا التقليد الاعمى الذى يدمر ويحطم ، أما المؤمنون فيعرفون مكانة الفضائل فى النفوس ، ويعلمون عقبى الرذائل المخربة وهى التى تفسد الذوق والوعى ،وليس كل فكر مستورد بغيض وكريه ، ولكن كل ما يخالف شرائع الله لعباده هو المنكر الوافد على الخلق العربى الاسلامى الاصيل ٠

ان اباحة الخمر والربا والدعارة باسم الحضارة وغير ذلك من المنكرات ردم للدعوة المحمدية يراد به اخماد أنفاسها تحت الثرى ٠

وان الذين اصطفتهم ثقافة أوربا لنفسها ، وغرست فيهم الطبائع الممسوخة ومن اصطنعهم الالحاد لنفسه ، هم الذين يهاجمون الاسلام ككل فى تطبيق شرائعه وشعائره ، يريدون بذلك القضاء على الروح الاسلامى الذى اشرقت الارض بنوره حينا من الدهر فامتلأت عدلا وأمنا وسلاما ، ولقد صنع هذا الاسلام جيلا من المسلمين لم يجحد ٠التاريخ فضلهم ونبلهم، وكانوا رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ٠

وهل هناك أعجب من أنك ترى فريقا من المسلمين يريدون القضاء على دينهم بأيديهم ؟ وغرضهم البين هو ارضاء الاهواء التى تريد بالاسلام شرا ٠وليس ادل على ذلك من تجهيل الناشئة بفضائل دينهم ، وعزل الاسلام عن التشريع والتقنين ، وابتكار التقاليد المنكرة فى الازياء والصلات فى الاسر والجماعات والجامعات ، وتقسيم الامة الواحدة الى فرق وشيع ودويلات متدابرة ، لا لشىء الا أن أعداء الاسلام يسخرون هؤلاء الحمقى لهدم الاسلام ،ومن ثم تتعاون الضغينة والمنفعة على بلوغ الاهداف ، فويل للاسلام من أعدائه المقنعين المغلفين !! وعلينا أن نتيقظ لهؤلاء ونعرف كيدهم وحقدهم ٠

أئمة المساجد والأجازة الصيفية !

بانتهاء امتحانات الطلبة تبدأ الاجازة الصيفية للشباب ، ويواجه المجتمع أعدادا هائلة من الابناء الذين يريدون الاستمتاع بالاجازة الصيفية ، وهى مشكلة بالنسبة للمسئولين عن الشباب ، تعودنا ان نراهم دائما فى مثل هذا الوقت من كل عام يعقدون لها الاجتماعات ويتخذون القرارات التى لا تلبث أن تتلاشى رويدا رويدا ثم تنتهى الى لا شىء ....

ودائما كنت انادى واقول : ان هذه المشكلة العويصة لا يقدر على حلها الامام المسجد الذى عليه ان يتعب فى اوقات راحة الاخرين لاظهار مواهبه واثبات وجوده .

والانشطة التى يمكن للامام مزاولتها مع الشباب كثيرة ، وليس المفروض ان يكون ملما وخبيرا بكل انواع النشاط ، ولكنه يستطيع أن يخطط لما يجيده وأن يساعد فى التخطيط لما لا يجيده . ودائما الانشطة الثقافية تكون فى الصدارة بالنسبة لغيرها وخصوصا التى تشتمل على الثقافة الدينية واليك يا أخى بعض تلك الانشطة :-

اولا ـ نشاط أساسه تحفيظ القرآن الكريم :

وهذا النشاط يقبل عليه الشباب ويسهم الاباء فى انجاحه خصوصا عندما يكون المشروع جادا ، ويستطيع الامام بمعاونة المحفظين من موظفى المسجد أن يجذب الشباب اليه على اختلاف مراحل العمر اذا استطاع بالتعاون مع المسئولين رصد جوائز شهرية لاحسن الحفاظ .

ثانيا : نشاط أساسه مكتبة المسجد :

ويكون بتحديد موضوع واحد كل أسبوع ، يكون له مرجع مكتبة المسجد ويحدد لمناقشته يوم من أيام الاسبوع ، ويمكن الاستعانة بائمة المساجد المجاورة فى اختيار الموضوع وتكوين مباريات ثقافية بين رواد عدة مساجد متجاورة .

ثالثا : محاضرات ثقافية ذات أسئلة محددة :

ويحدد الامام يوما من أيام الاسبوع ويوجه فيه نظر الشباب الى أنه فى نهاية المحاضرة سيوجه عددا من الاسئلة للرد عليها كتابة بعد البحث والاطلاع مع توجيه أنظارهم الى المراجع التى يمكن أن تفيدهم وتحديد فترة زمنية محددة ، ويمكن للامام ان يشرك المسئولين فى المديرية معه فى مراجعة الردود وتسليم بعض الجوائز الرمزية الى الفائزين تشجيعا لهم على البحث والاطلاع .

رابعا : مراجعة المواد الاساسية لطلبة الشهادات العامة :

ويمكن الاستعانة بطلبة الجامعات فى تنفيذ هذا المشروع الذى ثبت نجاحه فى السنوات الماضية ، حيث أن الطلاب المنقولين الى الشهادات العامة يسعدهم مراجعة المواد الجديدة أثناء الاجازة الصيفية ليساعدهم على التفوق أثناء العام الدراسى .

خامسا : برامج محو الامية :

يمكن للامام اختيار مجموعة من طلاب الجامعات والمعاهد العليا لتنفيذ هذا البرنامج تحت اشرافه ، واشراك المسئولين فى مراكز الشباب والمجالس المحلية فى تقييم نتائج المشروع قبل انتهاء الاجازة الصيفية واقتراح صرف بعض الجوائز للشباب المنفذ للمشروع .

هذا ويوجد برامج رياضية ثقافية ترفيهية مشتركة يستطيع الامام أن يخطط لها ويشترك معه فى التنفيذ الاجهزة المتخصصة فى المدينة أو فى القرية منها :-

١ ـ تنظيم مسابقة رياضية فى لعبة شعبية مثل كرة القدم بين فرق الاحياء أو القرى

٢ ـ تعد مسابقة دينية فى موضوعات مختلفة كالصلاة والزكاة والصوم والحج وبعض المعاملات .

٣ ـ كل قرية أو حى يشترك بفريقين أحدهما رياضى والاخر ثقافى .

٤ ـ تتساوى نقاط الرياضة ونقاط الثقافة والفريق الفائز هو الذى يحصل على أكثر النقاط فى المباراتين الرياضية والثقافية .

٥ ـ يكون أئمة المساجد فى الاحياء والقرى

البقيـة ص ١١١

فرق ليست من الإسلام

لا تزال الصهيونية العالمية هي القوة المحركة لكثير من النظم السائدة في الشرق والغرب بافكارها التي تحقق مراميها البعيدة ، وبالمال الذى هو عصب الحياة .. ولم تكتف بتوجيه السياسة الدولية فحسب وانما تعدتها الى مساندة الشطحات الفكرية والعقائدية التي يطلق عليها اصحابها ومروجوها نظـريات ، ومؤازرة الجمعيات السريه الدينية المنحرفة التي يهدف بعضها الى الاتصال بعالم الغيب والوقوف على اسرار الكون وخفاياه ، ويعمد البعض الاخر الى الانقلابات السياسية والسعي لاحلال سلطة مكان سلطة . وبين هذه التيارات والموجات يقف الاسلام شامخا يصدر أحكامه عليها من فوق سبع سماوات مفندا كل ما يجد ويطرأ غير عابىء بقوة هذه او ضعف تلك اذ القوى عنده ضعيف حتى ياخذ الحق منه والضعيف عنده قوى حتى ياخذ الحق له فتراه يعالج قضية في ايه او بعض آية من كتاب الله ويحسم اخرى بحديث نبوى شريف ويتصدى على لسان رجل اوتي فهما في كتاب الله وسنة رسوله وصدق الله العظيم اذ يقول : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » بعض اية ٣٨ سورة الانعام .

وقد يزعم بعض الناس انه مسلم ماركسى ويتشدق آخر بانه مسلم ماسونى اوقاديانى داعيا الى معتقده هذا متحمسا للدفاع عنه غير مكترث بما انحط اليه من دركات الفكر البشرى الذى اذا صلح في بيئة عجز في غيرها ، واذا عاش حقبة من الزمن مات في اخرى معرضا عن درجات النظام الالهى الذى يصلح لكل زمان ومكان ولله در القائل :

ابنى ان من الرجال بهيمة
في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله
واذا اصيب بدينه لم يشعر

لكنها نبوءة خاتم الرسل ومعجزته التي اخبر بها حين قال « افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت امتى على ثلاث وسبعين فرقة » (رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن ابى هريرة ج١ ص٦، زاد ابن ماجة في روايته عن أنس : « كلها في النار الا واحدة ! فقوله : « وتفرقت امتي » . اى فى الاصول الدينية لا الفروع الفقهية اذ الاولى هي المخصوصة بالذم واراد بالامة من تجمعهم دائرة الدعوة من اهل القبلة . قال العلامة المناوى : واعلم أن جميع المذاهب التي فارقت الجماعة اذا اعتبرتها وتأملتها لم تجد لها اصلا فلذلك سموا فرقا لانهم فارقوا الاجماع وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب وقع .

كما روى البخارى بسنده عن حذيفة بن اليمان قال : « كان الناس يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أساله عن الشر مخافة ان يدركني فقلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن . قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم دعاة على ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها قلت يارسول الله صفهم لنا قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا قلت : فما تامرنى ان ادركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وامامهم قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا امام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك !

(البخارى ج ٩ ص ٦٥ ط ١ الشعب ، كيف الامر اذا لم تكن جماعة ، مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢٣٦ ك الامارة ، وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن . ..

يقول القطب القسطلاني : والمراد كما قال الطبرى من الخير لزوم الجماعة الذين فى طاعة من اجتمعوا على تاميره فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة فان لم يكن ثم امام وافترق الناس فرقا فليعتزل الجميع ان استطاع خشية الوقوع في الشر ، وهل الامر للندب او الايجاب بالذى لا يجوز لاحد من المسلمين خلافه لحديث ابن ماجه عن انس مرفوعا « ان بنى اسرائيل افترقت على احدى وسبعين فرقة وان امتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقه كلها فى النار الا واحده ، وهي الجماعة . والجماعة التى امر الشارع بلزومها جماعة أئمة العلماء لان الله تعالى جعلهم حجة على خلقه واليهم تفزع العامة في أمر دينها وهم المعنيون بقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى لن يجمع امتي على ضلالة » وقال اخرون : هم جماعة الصحابة الذين قاموا بأمر الدين وقوموا عماده وثبتوا أوتاده وقال آخرون : هم جماعة أهل الاسلام ما كانوا مجتمعين على امر واجب على أهل الملل اتباعه فاذا كان فيهم مخالف منهم فليسوا مجتمعين » ا هـ (ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى للقسطلاني ج ١٠ ص ١٥٠ .

ويقول صاحب فتح البارى : يؤخذ من هذا الحديث ذم من جعل للدين أصلا خلاف الكتاب والسنة وجعلهما فرعا لذلك الاصل الذى ابتدعوه وفيه أيضا وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدى النبوى ولو قاله من قاله من رفيع او وضيع .

وقد تعددت هذه الفرق وصار الناس شيعا واحزابا يكفر بعضهم بعضا ولم ينج من هذه الفرق كلها الا الفرقة الواحدة الناجية المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى امر الله وهم على ذلك » . اولئك هم الذين يصلحون اذا فسد الناس وهم الذين يصلحون ما افسد الناس من السنة الفارون بدينهم من فتن الشبهات والشهوات وهم حماة العلم وحملته والقائمون بحججه وبيناته .

ذلك مما دفعنى الى الاسهام فى التعريف ببعض هذه الفرق الخارجة على تعاليم الاسلام المصنوعة بيد اعدائه لتضربه فى اصوله وفروعه من خلال شخصيات تنتسب اليه زورا وتعمل لحساب الحاقدين عليه ولكن انى لهم ذلك ؟ » « **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** » (آية ٨ سورة الصف) ومن هذه الفرق المعادية جماعة تبرز فى المقدمة لمالها من اثر فعال على الصعيدين الاسلامى والدولى وتلك هى :

الماســـونية

ذلك الاسم الجديد للشريعة اليهودية المقنعة وقد مزج دعاتها بين الفلسفة والتعاليم الروحية والسـحر والشعوذة واستندوا فى دعواهم على بعض آيات من التوراة المحرفة لتعظيم مثلهم الاعلى المتمثل فى الاستاذ « حيرام » عريف البنائين فى بناء هيكل سليمان بالقدس كما انهم يقدسون المعبد الذى شيده استاذهم والذى اتخذ انموذجا للمحافل الماسونية فى العالم بعد ذلك وكفى بذلك دليلا على يهودية هذه الفرقة « من كتاب اسرار الماسونية للجنرال جواد رفعت ص ٢٠ » ...

اما غاية هذه الجماعة قبل كل شيء فهى ابادة الاديان جميعا كما جاء فى نشرة المحفل الفرنسى الاكبر سنة ١٩٢٣ ص ١٩٨ فى بعض تعاليمها : « ايها الاخوان : ان رجال الدين عن طريق يحاولون السيطرة على امور الدنيا وعلينا الا نالوا جهدا فى التمسك بفكـرة « حـرية العقيـدة » والا نتـردد فى شـن الحرب على كافة الاديان لانها العدو الحقيقى للبشرية ولانها السبب فى التطاحن بين الافراد والامم عبر التاريخ .

ويقول مؤتمر المشرق الاعظم سنة ١٩٢٣ ص ٤٣١ « يجب الا تقتصر الماسونية على شعب دون غيره ولتحقيق الماسونية العالمية يجب سحق عدونا الازلى الذى هو الدين مع ازالة رجاله » ، وتزعم الماسونية انها مؤسسة فلسفية تحب الخير للانسانية وترجو لها الرقى والتقدم وتهدف الى البحث عن الحقيقة وترمى الى تحقيق الاخلاق الدنيوية وتطبيق اسس التعاون والتآزر وتتخذ من وسائل الرقى المادية والمعنوية أساسا للتعامل الاجتماعى والفكرى للانسانية ومن مبادئها التسامح المتبادل واحترام الغير وترك ما يتعلق بما وراء الطبيعة للقناعة الشخصية وتصرف النظر عن الحماس الدينى والمذهبى ودستورها الحرية والاخاء والمساواة وانها بالرغم من احترامها لاديان افرادها وعقائدهم الا انها تحترم فى محافلها اجراء المناقشات الدينية وتوصى اتباعها برعاية عقائد وأنظمة البلد الذى يعيشون فيه باعتبارهم مواطنين .

ومن أخلص تلاميذ هذه المدرسة ماركس وانجلز قطبا الشيوعية المعروفان يقول بيان المشرق الاعظم الفرنسى سنة ١٩٠٤ ص ٢٢٧ :

« ان الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية لان مؤسسها كارل ماركس وانجلز من ماسونيي الدرجة الحادية والثلاثين ومن منتسبى المحفل الانجليزى وانهما كانا من الذين أداروا الماسونية السرية وبفضلها أصدرا (البيان الشيوعى) المشهور وان المجلة الالمانية الماسونية (لاتوينا) قد أعلنت فرحها واستبشارها بانتشار الاشتراكية فى مقال بتاريخ ١٢ تموز (يوليو) سنة ١٨٩٤ وقالت : ان الماسونية قد وجدت فى المبادىء الاشتراكية خير معوان لها فلابد لنا من معاضدتها من كتاب اسرار الماسونية ص ٣١ .

ومن هنا يتبين لنا أن الشيوعية هى الابنة البكر للماسونية اليهودية التى استلهم أفكارها ماركس وانجلز وكانا بحق واسطة العقد الزائف بين الام وابنتها .

وكما هيأت الماسونية الى الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ فقد ساعدت عمال البروليتاريا على قيام الثورة البلشفية واسقاط القيصرية الروسية .

الشيوعية

الذين يرجعون الى قاموس اكسفورد الانجليزى يجدون أن جوهر الشيوعية والاشتراكية واحد وهو وجوب ملكية وسائل الانتاج للشعب ليتسنى له اقامة مجتمع بلا طبقات مقياسه الخضوع لمبدأ « من كل انسان حسب قدرته ولكل انسان حسب حـاجته ويعاونهم فى خلق هذا المجتمع حرية الاعتقاد الدينى وحرية القول والطبع والاجتماع . والاضرابات والجمعيات حرية غير محدودة (موجز تاريخ الاتحاد السوفييتى طبعة دار التقدم بموسكو - الشيوعية نظريا وعمليا دار الكتاب المصرى - مشروع برنامج التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى لخالد محيى الدين) .

نحن لا ننكر أن لهذه النظرية التى اصبح يدين بها كثير من شعوب العالم دعاة مخلصين فى توصيلها الى اذهان الاخرين يتسمون بالفكر العقلانى والاسلوب الجدلى والتخطيط الواعى المنظم ولابد للدعاة من الالمام التام بمثل هذه النظريات وموقف الاسلام منهـا وواجبهم نحو دحض أباطيل هؤلاء الذين يدسون السم فى العسل بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن وسوف أفند بعض مزاعم أصحاب هذه النظرية على سبيل المثال لا الحصر . فالشيوعية امتداد لخط الدهرية الذين لا يؤمنون بوجود اله خالق مبدع لهذا الكون ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت ويرددون عبارتهم المأثورة : « ان هى الا أرحام تدفع وارض تبلع ومايهلكنا الا الدهر » **وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون** » (آية ٢٤ من سورة الجاثية) .

والثورة الشيوعية تلغى النظام الرأسمالى ، وتنشد مجتمعا شيوعيا ولتحقيق هاتين المحاولتين لابد من فترة انتقال تعرف باسم « دكتاتورية الطبقة الكادحة » وهى المرحلة التى تزعم روسيا أنها تمر بها الان فالطبقية اذا ما زالت قائمة وتسلط الفرد والارهاب الفكرى يبدو واضحا جليا فى فترة الانتقال التى لا يعلم مداها الا الله ، ومن حيث ارادوا المساواة بين الافراد كفروا بها فى نظام الدولة لان دستور الشيوعية طبقات تنتظم فى هرم يتربع على قمته فرد ويحتشد ملايين الشعب فى القاعدة وأين ذلك من المساواة فى الاسلام والاساس الذى يقوم عليه التفاضل بين أهل القبلة وهو من البدهيات التى لا داعى لذكرها فى هذا المختصر . أما فى السيطرة على

وسائل الانتاج فقد أسند أمر الاشراف عليها باسم الشعب الى الدولة او اى هيئات اخرى تعين لهذا الغرض • وهكذا اصبحت الملكية الشعبية تعني فى الواقع رأسمالية الدولة وناهيك بـالتفكك الاسرى والانحلال الخلقى والتطلعات الحاقدة من القاعدة الى من فوقهم وتنكيل القادة بمن دونهم والكل فى قلق دائم من المصير المجهول •

فى الربع الاول من القرن التاسع عشر ظهرت حركات فكرية تقودها رءوس اسلامية مخلصة ألهبت شعلة الجهاد والفداء وبثت روح النخوة الاسلامية فى صدور المسلمين كحركة المجاهد الشهير السيد الامام احمد بن عرفان والسيد جمال الدين الافغانى والسيد محمد أحمد السودانى الذى قام فى السودان باسم الجهاد والمهدوية ورأت الحكومة الانجليزية التى كانت تمثل أكبر قوة استعمارية وقتذاك ان الدين هو الذى يثير طبيعة المسلمين وهو الذى يخدرها وأن المسلمين لا يؤتون الا من قبل العقيدة والاقناع الدينى وآمنت اخيرا بأنه لا يؤثر فى المسلمين وفى اتجاههم مثل ما يؤثر قيام رجل منهم باسم منصب دينى رفيع فيجمع حوله المسلمين ويقوم على تنفيذ الاغراض السياسية الغامضة وخدمة الحكومة البريطانية والعمل لمصلحتها وفى شخص مرزا غلام أحمد القاديانى الذى كان مضطرب الفكر والعقيدة وكان طموحا الى أن يؤسس ديانة جديدة ويكون له أتباع ومؤمنون ويكون له مجد واسم فى التاريخ مثل ما كان للنبى محمد صلى الله عليه وسلم - وجد الانجليز وكيلا لهم يعمل بين المسلمين لمصلحتهم فزعم أنه جاءته النبوة وأنه المسيح عيسى بن مريم الذى أخبر الرسول عليه السلام بنزوله فى آخر الزمان لقتل المسيح الدجال وأنه أوحى اليه بأن المسيح بن مريم قد مات وأن نبوته لا تنسخ شيئا من الشريعة الاسلامية ويتاول قوله تعالى : «ماكان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» (سورة الاحزاب اية ٤٠) بأن الرسالة ممتدة لان الله يقول خاتم النبيين ولم يقل خاتم المرسلين وهو قول مردود لانه تواتر من حديثه عليه الصلاة والسلام انه النبي الاخير لا نبى بعده واذ ثبت أنه لا نبى بعده ثبت انه لا رسول بعده فان الرسول اما مساو للنبى مستلزم له ونفى أحد المتساويين يستلزم نفى الاخر ، واما انه أخص ونفى الاعم مطلقا يستلزم نفى الاخص لا محالة • وقد اشتهر اتباع هذا الدجال باسم القاديانية نسبة الى قرية زعميهم بالهند : قاديان ، وبالاحمدية لانه سمى نفسه أحمد • والحق أن القاديانية - مع الاسف - لم يفطن العالم الاسلامى لخطرها بعد ولم ينته الى أنها ليست مجرد عقيدة أو طائفة دينية فحسب وانما هى مؤامرة منظمة ضد النظام الاسلامى القائم وثورة ماكرة على الاسلام ومعاندة له فهى تزاحمه فى كل شىء وتريد أن تحل محله فى العقيدة والفكر والعاطفة وأن تستولى على نصيبه من الطاعة والحب والاحترام والتقديس ••

البهـــائية

طائفة خارجة عن الاديان السماوية كلها معادية للكتب الالهية جميعها منكرة لما اجمع عليه النبيون من حشر الاجساد بارواحها للعرض على رب العالمين وما يتبع ذلك قائلة بان الله تعالى عما قالوا : حل فى زعيمهم كما ادعى لهم ذلك ويتفننون فى اظهار هذه الدعوى الباطلة فيقولون ان الله اتحد به او اتحد هو باللـــه او هـــو مظهـــر اللـــه الخاص وان اللـــه قال على لسانه : ان الاسلام قد انتهى •

ونسخ دين محمد الى غير ذلك من الهذيانات • وزعيمهم هذا يعرف بميرزا حسين من بلاد ايران خرج عن الملة المحمدية قبل زعامته بمتابعته لاعجمى آخر يقال له ميرزا على محمد الشيرازى كان قد ادعى النبوة ونســـخ شريعة الاسلام فحكم عليه بالاعدام وتصدر هـــذا الزعيـــم مكـــانة ولـــم يكتـــف بدعـوى استاذه النبوة فتهجم على حـــرم الالوهيـــة ولقب نفسه بالبهاء فنفى من بلاده ثم اعتقل فى عكا ومات فيها وصار أتباعه يحجون اليه ويستقبلونها فى صلاتهم التى افتراها بهاؤهم • يقول فيهم صاحب كتاب مفتاح الابواب : « لهم دين خاص مزيج من أخلاط الديانات : البوذية والبرهمية والوثنية والزرادشتية واليهودية والمسيحية والاسلامية ومن اعتقادات الباطنية (البابية والبهائية للخضر حسين ص ٣٢) •

وقد كفانا هؤلاء شرهم فقد أنكروا عقيدة ختم النبوة وأعلنوا بصراحة أنهم طائفة مستقلة ليست مسلمة بمعنى الكلمة المصطلح عليها حيث ان عقيدة أن محمدا خاتم النبيين هى الخط الفاصل بين الاسلام والديانات الاخرى •

هذا ويتعين على المحتاط لدينه اعتزال سائر فرق هذا الزمان بقدر الامكان لكثرة الالحاد فيها واختلاف الاهواء وتلاطم أمواج البدع والضلال حتى يدركه الموت وهو على عقيدة سليمة وديانة مستقيمة •

عبد الفتاح أبو سنة
امام وخطيب مسجد بلال بشبرا

بقية مقال « ائمة المساجد والاجازة الصيفية »

المشتركه روادا للشـــباب يشرحـــون لهـم الموضوعات ويبثون فيهم روح الدين ، ويا حبذا لو اطلق على الفرق أسماء المساجد الواقعة فى مقار سكنهم •

٦ - يمكن الاتصال بقصور الثقافة والفرق المسرحيه المحليه لتقديم بعض العـروض الترفيهيه ذات الصله بتقويم الاخلاق واظهار أثر التمسك بالدين •

٧ - يمكن رصد جوائز للفرق الفائزة عن طريق المجالس المحليه للشباب والجمعيـات الخيرية للشئون الاجتماعية •

هذا ويمكن لكل امام أن يأخذ من البرامج ما يتفق والبيئه التى يقع فيها مسجده ، وكلما تنوعت الانشطة واشترك مع الامام أكثر من جهاز كلما زادت شعبيته وارتفعت مكانتـه واصبح نموذجا يحتذى ، وبالتالى يكثر رواد المسجد وتكون كلمته كالعصا السحرية فيها شفاء للجميع •

وأخيرا يا أخى أدعو الله أن يوفقنا جميعا الى نشر تعاليم الدين وتوجيه المجتمع الى ما يحقق امال الوطن فيهم انه سميع مجيب •

محمد متولى المراكبى
السكرتير العام بجمعيات الائمة

من أئمة الدعوة

أبو حامد الغزالى حجة الإسلام

الأستاذ محمد لطفى محمد على

قدم المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الكثير لخير الامة الاسلامية فيما يقدمه من دراسات وابحاث وكتب حول الاسلام الحنيف .. وحول هذه الشخصيات الفذة فى تاريخ الفكر الإنسانى قاطبة .. وعندما نقدم لكتاب الدكتور الحسينى هاشم عن « أبوحامد الغزالى - حجة الاسلام » .. فان الامر يحتاج الى بعض الوقفات .. فالكتاب بالرغم من حجمه الصغير الا أنه يقدم الكثير .. يثير من القضايا والمشكلات ما يدفع القارىء الى التوقف .. للتزود من مناهل المعرفة .. حتى تتحقق الفائدة .. يكفى تقديرا لهذا المؤلف أن يدفع قارئه الى طلب المزيد والمزيد .. والرجوع الى تلك الروائع التى قدمها حجة الاسلام ابو حامد الغزالى .

ان الذين ينكرون « التصوف » ليسوا من رجال العصر الحديث فحسب ، ذلك أن النزاع بين « الفقهاء » و « الصوفية » قديم . ورجال « الظاهر » على وجه العموم ينفرون من « الصوفية » ويحاربونهم اينما كانوا حربا لا هوادة فيها . ويأخذون على التصوف :

أولا : ليس فى الاسلام الا التقوى والورع ، ونوع من الزهد يشبه أن يكون عفة وقناعة ، ومن هنا فالتصوف دخيل على الاسلام .

ثانيا : الادلة على وجود الله ووحدانيته ، وقدرته وارادته ، موجودة فى القرآن الكريم . فى وضوح لا لبس فيه فاذا ما تركناه ، وذهبنا نلتمسها فى متاهات التصوف فاننا لا نأمل أن نضل فى مجاهل الطريق .

ثالثا : التصوف ليس فى متناول الجميع ، فهو اذن ارستقراطية تتنافى مع روح الاسلام الديموقراطية ، ولان التصوف ليس فى متناول الناس جميعا فهو اذن تكليف بما لا يطاق ، والله سبحانه وتعالى ، لا يكلف نفسا الا وسعها .

دعاء

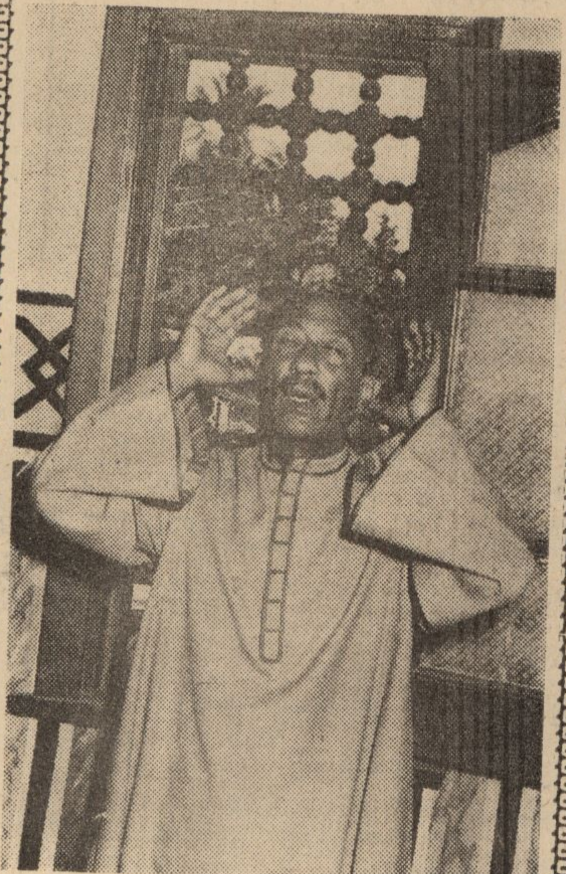

اللهم جمل أمرى ما أحييتنى ، وعافنى ما أبقيتنى وبارك لى فيما أعطيتنى ، وأحفظ على ما أوليتنى ولا تسلبنى الايمان وقد عرفتنى .

اللهم انى اسألك من كل خير سألك منه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعوذ بك من كل شر استعاذك منه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أنت المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله .

التصوف والفلسفة الإسلامية

الصوفية في إلهامهم

يقظة القلوب

الأستاذ حسن كامل الملطاوي

يحثنا السادة الصوفية على أن نوقظ قلوبنا من غفلتها عن الاخرة ، لان فى الغفلة عن الاخرة غفلة عن الله الذى خلقنا لها وحذرنا من ايثار الدنيا عليها فى كثير من آيات القرآن الكريم فى مثلقوله تعالى [بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وأبقى] وقوله سبحانه [وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون وقوله تعالى [قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا] الى غير ذلك من الايات البينات .

ومن رحمته سبحانه وتعالى بنا وشفقته علينا انه كشف لنا من الغيب ما سيكون يوم القيامة لنكون على بينة من الامر فى حياتنا الدنيوية قبل انتهاء آجالنا ، وبين لنا سبحانه أننا فى حياتنا ومماتنا ممتحنون فقال تعالى (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) .

وحذرنا سبحانه من التسويف والتباطؤ فى اعداد انفسنا لموقف مشرف بين يديه عند البعث والنشور فقرب الاخرة حتى كأنها قائمة فى الغد التالى ليومنا فقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون . لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون (. ومعنى أنساهم أنفسهم أى أنساهم العمل الذى تسعد به أنفسهم يوم القيامة .

ويقول سيدى الامام القشيرى فى لطائف اشاراتهرضى الله عنه : لا يستوى أهل الغفلة مع أهل الوصلة ، وأصل كل آفة نسيان الرب ، ولولا النسيان لما حصل العصيان ، والذى نسى أمر نفسه فهو الذى لا يجتهد فى تحصيل توبته ، ويسوف فيما يلزمه به الوقت من طاعته .

ويقول السادة الصوفية : ان صفاء العبادات لا ينال الا بصفاء معرفة أربعة : فأول ذلك معرفة الله تعالى ، والثانى معرفة النفس ، والثالث معرفة الموت ، والرابع معرفة ما بعد الموت من وعد الله ووعيده ، فمن عرف الله تعالى قام بحقه ، ومن عرف النفس استعد لمخالفتها ومجاهدتها ، ومن عرف الموت استعد لوروده ، ومن شهد وعيد الله تعالى ينزجر عن نهيه وينتدب لامره .

ومراعاة حق الله تعالى على ثلاثة أوجه : على الوفاء والادب والمروءة ، فأما الوفاء فانفراد القلب بفردانيته ، والثبات على مشاهدة وحدانيته بنور أزليته والعيش معه ، وأما الادب فمراعاة الاسرار من الخطرات وحفظه الاوقات والانقطاع

عن الحسد والعداوات ، وأما المروءة فالثبات على الذكر نطقا وفعلا ، وصيانة اللسان وحفظ النظر وحفظ المطعم والملبس ، وينال ذلك بالادب ، لان أصل كل خير فى الدنيا والاخرة بالادب .

وقد كتب سيدى أبو سعيد الخراز لاحد احبابه يقول :

عصمك الله بذكره عن نفسك ، وكاشفك بشكره عن وصفك ، وقسم لك من العلم به فى فعلك ، حتى تكون ممن جمع له حبل الرشاد ، وأعلى فى ذلك مكانك ، وكوشفت فى ذلك بالبيان ، انه المولى لذلك والقادر عليه .

ومن دعوات الامام الجنيد قوله رضى الله عنه :

الهى وسيدى ومولاى ، من احسن منك حكما لمن أيقن بك : ومن أوسع منك رحمة لمن اتقاك وقصدك ، ومن أسرع منك عطفا ورأفة لمن أرادك واقبل على طاعتك ، فكلهم فى نعمائك يتقلبون ، ولك بفضلك عليهم يعبدون ، سرت هومومهم بك اليك : وانفردت ارادتهم لديك ، واقبلت قلوبهم بك عليك ، وفنيت حظوظهم من دونك واجتمعت لك وحدك ، فهم اليك فى الليل والنهار متوجهون ، وعليك فى كل الاحوال مقبلون ، ولك على الاحوال مؤثرون .

فانا اسالك الهى وسيدى ومولاى أن تكون لى بفضلك كالئا كافيا عاصما راحما ، فانى اليك لاح ، وبك مستغيث ، واليك راغب ، ومنك راهب ، وعليك فى أمور الدنيا والاخرة متوكل ، لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين .

وقال سيدى ابراهيم المارستانى رضى الله عنه : رأيت الخضر رحمه الله فى المنام فعلمنى عشر كلمات واحصاها على بيده : اللهم انى أسالك حسن الاقبال عليك ، والاصغاء اليك ، والفهم عنك ، والبصيرة فى أمرك ، والنفاذ فى طاعتك ، والمواظبة على ارادتك ، والمبادرة فى خدمتك ، وحسن الادب فى معاملتك ، وبرد التسليم اليك ، والنظر الى وجهك .

وقد سئل سيدى أبو سعيد الخراز رضى الله عنه : كيف الدخول فى الصلاة ؟فقال :هو أن تقبل على الله **تعالى ، كاقبالك عليه يوم القيامة : ووقوفك بين يدى الله تعالى ليس بينك وبينه ترجمان ، وهو مقبل عليك وأنت تناجيه ، وتعلم بين يدى من انت واقف ، فانه الملك العظيم .**

ويوجهنا السادة الصوفية الى آداب الصلاة فيقولون ، ان للصلاة أربع شعب : حضور القلب فى المحراب ، وشهود العقل عند الوهاب ، وخشوع القلب بلا ارتياب ، وحضور الاركان بلا ارتقاب ، ويعللون ذلك فيقولون : عند حضور القلب رفع الحجاب ، وعند شهود العقل رفع العتاب ، وعند خشوع القلب فتح الابواب ، وعند خضوع الاركان وجود الثواب ، فمن أتى بالصلاة بلا حضور القلب فهو مصل لاه ، ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصل ساه ، ومن أتاها بلا خشوع القلب فهو مصل خاطىء ، ومن أتاها بلا خضوع الاركان فهو مصل جاف ، ومن أتمها فهو مصل واف .

ويرى السادة الصوفية أن الصائمين هم الصابرون ، لان الصوم هو صبر النفس عن مألوفاتها ، وامساك الجوارح عن جميع شهواتها ، ويروون عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **« اذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك ويدك »** كما يروون عنه صلى الله عليه وسلم قوله **« اذا صام احدكم فلا يرفث ولا يفسق فاذا شتمه انسان فليقل : انى صائم »** . وهم يروون أن الصائمين يوفون أجورهم بغير حساب لانه تعالى يقول **(انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب)** فخرج الصوم من الحسنات التى يعد ثوابها بعشر امثالها الى السبعمائة ، لانه تعالى يكافىء الصابرين جزافا بلا عدد ، والصائمون هم الصابرون .

وهم كذلك يرون أن صدقات الاقوال والافعال لا تقل فى فضلها عن صدقات الاموال ، ويستندون فى ذلك الى قوله صلى الله عليه وسلم **« معاونتك لاخيك صدقة !** وكذلك الى قوله صلى الله عليه وسلم **« ومن الصدقة ان تلقى اخاك بوجه طلق ، وان تفرغ من انائك فى اناء أخيك صدقة !** .

وكان سيدى بشر الحافى رضى الله عنه يقول لعلماء وقته : يا أصحاب الحديث أدوا زكاة الحديث ، قيل : وما زكاة الحديث ؟ قالوا : اعملوا من كل مائتى حديث بخمسة أحاديث ، يعنى بذلك من كل مائتى حديث يكتبونها ويحفظونها .

وينهى السادة الصوفية عن المن على الفقراء بالزكاة المدفوعة اليهم ، لان الزكاة حق فرضه الله لهم على الاغنياء ، فمن دفعها الى الفقراء فكأنه رد اليهم مالهم ، فنال بذلك رضا الله عز وجل ونجا يوم القيامة من أليم العذاب .

ومن آداب السادة الصوفية فى أداء فريضة الحج أن يغسلوا عند الميقات أبدانهم بالماء ، وأن يغسلوا قلوبهم بالتوبة ، واذا نزعوا ثيابهم للاحرام وتجردوا من المخيط نزعوا عن أسرارهم الغل والحسد وهوى النفس ، ولا يتفق فى نظرهم أن يلبى الحاج قائلا « **لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ثم يجيب بعد ذلك دواعى النفس والهوى والشيطان ، لان الحاج بالتلبية أجاب الحق بالتلبية واقر بانه ليس لله شريك فى ملكه .**

فاذا نظر السادة الصوفية الى البيت الحرام بأعين رءوسهم ، نظروا بأعين قلوبهم اليقظة الى من دعاهم الى البيت ، فاذا طافوا حول البيت بأبدانهم فمن آدابهم أن يذكروا قول الله عز وجل **(وترى الملائكة حافين من حول العرش)** فكأنهم ينظرون الى طواف الملائكة . فاذا صلوا خلف مقام ابراهيم – عليه الصلاة والسلام – يعلمون أنه مقام عبد قد وفى لله تعالى بعهده ، فندب الله الاولين والاخرين الى متابعة قدمه واتخاذ صلواتهم خلف مقامه . فاذا استلموا الحجر وقبلوه علموا أنهم يبايعون الله تعالى بأيمانهم ، فمن الادب ألا يمدوا بعد ذلك أيمانهم الى مراد وشهوة .

فاذا جاءوا الى الصفا فمن الادب الا يكدر صفاء قلوبهم حظ من شهوة فانية ، فاذا هرولوا بين الصفا والمروة وأسرعوا فى مشيهم فمن الادب أن يسرعوا بالفرار من عدوهم ويهربوا من متابعة نفوسهم وهواهم وشيطانهم ، واذا وافوا الى منى ، فمن آدابهم فى ذلك أن يتاهبوا للقاء فلعلهم يصلون الى مناهم ، فاذا وافوا الى عرفات ، فأدبهم أن يتعرفوا الى معروفهم ويذكروا نشرهم وحشرهم وبعثهم من قبورهم ، فاذا وقفوا فأدب الوقوف أن يكون وقوفهم بين يدى سيدهم ، فاذا وقفوا لا يعرضون عنه بعد وقوفهم .

فاذا دفعوا مع الامام الى المزدلفة فأدبهم أن يكون فى قلوبهم العظمة والاجلال لله تعالى ، فاذا دفعوا مع الامام جعلوا الدنيا والاخرة وراء

ظهورهم ، فاذا كسروا الحجارة للرمى كسروا مع الحجارة ارادات بواطنهم وشهوات أسرارهم . فاذا ذكروا الله تعالى عند المشعر الحرام فالادب عند ذلك أن يكون مصحوبهم تعظيم مشاعرهم واعظام حرماتها ، فاذا رموا الجمر رموا بحسن الادب بملاحظة أعمالهم ومشاهدة أفعالهم ، فاذا حلقوا رءوسهم فادبهم ان يحلقوا عن بواطنهم حب الثناء . فاذا ذبحوا فادبهم فى الذبح أن يبدأوا بذبح هوى نفوسهم قبل ذبح ذبيحتهم .

فاذا رجعوا الى طواف الزيارة (أى طواف الافاضة) وتعلقوا بأستار الكعبة فمن الادب الا يتعلقوا بغيره ولا يلوذوا بأحد من خلقه بعد اللياذة والتعلق به ، فاذا رجعوا الى منى واقاموا بها أيام التشريق رحل لهم كل شىء ، فمن الادب الا يحللوا ما حرموا على نفوسهم من مخالفة سيدهم ، ولا يكدروا ما صفا من أوقاتهم ، ولا يتكلوا الا على سعة رحمة الله تعالى بعد قضاء مناسكهم ، لانهم لم يتيقنوا بقبول حجتهم ، وعليهم أن يستعينوا بالله على أمورهم ، ويستغيثوا الى الله باسرارهم وعلانيتهم ، فانه تعالى القادر على كشف ضرهم وخلاصهم .

ويقول سيدى ابراهيم الخواص رضى الله عنه : من خصال الفقراء - يعنى الصوفية لانهم فقراء الى الله تعالى أغنياء عن غيره - فى حضرهم وسفرهم أن يكونوا بما وعدهم الله تعالى مطمئنين ، وأن يكونوا من الخلق آيسين ، وأن ينصبوا العداوة مع الشياطين ، وأن يكونوا لامر الله مستمعين ، وأن يكونوا على جميع الخلق مشفقين ، وان يكونوا لاذى الخلق مشفقين ، والا يدعوا النصيحة لجميع المسلمين ، وأن يكونوا فى مواطن الحق متواضعين ، وان يكونوا لمعرفة الله مشتغلين ، وأن يكونوا راضين فيما قل أو كثر وفيما أحبوا أو كرهوا ، وأن يكونوا لله تعالى شاكرين .

وتعريفهم للشكر دقيق ورائع ، فقد حكى سيدى أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه فقال : كان سرى (يقصد خاله سيدى سرى السقطى وكان شيخا له رضى الله عنهما) رحمه الله اذا أراد أن يفيدنى شيئا سألنى مسألة فقال لى يوما : ما الشكر يا غلام ؟ فقلت : ألا تعصى الله بنعم أنعم الله بها عليك . قال فاستحسن ذلك منى ، وكان يستعيده منى ويقول : كيف قلت فى الشكر ، أعدها على ، قال : فأعيدها عليه .

ومع جدهم واقبالهم على الطاعات يتهم السادة الصوفية انفسهم بالتقصير فى جنب الله سبحانه ، فقد حكى عن سيدى أبى سليمان الدارانى رحمه الله انه لبس قميصا أبيض مغسولا ، فقيل له لو لبست قميصا اجود من هذا ، فقال : ليت قلبى فى القلوب مثل قميصى فى الثياب .

ويروى السادة الصوفية ماكان من دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعل من فوقى نورا ، ومن تحتى نورا ، وعن يمينى نورا ، وعن شمالى نورا ، ومن ورائى نورا ، ومن قدامى نورا ، ومن خلفى نورا ، اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى لحمى نورا ، وفى عظمى نورا » ثم يعقب السادة الصوفية على ذلك الدعاء فيقولون : الدليل على أن الله تعالى أعطاه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « والله انى لاراكم خلف ظهرى كما اراكم قدامى » .

ويعقب السادة الصوفية على ما ورد فى الخبر « القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن » فيقولون : أى بين نعمتين ، وهما ما يدفعه عنه من البلاء ، وما ينفعه به من النعماء ، فكل قلب منع عنه الحق الاوصاف الذميمة والزمه النعوت الحميدة فهو الذى قال فيه « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ويضيف السادة الصوفية قائلين : وفى الخبر « ان لله أوانى ألا وهى القلوب ، واقربها من الله ما رق وصفا » ، شبه القلوب بالاوانى ، فقلب الكافر منكوس لا يدخل فيه شىء ، وقلب المنافق اناء مكسور ، ما يلقى فيه من أوله يخرج من أسفله ، وقلب المؤمن اناء صحيح غير منكوس يدخل فيه الايمان ويبقى ، ولكن هذه القلوب مختلفة ، فقلب ملطخ بفنون الافات ، فالشراب الذى يلقى فيه يصحبه اثر ويتلطخ به ، وقلب صفا من الكدورات وهو أعلاها قدرا .

وما أروع ما يعقب به السادة الصوفية عند قوله تعالى (الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شىء عليم) فقد جاء فى لطائف الاشارات لسيدى الامام القشيرى رضى الله عنه :

معية الحق سبحانه وانكانت على العموم بالعلم والرؤية ، وعلى الخصوص بالفضل والنصرة ، فلهذا الخطاب فى قلوب أهل المعرفة أثر عظيم ، الى ان ينتهى الامر بهم الى التدله فالوله فالهيمان .

ويقال : أصحاب الكهف - وان جلت رتبتهم واختصت من بين الناس مرتبتهم - قال تعالى فى شانهم (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) ولما انتهى الى الاية السابقة (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة ...) اثبت معيته لاهل النجوى فشتان بين من رابعه كلبه ومن رابعه ربه .

ويقال : حيثما كنت فانا معك ، ان كنت فى المسجد فانا معك ، وان كنت فى المصطبة فانا معك ، ان حضرت المسجد فانا معك باسباغ النعمة ولكن وعدا ، وان اتيت المصطبة فانا معك بالرحمة واسبال ستر المغفرة ولكن نقدا .

هبك تباعدت وخالفتنى
تقدر ان تخرج عن لطفى

اقول ، فليعجب القارىء الكريم معى من سمو هذا المذاق ونور الفهم الذى يجرهم اليه ، وصدق سبحانه اذ يقول (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) واذ يقول (افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين) واذ يقول (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) .

وليهنا المؤمنون بالنور الذى أعده سبحانه لهم فى الاخرة مصداقا لقوله تعالى (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم (. ويقول سيدى الامام القشيرى رضى الله عنه عند تلك الاية الكريمة :

هو نور يعطى للمؤمنين والمؤمنات بقدر أعمالهم الصالحة ، ويكون لذلك النور مطارح شعاع يمشون فيها والنور يسعى بين أيديهم ويحيط جميع جهاتهم .

ويقال : (وبأيمانهم) كتبهم .

(بشراكم اليوم جنات) اى

بشارتكم اليوم من الله جنات ، وكما أن لهم فى العرصة هذا النور ، فاليوم لهم فى قلوبهم وبواطنهم نور يمشون فيه ، ويهتدون به فى جميع أحوالهم . قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن ينظر بنور الله ! وقال تعالى (فهو على نور من ربه)، وربما ينبسط ذلك النور على من يقرب منهم ، ولاوليائه لا محالة هذه الخصوصية .

ويعتز سيدى وشيخى الشيخ على عقل بنور التوحيد وبحب الله تعالى فيقول فيما نقلناه عنه من الهامه الفورى رضى الله عنه :

حياة الورى حلو ومر وانما
حلا أمر بالتوحيد من رقة الحس

وانك لو عظمت دينك عالما
وعاملت بالحسنى واديت للنفس

وكنت على الاحداث بالله راضيا
سواء عليك الموت او ساعة الحرس

سعدت من الدنيا بربك محسنا
ونلت من الاخرى العطاء بلا نجس

يقولون لى من انت قلت موحد
الى ربه يسعى ولم يرمن باس

اذا قيل لى اطلب قلت ربى مطلبى
وان قيللى اشرب قلتانواره كاسى

واعرف رحمانى وادرك عفوه
وانهض معتزا به وما انا بالمنسى

وان حبال الوجد تربط مهجتى
وقلبى بحب الله يعبق كالورس

وان كنت فى سعد فذلك فضله
وانلم اكن منسادة العربوالفرس

فقل للذى يزجى الشراع دعالكرى
تجد سفنالاحسان تجرىعلى اليبس

حسبت الهوى سهلا فخضتعبابه
فطورا به اطفوا وطورا به غطسى

الى ان انتشلنى من لدنة عناية
وصلت بها بر السلامة والانس

فانظر رعاك الله كيف يرد الفضل الى ربه فى وصوله الى بر السلامة وكيف أنه تعرض بعمله لاحسانه سبحانه وتعالى ، ويقول سيدى خير النساج رضى الله عنه ناصحا للمؤمن مهما جد فى الطاعة : ميراث افعالك ما يليق بأفعالك ، فاطلب ميراث فضله فانه أتم وأحسن ، قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) .

ويعقب سيدى الامام القشيرى على هذه الاية الاخيرة فيقول فى لطائف اشاراته رضى الله عنه :

الفضل : الاحسان الذى ليس بواجب على فاعله ، والرحمة : ارادة النعمة وقيل هى النعمة .

والاحسان على أقسام . وكذلك النعمة ، ونعم الله أكثر من أن تحصى .

ويقال : الفضل ما اتاح لهم من الخيرات ، والرحمة ما ازاح عنهم من الافات .

ويقال ، فضل الله ما أكرمهم من اجراء الطاعات ،ورحمته ما عصمهم به من ارتكاب الزلات .

ويقال : فضل الله دوام التوفيق ، ورحمته تمام التحقيق .

ويقال : فضل الله ما يخص به اهل الطاعات من صنوف احسانه ، ورحمته ما يخص به أهل الزلات من وجوه غفرانه .

ويقال : فضل الله الرؤية ، ورحمته ابقاؤهم فى حالة الرؤية .

ويقال : فضل الله المعرفة فى البداية ، ورحمته المغفرة فى النهاية .

قوله (فبذلك فليفرحوا) أى بما اهلهم له ، لا بما يتكلفون من حركاتهم وسكناتهم .

وقوله (هو خير مما يجمعون) اى ما تتحفون به من الاحوال الزاكية خير مما تجمعون من الاموال الوافية .

ويقال : الذى لك منه فى سابق القسمة خير مما تتكلفه من صنوف الطاعة والخدمة .

وفى قوله تعالى (ياايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد) يقول سيدى خير النساج رضى الله عنه ، أى انتم أيها الناس المحتاجون اليه فى كل نفس ، والله هو الغنى عنكم وعن توحيدكم وأفعالكم ، والحميد الذى يقبل منك ما لا يحتاج اليه ، ويثيبك عليه ما تحتاج أنت اليه .

ويرد السادة الصوفية ضعف الهمة فى السعى للاخرة الى ضعف البصائر ويقول فى ذلك سيدى ابراهيم القصار رضى الله عنه : القدرة ظاهرة والاعين مفتوحة ولكن أنوار البصائر قد ضعفت . ويقول أيضا رضى الله عنه : قيمة كل انسان بقدر همته ، فان كانت همته الدنيا فلا قيمة له ، وان كانت همته رضاء الله تعالى ، فلا يمكن استدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها .

ويقول سيدى ممشاد الدينورى رضى الله عنه : رأيت فى بعض أسفارى شيخا توسمت فيه الخير فقلت : ياسيدى ، كلمة تزودنى بها ، فقال : همتك فاحفظها ، فان الهمة مقدمة الاشياء ، ومن صلحت له همته ، وصدق فيها صلح له ما وراءها من الاعمال والاحوال . ويقول كذلك رضى الله عنه : صحبة أهل الصلاح تورث فى القلب الصلاح ، وصحبة أهل الفساد تورث فيه الفساد . كما يقول : ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برك ، وما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك .

ويوجهنا السادة الصوفية الى شكر الله تعالى على نعمه وعلى ما نوفق اليه بعونه من الطاعات ليزيدنا سبحانه من فضله ، ويقول سيدى أبو حمزة البغدادى فى ذلك : اذا فتح الله عليك طريقا من طرق الخير فالزمه ، واياك أن تنظر اليه وتفتخر به حتى لا تسقط عن مقامك ، ولكن اشتغل بشكر من وفقك لذلك ، واشتغالك بالشكر يوجب لك المزيد لانه تعالى يقول (لئن شكرتم لازيدنكم) .

ويقول كذلك رضى الله عنه : من المحال أن تحبه ثم لا تذكره ، ومن المحال أن تذكره ولا يذيقك طعم ذكره ، ومن المحال أن يذيقك طعم ذكره ثم يشغلك بغيره . وهو أيضا القائل : من علم طريق الحق سهل عليه سلوكها ، ومن تبع فيها أثر الدليل الصادق الناصح بلغ عن قريب الى مقصده ، ولا دليل على الطريق الى الله تعالى الا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحواله وأفعاله وأقواله .

وهذا الذى يقوله رضى الله عنه له سند من كتاب الله عز وجل ، فقد قال تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا) كما قال تعالى (وان تطيعوه تهتدوا) ، وفقنا الله تعالى الى ترسم خطاه والاخذ بهداه ، وجعلنا من المحشورين تحت لوائه يوم الدين وجمعنا به فى جنات النعيم صلوات الله وسلامه عليه أبد الابدين آمين .

بقية مقال [من أئمة الدعوة]

رابعا : التصوف ضعف ، والاسلام قوة ، والله سبحانه وتعالى يقول « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » . والجهاد باب من أبواب الاسلام لا يتلاءم مع صوم النهار وقيام الليل .

ويرد الصوفية على هذه الاعتراضات فيقولون :

ان الاستدلال على وجود الله لا يحتاج - فى نظر الصوفية - الى كد الذهن واعمال الفكر . كيف يتأتى أن يخفى الله - وأن يكون من الخفاء بحيث نحاول جهدنا ان نتطلب ما يثبت وجوده من الادلة .

ان اثبات وجود الله ليس مشكلة - فى نظر الصوفى - اذن فانه لا يؤخذ على الصوفى ان يذهب الى طرق خفية لينتهى من ورائها الى الاستدلال على وجود الله . ان الصوفيه يرون ان مجرد محاولة اثبات وجود الله انما هى انتقاص من جلاله سبحانه ،فمتى خفى سبحانه حتى يحتاج الى دليل يدل على وجوده انه سبحانه اظهر من كل وجود ..

ان غاية التصوف الروحية : رضا الملا الاعلى ، حب الله ، الاتصال به ، الفناء فيه ليصبح عارفا به سبحانه .

ذلك أن الايمان بالله يستلزم الايمان بكماله ، والسعى وراء هذا الكمال .

وحتى يصل الانسان الى تلك الغايات عليه بالكتاب والسنة . ولما كان التخلق بأخلاق الله ، لا يتأتى الا عن طريق الوحى المعصوم . فلابد اذن من اتباع تعاليم الرسول اتباعا سليما ، وبالتالى فانه لا يتأتى ان يوجد تصوف قط مالم يكن اتباع كامل لشريعة صادقة . وان التصوف الاسلامى لم يوجد الا باقتداء الصوفيه اقتداء تاما برسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقد احبوه واتبعوه وحققوا بذلك قول الله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ، وذكر الله كثيرا » .

مما لا شك فيه ان القول الفصل فى كل مشكلة من المشكلات انما يرجع فيه الى الذين يمثلون الموضوع الذى تنتسب اليه المشكلة . واذا رجعنا الى زعماء التصوف الذين لا يختلف فى زعامتهم اثنان ، نجدهم - سواء فى ذلك القدماء منهم والمحدثون - يؤكدون على الكتاب والسنة .

يقول سهل التسترى معبرا عن أصول التصوف « أصول طريقنا سبعة ، التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكف الاذى ، وتجنب المعاصى ولزوم التوبة ، وأداء الحقوق » .

واذا ما وصلنا الى الامام الغزالى فاننا نجده يقول فى شىء من التفصيل فيه دقة ، وفيه استدلال غاية القوة .

« واعلم ان مسالك سبيل الله تعالى ،قليل . والمدعى فيه كثير ، ونحن نعرفك علامة له : وذلك ان تكون جميع افعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع موقوفة على توقيفاته ايرادا واصدارا ، واقداما واحجاما ، اذ لا يمكن سلوك هذا السبيل الا بعد التلبيس بمكارم الشريعة كلها ، ولا يصل فيه بعض وظائف العبادات ، ولا يضره بعض المحظورات ، كما نقل عن بعض المشايخ من التساهل فى هذه الامور .

واقول لك : اعلم ان هذا عين الغرور ، وان المحققين قالوا : « ولو رايت انسانا يطير فى الهواء ، ويمشى على الماء ، وهو يتعاطى امرا يخالف الشرع ، فأعلم انه شيطان ، وهو الحق .

وخير ما نختتم به انما هو الحديث النبوى الكريم :

« وسئل النبى - صلى الله عليه وسلم - عن قوم تركوا العمل بالدين - واحسنوا الظن فى الله فقال - كذبوا ولو احسنوا الظن لاحسنوا العمل ....

هذا بعض ما اثاره كتاب « ابو حامد الغزالى - حجة الاسلام للدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم والذى قدمه المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى سلسلة « كتب اسلامية » .

ولنا - عودة - باذن الله الى جوانب اخرى من قضية التصوف .. والمتصوفة .. والله ولى التوفيق .

العلم والإيمان

على
ضوء
مؤتمر
الأديان

العودة إلى الدين
طريق الخلاص للإنسانية

الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

مؤتمر الاديان العالمى الذى عقد منذ أسبوعين فى طوكيو عاصمة اليابان يعتبر ظاهرة جديدة فى الحياة الانسانية لها ما بعدها . فهى دليل واضح على ان الانسان المعاصر قد عاد يبحث عن روحه وقيمه ومثله فى رحاب الايمان والعقيدة الالهية ، وعلى أساس هذا الايمان ينشد صلته بالدنيا والعالم ، ويرجو أن تكون حياة الناس هى حياه الاخاء والسلام ، والتعاون فى سبيل المحبة والسلام.

ولعل اروع ما يبدو فى نطاق هذه الظاهرة هو وقوف رجال الاديان متآلفين متحابين فى سبيل غاية متفقة هى تحقيق الخير للعالم وللناس على اختلاف ملتهم وأجناسهم ، فقد مضت قرون طويلة من التاريخ والاديان الكبرى ، أو رجال هذه الاديان الكبرى ، يقف بعضهم من البعض الاخر موقف العداوة والبغضاء ، ومع أن هذه الاديان كلها تقوم على أساس واحد هو الدعوة الى الحق والخير والايمان بالله فانها وقفت تتناحر وتتصارع بعيدا عن هذه الغاية النبيلة ، ولم يحدث فى يوم أن تداعى رجال هذه الاديان الى التعاون فى صعيد واحد للعمل على تثبيت هذه الغاية وجمع قلوب الناس عليها وربط حياتهم بها ، وتفاقم الشر وزاد ضراوة حين أخذت السياسات الاستعمارية تصطنع رجال الاديان وتحركهم وفقا لمآربها وخدمة أغراضها فى الدعوة الى الحرب ، واثارة العداوات والحزازات بين الامم والشعوب باسم الدين ، واستباحة حرمات الامم تحت ستار الخديعة التى كانت تلبس لباس الدين ، ولهذا قلنا ان مؤتمر الاديان العالمى فى طوكيو كان ظاهرة جديدة فى الحياة الانسانية لها دلالتها العميقة ولها ما بعدها فى الوجهة الانسانية للعالم .

هذا الانصراف بالدين عن غايته ورسالته السامية فى الحق والخير والايمان ترك فراغا كبيرا فى المجال الانسانى ، وفتح الطريق امام المذاهب المادية والفلسفات الالحادية لتعربد على الناس بما شاءت لها اهواؤها فى التخريب والتدمير وتحطيم كل القيم والمثل الخلقية التى تربط الانسان بالحياة وبماتفرضه من حقوق وواجبات نحو الانسانيه ، وفى يوم صنعت تلك المادية من العلم معولا تهدم به كل ما هناك من تراث انسانى ، وتجعل من الانسان آلة تبنى ما يسمونه بالحضارة العلمية ، ومازالت هذه المادية تطغى وتتجبر حتى اسلمت الانسان الى الشقاء والتعاسة ، ولم تعد الحياة الانسانية حياة المحبة التى دعا اليها المسيح وحياة السلام التى دعا اليها محمد ، وانما هى افتراس القوى للضعيف ، وحرب الانسان للانسان .

فى هذا الصراع من القيم الدينية والانسانية والعقيم من روح الايمان سار الانسان شوطا طويلا حتى ارهقه التعب واضناه ، يحاول ان يجد الحياة

التى تستقر فيها روحه وقلبه ، ويجد فيها نفسه وانسانيته ولكن على غير جدوى ، لان الحضارة المادية الصناعية اعطته متعة الجسد واشبعت فيه مطالب الدم واللحم ولكنها عجزت عن أن تعطيه نبض الروح والقلب ، وان تمنحه فضيلة الايمان والاستقرار النفسى ، فهو انسان قلق فزع كأنه ساكن جهنم فى اسطورة افلاطون لا يحب ان يرى الا قبيحا ولا يسمع الا سوءا ، ولذلك العلم الذى صنع المعجزات ، لهذا استطاع أن يحلق فى السماء وان يصعد الى القمر ، وان يضع الارض كلها تحت قدم الانسان ، ولكنه هو الاخر عجز عن أن يمنح الانسان سعادة الايمان ، وان يذيقه لذة الاستقرار والاطمئنان ، فكان من الطبيعى أن يعود الانسان ليبحث عن نفسه ، وعن الحياة التى يجد فيها روحه وقلبه ، وعن المثل والقيم التى تربطه بانسانيته ، وتلك هى الحياة التى كان يحياها فى رحاب الدين والايمان .

ونظم الحكم التى قامت فى العالم المعاصر باسم الديمقراطية او الدكتاتورية او الاشتراكية او الراسمالية ، ان هذه النظم على اختلاف نظمها واتجاهاتها قد سلبت الانسان روح الانسانية ، وجعلت صلته بالمجتمع الانسانى صلة آلية مصنوعة ، صلة خالية من التعاطف والتواد والتراحم والشعور المتبادل بين الانسان واخيه الانسان ، وانما هو فرد يعيش على الولاء للحكومة فى مقابل أن تعطى له العيش ، وفى مقابل هذا المقابل عليه ان يعطيها نفسه وحياته ، تطلبه للتجنيد ، وتدفعه للحرب ، وتأمره بالعمل ، وتحدد له سير الطريق ، وتمسك بزمام حريته ، وليس عليه الا ان يسمع ويطيع ، وكان من الطبيعى ان يطبق الانسان بهذه الحياة التى هى اشبه بحياة الرق والعبودية ، وان يبحث عن واحة يستروح فيها نسيم الحياة الذى ينعش روحه وقلبه بنفحات الرضا والايمان .

لا يمكن للانسان أن يعيش بدون ايمان ابدا ، ويوم أن تحطم فى نفسه الايمان بالدين ، وانفك قلبه عن العقيدة الدينية ، واستهان بمثلها وقيمها الخلقية حاول أن يجد الايمان بالحضارة ، أو بالعلم ، او بأية نزعة من النزعات المذهبية ولكنه لم يجد فى هذه كلها أو فى واحدة منها ما يمكن أن يعوضه عن الايمان بالدين ، او ما يجد فيه روحه وقلبه وانسانيته ، وما كان فى مقدور الانسان ان يصبر الى النهاية على هذه الحياة الجافة الثقيلة الجامدة ، ومن هنا تيقظت فى روح التدين ، واخذت تتحرك فى قلبه نوازع العقيدة الالهية ، وتيقظ رجال الاديان لواجبهم ، ولرسالتهم فى الدعوة الى الحق والخير والايمان ، وتلك هى الظاهرة التى قلنا أنها جديدة فى الحياة الانسانية المعاصرة وان مؤتمر الاديان العالمى فى طوكيو كان عنوانا لهذه الظاهرة ودليلا عليها .

حقا انها ظاهرة جديدة فى حياة الانسانية اذ اجتمع خمسة آلاف من رجال الاديان من مختلف أنحاء العالم فى مؤتمر طوكيو يضمهم التآلف والتسامح والاخاء يحدوهم امل متفق ، وغرض مشترك ، وغاية شريفة نبيلة لانقاذ الانسانية مما تعانيه من قلق وشكوك وحروب والعودة بها الى حياة الايمان والخير والسلام ، وهى الغاية التى تلتقى عليها جميع الاديان كما شرح ذلك الرئيس انور السادات فى كلمته القيمة التى وجهها الى المؤتمر ، وان مما يؤكد بلوغ هذه الغاية وادراكها هو وقوف جميع الاديان دونها ، ثم نزعة التدين التى بدات تتحرك بها روح الانسان المعاصر ، ولهذا قلنا ان الدين هو الطريق الوحيد لخلاص الانسانية وانقاذها ، ونستطيع ان نقول ان الانسانية بدات سيرها على هذا الطريق .

هذا هو الإسلام قوام البشرية

الأخلاق والسلام

فضيلة الشيخ
محمود ابراهيم ظيرة

ان من يدرس الاسلام دراسة المحايد المتجرد المنصف ، يعرف أن الاسلام دين السماحة . فهو لا يجافى ، ولا يعادى ، ولا يعرف التعصب البغيض ، ولا يقطع الصلة بينه وبين ما سبقه من الاديان ، على طول ما بينه وبينها : من بعد سحيق فى مراحل التاريخ ، فلقد جاء الاسلام مؤمنا بها ، مصدقا لها ، مكملا لرسالاتها . الا ترى الى قول الله سبحانه فى القرآن الكريم « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراه والانجيل من قبل هدى للناس . وانزل الفرقان » ؟

والى قوله جل شأنه «(يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم ، من قبل أن نطمس وجوها فنردها على ادبارها ، او تلعنهم كما لعنا اصحاب السبت . وكان أمر الله مفعولا » ؟ !

كما أن الاسلام لا يكتفى من أتباعه المؤمنين بان يؤمنوا بالله ورسوله فحسب ، بل يجب عليهم كذلك أن يؤمنوا بالرسل السابقين ، وبكتبهم السماوية ، وشرائعهم الالهية . قال تعالى ؟ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله . وقالوا سمعنا وأطعنا . غفرانك ربنا واليك المصير » .

وقال جل ثناؤه « قولوا آمنا بالله وما انزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل ، واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » .

ولقد قام الاسلام الحنيف على أساس متين من الاخلاق الكريمة ، والمبادىء العظيمة ، والنهج القويم ، والسلوك المستقيم ، فان الاخلاق الفاضله هى قوام الحياة الطيبة للامة ، بها تحيا ، وبها يشتد ساعدها فتقوى ، ثم تنهض وتتقدم ، ثم يصعد نجمها فى افق العلا ويتالق ، وما أجمل قول شوقى :

فانما الامم الاخلاق ما بقيت
فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا !

ومن اجل هذا يقول الصادق المصدوق عليه السلام ، مبينا أن مكارم الاخلاق هى لب الرسالة «**انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق**» ويقول فى حديث شريف آخر ، موضحا مكانة الاخلاق الكريمة عند الله « **ان الله يحب مكارم الاخلاق ، ويكره سفسافها** » ! ويقول فى حديث ثالث ، مرغبا فيها ، داعيا اليها ، حاثا عليها « **ان من احبكم الى ، واقربكم منى مجالس يوم القيامة ، احاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا ، الذين يالفون ويؤلفون** » ! .

وان من السمات السمحة الغراء المميزة ، فى مجال الاخلاق الفاضلة ، الصفح الجميل ، والعفو عند المقدرة ، ولئن كان الاسلام قد شرع القصاص لمناهضة الجريمة ، انه قد فضل عليه العفو ، لانه يتالف القلوب ، ويجتذب النفوس ، وينتزع الضغينة والسخيمة من الصدور ، فحث عليه ، ودعا اليه ، واجزل لصاحبه العطاء ، فى يوم الجزاء . يقول الله تبارك وتعالى لرسوله عليه السلام « **خذ العفو ، وأمر بالعرف ، واعرض عن الجاهلين** » . ويأمره بالصفح الجميل فى آيه اخرى فيقول « **وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ، وان الساعة لاتية ، فاصفح الصفح الجميل ، ان ربك هو الخلاق العليم** » ويقول جل من قائل « **وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا واصلح ، فاجره على الله** » . **ويقول سبحانه** « **وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** » ! ويقول الرسول عليه الصلوات « **أمرت ان اعفو عمن ظلمنى ، واعطى من حرمنى ، واصل من قطعنى** » !! والشواهد فى هذا الباب كثيرة ولعمر الحق — ان العفو عن المسيىء من اجمل الخلال واروعها ، وابلغها اثرا فى المجتمع ، واكثرها راحة للنفس ، وان شعور المرء بسعادة عفو يصدر قراره طواعيه واختيارا ، رغبة فى الخير وطلبا للمثوبة ، لهو ابقى وأجدى من لذة انتقام عابرة ، تزينه الشهوة المتسلطة ، ويدفع اليه النزق البغيض ! هذا فضلا عن أن القدرة على العدو نعمة ، يجب شكرها بالعفو ، وما اجمل الحكمة الاسلامية الجميلة : **اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه** .

ايها القارىء الكريم ، الان — وقد طالعك وجه

الاسلام المشرق بمبادئه السامية ــ صارحنى بربك ؟ أى انطباع تركه فى نفسك وأى شعور تحسه وتتأثر به انه لا يساورنى ادنى شك فى أنه قد تولد فى نفسك الان شعور غامر لا يتوقف ، ويقين ثابت لا يتزلزل ، بأن الاسلام دين عظيم ، وأنه جدير باسمه ، جدير بأن يسمى بالاسلام ، قمين بأن يشتق اسمه من اسم الله ، وهو السلام ، لانه دين يحمل أشرف المعانى ، وأكرمها وأفضلها : السلام ، والامان ، والاطمئنان ، ومن أجل هذا كانت تحية المسلمين تحمل هذا الشعار الانسانى الجميل « السلام عليكم ورحمة الله » وكان السلام اسما من أسماء الجنة التى وعد بها المتقون « **لهم دار السلام عند ربهم ، وهو وليهم بما كانوا يعملون** » وكانت تحية الملائكة لاهل الجنة فى الاخرة هى السلام « **وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ، حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم، فادخلوها خالدين** » !

أجل ، ان الاسلام هو دين السلام ، دين الامان والاطمئنان ، ومن فهم الاسلام على غير هذا الوجه ، فقد جانب الصواب ، وظلم الحقيقة ظلما كبيرا !

على أنه يخيل الى أن صوتا يرن فى أذنى ، يصيح فى ــ ولعله صوت من يختلط عليه الامر فى مثل هذا المقام ــ اذا كان الاسلام دين السلام والامان،كما اسلفت ، فلماذا فرض الجهاد فيه ؟ وفيم كانت غزوات المصطفى صلى الله عليهوسلم ابان الرسالة ؟ فاجيبه قائلا ، حقا ان الله تعالىقد فرض الجهاد فى الاسلام على معتنقيه ، وتوعد بالعذاب تاركيه ، قال سبحانه «**قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم، واموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، احب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بامره** »! ويقول صاحب الرسالة عليه الصلوات « **ما ترك قوم الجهاد ، الا عمهم الله تعالى بالعذاب** » ! فالجهاد فى الاسلام مفروض على المسلمين لا شك فى ذلك. ولكن هل فرض الجهاد لترويع الامنين ، والاغارة على المسالمين ؟ هل فرض الجهاد على المسلمين ، ليجوسوا خلال الديار ويعيثوا فى الارض فسادا ، ويخربوا ويحطموا ويدمروا ؟ كلا ثم الف مرة كلا ، لم يكن شىء من هذا على الاطلاق ، لم يفرض الجهاد للهجوم والاعتداء ، وانما فرض للدفاع ورد كيد الاعداء ، ان الاسلام لا يرفض يدا تمتد اليه بالمصافحة والتحيه ، ولكن اليد التى تمتد اليه لتصفعه على قفاه ، لا يتردد فى منعها بل وفى قطعها ان تكررت المحاولة ، لانه عزيز كريم، يابى الضيم ، ولا يغمض عينه على القذى ! « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » .

لهذا فرض الله الجهاد ، حتى يكون للمسلمين **جيش مسلح ضارب** ، قوى كبير ، يحمى الحمى ويرعى الذمار ، ويكون سياجا متينا ، يحفظ البلاد من كيد الكائدين ، وطمع الطامعين ، ويرد غارات المعتدين ، ويلبى نداء الوطن اذا دقت ساعة الخطر ! ويكون فى نفس الوقت مظهر قوة للمسلمين ، ترهب الاعداء ، وتشجع الاصدقاء . هذا هو الجهاد المفروض ، وتلكم هى فكرته ، واليكم نص القرآن الكريم فى الموضوع « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** » **لماذا** ؟ لترويعهم وتدميرهم ؟ لا . ثم لا « **ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم** » ! ثم ماذا بعد هذا ؟ يقول الحق جل جلاله « **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم ، وان يريدوا ان يخدعوك ، فان حسبك الله** » !

ارأيتم يا سادة ، كيف ان الاسلام يأمرنا بأن نتقوى ونتسلح ونتحصن ؟ ولكن لا طمعا فى سلب الامم استقلالها ، بل رغبة فى نشر الحق بينها ، لا ترويعا للعالم وزلزلة اركانه ولكن لنشر العدالة بين افراده ورفعة مقامه ، لا حملا للناس على ان يتدينوا بغير ما يريدون ، ولكن محافظة على ديننا ومهد أسلافنا ، من أن ينالوا بشرا أو يقصدوه بضر . ان الاسلام يكفل حرية العقيدة ، فلكل دينه ، ولكل عقيدته ، بلا ضغط ولا اكراه ، وما أروع قول الله فى هذا « **لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى** » وقوله تعالى « **وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر** » وقوله جل شأنه « **افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » !! فمواطنونا من أهل الكتاب ، على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ، هم اخواننا : لهم مالنا ، وعليهم ما علينا ، وطعامهم حل لنا ، وطعامنا حل لهم ، ونصادقهم ونصاهرهم ، ونعيش معا على ارض الوطن الحبيب ، فى حب واخاء وسلام ، ما لم يقاتلونا ، أو يتعاونوا مع اعدائنا ، او يخرجونا من ديارنا واليكم ما يقوله ربنا الكريم فى ذلك « **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين** « **العادلين** » **انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، واخرجوكم من دياركم، وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم . ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون** » !

فما أكرم الاسلام وما ارحمه ، وما اعدله وما أحكمه ، وصدق الذى يقول « **ان الله بالناس لرءوف رحيم** » . وقد كانت للنبى محمد عليه السلام غزوات عديده ، ولكن ، ليت شعرى ــ أكانت هذه المغازى حروبا يشنها ابن عبد الله على الناس ظلما واعتداء ؟ » بغية السلب والنهب ورغبة التوسع والفتح ، وارادة الغلبة والقهر ؟ !!

حاشا وكلا ان يكون رسول الانسانية ومكارم الاخلاق بطاشا قتالا جبارا ، تنتشر جنوده فى

البلاد ، لتنشر فيها الفساد ، وتسوم أهلها سوء العذاب . وتحملهم على الدخول فى الاسلام او ضرب الرقاب ! حاشا لرسول الانسانية ان يكون هذا القائد السفاك المتوحش ، وهو الذى يقول « **ما بعثت سبابا ولا لعانا ولا فحاشا انما بعثت داعيا ورحمة** » ! .

والواقع الذى تطمئن اليه النفس ، أن هذه الغزوات كانت كلها — من غير استثناء لاسباب مشروعة ، ولظروف اقتضتها ، بل ربما فرضتها على المسلمين فرضا ، على نحو ما تكفل بشرح تفاصيله التاريخ الاسلامى المجيد . على انه ينبغى ان ناخذ فى الاعتبار بصورة عامة . ان الاسلام اخذ يشتد ساعده ، بعد هجرة النبى والمسلمين الى المدينة ، فعز هذا على قريش والمشركين ومن اليهم من اليهود . الذين لا يفتأون يشعلون نار الفتن . ويطعنون المسلمين فى ظهورهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ! ومن اجل هذا كانت مراجل الحقد تغلى دائما فى صدور الجميع ، وتدفعهم الى محاولة القضاء على الاسلام قبل ان يقوى ويستفحل خطره ! واذا كان المقام لا يسمح بسرد تفاصيل هذه الغزوات ، فلا اقل من ان نمسها مسا خفيفا ، يمكن القارىء من الوقوف على اسبابها وظروف وقوعها ، فاولى هذه الغزوات وهى غزوة بدر ، لم تكن فى أول امرها غزوة ، بل كانت كمينا نصبه الرسول عليه السلام ، فى انتظار عير لقريش تحت امرة ابى سفيان ، وهى عائدة الى مكة من الشام ، تحمل تجارة كبيرة ، على أمل اقتصاص بعض الاموال والسلع من تجارة قريش ، لقاء ما استولت عليه من اموال المسلمين وامتعتهم ، بعد هجرتهم الى المدينة ليلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم . غير ان ابا سفيان احس بالخطر يحدق به فغير طريقه فى الحال حيث سلك طريق الساحل ، وهكذا افلت الرجل من الكمين المنصوب . وكان من الممكن ان ينتهى الامر على هذا وكفى الله الفريقين القتال . ولكن قريشا حينما بلغها الخبر ، ابت الا ان تشنها حربا على رسول الله والمسلمين — وقد اثار حماستها أبو جهل بن هشام — فكانت غزوة بدر ، التى هزم فيها المشركون هزيمة منكرة . ونصر الله المسلمين نصرا عزيزا ، رغم قلة عددهم وعددهم بالنسبة لجيش المشركين « **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله** » !

وهكذا يتضح ان هذه الغزوة كانت هجوما من المشركين ، ودفاعا من المسلمين . وكذلك كانت غزوة أحد بطلب قريش ، لتاخذ بثار صناديدها الذين قتلوا فى غزوة بدر ، حيث نادى مناديها فى المسلمين — بعد ان جللها عار الهزيمة فى بدر — يوم بيوم بدر ، وموعدكم العام المقبل ، فلم يكن ثمة بد للمسلمين من تلبية النداء . والا وصموا بالخوف والجبن . وهو ما يظهرهم بمظهر الضعف امام اعدائهم ، وهذا ليس فى صالح الدعوة الناشئة . فضلا عن انه لا يتفق مع طبيعتهم العربية الاصيلة التى كان شعارها ان الكريم لودعى لها طعنة بليل لاجاب ، كما كان المسلمون فى بعض هذه الغزوات مدافعين أيضا لا مهاجمين ، مثل غزوة الاحزاب ، فان قريشا قد اقبلت على مدينة الرسول مع حلفائها وانصارها ، فى جيش لجب جرار ، يريدون خنق الدعوة الاسلامية فى مهدها ، والقضاء على المسلمين فى عقر دارهم ، فاتخذ الرسول وسائل الدفاع الممكنة عن المدينة ، بقدر ما سمحت به امكانياته المحدودة ، وحفر الخندق حولها ، وتأهب المسلمون على قلة عددهم وضعف سلاحهم ، وانتشار المنافقين المثبطين بين صفوفهم ، تاهب المسلمون للقاء أعدائهم فى شجاعة واستبسال ، بيد أن السماء تكفلت بصد هؤلاء المعتدين ، فأرسلت عليهم ريحا عاصفة مزمجرة ، قلعت خيامهم ، واطفأت نيرانهم ، واكفأت قدورهم والقت الرعب فى قلوبهم ، فوقع فى روعهم ان جحافل المسلمين قد اطبقوا عليهم من كل حدب وصوب ، وتفرقوا مذعورين فى رؤوس الجبال لا يلوون على شىء ، بل كل يطلب النجاة بجلده من قبضات المسلمين « وفاز النبى واصحابه بالغنائم والاسلاب !» وبعض هذه المغازى الاسلامية كانت حملات تاديبية لقوم من اليهود ومن غير اليهود كانوا يظاهرون قريشا ضد المسلمين ، او ينقضون المواثيق والعهود التى ابرموها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدرجون على اثارة الفتن . وبذر بذورها فى انحاء الجزيرة العربية ، ليؤلبوا القبائل ضد رسول الله والمسلمين . فكان الموقف — والحالة هذه — يحتم على المسلمين ان يؤدبوهم ويعاقبوهم ويطفئوا نار الفتن التى يحاولون اشعالها بجميع الوسائل ! ! بل ان الحكيم العليم كان يأمر المسلمين بذلك أمرا ، فيقول سبحانه « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله** » . وما أروع ختام هذه الاية الذى يشهد بمبلغ عدل المسلمين وعدم اعتدائهم ذلكم هو قول الله الكريم « **فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين** » .

واما غزوة الفتح ، فتح مكة ، فانه لا يستطيع منصف ان يقول انها كانت عدوانا من المسلمين على مشركى مكة ، بل يستطيع ان يقرر وهو مطمئن ان محمدا واصحابه كان لهم ملء الحق — بعد كل ما عانوا من قريش — ان يعودوا فاتحين مكة بلدهم ومسقط رءوسهم بعد ان خرجوا تحت جنح الظلال منها هاربين وبعد ان اذاقتهم قريش مر العذاب ، وتآمرت على حياة رسول الله وبأى حق تبقى مكة معقل الوثنية ، بعد ان بسط الاسلام رواقه على سماء الجزيرة العربية ! وهى مقر الكعبة المشرفة والبيت الحرام قبلة المسلمين ، وهى مهبط الوحى أول نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

ومع هذا ماذا كان موقف الرسول ممن خذلوه وآذوه وتآمروا على قتله واخرجوه من بلده بليل ؟ كان موقفه منهم موقف النبى الكريم العظيم الذى جعل العفو عنهم شكرا للقدرة عليهم جلس فى البيت الحرام ومن حوله صناديد قريش وزعماؤها ، ترتعد

فرائصهم ، ويعقد الفزع ألسنتهم ، فى انتظار كلمة تخرج من بين شفتى محمد ، تقرر مصيرهم وتكون خاتمة الصراع بين الحق والباطل . ويدرك النبى الرحيم حالهم ، فلا يريد ان يطيل عذابهم ، حيث يلتفت اليهم ويقول : **يامعشر قريش – ما تظنون انى فاعل بكم ؟ فيقولون فى خشوع وتوسل وانكسار : خيرا اخ كريم ، وابن أخ كريم ! وعلى الفور يعلنها رسول الله عظيمة مدوية ، تبعث الحياة فى الارض الموات ! لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ، وهو ارحم الراحمين ، اذهبوا فأنتم الطلقاء ، وهكذا شهد العالم اكرم موقف لاكرم رسول وسجل التاريخ قصة رائعة لعفو شامل لم يشهد العالم له مثيلا فى التاريخين القديم والحديث !!**

أيها القراء الكرام – اى عقل سليم – **بعد هذا البيان الموجز** – القاطع يستسيغ ما يتخرص به المتخرصون ، من ان الاسلام دين البطش والقوة والعنفوان ، وأنه قام فعلا بحد السيف ؟ أحقا انها فرية ما لها من فرية ، لست ادرى ولست تدرى ، وليس المنجم يدرى . اى سند لها او دليل ! ! .

لا ، لا يا قوم . استنطقوا الوقائع تنطق ، وسلوا الحصى فى الارض والنجوم فى السماء ، تجبكم بأن الاسلام دين سلام وحجة وبرهان يحارب البطش والبغى والعدوان ، وان دعوته كانت بالحكمة والموعظة الحسنة ، عملا بقول الله تعالى « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن** » تشبعت بها نفوس القوم ، حتى أصبحت شعارا لهم كبارا وصغارا ، يحدثنا أرباب السير ، ان الحسن والحسين – وهما يافعان – كانا يسيران بظاهر المدينة حينما رأيا شيخا كبارا يتوضأ ، ولكنه لا يحسن الوضوء ، فتقدم منه الحسن رضى الله عنه قائلا : **هذا أخى يتهمنى باننى لا احسن الوضوء ، وانا اتهمه بانه هو الذى لا يحسنه وقد ارتضيناك حكما بيننا ، لتحكم اينا أحسن وضوءا ؟ ثم توضأ امامه ، فادرك الرجل ما يقصدان فقال : بارك الله فيكما ، كلاكما يحسن الوضوء ، وأنا الذى لا أحسنه !**

هذه هى روح الاسلام وسماحته وأدبه وانسانيته ، ان من يتأمل قول الله سبحانه يخاطب المسلمين « **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** » يلفت نظره آخر الاية « **بمثل ما اعتدى عليكم** » حيث تتجلى رحمة الاسلام وعدالته ، فهو يطلب اليهم اذا اقتصوا من المعتدين – أن يكون القصاص بالمثل ، من غير زياده عليه ولا مبالغة فيه ! ثم انظروا الى قول سيدنا الرسول عليه الصلوات والسلام « **ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء** » والى قوله عليه السلام « **اذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته ، وليرح ذبيحته** » ! ولكانى به عليه السلام وهو يخطب جنوده ، فينهاهم عن التمثيل بالقتلى ، والاجهاز على الجرحى وقتل الصبيان والشيوخ والنساء ، وقطع النخيل وحرق الزروع والثمار !

يا سبحان ربى : عجيب أمر هذا الاسلام ، عجيب ! تمتد مظلة رحمته حتى تشمل أعداءه الذين يحاربونه ، بل تشمل الحيوان الاعجم كذلك بل تشمل الأشجار والزروع والثمار !! سيدى رسول الله – لقد كنت نبعا فياضا بالحب والرحمة ، والسياسة والحكمة والشرف الحقيقى ، والانسانية الكاملة فصلى وسلم عليك الله يا رسول الانسانية ، ويا بنى السلام والحرية ، ويا من بعثت لتتمم مكارم الاخلاق .

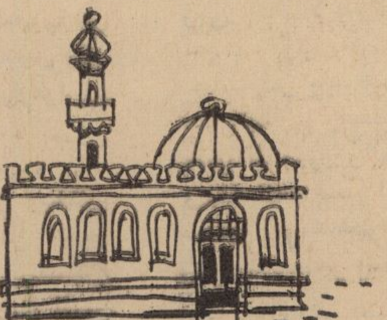

لولا أنتم لكنا مؤمنين

الأستاذ عبد العظيم منصور

منذ أبدع الله الكون ، وقدر الرزق ، وخلق الخلق . والى ان يطوى تلك الصفحه الداميه الحافلة بذلك التاريخ الرهيب من بدء الخلق الى فنائه ، والحياة الدنيا من الماضى السحيق الى الحاضر الراهن الى المستقبل البعيد المطاول مع الغد ، مسرح للامن والطمانينه فى قليل من الاحيان ومسرح للعبث والاستهتار والاجتراء على الله وعلى عباده فى أغلب الاحيان . وفى فترات الامن والطمانينة والسلام ينصرف الناس الى القيام بواجبات العبـــوديه لله دون ان يزعجهم خوف . او يحيفهم ظلم . أو يحيق بهم ما يكرهون . فتشيع المحبة ، وتتأكد الاخوه ، وتسود روح التكافل والتساند والتالف وتتحقق حكمه الله العليا من خلق الامم والشعوب فى قوله تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبــائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم » .

وفى فترات العبث والاستهتار يضيع الحق ويختفى العدل ويبرز الى الوجود الظلم ، ويتجاهر الناس بالرذيله ، وتتهاوى وتنهار أسس الفضيلة وتتصدع دعائم الاخـــلاق ، وتسقط الحرمات ، حرمة الدين وحرمه العقل وحرمه النفس وحرمة العرض والشرف وحرمة المال . وفى فترات العبث والاستهتار يظهر صنفان من البشر ، الصنف الاول هم الاقلون عددا الاعظمون قدرا .

صاحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله عز وجل من خلقه وامناؤه وعماله فى أرضه والدعاة الى دينه . قد الزمهم الله كلمة التقوى وكانوا احق الناس بها ، فيتصدون للباطل واهله ، ويطاردون اعداء الله واولياء الشيطان وكل من تجمع من الناس حول الضلال . قياما بحجج الله وبراهينه فى الارض وحفاظا لها من الضياع والتضييع ، ومن هذا الصنف من يسقط ضحية كريمة وهو يستخلص حقا لله او حقا لعبد من عباد الله ، فيلحق بموكب الشهداء وركب المؤمنين الاخيار الاطهـــار بعد ان يشاركوا كل الناس فى الموت ويتفردوا دون كل الناس بالمجد فى الملأ الاعلى وفى دنيا الناس جيلا بعد جيل ، ومن هذا الصنف من يستطيع الصمود فى مواجهه الباطل فيصمد ويقف فى مواجهه الباطل كالشجرة الطيبه يحاول استخلاص الحق لغيره ودفع الظلم عما سواه فى قوه وصلابه وفى شجاعة لا تعرف الخوف وفى اقدام لا يعرف التردد ، وفى استعلاء لا يعرف الضعف ولا يعرف الهم والحزن والوهن . وهذا الصنف من مات شهيدا ومن بقى كالشجره الطيبه هم امنة البشريه والعصمة لها من التصدع والانهيار على مدى العصور والقرون والاجيال وتلك طبيعة الكون وسنة الحياة مصداقا لقوله تعالى « **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** » .

والصنف الثانى الذى يظهر على مسرح الحياة فى أوقات العبث والاستهتار هو صنف قد هانت عليه انسانيته ففقد زمام السيادة الذاتيه على نفسه فانقاد للقابضين على زمام الحياة انقيـــاد الســـوائم والعجماوات ضعفا وجبنا او رغبه فيما بايدى الاقوياء الجبارين المستهترين بحق الحياة كالثعالب التى تقتات من فضلات الاسود ، أو رهبة من بطشهم وفرارا من

سطوتهم وجبروتهم ، وهذا الصنف المتردد المتخاذل الضعيف هم الوبال كل الوبال على الانسانية وشر ما يبتلى الله به الانسانيه ، مهم أدوات الباطل في الارض واعوان الشيطان في الدنيا ، وأعداء الحق في كل مكان وزمان ، وعن هذا الصنف يسوق القرآن الكريم كثيرا من المشاهد التي تدور احداثها بين المتبوعين والتابعين عندما يقوم الناس لرب العالمين ، وتكون حجة التابعين للباطل في الدنيا « **لولا أنتم لكنا مؤمنين** » ويكون الجزاء من جنس العمل فيساق المتبوعين أهل الباطل والتابعين لهم الى سقر ، ويساق أهل الحق والمؤازرين لهم الى مقعد صدق عند مليك مقتدر ولسان الحق يقول للتابعين للباطل واهله . اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟ .

ويعرض القرآن الكريم المشاهد الكثيرة يسجل فيها نتيجة التبعية البغيضة على من ابتلى بها عظة لنا وعبرة تقوى معهما الرغبه في الاستقلال الذاتي والتخلص من الانقياد الأعمى للباطل والدعاة اليه لئلا يكون للناس على الله حجه بعد الرسل ولا لمن كفر واتبعهم عذر بعد الانبياء . ونجتزىء من كتاب الله بعضا من مشاهد يوم القيامه عن تخاصم المتبوعين والتابعين والمصير المظلم الاليم الذي ينتظرهم في جمع من الخلائق اجمعين :

« .. ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول . يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ، واسروا الندامه لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون .. »

« وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ، قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص » .

« واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ، قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد . »

« .. قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار . قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون » .

— « وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا » .

— « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب . وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ! .

« لولا انتم لكنا مومنين » هو شعار اهل النار ، شعار الذين رضوا لانفسهم الذلة والصغار في الدنيا فانقادوا للباطل واهله رغبة أو رهبة فأتبعهم الله حسرات في قلوبهم يوم القيامة وما هم بخارجين من النار فضلا عن الافتضاح على رءوس الخلائق اجمعين ولسان الحق يتلو عليهم « اذلك خير نزلا ام شجره الزقوم ، انا جعلناها فتنة للظالمين ، انها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنه رءوس الشياطين ، فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ، ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم ، انهم ألفوا آباءهم ضالين ، فهم على آثارهم يهرعون » .

ما أحوج الانسان الى أن يتدبر آيات الله في سلوكه اليومي يتلقاها ويعيها ويعمل ويتكيف بها ، وما أحوجه الى أن يأخذ بما يعتقد انه الحق في أمور دينه ودنياه ، دون ميل مع هوى ودون اتجاه الى غرض ودون مداهنة لبشر مثله من أجل مغانم دنيوية رخيصة وزائلة .

ما أحوجنا نحن المسلمين اليوم الى ان نتحرر من قيود التبعية واغلال الانقياد لنتملك زمام السيادة على مقدراتنا وأنفسنا ، ما أحوجنا أفرادا وأسرا وجماعات ودولا الى الاستقلال الذاتي تحت شرع ربنا ومنهجه فلا بديل له ولا شرع سواه ، ما أحوجنا الى رفض تيارات الالحاد الجارفة والمبادىء والنظريات الزائفه التي تهب علينا من كل جانب وتعترضنا في كل طريق ، وتتصدى لنا ولاسلامنا في كل ميدان ، ما أحوجنا الى مطاردة أتباعها وأشياعها ، مسلمين وغير مسلمين ، ممن فقدوا شخصيتهم وفقدوا الغيره على دينهم وشرعه ربهم ، ما أحوجنا الى مطاردة الكلمات المنتنة الخبيثة التي تتناولها أقلام الكتاب المأجورين يفتتون بها الهمم ويضعفون بها العزائم ، حبا في الحياة الخسيسه تغليبا للدنيا على الدين وللقيم المادية على المثل الاخلاقية ، وانقيادا منهم للشرائع الوضعيه والفلسفات البشرية وهي تلك الشرائع التي الهاهم بريقها الزائف فسقطوا في شباكها ووقعوا أسرى زيفها وبطلانها ، ما أحوجنا الى افراد الوجهه لله والرحيل من الخلائق الى الخالق ، ومن الاكوان الى المكون ، ومن العباد الى المعبود تحقيقا لقوله تعالى « **وان الى ربك المنتهى** » وان لم نفعل أفرادا وأسرا وجماعات ونتخلص من الانقياد والتبعية لمناهج الارضية والفلسفات البشرية سيكون شعارنا يوم القيامة عند التخاصم بين المتبوعين والتابعين « **لولا أنتم لكنا مؤمنين !**

معرفة الله

غاية الغايات في المعرفة الإنسانية

اختلف الفلاسفة والعلماء والكتاب في تعريف المعرفة الانسانية ، وتحديد أبعادها فتنوعت تعريفاتهم وتعددت أفكارهم وآراؤهم ، ففى حين تقرر فئة منهم أن المعرفة الانسانية فطرية ، بمعنى أن الانسان يولد ونفسه عارفة بكل شيء ، تقرر فئة أخرى بأن المعرفة الانسانيه جميعها مكتسبة وأن الانسان يدرك الاشياء والمعارف بواسطة ما لديه من حواس .

الأستاذ طه محمد كسبه

ثم تقف طائفة ثالثة كى تقول ان العقل البشرى بطبيعته يحتوى على جزء كبير من المعرفه الفطريه مضافا اليها جزء آخر مكتسب . ففى حين ذهب « أفلاطون » ومن تلاه من الفلاسفة الى القول بأن المعرفة فطرية فى النفس البشرية ، ذهب « ديكارت » الى أن هناك معرفة فطرية تقوم على أساس حقيقة معرفة الانسان لذاته ، فهو القائل « أنا أفكر اذن فأنا موجود » ثم تلاه « كانت » الذى قرر أن المعرفة الانسانية موجودة فى العقل بطبيعه تكوينه .

ولقد ذهب جمهور كبير من الفلاسفة الى انكار المعرفة الفطريه وعلى رأسهم الفيلسوف الشهير «فرنسيس بيكون» الذىأسس المذهب التجريبى والذى على أساسه قرر أن .. المعرفة التى تصل الى العقل لا تنبع منه ولكنها تصل اليه عن طريق الحواس .

وينادى « لوك » بأن اساس المعرفة هو المدارك الحسية كما يرى فلاسفة آخرون ، ان المعرفه وراثيه ، فكل طفل يرث غرائزه الفطرية بدرجات متفاوتة ويرى علماء الاجتماع ان البيئه هى صاحبة المقام الاول فى تكوين المعرفة لدى الانسان .

ولقد وضع القرآن الكريم ـ بظهور الاسلام ـ اسس المعرفة الانسانية « تلك التى لا تقف عند حد الرؤيه العقلية المنطقيه أو المادية بخاصة ، كما لا تقف عند راده الابداع ولا تقتصر على تربية الذوق او الحس الوجدانى فحسب ، بل هى معرفة تنادى بنظرية التوازن بين القوى المختلفة ، هذه القوى تتلاقى وتتداخل ويكمل بعضها البعض من اجل تكوين الرؤيه المتكامله فى التعليم القرانى ، فنحن نؤمن بالله فى ضوء الايمان بارادة الخلق الالهية . ونحن نستدل على وجود هذه الارادة بالمنطق العقلى ونفيد من استمرارية القوانين الالهية بالمنهج العلمى المادى ونربى ذوقنا الفنى وقيمنا الاخلاقية بمعاناة التقوى وترقيق العواطف » .

فالمعرفة الانسانية فى الاسلام ، شامله ، متكامله ، قد جمعت بين جميع المواهب والملكات سواء منها الحسى او المعنوى ، المادى منها والروحى ، ليصل الانسان من خلالها الى الكمال الانسانى المأمول .

وغاية هذه المعرفة هى معرفة الله سبحانه وتعالى والايمان بالله القادر العليم ، ذو القوة المتين ، والهدف الاكبر منها هو الاتصال بالله ، واستلهام العون والمدد منه تعالى وميدانها الكون كله بما يرمز اليه من شئون الدنيا والاخره ، والارض والسماء والمادة والروح لقد فتح الاسلام ميادين المعرفه الانسانية أمام الانسان ، فوجهه الى النظر الى كل المخلوقات بعامة «١» والى وصف الاجرام السماوية وعلم الفلك «٢» وكذلك تناولت المعرفة ميدان علوم الجغرافيا «٣» وميدان علوم التاريخ «٤» وعلوم

---

١ ـ آل عمران آية ١٩١
٢ ـ يس آية ٣٧
٣ ـ ق آية ٧
٤ ـ القصص آية ٢ ومابعدها

النفس والطب «٥» وعلوم الاجتماع «٦» وعلم الحيوان «٧» وعلم النبات «٨» وكذلك علم الطبيعة والكيمياء «٩» وكذلك دراسة الظواهر الكونية «١٠» ولقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الميادين في آيات كثيرة تحمل اشارات الى كل من العوالم المنظورة وغير المنظورة ، ولو شئنا ان نتتبع جميع العلوم والمعارف الانسانية لوجدنا القرآن الكريم يشير اليها تلميحا أو تصريحا ليدفعنا الى دراستها وبحثها وكشف النقاب عنها حتى ينتفع الناس بها ومعرفة أسرارها «●» .

والقرآن الكريم يدعونا الى استعمال العقل والحواس معا كوسائل لبلوغ المعرفة واكتسابها واستخدامها في تجاربنا المادية والمعنوية ، فليس بينهما تعارض أو اختلاف ذلك ان كلاهما متمم للآخر . ولسوف أتعرض فيما يلي للحديث عن العقل وكذا الحواس كوسيلتين يستطيع بهما الانسان بلوغ معارفه ومهارته بشيء من الايجاز غير المخل .

أولا : العقـــل

اتفق الفلاسفة والعلماء على تعريف التفكير بأنه المجهود الذهني الذي يقوم به الفرد لاكتشاف ومعرفة الروابط والعلاقات التي تصل الاعمال بالنتائج والاشياء بمسبباتها وعللها وعن طريق هذا التفكير المستمر الذي يعيش فيه الانسان أمكنه ان يتوصل الى معرفة الكثير من قوانين الكون والطبيعة التي تسيطر على عالمنا واستغل هذه المعرفة في خدمة العلم وخدمة الانسانيـة والتفـكير أساليب ومسميات مختلفة تتلخص في :

١ - التفكير الخرافي : وهو أسلوب من التفكير يركن اليه الانسان عند تفسيره لتلك الظواهر التي ليس لها اسباب واضحة أو أن أسبابها غيبية يستعصى عليه معرفتها ، ويصعب على عقله المحدود الادراك أن يتوصل اليها .

٢ - التفكير عن طريق الغير : وهذا الاسلوب ينشأ عندما يلجأ الفرد للآخرين كي يفكروا له ويضعوا الحلول لعلاج مشاكله وهذا الاسلوب يتم أما برغبة الفرد نفسه او أن يفرض عليه تحت تأثير الآخرين .

٣ - التفكير العلمي : وهو ذلك الاسلوب الذي يخضع للقوانين والقواعد وكذا النظريات الموضوعة حيث ان هذا النوع يستند أساسا على هذه القوانين والنظريات والاسس التي تعتمد على فروض وأسباب ونتائج . أي أن هذا الاسلوب يخضع اكثر للعلوم المختلفة عند التفكير في أي امر من الامور .

٤ - التفكير التأملي : وهو ذلك الاسلوب الذي يعتمد فيه الانسان المفكر على عقله وعلى قدراته العقلية في الوصول الى الحقائق مع رفضه لكل الحقائق التي تاتيه عن طريق الحواس والتجربة . وهذا الاسلوب من التفكير يعتمد على الاستنتاج العقلي في سبيل الوصول الى النتائج ويتأكد من ايجابية هذه النتائج بقوانين المنطق .

وفي رأينا أن الاسلوبين الاخيرين - العلمي والتأملي - هما اللذان يؤكدان انسانية الانسان ودليل على آدميته . فالتفكير - بهذا الاسلوب - هو الذي يميز الانسان عن الحيوان واذا ما تساءلنا بأي شيء يفكر الانسان ؟ لاتانا الجواب بأنه العقل الذي وهبنا الله اياه لنتمكن من الحصول على المعرفة واكتساب المهارات والعلوم بكافة فروعها .

وعن العقل يقول حجة الاسلام الامام الغزالي : «●●»

« العقل منبع العلوم ومطلعه وأساسه ، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة . والنور من الشمس . والرؤية من العين . وان العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان هي :

المعنى الاول : الوصف الذي يفارق «١١» الانسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية . ويقول الحارث بن أسد المحاسبي أنه غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية .

المعنى الثاني : هي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من واحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد .

المعنى الثالث : علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف بها يقال انه غبي جاهل .

المعنى الرابع : أن تنتهي قوة تلك الغريزة الى أن يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة فيقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي

---

٥ - الطارق آية ٥
٦ - الروم آية ٢١
٧ - يس آية ٧١
٨ - عبس آية ٢٤
٩ - البقرة آية ٧٤
١٠ - النور آية ٤٣ وسورة يونس آية ٦١

● نظرا لكثرة الايات التي تحمل توجيهات بهذه المعاني في القرآن الكريم حرصت على اختيار بعض هذه الايات والاشارة اليها بشيء من الايجاز لضيق المجال واكتفينا بالاشارة اليها في الهوامش ليرجع اليها القارىء أنى شاء .

●● لقد تخيرنا نقل هذا الحديث لشموله واجابته على معظم ما يعن للمرء من تساؤلات حول العقل وقد توخينا الايجاز لضيق المجال ونقلناه بتصرف من الجزء الاول من كتاب « احياء علوم الدين للغزالي » ص ١٤٠ وما بعدها .

١١ - يتميز به
١٢ - الروم آية ٢١

صاحبها عاقلا وهذه أيضا خاصية يتميز بها الانسان عن الحيوان » .

وهذا العقل الذى وهبنا الله ، تردد الحديث عنه ، وعن اشارات ترمز له فى أكثر من موضع ، فوردت عبارة « **أولى الالباب** » . « **لعلهم يتفكرون** ! » ، « **لعلهم يعقلون** » وكذا « **لعلهم يتذكرون** » الى آخر هذه العبارات التى اطلقها القرآن الكريم فى مواضع عدة نذكر فيما يلى بعضا منها على سبيل المثال :

« **ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون** » ١٢ «٥» « **ان فى ذلك لايات للعالمين** » «١٣» ، « **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون** » «١٤» ، « **واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون** ! « ١٥ » .

وغير ذلك من الايات التى تخاطب أولى الالباب ليتفكروا فى خلق الله . وليتدبروا حكمته وقدرته الالهية جلت وعلت ، ولقد ورد عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . أحاديث عن العقل وفضيلة استخدامه نذكر منها : «١٦»

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **لكل شىء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ، ولكل شىء مطية ومطية المرء العقل ، ولكل شىء دعامة ودعامة الدين العقل ، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ، ولكل قوم داع ، وداعى العابدين العقل ، ولكل خراب عمارة وعمارة الاخرة العقل ، ولكل امرىء عقب ينسب اليه ويذكر به عقب الصديقين الذين ينسبون اليه ويذكرون به العقل ، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ، ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ، ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل** » .

ولقد خلق الله العقل للانسان ليفكر به وليطلق له العنان يجوب به السموات والارض مفكرا فى خلق الله تعالى ، وليرشده الى الخير والحق والجمال ، وليميز به الطيب من الخبيث والحسن من السىء ، ومن هنا يتضح أن هناك حكمة وفائدة مرجوه من وراء العقل ذلك أن العقل ليس سوى جزء كبقية أجزاء الجسد ، كاليد والذراع والساق والمعدة والقلب .. الخ من بقية أعضاء الجسد ، الا أن العقل افضل هذه الاجزاء على الاطلاق . وأكرم هذه الاعضاء وفى العقل جاء قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام : «١٧»

« **أول ما خلق الله العقل ، قال له أقبل فأقبل ، وقال له أدبر فأدبر ، وقال الله عز وجل : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أكرم على منك ، بك آخذ وبك أعطى : وبك أثيب وبك أعاقب** »

فالعقل أداة خلقها الله ووضعها فى جسد الانسان ليستطيع بها ان يفكر وان يتأمل ويتدبر . ووظيفة العقل فى الانسان هى التفكير والتأمل . ففى ذلك الخير كل الخير ، ولقد حثنا القرآن الكريم على دوام التفكير والتأمل والتدبير وكثرة النظر فى ملكوت السموات والارض والنظر الى مخلوقات الله .

على أن قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام الذى نورده هنا اخير ما يمكن أن يقال فى سببية خلق الله تعالى لعقل الانسان وجعله أكرم مخلوقاته حين يقول : «١٨»

« **يأيها الناس اعقلوا عن ربكم . وتواصوا بالعقل تعرفوا ما امرتم به وما نهيتم عنه . واعلموا انه يمجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دنى المنزلة رث الهيئة . وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا . فالقردة .. والخنازير أعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانهم من الخاسرين** !

وخلاصة هذا كله ان الله سبحانه وتعالى أول ما خلق فى الانسان . خلق العقل ، وكرمه على بقية مخلوقاته وان وظيفة هذا العقل هى التفكير والتأمل والتدبير والفهم كما ان طاعة الله تستوجب أن يكون الانسان عاقلا لبيبا . وأن العقل اداه ملكها الله للانسان ليسخرها فى معرفة الله عن طريق مخلوقاته وايمان كامل بما فى الافاق وفى الانفس .

كذلك نستطيع أن نتبين مما سبق ان من واجب الانسان أولا واخيرا أن يعتمد على عقله وما أوتى فيه من خير ونعمة وأن يوجهه الى طاعة الله وتلمس قدرته وعظمته ، والى افادة من حوله من اناس ، وافادة الاجيال القادمة من علمه الذى حصل عليه . كما وان الانسان يحقق علوه ورفعته عندما يستخدم عقله فى أمور حياته المعيشية وفى عبادة الله ليفوز بكل من الدنيا والآخرة وفى هذا يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم «١٩» :

---

١٣ ـ الروم آية ٢٢
١٤ البقرة آية ٢٤٢
١٥ ـ الجاثية آية ٥
١٦ ـ الحديث ـ ابن المحبر وعنه الحارث

١٧ ـ الحديث ـ ذكره الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى امامة .
١٨ ـ من حديث ابى هريرة وهو فى مسند الحارث بن أبى أسامة عن داود .
١٩ ـ ابن المحبر عن حديث أبى قتادة .

« أتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفا . وأحسنكم فيما أمركم به ونهاكم عنه نظرا . وان كان اقلكم تطوعا » .

ثانيا : الحواس

خلق الله للانسان من بين ما خلق العين والاذن والانف واللسان واليد ، وكان لخلق هذا كله حكمة وسببا . فالمشاهد أن هذه الاجزاء فى جسد الانسان لها من الوظائف التى تقوم بها لخدمة العديد . فهذه الاجزاء - الاعضاء الجسدية - انما هى عبارة عن نافذة يطل بها الانسان على العالم من حوله ، يرى ويسمع ويشم ويتذوق ويحس بما يدور حوله من حركات وما يدور حوله من أحداث .

فالعين : منظار او آلة تصوير يستغلها الانسان فى النظر والمشاهدة ، بالنظر العميق والمشاهده المتبصرة بما يرى فيحس بالجمال الذى أبدعه الله سبحانه ويحس بما يرى من الجماليات والمخلوقات ولتمكنه من العيش. فنعمة البصر نعمة عظيمة لولاها ما استطاع الانسان الفرد أن يسير وحده بل كان سيظل طوال حياته مربوطا برفيق أو قائد يسير معه وبه ، ليقضى به على عجزه ولكى يستعين به على مواجهة الحياة .

والاذن ما هى الا جهاز صغير يستطيع به الانسان أن يلتقط المعارف والمعلومات التى تتوارد على سمعه والتى لا يراها ،يسجلها تلك التى ينطق بها الاخرون . او يلتقط بها الكلمات والموضوعات والاشياء التى لا يمكن رؤيتها الا بالسمع فقط . فالاذن نافذة يطل منها الانسان على العالم الخارجى منصتا ومستمعا يعى ما يسمع ويفهم ما يصل الى اذنيه .

« وهو الذى أنشأ لكم السمع والبصر والافئدة قليلا ما تشكرون » «٢٠» « قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ! «٢١» .

وهكذا ايضا بالنسبة لحاسة الشم وحاسة التذوق . وحاسة اللمس . فكل هذه الحواس لها الكثير من الفوائد والوظائف العظيمة التى تقدمها للانسان والتى لا يمكن انكارها لانها تكفل له حياة سعيدة مرحة .

فانسان اعمى تعس فى حياته ، وانسان أصم تعس أيضا فى حياته ، وانسان منعدمة عنده حاسة الشم ، وانسان فقد حاسة اللمس او التذوق انسان تعس غير سعيد ، لانه فقد أحد مسلتزمات آدميته وانسانيته واحدى حواسه - نوافذه - التى يطل منها على العالم الخارجى فيفقده هذا العجز اتصاله به .

وخلاصة ما سبق أن الله سبحانه وتعالى خلق للانسان العين والاذن واللسان واليد والانف وان هذه الاعضاء كلها تتصف بأنها اداة اتصال او وسيلة خارجية بها يستطيع الانسان أن يحس وأن يشعر وأن يتكلم بها - ومع - العالم ومع من حوله ليعمل على تكييف نفسه مع هذا المجتمع ويسايره وحتى تكون هناك لغة مشتركة أو وسيلة مشتركة بين ابناء آدم للاتصال ببعضهم البعض . وأنها منافذ يطل منها الانسان على العالم من حوله .

كما أن لهذه الاعضاء وظائف خلقت لها ولتأديتها وكلها ترمى الى غاية واحده هى طاعة الله واخلاص العبادة له ولكى توفر للانسان سبل السعادة ومظاهر البهجة فى الاستمتاع المادى فى دنياه ودينه . كما أن الانسان مسئول عن هذه الاعضاء ومسئول عما قدمت هذه الاعضاء فى سبيل الله ومسئول عن الكيفية التى أدت بها وظائفها التى خلقت لها . « **ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا** » «٢٢» . واخيرا فان على الانسان أن يوجه حواسه التى أودعها الله فيه الى خير الجميع وأن يسخرها فيما أمر به الله والى معرفته جل وعلا .

وبعد فقد اوضح القرآن الكريم قضية المعرفة وأبان لنا ابعادها . وميادينها . وغايتها وهدفها الاكبر وقد رسم لنا الطريق السليم الموصل الى معرفة الحقيقة والحق الاسمى وهى معرفة الله سبحانه وتعالى . وليس مطلوبا منا الا أن نسير على هدى الله ونتتبع امرنا به متخذين من الطريق الذى اوضحه القرآن الكريم منهجا قويما للمعرفة الانسانية التى تقود الى الخير والحق والى المعرفة الكاملة الحقة التى جعلها القرآن الكريم وسيلة لهدف اسمى واعم لاكتشاف هذا العالم وما فيه والى استجلاء أسرار هذا الكون والاحساس بعظمته وتلمس قدرة خالقه الذى توصلنا اليه واتصلنا به جل وعلا . وهكذا توصلنا المعرفة الانسانية فى الاسلام الى معرفة الله والاتصال به لانه سبحانه وتعالى هو المثل الاعلى للحق والخير والجمال .

« وله المثل الاعلى فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم » «٢٣» . صدق الله العظيم .

---

٢٠ - المؤمنون آية ٧٨
٢١ - الملك آية ٢٣
٢٢ - الروم آية ٢٧

من وحي مكة

ساعات بين زحام الذكريات

تتوه الخواطر بين زحام الذكريات حين تقع الابصار على الكعبة الشامخة فتتخطى الخواطر كواهل القرون لترى مئات الارباب الجاثمة حولها وقد نحتتها يد البشر ثم نصبها حمق الوثنية آلهة تخر امامها هامات السادة والعبيد ، وتنحر حولها القرابين زلفى ، وهيهات للصخر الاصم ان تحركه ضراعة ضارع ، او يشعر بتزلف ساجد او راكع ، وليس بين مكة كلها : كهولها وشبابها وفتيانها غير رجل واحد قضى من عمره قرابة اربعين عاما رأى خلالها اصناما تسجد لاصنام ، وبقى وحده فى بلد الاوثان غير مؤمن بالوهية الاوثان .

لقد عاش بروحه في عزلة عن عالمه ينشد فيها الحقيقة التى لا يجدها فى اللات والعزى ومناه ولا فى غيرها من الاوثان ، انه ينشدها فى الوجود كله ، فى عالم الكواكب ، وفى عالم الانسان ، وفى عالم الحيوان ، وينشدها فى نفسه التى بين جنبيه ، فهو دائم السؤال لنفسه ، مم خلق ؟ وكيف خلق ؟ ومن الخالق ؟ ومن الرازق ؟ ومن المهيمن على هذا الكون يدير أفلاكه ؟ ومن الذى خلق السموات والارض وما فى السموات وما فى الارض ؟

ان صاحب هذه القدرة هو وحده نور الحقيقة التى ينشدها .

الدكتور محمد محمد خليفة

ومضى بروحه وبحياته بعيدا يطلب السبيل الموصل الى الحقيقة لعله يصل ، وطاب له المقام فى ذلك الغار الجاثم فوق قمة الجبل اياما بعد ايام على اختلاف الشهور والاعوام ، لم تفزعه وحدته ، ولم تروعه وحشة الجبال ، انه يأنس بالافكار التى يسبح بها بين عوالم الوجود يبحث عن الخيوط التى تربطه برب القدرة الخلاقة ، وحلا لروحه المقام ، وحلالها البحث كلما ادار بين سكون الليل بصره يرقب ومضات النجوم ولمعان البدر ، ويملأ عقله بالدلائل التى تشير كلها الى الخليق بالعبادة والخليق بالسجود والخضوع .

ولم يزل يسير وحده فى منطلقات العقل والتبصر حتى واتاه رسول الحقيقة التى ينشدها يدعوه الى عبادة الله وعاد من عزلته الى بلد الوثنية يعلن الحرب على الوثنية ، ومع رأد الضحى حيث تتحلق العشائر حول سادتها وقف على جبل الصفا يعلن أنه النذير لعباد الاصنام من عذاب الله ، وجلجل صوت النفير فى مكة ، فاقلق المضاجع وفزع السادرين فى متاهات الغواية ، واشار الشامخون من ذوى الجاه والثراء : أهذا الذي بعث الله رسولا » و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

وتجلت بين زحام الذكريات دار الارقم التى تقع قرب الصفا ، فاستعرضت الخواطر صور المتسللين اليها وبينهم أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من السابقين الاولين حيث اتخذ الرسول من تلك الدار اول معهد عرفه الاسلام حفظ فيه السابقون الى الاسلام ما نزل من القرآن وتدارسوا ما تحمل آيات الله من معان وارشادات وعظات ونذر ، وكتب فيه الكتاب ما نزل من اى الكتاب وعنى أول ما عنى فيه بمنهج التربية الروحية الذى يعمل عمله فى توطيد دعائم الايمان فى النفوس كما عنى باعداد الدعاة الى الله وتسليحهم بالايمان .

ثم يشدنا تيار الذكريات بعد أعوام الى مواقفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحجيج فى

الموسم يعرض عليهم الاسلام ، ويتلو عليهم آيات الله ، ووراءه رءوس العناد يقفون حيثما يقف لينزعوا من قلوب الحجاج آثار ما سمعوا من محمد عليه الصلاة والسلام ، وليعلنوا لهم أنه الساحر الذى فرق بين المرء واهله وأنه المجنون الذى ينال مما وجدنا آباءنا عليه .

وبين تزاحم الذكريات نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة فتتكالب عليه جموع الجاحدين ويأخذون بتلابيبه ، وهى موجبات الدافع الخانق يغوص ابو بكر وهو يدفع الناس عنه ويصيح فيهم : اتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات » وتبدو بين الذكريات صورة اعلان قريش مقاطعة بنى هاشم والمطلب وخروجهم الى الشعب وتضييق الخناق عليهم حتى أكلوا اوراق الشجر وقد ابوا ان يسلموا محمدا الى سيوف القرشيين .

ولم تزل الخواطر تستعرض صور رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يلاقيه من عنت قومه وبغيهم عليه وعلى اصحابه حتى برزت صورته يظعن الى ثقيف فى الطائف ، وتسير الخواطر فى هذه الرحلة مع الراحل الذى تبنى آماله له فى الطائف حتى يرجو أن يكون له ولدعوته فيه الامن والسلامة ، ويمعن فى السير حتى يبلغ الطائف ويدعو أهلها ، فيلوون وجوههم ويعرضون عن دعوته ، بل يرسلون وراءه سفهاءهم يقذفونه بالحجارة حتى يدمى عقبه ، وينهار ما بنته آماله ، ويأوى الى ظلال حائط يستظل به ، ثم يناجى ربه بعد ما راى من اعراض الثقفيين وايذائهم فيهتف بربه : ان لم تكن ساخطا على فلا أبالى » .

ويعود الى مكة بين عواصف الافكار وثورة العجب من قومه الذين يدعوهم الى الحق والى الصراط المستقيم فيأبون الا ان يعيشوا فى متاهات الباطل والضلال وتتوالى عليه نداءات الحق : ما على الرسول الا البلاغ « **ان انت الا نذير** » « **فلعلك باخع** نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا » « **وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون** » فيصيح رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تلك النداءات ويصبر حتى يواتيه الموسم ؟ فتمضى الذكريات معه حتى يقف على بنى عامر بن صعصعة فيعرض دعوته فيقول أحدهم : أرأيت ان نحن تابعناك على أمرك ثم اظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك ؟ فيقول الرسول : الامر الى الله يضعه حيث يشاء فيجيبه أفنهدف نحورنا للعرب دونك فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا ، لا حاجة لنا بأمرك فيمضى الى نفر من الخزرج فيجلس اليهم ويدعوهم الى الاسلام ويتلو عليهم آيات من القرآن تدفق نورها فى أرواحهم فاستجابوا له ، وتقفلوا راجعين الى المدينة يحملون الى أهلها نور الحق ، وتجاوبت بيوت المدينة بذكر رسول الله واخباره ودعوته ، وانقضى العام ثم كان لقاء العقبة الاولى ، وكانت بيعة العقبة الاولى مفتاح النور الذى انطلق الى كل بيوت المدينة ، ثم كانت بيعة العقبة التى فتحت للمهاجرين ابواب المدينة ليعبدوا الله فيها مخلصين له الدين مطمئنين على نفوسهم وعبادتهم ، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخذ منها قاعدة لانطلاق دعوته تحت ظلال القرآن وتحت ظلال السيوف ، ان زحام الذكريات يموج بالعقول كلما رأت الكعبة والمقام وحجر اسماعيل والحجر الاسود والركن اليمانى وزمزم والملتزم والصفا والمروة فتشدها كل هذه المعالم الى العالم البعيد الى الصور الحية التى تعيش فى قلب كل مسلم صور الكفاح الحق فى سبيل الدعوة الى الله وصور الصبر والصابرين على المكاره .

وان مكة كلها معالم اسلامية حية وان غيرت مظاهر الحضارة صورتها ، ولكن صورتها الجديدة تعيش وراءها صور خالدة لم يمحها طلاء الحضارات ولا فنونها .

ان صورة مكة المسلمة التى حطم محمد عليه الصلاة والسلام اصنامها ومحا وثنيتها يوم الفتح هى التى تعيش فى القلوب ذكرياتها ، وهى التى تطوف بذكرياتها الارواح كلما طافت بالبيت وكلما استلمت الحجر الاسود هاتفة : الله أكبر الله أكبر .

انه هتاف الملايين يجلجل من أعماق السنين حول البيت وبين الصفا والمروة وسيعيش مجلجلا يهز الوجود ويحرك القلوب ويبعث فى الدنيا الحياة الروحية حتى يرث الله الارض ومن عليها .

ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن

الدكتور ابراهيم هلال

الله الذى خلق هذا الكون وخلق الانسان له ان يخطط للحياة فى هذا الكون : لانه هو الذى يعرف الانسان وما يصلحه ، ويصلح له « الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك ! » ، « هو أعلم بكم اذ انشأكم من الارض : واذ أنتم اجنة فى بطون أمهاتكم » ..

فاذا كان الله هو الذى خلق الانسان واحاط به على هذا الوجه ، فان قانونه الذى انزله عليه وشرعه الذى شرعه له ، ودينه الذى أرسل به رسله الى الناس مبشرين ومنذرين هو الطريق الوحيد لنجاحه فى حياته ، ووصوله الى ما يرجوه من سعادة فى هذه الحياة . وهذا هو المراد من قوله تعالى : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين »

لان الله اذا كان قد اعتنى بالانسان من ناحية خلقه فخلقه على أكمل صورة كما تتحدث بذلك الاية المتقدمة « خلقك فسواك فعدلك » .. وهو خلق من شأنه أن يكسب الانسان النماء والقوة ، والتكيف مع ظروف الحياة وأجوائها ، ومع أنواع الأطعمة والاشربة المفيدة ، والاستفادة منها والتلذذ بها ..

واذا كان الله قد اعتنى به أيضا من ناحية تسخير الكون بما فيه له ، وليس لاحد غير الانسان سخر ذلك الكون ، وهو عطف محمود من الله على الانسان ، ونعم جديرة بالشكر لهذا الاله الرحيم الرحمن فما أتى به ايضا من شرع او دين لن يكون اقل نفعا ، واستفادة للانسان من هذا التركيب الطبيعى الذى ركب عليه ، ولا من هذا الكون الذى سخر له وانما هو سيستوى فى المنفعة للانسان مع ما انتفع به من تركيب حيوى ونفسى ، ومع ما انتفع به من نعم لا تنفد ولا تحصى قد احيط بها ويسرت له .

اذن قوام حياة الانسان وسعادته ثلاثة اركان لا ينفك احدها عن الاخر ، وهى الكون الذى هيىء كبيت كبير للانسان ، والخلقة التكوينية التى تركب منها الانسان وعاش بها ، والدين الذى جاء يعرفه على هذا الكون ويوجهه للانتفاع به ، وطريقة هذا الانتفاع .

ولذلك كانت هذه الثلاثة مرتبطة بعضها ببعض فى منطق العقل ، والواقع ، فلا نتصور كونا بدون انسان ، والا كان قد خلق هذا الكون عبثا ، كما لا نتصور انسانا دون كون ، والا كان خلق الانسان على هذا الوجه جناية عليه ، وشقاء له ، كما ان هذا ليس متصورا ايضا فى منطق العقل ، فلابد للانسان من كون يعيش فيه .

والدين كذلك لابد له من انسان ، لان الانسان هو ذلك المخلوق المكلف او العاقل الذى يتصور فيه أن يتحمل الدين او يحمل امانة الله كما قال تعالى . «**انا عرضنا الامانه على السموات والارض والجبال : فابين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا** » .

فالانسان هو الذى طبع على التعامل مع الغير ، وهو الذى كون تكوينا خاصا يحتاج به الى التعامل مع بنى جنسه تعاملا يحتاج فيه الى قانون وشريعة يسير عليها فى حياته ، ومن شأن حياته ان تظهر له بمشكلاتها .

وبما أنه هو المخلوق المكرم كما قال تعالى : « **ولقد كرمنا بنى آدم** » . فلابد لحياته من مستوى راق توجد عليه ويسمو اليه ذلك الانسان والدين هو الذى يرفعه الى ذلك المستوى ، ويرفع حياته الى ما يليق به

كانسان . واكثر ما يتمثل ذلك الدين فى حياة الانسان عن طريق الشريعة وتطبيقها والالتزام بها .

وقد كان مجتمعنا الاسلامى قبل هذا العصر لا يعرف قانونا ولا شريعة غير شريعة الاسلام وقانونه الى أن جاء المفتونون بحضارة الغرب فاحبوا ان يقلدوها تقليدا أعمى فبدأوا يستوردون قوانينها ونظمها ، بدل قانون الاسلام وشريعته وحدوده ، وجاء الاستعمار فأكمل ما بداه هؤلاء ، وعمل على قطع الصلة بيننا ، وبين شريعتنا الخالدة .

واليوم ، وقد بدأ عهدنا الجديد يأخذ فى تطبيق الشريعة الاسلامية : قوانينها وحدودها - بعد ان أدركنا وأدرك العالم حولنا ان الطريق الى السعاده ، انما هو فى الاخذ بشريعة الاسلام ، اذا ببعض الاقلام التى لا ترى الرؤية الطبيعية ، والتى قد جرفها غشاء حضارة الغرب ، اذا ببعض الاقلام التى تتزيا بزى الاسلام تقف متخاذلة ومتشككة ، محاوله عكس هذا التخاذل فى تنفيذ القوانين الاسلامية ، على القائمين بهذا الامر من رجال الحكم ورجال التشريع .

وقد وضح من كلامهم انهم يريدون استمرار الفوضى التى نعيشها ، وامتداد التسيب والتحلل المطبق على دنيانا ، وان هذه هى اشهى حياه لهم فهم خائفون من تنفيذ حد شارب الخمر ، وقطع يد السارق ، ورجم الزانى ، والاخذ بالشريعه الوسط فى شتى نواحى حياتنا . لئلا تضيق عليهم حياتهم التى أحبوها ، وربوا بأنفسهم فى احضانها او يظهروا نشازا فى المجتمع ، اذا هم استمروا على حياتهم التى يهوونها فى وسط مجتمع الاسلام والعدل والقانون .

انهم بهذا لا يكادون يبصرون ما امامهم ، ولا يدركون اثار حياة التحلل فى دنياهم ، فقد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ، ذلك كما قال تعالى :**«كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون »**. اى غطت على قلوبهم هذه الحياه التى يحبونها ، وحجبت افكارهم وعقولهم عن الفهم والتبصر فقالوا هذا القول الذى يحادون به الله .

وموقف هؤلاء اليوم ، هو موقف الجاحدين لدعوة الرسل من قبل ، والذين كانوا يحولون بين الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبين نشر دعوته ، وتبليغ شريعته لانهم كانوا يريدونها حياه حسب ما يهوون يريدون العيش فى ذلك الظلام المطبق ، الذى جمد بحياتهم عن ان تتقدم وفى الوقت الذى كانت تسير فيه الامم من حولهم الى الهاوية ، مما جعل هرقل قيصر الروم ذلك الملك العاقل الذى أحس بهذا ، وتاقت نفسه الى دين يخرج دولته من هذا التحلل - يقول فى محمد صلى الله عليه وسلم « ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه » ويوجه الكلام لابى سفيان رضى الله عنه : « ولئن صح ما قلت فسيملك « هذا النبى » موضع قدمى هاتين » .

فى هذا الموقف اذا ، لا يتردد عن الاخذ بشريعة الله الا كل ذى هوى اثيم ، وصاحب نظرة محدودة وفكر مغلق ، ونظر لا يكاد يبصر ما امامه فهم كما قال الله فيهم **« لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ، ولهم اذان لا يسمعون بها ، أولئك كالانعام : بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون »** . وهم بهذا ، انما يريدون أن يسيروا بالعالم الى الهاوية فهم ليسو بأقلام اصلاح ، وانما هم أقلام فساد وافساد . وقد قال الله فيهم وفى أمثالهم من قبلهم **« ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن ، بل اتيناهم بذكرهم ، فهم عن ذكرهم معرضون! »** .

أى قد أتانا الله بما يرفع ذكرنا وشرفنا ، ولكن البعض منا لجهلهم يعرضون عن هذا الشرف . فلو أن الحق تبارك وتعالى ، قد اتبع أهواء قريش ومن وقفوا فى وجه الاسلام ، وأوقف تبليغ الدعوة وأمر محمدا « صلى الله عليه سلم » أن يتبع أهواء هؤلاء ويتوقف عن نشر الاسلام ، وتبليغ التشريع وتطبيقه لفسدت الارض ، بل لفسد الكون كله لان الكون بغير الشريعة وبغير الحكم بما انزل الله ، لا يكون له ذلك المعنى ، ولا ذلك الوجود الذى صار له فى جوار نشر الدين ، وتنفيذ الشريعه ، لان الامر كما قلت فى صدر هذا المقال ، أنه لا ينفع كون بدون دين ، ولا انسان بدون شريعة ، ولذلك يقول الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم » : مؤكدا له تثبيت هذا الاصلاح ، وآمرا له بالاخذ به : **« ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون »** .

فماذا كان يحدث ، لو أن محمدا صلى الله عليه وسلم » لم يرسل او كان الله قد اتبع فيه اهواء الذين لا يعلمون ؟

أنه لن يكون غير الارتداد الى البدائية الاولى والسير شيئا فشيئا الى حياة الحيوانات العجم ومساواتها فى العيش فى الكهوف والادغال والغابات ، ولذلك كان الاسلام حياة كما وصفه الله سبحانه فى قوله : **« يا ايها الذين آمنوا ، استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم »** .

وكان رحمة للعالمين كما قال تعالى **« وما أرسلناك الا رحمه للعالمين »** .

ولقد أدرك هذا أصحاب العقل الثاقب والفكر السديد ، فهذا امير الشعراء أحمد شوقى يقول فى قصيدته نهج البردة مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم » ومادحا اياه :

أخوك عيسى دعا ميتا فقام له

وانت احييت اجيالا من الرمم

ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن ، فاى اصلاح كان يأتيها لو اتبع الحق اهواءهم ؟ ومن أين ؟

أنهم بطبيعتهم ، وبتكوينهم الذى جعل محتاجا الى الدين كى يقيم أمره ، لا يستطيعون أن يأتوا بهذا الاصلاح من عند انفسهم ، ولا من اى تراث بشرى آخر . **وفى ذلك يقول المصلح المعاصر استاذنا ابو الاعلى المودودى** : « فان البشر قد خلقهم الله على ضعف فطرى كامن فى نفوسهم ليرون فى اكثر الامور ، الحياة بعضا من الحقيقة ، ولا يرون البعض

الآخر ، ولا يكون حكمهم مرتكزا على نقطة العدل عموما ، وهم فى الغالب يكونون على أمرهم من العواطف والميول ، فيرفضون العدل لغلبة العواطف والشهوات على نفوسهم ..... وفى التاريخ تجارب كثيرة توضح لنا أن الانسان لا يستطيع أن يكون شارعا لنفسه بنفسه ، فانه ان نجا من شرور عبودية الالهة الكاذبة فلا يمكن تخلصه من تعبد شهواته الجاهلية والاستسلام لنزعات الشيطان الكامن فى نفسه .

فالبشر فى اشد الحاجة الى ان يجدوا حريتهم وأهواءهم بحدود ملائمة للفطرة الانسانية ، وهى « حدود الله » .

وهذه الحدود تشتمل على عدد من الاصـول والمبادىء والاحكام القطعية لتكون الحياة الانسانية قائمة على الحق والعدل لا تحيد عنه ... » . هذا هو التشريع الاسلامى ، وهذه هى القوانين الالهية . وفى الواقع ، فان الدين الاسلامى لم يأت الا من أجل هذه التشريعات فهى المقصد الاول والاخير من دعـوة الناس الى الله والى الاسلام . ولذلك لم يرغم الاسلام احدا على اعتناقه ولم يرغم اهل البلاد المفتوحة على الدخول فيه ، وانما كان القصد من الفتـوحات الاسلامية ، هو اظلال خلق الله بعدل الله وقانون الله ، ولو كفر هؤلاء بالله . لان الله سبحانه وتعالى ، ارحم بعباده من أن يتركهم يظلم بعضهم بعضا ، ويتجبر بعضهم على بعض ، فاذا امنوا به وعرفوه ، حقنوا انفسهم فمنعوها من نار جهنم يوم القيامة ، واذا ظلوا على كفرهم رغم تبليغ الدعوى لهم سلميا ، كان لله الحجه عليهم ، وكان له أن يعذبهم ويقذف بهم فى نار جهنم ، فلا يستطيع أحد منهم أن يقول له ، انك لم ترسل الينا من ينصفنا من ظلم بعضنا ، او تركتنا هملا ، لا دين لنا ، ولا رسول ترسله الينا : « **رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** » .

ولذلك كانت الفتوحات الاسلامية تمر بهـذه الاطوار : دعوة سلمية الى دين الله ، فان ابى أولياء الامر فووضوا على دخول البلاد صلحا ، لحكمها بما انزل الله فاذا رفضوا ، وابوا دخول القانون الالهى الى هؤلاء الرعايا المظلومين ، كان للمسلمين بأمر الله الجازم الذى لا يقبل التراجع ولا التخاذل أن يزيلوا اعداء هؤلاء الرعايا من الطريق ويدخلوا البلاد بدين الله لخلق الله ، والحكم فيهم بشريعته ، وانصاف بعضهم من بعض ، مع احترام اديانهم غير الوثنية التى هم عليها وترك الحرية لهم يزاولونها ، أو ينفضون عنها الى الاسلام .

فالمقصد الاقصى من دين الله ، هو شرع الله وعدل الله ، ومعرفة الله عن طريق هذا العدل ، وهذا الحكم الذى هـو حكم احكم الحاكمين « **الله الـذى أنزل الكتاب بالحق** والميزان » .

فليعقل هؤلاء المترددون ، **والذين يجادلون فى آيات الله بغير علم** وليعرفوا أن **الله لو اتبع أهواءهم لفسدت الارض . ولكن الله ذو فضل على العالمين .**

أكاذيب صهيونية

منذ أول لحظة للاعلان عن تقنين الشريعة الاسلامية وتطبيقها فـي بلادنا .. بدأت الدعاية الصهيونية فى ترويج بعض الاكاذيب التـى تهدف من ورائها الى تخـويف العالم من انفتاحنا عليه وتعاملنا معه .. وذلك من منطلق سـاذج يحاول تصوير شريعة الاسلام على أنها شريعة قسوة .. وان القوانين الوضعية أكثر منهـا مـلاءمة للعلاقات الانسانية والدولية !!

وقد بدأت الدوائر الصهيونية فى أوربا تتحدث عما تسميه « أسلحة العقوبات فى مصر » .. وتزعم أن هذا معناه أن اى أوربى يفكر فى الذهاب الى مصر أو الاقامة بها قد يعرض نفسه للقتل او الصلب او الرجم .. بدعوى أن هذه هى العقوبات التى تقررها الشريعة الاسلامية !

ومعنى هذه الافتراءات الصهيونية ـ ببساطة ـ أن الفكر الصهيونى يشهر افلاسه بعد أن شهرنا افلاس دولته فى حرب العاشر من رمضان .. معناها أن أحقاد اليأس الصهيونى تستميت ضد الازدهار المصرى والامل المصرى .. ومعناها ـ قبل ذلك ـ عداء تقليدى لدود للاسلام وشريعة الاسلام .

ولكن من سوء حظ الصهاينة ان مثل هذه الاكاذيب لم تعد عملة سياسية صالحة للتداول فى هذا العصر .. فسياسة الانفتاح التى تنتهجها مصر لا تهدف الى خير شعبها فقط .. ولا الى خير أمتها العربية والاسلامية فحسب .. بل تهدف الى خير الشعوب جميعا .. وعندما تستهدى مصر فى علاقاتها ونظم حياتها بشريعة الله .. فان عطاءها للعالم واخذها منه يكون أكثر انسانية وأروع ازدهارا .

ولست هنا بصدد ابراز انسانية الشريعة الاسلامية .. فان علماء أوربا ومفكريها قد وفوا هذا الموضوع حقه .. والفوا فيه مئات الكتب والدراسات .. وانى لاذكر فى هذا الصدد كلمة للبروفيسور « جب » يقول فيها : **ان شريعة الاسلام تعتبر حضارة كاملة ..** واتذكر كلمة أخرى « لمورو بيرجر » تقول : **ان الاسلام لم يتقدم بنظرية دينية فحسب .. بل بقانون شرعى**

حول تقنين الشريعة الإسلامية

الأستاذ محمد دياب

واخلاقي وبمنهج اجتماعي وثقافي كذلك .. وأنه علاوة على دعوته المتسعة وسيطرته على الجموع فان تراثه يبقى وحده .. بحيث يجب أن نوليه الاعتبار فى نواح كثيرة .

وغير هؤلاء كثيرون :

فالشريعة الاسلامية اذن ليست كما يزعم الصهاينة شريعة قسوة .. انها تشريع عام نزل من السماء .. لا يختص بأمة دون أمة ولا بزمان دون زمان .. وقد جمع الله له كل عناصر الرحمة والبقاء .. وتكفل بحفظه من الضياع والتحريف والتبديل .. بخلاف سائر الشرائع السماوية السابقة التى وكل حفظها الى الاحبار .. فأضاعوا منها ما اضاعوا وحرفوا ما حرفوا جريا وراء الاطماع والاهواء .

الشريعة الاسلامية هى التشريع الذى قام على قضايا العقل والمنطق .. ومقتضيات الفطر والطبائع .. وسما بالسلوك الفردى والجماعى الى منزلة الكمال الانسانى .. فوثق روابط التعاون والاخاء بين الناس .. وقضى على أنظمة الطبقات وفوارق الاجناس والالوان .. والغى كل امتياز يقوم على الاحساب والانساب أو الجاه والسلطان .. وجعل الناس سواسية فى الحقوق والواجبات .. الى غير ذلك من مناهج الاصلاح ومبادىء الحق والعدل .

الشريعة الاسلامية هى التشريع الذى جعله الله خاتمة رسالته وشرائعه .. مواكبا لمنطق الحياة وتطورها الحضارى والانسانى .. فاتحا أمام الانسان طريق الكمال الروحى والمادى معا .. فى دائرة الوسع الذى لا ارهاق فيه .. واليسر الذى لا عسر معه .

هذه هى شريعة الاسلام التى بهرت اوربا طوال اربعة عشر قرنا من الزمان .. وما تزال .. حتى لقد اخذ عنها بعض الاوربيين واستفادوا بها فى وضع القوانين .. وأمامنا مثل حى لذلك فى القانون الفرنسى الذى استمد أغلب مواده من الشريعة الاسلامية .. ومن مذهب الامام الجليل مالك بن أنس بالذات .

ونأتى الى نقطة المغالطة الساذجة فى الاكاذيب الصهيونية .. نقطة الحدود فى الشريعة الاسلامية فقد أكمل الله هذه الشريعة الخالدة بالحدود التى تردع القتلة والسفاكين والمفسدين .. حماية للمجتمع الانسانى من شرورهم ومباذلهم .. وهذه الحدود هى أدق وأحكم واعدل واوفى ماجاءت به شريعة سماوية أو قوانين وضعية فى القديم والحديث .. وقد اقامت شريعة الاسلام - متكاملة بحدودها تلك - أعظم المجتمعات التى لا تستطيع البشرية فى ظل قوانينها الوضعية ان تصل الى مثلها اليوم .. وذلك فى عهد النبوة وعهد الخلافة وعهود الاسلام الاولى .

ولو أن المؤرخين والمصلحين استطاعوا ان يقدموا لنا احصاء مقارنا لعشرات الاثمين الذين طبقت عليهم الحدود الاسلامية فى تلك العهود ... وللملايين الاثمين الذين تطبق عليهم قوانين الجنايات فى هذا العصر ... لكانت المقارنة مذهلة حقا .. هذا الى فارق اجتماعى جوهرى وخطير .. هو أن المجتمع بعقاب العشرات - نهض وآمن واستقام .. ولكنه - بعقاب الملايين - سقط واهتز وفقد الامن والسلام !!

وهذا بالضبط هو الفارق بين من يحكم بما أنزل الخالق .... ومن يحكم بما أنزل المخلوق !!!

يحاول الصهاينة أن يتغافلوا عن كل هذه الحقائق ليوقعوا غيرهم فى الغفلة ... وهذا هو الغباء بعينه !!

فمصر صاحبة أقدم حضارة لن تزداد بتمسكها بالاسلام الا تحضرا ... ومصر التى قهرت الغرور الصهيونى بتفتح شعبها وبسالته وحبه للسلام لن تزداد على شريعة الحب والسلام الا ولاء وعطاء للسلام .. وأصدقاء مصر الذين يغدون اليها من أنحاء العالم ليسوا أبدا - كما تحاول الصهيونية تصويرهم - نفرا من المفسدين .. ولكنهم قوم حضارة وأهل ثقافة وعلم وتقدم ... واسرائيل نفسها مازالت تعيش الى اليوم عالة على ثرائهم وتراثهم !

وليدلنا الصهاينة على أوربى واحد اقام فى بلد اسلامى وطبق عليه حد من الحدود الاسلامية .. المملكة العربية السعودية - مثلا - دولة اسلامية تطبق شريعة الله .. وفيها آلاف من الاوربيين يعملون ويقيمون .. ولم يسمع أحد طوال تاريخ هذه العلاقة الانسانية الممتازة أن السعودية طبقت على احدهم عقوبة اسلامية .

« البقية ص ١٣٩ »

يوم من أيام الرسول

الأستاذ أنور الجندى

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابر الناس بصحابته واتباعه ، يرعاهم ويزورهم ويلبى دعوتهم ، وينصحهم ويرافقهم فى سفره ، كلمة الحق للقريب والبعيد ، وحق الله قائم لا ممالاة لاقرب الاقربين اليه ، وفى كل مجلسه وحديثه : يوجه الى الخير والهدى ويهدى القوم الذين معه والذين من بعدهم وبعدهم الى يوم القيامة الى كلمة الله :

عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت :

استاذن أبوبكر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضجع على فراشه لابس مرطى فأذن له وهو على حاله فقضى اليه حاجته ثم انصرف ثم استاذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة ، فقضى اليه حاجته ثم انصرف ثم استاذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلح عليه ثيابه وقال اجمعى عليك ثيابك فاذن له فقضى اليه حاجته • ثم انصرف • قالت : فقلت يارسول الله : لم ارك فزعت لابى بكر وعمر كما فزعت لعثمان قال : ان عثمان رجل حيى وانى خشيت ان اذنت له وانا على تلك الحالة ان لا يبلغ الى فى حاجته •

هكذا يبلغ عمق الفهم بهدى الله ونور البصيرة كيف ان عثمان الحيى لا يستطيع ان يصل فيما يريد الى رسول الله اذا وجده مضجعا فى وقت راحته واسترخائه فلقيه رسول الله على الوجه الذى يرضيه •

٢ ـ عن جابر رضى الله عنه قال : كنا فى حفر الخندق فرأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فانكفأت الى امراتى فقلت : هل عندك شىء ، فانى رايت بالنبى صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا • فاخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير ففزعت الى فراغى وقطعتها فى برمتها ثم وليت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقالت امراتى : لا تفضحنى برسول الله صلى الله عليه وسلم فجئته ومن معه • فساررته فقلت : يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا فتعال انت ونفر معك •

فصاح باعلى صوته : ياأهل الخندق ان جابرا قد صنع سورا فحى هلابكم • ثم قال : لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم حتى أجىء ، فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جئت امراتى • فقالت : بك وبك فقلت قد فعلت الذى قلت • فاخرجت العجين فتفل فيه وبارك وثم عمد الى البرمة فتفل فيها وبارك ثم قال : ادعى خابزة فلتخبز معك واقدحى من برمتك ولا تنزليها وهم الف • فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوا واتحرفوا وان برمتنا لتغلى كما هى وان عجينتنا يخبز كما هو » •

هذه صورة محبة الصحابة لرسول الله ورغبتهم فى ارضائه واستضافته وهم لا يملكون الا القليل ، ولكن الله جل شانه يبارك فى هذا القليل فيكفى هذا الجمع الكبير : هؤلاء الذين خرجوا من بيوتهم يجاهدون فى سبيله ويحفرون الخندق حول المدينة تامينا لها من اعداء الله •

٣ ـ عن أبى الورد بن ثمامه قال : قال على رضى الله عنه لابن اغيد : الا احدثك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أحب أهله اليه ، قلت بلى : قال : انها جرت بالرحى حتى اثرت فى يدها واستقت بالقربة حتى أثرت فى نحرها ، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم بخدم ، فقلت لها : لو أتيت اباك فسألته خادما • فاتته فوجدت عنده حداثا فرجعت فاتاها من الغد • فقال : ما كانت حاجتك • فسكتت ، فقلت : انا احدثك يارسول الله • انها جرت بالرحى حتى اثرت فى يدها وحملت بالقربة حتى أثرت فى نحرها ، فلما أن جاء الخدم امرتها ان تاتيك تستخدمك خادما بقيها حرما هى فيه •

فقال : اتقى الله يافاطمة وادى فريضة ربك ، واعملى عمل أهلك واذا أخذت مضجعك فسبحى ثلاثا وثلاثين واحمدى ثلاثا وثلاثين وكبرى أربعا وثلاثين • فذلك مائه هى خير لك من خادم •

قالت : رضيت عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يخدمها

وهكذا نجد رسول الله لا يعطى أهله ما هو حق لغيرهم وانما يوجههم الى الدعاء ، الى التماس فضل الله ورحمته ، والى اقرار الحق الذى يسود المسلمين جميعا فلا يفضل أهل النبى الناس عامة فى شىء

٤ ـ عن قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال :

زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منزلنا فقال : السلام عليكم ورحمة الله فرد ابى ردا خفيا فقلت لابى الا تاذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذره يكثر علينا من السلام فقال صلى الله عليه وسلم : السلام عليكم ورحمة الله فرد سعد ردا خفيا ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : السلام عليكم ورحمة الله • ثم رجع فاتبعه سعد قال : يارسول الله : انى كنت اسمع تسليمك وارد عليك ردا خفيا لتكثر علينا من السلام ، فانصرف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر له سعد بغسل فاغتسل ، ثم ناوله ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها ثم رفع يديه صلى

الله عليه وسلم وهو يقول : اللهم صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة ثم اصاب من الطعام فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا قد وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله قال سعد :

يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصحبته . فقال لى رسول الله : اركب معى فأبيت . فقال : أما أن تركب واما أن تنصرف فانصرفت » .

وهذه صورة أخرى من محبة الصحابة لرسول الله ورحمة رسول الله بهم وزيارته لهم واستناده عليهم ، هذه القلوب المتحابة التى استطاعت ان تقيم هذا البنا الضخم الذى أذهل المؤرخين والباحثين انما قام بمثل هذا الايمان والحب .

(٥) عن حذيفه بن اليمان قال : كنا اذا حضرنا عند النبى صلى الله عليه وسلم على الطعام لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضع يده ، وان حضرنا معه مرة طعاما فجاءت جارية كأنها تدفع ، فذهبت لتضع يدها فى الطعام ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلمبيدها ثمجاء أعرابى كأنما يدفع فذهب ليضع يده ، فأخذ بيده ، ثم قال : ان الشيطان ليستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه . ثم ذكر الله تعالى وأكل » .

وهكذا يعلم الرسول المسلمين آداب الطعام

(٦) عن عبد الله بن عكراش بن ذؤيب عن ابيه قال : بعثنى قومى بنو مرة ابن عبيد بصدقات أموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فقدمت المدينة فوجدته جالسا بين المهاجرين والانصار . فأخذ بيدى فانطلق الى بيت أم سلمه رضى الله عنها فقال : هل من طعام فاتينا بجفنة كثيرة الثريد والوزر . فاقبلنا نأكل منها فخبطت بيدى فى نواحيها ، وأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقبض بيده اليسرى على يدى اليمنى ثم قال : يا عكراش كل من موضع واحد فانه طعام واحد ثم أتينا بطبق فيه الوان التمر والرطب فجعلت آكل من بين يدى وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطبق ، فقال : يا عكراش كل من حيث أردتفانه غيرلون واحد، ثمأتينا بماء فغسل يده ومسح ببلل كفه وجهه وذراعيه ورأسه وقال : يا عكراش : هذا الوضوء مما غيرت النار » .

هذا اسلوب الرسول فى التعليم والتربية : كل مما يليك اذا كان الطعام نوعا واحدا وجل فى الطبق اذا كان منوعا .

(٨) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت : يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار

فقال : لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال : الا أدلك على أبواب الخير . قلت : بلى : يا رسول الله . قال : الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفى الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل شعار الصالحين . ثم تلا : تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، الى قوله جزاء بما كانوا يعملون ، ثم قال : الا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه . قلت : بلى يا رسول الله قال : رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : الا أخبرك بملاك ذلك كله . قلت بلى : قال : كف عليك هذا وأشار الى لسانه . قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به قال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو قل على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم » .

هذا القول الجامع الذى يتمثل فيه بلاغة الاداء وشمول النصح والتوجيه وصدق رسول الله حين قال عن نفسه « لقد اختصرت لى الحكمة اختصارا » ففى الكلمات اليسيرة المعدودة يزجى صلى الله عليه وسلم تلك الصورة الواسعة العميقة للايمان بالله بأبعادها المختلفة ، ومن هذه الاضواء الكاشفة بنى الرسول هذا الجيل من المؤمنين الذين دفعوا الاسلام الى حدود الصين شرقا وحدود فرنسا غربا ، وبهذا الايمان الذى عمقه فى قلوبهم استطاعوا أن يهزموا الظلم والعبودية والشر ، وأن ينشروا رايات العدل والرحمة خفاقة على العالمين .

بقية مقال « اكاذيب صهيونية »

أكثر من ذلك .. هل يستطيع الصهاينة ان يذكروا اسم يهودى واحد فى الجزيرة العربية على عهد النبى صلى الله عليه وسلم طبق فيه حد من حدود الاسلام .. على كثرة جرائم هؤلاء اليهود ومحاربتهم للاسلام ونبى الاسلام ؟ !

ان الشريعة الاسلامية نفسها ترفض مثل هذا الاجراء .. فمن احكامها الا تطبق احكامها على غير مسلم .. وكل أجنبى يقيم فى أرض الاسلام تسميه الشريعة الاسلامية « مستأمنا » ولا تطبق عليه الا قوانين بلاده .

فقولوها صراحة ايها الصهاينة انكم حاقدون على شعب كسر غطرستكم وكشف للدنيا مستوركم .. ومضى شامخا يبنى لنفسه وللعالم مستقبلا من الامن والرخاء والسلام .

قولوها صريحة انكم أعداء الاسلام .. وان عداوتكم المسلحة ضده مستمرة ومتسلسلة منذ « خيبر » .. والا فبماذا تفسرون اطلاق هذا الاسم على معركة هزيمتكم فى حرب رمضان المجيدة ؟ !

....

أخيرا ...

فنحن شاكرون للغباء الصهيونى شيئا واحدا .. هو تنبيه جميع أجهزتنا الاعلامية والاسلامية الى مبادرة مطلوبة ومطروحة . وهى بذل مزيد من الجهود فى تعريف العالم بشريعة الاسلام .. فهى ليست شريعتنا وحدنا .. ولكنها شريعة كل البشر .. شريعة كل الزمان وكل المكان .. شريعة الرحمة الشاملة لهذا العالم .

وصدق رب العزة اذ يقول لخاتم انبيائه ورسله : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

عصر ابن رشد

صفحات من التاريخ

الأستاذ عبد المنعم حمادة

كتبنا في العدد الماضي من هذه المجلة عن الفلسفة العربية وابن رشد كمقدمة للدراسة التي ننوي بمشيئة الله ان نكتبها عن ابن رشد ، وقد ذكرنا في ذلك المقال ان الفلسفة العربية أو الإسلامية كانت أصلا من أصلين رئيسيين من أصول الفلسفة هما : الاصل اليوناني ، والاصل الاسلامى .. وليس من شك فى أن التفكير العربى وأسلوبه قد تطورا تطورا عميقا وواضحا فى فترتين كانت لكل منهما مظاهر بارزة المعالم ، هما : فترة الجاهلية التى كان العقل مشدودا خلالها وخاضعا لاراء معينة تحكمها عقائد وتقاليد وعادات ونظم تسيطر على عقول الناس وتصرفاتهم .. وغالبا ما كانت هذه العقائد والتقاليد والعادات لا تستقيم مع المنطق السليم والفكر المتزن .

ثم كانت فترة الاسلام ، بعد أن أوحى الى محمد بن عبد الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ـ وبعد أن أنزل عليه القرآن الكريم كتاب البشرية الخالد ، ودستورها الذى أضاء لها الطريق ، وصحح المفهوم ، وحدد الاهداف ، ووضع لكل شىء معاييره .. لقد أوضح للانسان طريقه ، وحدد له غايته ، ورسم له طريق تفكيره ، فاستقام له هذا التفكير ، وسار على الدرب المستقيم ، فوصل الى الغـاية ، وحصد ثمار كده وتعبه ، وفاق الانسان المسلم كثيرين غيره من المفكرين والمجتهدين ، ان فتح الإسلام أمامه باب الاجتهاد ، والتفكير فى خلق السموات والارض ، وحثه على امعان النظر فى كل ما يحيط به ، ودعاه الى مناقشة أسباب الوجود والعدم على ضوء ما قرره القرآن الكريم ودعت اليه الشريعة الغراء .

من هذا المنطلق ، منطلق البحث والتفكير السليم ، والجدل الذى يستهدف الحقيقة أولا واخيرا ، ظهر كثير من العباقرة المسلمين الذين تفوقوا على كثيرين من علماء العالم فى الشرق والغرب ..

وكان من هؤلاء العلماء الذين خلد التاريخ ذكرهم ، وبقيت آثارهم تراثا ينير للبشرية الطريق . ويهدى الباحثين عن الفلسفة الاسلامية ، الفيلسوف القرطبى الاندلسى ابن رشد الذى ولد فى سنة ١١٢٦ ميلادية وتوفى فى سنة ١١٩٨ ميلادية ، كما جاء فى الموسوعة العربية الميسرة ، والذى عرف فى الغرب باسم الشارح لكتب ارسطو ، غير انه فى الواقع نبغ الى جانب ذلك فى الفلسفة ، والفقه ، والطب ، والقضاء ، وتبحر فى كثير من العلوم ، واحاط بكثير من المعـــارف .

وفيما يلى نتابع ما يسره الله لنا من هذه الدراسة عن ابن رشد فنقول :

شهادة ميـــلاد :

لكى نتعرف على العصر الذى ولد فيه ابن رشد وعاش ، لابد من معرفة السنة التى ولد فيها ، والسنين التى عاشها ، وعهود الخلفاء الذين عاصرهم .. فقد ولد ابن رشد سنة ٥٢٠ هجرية ـ ١١٢٦ ميلادية ، وتوفى سنة ٥٩٥ هجرية ـ ١١٩٥ ميلادية ، وبذلك يكون قد عمر خمسا وسبعين سنه فى القرن الثانى عشر الميلادى أو السادس الهجرى .. وهذا يعنى ايضا انه عاش عصر دولة الموحدين ايام ابن محمد بن عبد المؤمن بن على بن يعلى الذى بويع البيعة العامة بعد وفاة ابن تومرت مؤسس دولة الموحـدين والداعى لها ، وسميت الدعوة العامة لان أصحاب المهدى محمد بن تومرت العشرة بايعوا عبد المؤمن بن على فى شهر رمضان سنة ٥٢٤ هجرية ، وقيل على لسان المؤرخين عن هذه البيعة انها البيعة الصغرى ، وذلك لان موت المهدى ظل فى طى الكتمان أكثر من سنتين ، بايع بعدها الموحدون عبد المؤمن فى عشرين ربيع الاول سنة ٥٢٦ هجرية وذلك بجامع تينمل ، فسميت البيعة الثانية البيعة العامة .

ولما تمت البيعة الثانية لعبد المؤمن بن على وجه همته الى امرين عظيمين شغلا كل تفكيره ووقته هما : اخضاع القبائل البربرية ، والقضاء على دولة المرابطين التى استطاع التغلب

عليها واسقاطها سنة ٥٤١ هجرية ، فلما انتهى من هذا الامر تفرغ للجهاد فى الاندلس التى وجه اليها أعدادا كثيرة من قبائل العرب والبربر .. يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن فى الجزء الرابع من كتابه « تاريخ الاسلام » صفحة « ٢٢١ » :

« وفى شهر صفر سنة ٥٣٤ هجرية تفرغ عبد المؤمن لحرب المرابطين حتى سقطت دولتهم سنة ٥٤١ هجرية ، فقد حاصر مراسيها على جميع سواحل بلاده ، ثم جمع الجند واخذ فى صنع الاسلحة على اختلافها ، حتى كان يضرب من السهام وحدها عشرة قناطير فى اليوم ، ثم خرج عبد المؤمن فى سنة ٥٥٨ هجرية من مراكش حاضرة ملكه للجهاد ببلاد الاندلس ، ولما وصل الى رباط سلا كتب الى جميع أهالى المغرب وافريقيا والسوس يدعوهم للجهاد ، فاجابه عدد كبير من الموحدين وقبائل العرب والبربر ، قيل ان عددهم بلغ ثلثمائة الف مجاهد وثمانين الف متطوع من الفرسان ومائة الف راجل » .

وهكذا ، ما ان ابتدأ ابن رشد يتنسم نسيم الحياة ، ويرى وجهه نور الدنيا ، ويبدأ يتعرف على ما حوله حتى كان الجو الذى يحيط به جو حروب وجهاد ومعارك تتصارع فيها القوى المختلفة التى تحاول ان تبقى على راية الاسلام مرفوعة عالية .

ويمتاز عبد المؤمن بكثير من المزايا التى انعكست اثارها على عهده ، فقد كان ـ الى كونه من رجال الحرب والجهاد ـ ممن يؤثرون أهل العلم ، ويجلون العلماء .. كان كما يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن فى نفس الكتاب والصفحة التى أشرنا اليها من قبل : «كان عبد المؤمن بن على يؤثر أهل العلم ويجل العلماء ، ويعظمهم ويقربهم اليه ، ويحسن اليهم ، كما كان يبعث فى طلبهم من مختلف البلاد ، ويوفر لهم أسباب الراحة ، ويسكنهم بجوار قصره ، ويساعدهم على طلب العلم بتوفير المأكل والمشرب لهم فى غير اسراف ولا تقتير ، كما كان ينوه بذكر المتفوقين ..

« وكان عبد المؤمن نفسه من رجال العلم المعدودين ، فقد كان كما وصفه ابن ابى زرع : فصيح اللسان عالما بالجدل ، متفقها فى علم الاصول ، حافظا للحديث ، صحيح الرواية ، متبحرا فى العلوم الدينية والعقلية ، اماما فى النحو واللغة والقراءات ، ملما بالتاريخ والسير ، اديبا شاعرا .

عهد « ابو ! يعقوب يوسف :

وعاصر ابن رشد ابا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذى عرف بحسن السياسة والتدبير والذى سار على سياسة ابيه ، ونهج نهجه فى الحرب والجهاد فانفق كثيرا من الاموال الضخمة فى شراء السلاح ، وتدريب الجند الذين وجههم الى قتال النصارى فى الاندلس .

ويعتبر يوسف بن عبد المؤمن من اعظم خلفاء الموحدين حبا للعلم وأهله ، وتقديرا لرجاله ، وقد كان كما ذكر المراكشى ان يوسف بن عبد المؤمن كان ملما بكلام العرب ، حافظا لايامها ومآثرها وجميع أخبارها فى الجاهلية والاسلام .. ومما اشتهر به عكوفه على دراسة الفلسفة والفلك والطب والهيام بجمع الكتب من أنحاء الاندلس والمغرب ، والافتتان بطلب العلماء .. وكان هذا الاتجاه من ابن يوسف ـ وهو من خلفاء دولة الموحدين ـ مما يثير العجب .. يقول الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى كتابه « ابن رشد » صفحة « ٧ » :

« واعجوبة الاعاجيب فى نشأة ابن رشد انه نشأ فى دولة الموحدين ، وانه تلقى التشجيع من احد خلفائهم على الاشتغال بشرح ارسطو وتفسير موضوعات الفلسفة على العلوم . وكان موضع العجب أن يأتى هذا التشجيع من اناس اشتهروا بالتزمت والمحافظة الشديدة على العلوم السلفية ، ومنهم من نسب اليه انه احرق كتب الفلسفة والبحث فى مذاهب المتكلمين ..

ويقول الاستاذ العقاد فى صفحة « ٨ » من نفس الكتاب السابق :

« ويزيد العجب عند مؤرخى هذا العصر ـ والمستشرقين منهم على الخصوص ـ ان هذا الخليفة ينتمى الى اسرة تدين بمذهب الظاهرية وهو المذهب الذى يلتزم اصحابه ظاهر النصوص ويتحرجون من التأويل ، وقد توفى امام هذا المذهب فى المغرب ـ ابن حزم ـ بعد منتصف القرن الخامس للهجرة ومذهبه شائع وخلفاء الموحدين يرجحونه على سائر المذاهب ، ويعتبره المؤرخون المحدثون قطب المذاهب الرجعية مع احاطته بمذاهب الفلاسفة ، كما يعلم من كتابه عن الفصل فى الملل والنحل .

ومن العظماء المبرزين فى عهد يوسف بن عبد المؤمن : الفيلسوف أبو بكر بن طفيل الذى تتلمذ على أبى بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة الذى ولد بمدينة سرقسطة من اعمال الاندلس فى أواخر القرن العاشر الميلادى ، وتلقى فيها معظم علوم العصر ، والذى كان عالما بجميع فروع الفلسفة ، وله عدة مصنفات هامة فى الطبيعيات ، والالهيات وغيرها ، والذى ترك للاجيال التى جاءت من بعده تلك الرسالة العظيمة المعروفة «حى ابن يقظان » ، ومن الفلاسفة الذين عاشوا فى عصر يوسف ابن عبد المؤمن كذلك وحلقوا فى الافاق ـ الفيلسوف ابن رشد الذى نترجم له ، وذلك الوزير الطبيب ابو بكر بن زهر الذى كان ملما بعلوم الطب ، حافظا للغة والادب ومشاركا فى الفقه والحديث والتفسير .

ايام يعقوب المنصور :

وعاش ابن رشد كذلك ايام الخليفة يوسف بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بيعقوب المنصور والذى يقول بعض المؤرخين ومنهم عبد الواحد المراكشى فى كتاب المعجب فى تلخيص اخبار المغرب : ان البيعة اخذت له فى حياة أبيه يوسف بن عبد المؤمن ، بينما خالفه عدد كبير من المؤرخين ومنهم ابن أبى زرع وقالوا ان الموحدين بايعوه عقب وفاة ابيه .. وقد امضى المنصور ايامه مشغولا مهتما بمشكلتين استغرقتا كثيرا من وقته وجهده وهما : قيام ابن غانية فى وجهه ، والثانية تمرد نصارى الاندلس ، ومحاولتهم اضعاف القوى العربية حتى يتمكنوا من العودة الى السيطرة على بلادهم .. وابن غانية هذا هو محمد بن غانية الذى تقلد بعض اعمال قرطبة من قبل اخيه يحيى ، فلما اضطرب أمر الاندلس بعد وفاة على ابن يوسف وقوى نفوذ الموحدين خشى محمد بن غانية على نفسه فعبر جزيرة «ميورقة » مع أهله وخدمه فملكها ، كما استولى على جزيرتى «منورقة » ويابسة » وعاش فى هذه الجزر ودعا للخلفاء العباسيين فيها ، الى ان انتصر عليه يعقوب المنصور بمساعدة خلفائه من العرب والمصريين .

ولما انتهى يعقوب المنصور من محمد بن غانية وعاد الى بلاده عام ٥٧٤ هجرية وجه همته الى نصارى الاندلس الذين التقى معهم فى موقعة الارك فى ٢ شعبان سنة ٥٩١ هجرية بعد أن نقض الفونس الهدنة بين المسلمين والمسيحيين ، تلك الهدنة التى كانت مدتها خمس سنوات ، وقد نقضها الفونس بكتابه الذى بعث به الى يعقوب المنصور وجاء فيه :

« اللهم باسمك ناطر السموات والارض ، وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح ، أما بعد فانه لايخفى على ذى ذهن ثاقب ولاذى عقل لازب ، انك امير الملة الحنفية ، كما انى امير الملة النصرانية وقد علمت الان ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل ، والتواكل ، واهمال أمر الرعية ، واخلادهم الى الراحة ، وأنا أسومهم بحكم القهر واخلاء الديار ، واسبى الذرارى ، وامثل بالرجال ، ولا عذر لك فى التخلف عن نصرتهم اذا امكنتك يد القدرة .

وقد رد عليه المنصور بتمزيق بكتابه والكتابة على ظهر قطعة منه قوله : «ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ، ثم ذيل هذه الاية القرآنية الكريمة بهذه الكلمات : « ماترى لاماتسمع » ..

وهكذا نرى ان ابن رشد قد عاش ايامه فى عصر تميز بامرين عظيمين قد يخيل للكاتب عند النظرة الاولى ان بينهما تناظرا وتعارضا ، وان الحياة فى البلاد التى يسود فيها هذان الامران لن تسير هينة سهلة ، وانما هى حياةمضطربة لن يحقق فيها شىء من التقدم والرخاء ، غير ان الايام التى مرت ببلاد الاندلس ، والاحداث التى تمت فى هذه البلاد قبل بذوغ نجم ابن رشد وظهور اسمه مدويا فى الافاق ، ان هذه البلاد قد بلغت شاوا بعيدا فى العلوم والمعارف ، ومكانة عالية فى الحضارة والرقى .. فقد كانت بلاد الاندلس فى العصر الذى جاء فيه ابن رشد الى الوجود يموج بحركة علمية وثقافية لا نظير لها فى الامم التى حولها .. ويقول ابن خلدون مستشهدا على ما كانت تتمتع به الاندلس من ازدهار ورقى ان الخليفة الحكم الثانى المستنصربالله كان يبعث فى شراء الكتب الى الاقطار رجالا من التجار ويرسل اليهم الاموال لشرائها ،حتى جلب منها ما لم يعهدوه ، وبعث فى كتاب الاغانى الى مصنفه ابى الفرج الاصفهانى - وكان نسبه فى بنى أمية - وأرسل اليه فيه الف دينار من الذهب العين ، فبعث اليه بنسخة منه قبل ان يخرجه الى العراق .

ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه « ابن رشد » صفحة ٥ :

« وقد كان مولده بعد وفاة الحكم الثانى المستنصر بالله بنحو مئة وخمسين سنة ٣٦٦ هجرية وهو الخليفة الاموى الذى شغلته الثقافة قبل كل شاغل وجعل همه الاول ان ينافس بعاصمته عاصمة المشرق - بغداد - فى عهد الخليفة المامون ، فجمع فيها من الكتب والكتاب ما لم يجمع قبل ذلك فى مدينة واحدة ،وكان هو أسبقهم الى قراءة مايجمعه من الاسفار النادرة من اقطار المشرق والمغرب .

لقد اجتمع النقيضان فى عصر واحد عظم بهما شأن بلاد الاندلس ، وتاهت فخرا على غيرها من البلاد التى سبقتها حضارة ومجدا ، فقد اتسم عهد الخلفاء الذين عاصرهم ابن رشد بالثورات والحروب المتتالية ، كما اتسم بالثقافة والعلم والتبحر فى فنون المعرفة المختلفة ، ففى عهد ابن محمد بن عبد المؤمن شغل الخليفة بقتال جيوش تاشفين بن على بن يوسف ، واشتبك معها فى حروب دامية حتى تم له النصر وأتته القبائل من كل حدب وصوب ودخلت فى طاعته ، ولما خلص من حرب تاشفين فكر فى فتح بلاد الاندلس لاعادة مجد المسلمين الى ما كان عليه فى عهد الامويين وفى عهد ابن يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذى سار على نهج أبيه فانفق كثيرا من الاموال فى شراء السلاح ، وتدريب الجند ، ووجه همه الى نصارى الاندلس ، وفى زمن أبى يوسف بن عبد المؤمن ثالث الخلفاء الموحدين ظهرت المشكلتان الكبيرتان اللتان اشرنا اليهما منقبل وهما قيام ابن غانية فى وجهه ثم تمرد نصارى الاندلس ومحاولتهم اضعاف العرب والاستيلاء على أملاكهم فى هذه البلاد .

والى جانب الحرب التى شغلت دولة الموحدين برزت مشكلة سياسية كانت على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لدولة الموحدين ، فقد ظهرت الدعوة الفاطمية فى افريقية الشمالية .

وليس من شك ان هذه الدعوة الفاطمية هى نفسها الدعوة الاسماعيلية وكان سندهم القوى فى هذا انتسابهم الى السيدة فاطمة الزهراء او الى اسماعيل بن جعفر الصادق تمييزا لهم عن سائر العلويين . يقول الاستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه « ابن رشد » صفحة ١٠ :

« لا جرم يتذاكر المستطلعون احاديث هذا المذهب فى افريقيا الشمالية كما تذاكروها فى بخارى وعلى التخوم الهندية ، فقد جاء هذا المذهب الى المغرب بقوة الدولة فوق قوة الدعوة واصبح من شاغل اصحاب الدول ان يتعرفوه ويستطلعوا كنهه ويتبطنوا ما وراءه . وبخاصة من كان كخلفاء الموحدين مهددا لسلطان الدولة الفاطمية معنيا بما يعلنونه ويشرونه من مذاهب السياسة أو الحكمة .

أما دولة الموحدين فقد كان الخطر عليهم من الدعوة الفاطمية - او الدعوة الاسماعيلية بعبارة أخرى - أشد واقرب ، فقابلوا دعوتهم بمثلها واجتهدوا فى تعرف مذاهبهم الباطنية .

فقد برز الموحدون اذا للفاطميين او الاسماعيليين حتى فى النسب والدعوة المهدية » .

وعلى الرغم من هذه الحروب الطاحنة التى استحوزت على وقت الخلفاء الموحدين وجهدهم ، وشغلت حيزا كبيرا من تفكيرهم واهتمامهم وعلى الرغم من المنافسة القوية التى نشبت بين الخلفاء الموحدين والخلفاء الفاطمين ، فان عهد الموحدين لم يخل مع ذلك من ومضات زاهية وأنوار للعلم والثقافة ساطعة .. يقول الاستاذ محمد لطفى جمعه فى كتابه « تاريخ فلاسفة الاعلام » ص ١٣٤ ومما يذكر الخليفة بالفضل ان مجلسه كان مؤلفا من ائمة المسلمين ورؤساء الاديان الاخرى بغير تمييز ، وكانت بقرطبة مدرسة جامعة من أشهر جامعات الدنيا مقرها بالمسجد الاعظم حيث كان فطاحل العالم الاسلامى شرقا وغربا يلقون الدروس على الطلاب الواردين الى حلقاتهم من كل فج ، فكان ابو بكر بن معاوية القرشى يحدث ، وابو على القالى البغدادى يملى أماليه الشهيرة وهى كنز شعر ، وتاريخ ، وامثال ، وفقه ولغة وأدب وكان ابن القطيعة أشهر نحاة الاندلس يلقن الطلاب قواعد النحو والصرف ،وهكذا كان لكل علم وفن استاذ من الائمة الممتازين فيه لا يقلون قدرا عمن ذكرنا على سبيل التمثيل والتدليل » .

ويقول الدكتور جميل صليبا فى كتابه « تاريخ الفلسفة العربية » صفحة ٣٤٣ :

«وكان هذا الملك - أى عبد المؤمن بن على أول ملوك الموحدين - آخذا فى انشاء المدارس ومعاهد العلم والادب، فاستعان بابن رشد على انشائها وتنظيمها ، وليس لدينا عن المرحلة التى تلى هذه الفترة من حياته الا معلومات مبهمة، منها اتصاله بأبناء زهر ، وهم من مشاهير الاطباء ، وانعقاد اواصر المودة بينه وبين ابى مروان بن زهر ، حتى قيل أنه لما ألف كتاب « الكليات فى الطب » ساله صديقه ابا مروان ان يؤلف كتابا يضمنه الاقاويل الجزئية المطابقة للكليات » .

وكانت مدينة مراكش فى عهد ابى يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن من اهم مراكز الثقافة فى العلوم والاداب والفنون كما كانت انظار المسلمين تتطلع اليها للدفاع عن حوزة الاسلام ضد مطامع النصارى فى بلاد الاندلس .

وقد انتعشت البلاد كلها فى ايام الموحدين ، اى فى العصر الذى وجد فيه ابن رشد ، سواء فى السنوات التى سبقت مولده ، او السنوات التى أعقبت وفاته .. وازدهرت ايامها وعمها الخير حتى أن عبد الواحد المراكشى المتوفى سنة ٦٤٧ هجرية يقول فى كتابه : « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » صفحة ٢٣٠ : .. «ولم تزل أيام أبى يعقوب هذا أعيادا وأعراسا ومواسم كثرة خصب ، وانتشار أمن ودور ارزاق واتساع معايش ، لم ير اهل المغرب أياما قط مثلها ، واستمر هذا صددا من أمارة ابى يوسف » .

ولزم هذا الانتعاش والازدهار بلاد الاندلس منذ أن فتحها العرب حتى انطفأت ايام ملكهم فيها يقول الاستاذ محمد لطفى جمعة فى كتابه الذى اشرنا اليه فى صفحتى ١٢٢ - ١٢٣ .

« البقية ص ١٤٥ »

الجانب الاقتصادى فى فكر

ابن خلدون

بمناسبة مرور ٦٤٤ سنة على مولده

ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون مؤرخ وفيلسوف اجتماعى عربى ينتهى نسبه الى وائل بن حجر من عرب اليمن • ولد سنة ١٣٣٢ وتوفى سنة ١٤٠٦ •

ولد ابن خلدون فى تونس وتعلم بها فدرس العلوم واتقنه وبرز فى فروع المعرفة • وحامت حوله الشكوك فسجن سنة ١٣٥٦ وخرج من السجن سنة ١٣٥٨ فهاجر الى الاندلس حيث قلده ابن الاحمر منصبا كبيرا فى غرناطة واحسن منزلته ثم اقام فى تلمسان وشرع فى تاليف تاريخه • وعاد مره أخرى الى موطنه الاصلى تونس ومنها انتقل الى مصر المملوكية واتصل بسلطانها برقوق فعينه قاضيا اكبر للمذهب المالكى • فاقام العدل وانصف الناس ففرض بذلك احترامه على الجميع ثم تخلى عن منصب القضاء ورافق جيش المماليك الذى زحف لصد جيش تيمورلنك•ثم انقطع للتدريس والتاليف فاتم كتابه [العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر] ولمقدمته منزلة عظيمه لاشتمالها على فصول فى أصول العمران والنظريات الاجتماعية والسياسية مما جعل ابن خلدون مؤسسا لفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع الذى يقول عنه انه فرع فلسفى جديد لم يخطر على قلب ارسطو •

الدكتور عبد العزيز صالح رضوان

ولقد وقف ابن خلدون عند العالم الذى يعيش فيه ونظر اليه بعين المستقبل لان المعرفة بعالمه اوثق من المعرفة بعالم العقل الذى حصر الفلاسفة القدامى همهم فيه واعتنوا به وحده • واهتم ابن خلدون بالرحلة فى طلب العلم وتحدث عنها وبين فوائدها المتعددة لمختلف العلوم ولا سيما الرياضيات • وتعمق فى دراسة الفكر بالعمل وتكوين الملكات والعادات عن طريق المحاكاة والتقليد المباشر والتكرار •

الجانب السياسى فى فكر ابن خلدون

يعتبر منهج ابن خلدون فى السياسة جديدا مخالفا لمناهج من تقدمه من الباحثين والمؤلفين فوضع خصائص السلطة العليا او ما يسمى حديثا – السيادة – ووظائفها واساليب ممارستها ، وقدم تفسيرا مبتكرا لمبدأ الشورى ولنظام الملك الذى حل محل نظام الخلافة • وهو من اوائل من اخذوا بمذهب الحقبة التاريخية واول من طرح بجرأة مسالة قانونية التطور التاريخى للمجتمع وقد كان بذلك معبرا عن مزاج الفئة المثقفة المتعقلة داخل الطبقة الاقطاعية السائدة التى دفعها احساسها بالخطر الذى كان يتهدد كيان المجتمع الاقطاعى من جراء السياسة الرعناء التى كانت تمارسها الفئة البيروقراطية الحاكمة فى بلاد المغرب العربى ومصر فى القرون الوسطى ، وهذه الفئة ممثلة فى ابن خلدون كانت تطرح برنامجا سياسيا يأخذ فى الحسبان مصالح فئات المجتمع الاخرى فى محاولة منها لتلطيف التناقضات الطبقية • ومن هنا يأتى الطابع الانسانى الديمقراطى الذى يطبع افكار ابن خلدون على وجه الاجمال • فالدولة – عنده – لم تكن موجودة منذ الازل ولا فرضت على المجتمع من خارجه بل نشأت بحكم حاجة المجتمع اليها فى مرحلة تاريخية معينة من مراحل تطوره • وبذلك يكون أول من نظر الى الدولة (بأعين انسانية) وحاول ان يستنبط قوانينها من العقل والتجربة وهو بذلك يعبر تعبيرا سليما عن نظرة الاسلام الى الدولةسابقا بذلك (ميكافيللى وهوبز وسبينوزا) وغيرهم بقرون عدة فى تفسيرهم لقانون السببية التاريخية •

الجانب الاقتصادى فى فكر ابن خلدون

عرفنا ابن خلدون مؤرخا وفيلسوفا واجتماعيا ومفكرا ولكننا لم نتعمق التعمق الكامل فى اقتصادياته ،

ويمكننا فى هذا المقال ان نلقى مزيدا من الضوء على الجانب الاقتصادى فى فكره وكيف كان صاحب المحاولة الاولى لتاسيس علم الاقتصاد ، ولكى تتضح لنا معالم هذا الجانب عنده لابد من الرجوع الى نظريته فى تفسير التاريخ والعوامل حيث أنه :

١ ـ ينظر الى الدولة على انها تنشأ بحكم حاجة المجتمع اليها فى مرحلة تاريخية معينة من مراحل تطوره مشيرا الى التفاعل القائم بين السلطة السياسية والسيطرة الاقتصادية فى المجتمع وان مهمة الاولى ضمان استمرار الثانية • ثم قسم السكان الى فئات متفاوتة فى المركز الاجتماعى تبعا لملكيتها الاقتصادية •

وقد حدد مهمة الدولة الاساسية وفرق بين شكلين من اشكال السلطة :

الاول : شكل قائم على الاحترام الطوعى للرئيس فى مجتمع العشيرة •

الثانى : شكل قائم على القسر والغلبة فى ظل الدولة • وبذلك اقترب ابن خلدون من اكتشاف الفرق الجوهرى بين السلطة فى المجتمع الطبقى وبينها فى المجتمع البدائى • او بين الحكم الملكى والحكم الرئاسى ـ واطلق على الشكل الذى تراعى فيه مصالح جماعة المسلمين عموما بالخلافة الشرعية • وسمى النوع الذى تخضع فيه مصلحة العموم لمصلحة افراد قلائل بالملك ـ اى الملكية الوراثية ـ فالحاكم فى الاول يجمع بين يديه السلطتين الدينية والزمنية ويتمتع باحترام الكافة لان توليه انما يتم عن طريق الشورى واحسن مثال لذلك هو خلافة الراشدين • وكان يعتبر الملكية الوراثية شكلا غير عادل للحكم عامة وان لم يكن ضد هذا الشكل •

ويعتبر ابن خلدون المؤسس الحقيقى للاقتصاد باكتشافه لمبادىء العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى سبق بها عصره واهتدى الى أسس المجتمع ومتطلباته التى تتلخص فى :

١ ـ العمل الانتاجى كأساس لحياة المجتمع ومتطلباته •

٢ ـ العمل أساس للقيمة •

٣ ـ انتاج البضائع الاضافية كأساس لتقدم المجتمع •

ولقد كانت نظرية ابن خلدون هذه حصيلة للتجارب العلمية العظيمة خلال العصور الاسلامية من الفلسفة الاسلامية والتاريخ والفقه والتطبيق العملى لاساليب الحكم الاسلامية •

وقد استطاع ابن خلدون أن يتوصل فى عالم الاقتصاد الى مكانة ترفعه الى صف العلماء الاقتصاديين المحدثين • وكان الشائع في الاوساط العلمية باوربا وامريكا حتى أواخر القرن ١٩ أن "البحث فى فلسفة التاريخ والاقتصاد السياسى والاجتماعى مما ابتكره العقل الاوربى فى ذلك القرن على يد (فيكو) الايطالى و (آدم سميث) الانجليزى و (مونتسكو وأوجست كونت) الفرنسيين • وقد ظلت هذه الشائعة العلمية تفرض نفسها على الاوساط العلمية كحقيقة علمية مسلمة حتى بدأت (مقدمة ابن خلدون) تغزو المجالات العلمية في أوربا فى النصف الثانى من القرن الماضى • وعند ذلك ادرك المنصفون من علماء الغرب خطاهم واعادوا الامور الى نصابها واعترفوا بسبق ابن خلدون وقوة نظريته •

فابن خلدون : يتحدث عن بعض الامور الاقتصادية وأثرها فى تشكيل المجتمع وتكوينه النفسى وضرورة العمل لجميع الطوائف والطبقات فيقول : (ان يد الانسان مبسوطة على العالم وما فيه بما منحه الله من قدرة على تسخيره والكشف عن عناصره) •

ثم يحدد مفهوم الكسب بانه (قيمة الاعمال البشرية ولو قدر أحد عطل عاطل عن العمل لكان فاقد الكسب بالكلية وعلى قدر عمله وشرفه بين الاعمال وحاجة الناس اليه يكون قدر قيمتهوعلى نسبتهذلك نمو كسبه ونقصانه) ولهذا كان يرى أن تقدر قيمة الاشياء وفق ما بذل فيها من عمل وجهد •

الترف الزائد دمار وهلاك :

كان ابن خلدون يرى ان المترفين خطر شديد على المجتمع ويعلل ذلك فيقول (لان اكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته أو يكون عاجزا عنها لما ربى عليه من خلق التنعم والترف وهذه حالة غير محمودة) وهو بذلك يعبر تعبيرا صادقا عن مبادىء الاسلام التى ترفض أن يكون المسلم عالة على غيره •

ازدياد السكان وغلاء الاسعار :

وكان ينظر الى هذه الظاهرة باعتبارها سببا فى انتشار التحلل وطرق الكسب غير المشروع وارتكاب ما يتنافى وآداب المجتمع فهو يقول (ان المصر الكثير السكان يختص بالغلاء فى أسواقه وأسعار حاجياته ثم تزيدها المكوس غلاء فتعظم نفقات أهل الحضر وتخرج عن القصد الى الاسراف • وتذهب مكاسبهم كلها فى النفقات ويتتابعون فى الاملاق والخصاصة ويغلب عليهم الفقر ويكثر بينهم الفسق والشر والمفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه) •

وبذلك تراه فى القرن الرابع عشر قبل سميث بأربعة قرون يدرس الظواهر العمرانية دراسة عميقة على أساس متين مقررا أن الظواهر العمرانية فى تزاحمها وقوالبها تحكمها قوانين اقتصادية توجه العلاقة التى تسود المجتمع وتتحكم فى أخلاقيات أفراده• وهذا ما سعى العالم أخيرا لمواجهته بالدراسة والتحليل واستنباط النظريات العلمية لهذه الظواهر •

الحكام والتجارة :

يعرض فى هذا المجال الى أمر خطير حين يعمد بعض الحكام والملوك والحاشية الى مزاولة التجارة واحتكار الغلات الزراعية طمعا فى الاثراء على حساب المجتمع وهم يملكون الاموال الكثيرة ويصرح بأن ذلك (غلط عظيم وادخال الضرر على الرعايا من وجوه متعددة

١ ـ مضايقة التجار والفلاحين فى شراء السلع لان الرعايا لا يملكون اموالا كثيرة مثلهم

٢ ـ لن يجد من ينافسه فى الشراء فيبخس الثمن على بائعه •

٣ ـ ثم يفرض عليهم بعد ذلك شراء تلك البضائع بالثمن الذى يحدده لها وبهذا يتعرضون للضرر الفادح فى حالتى البيع والشراء على السواء •

ويمضى ابن خلدون بالمشكلة الى نهايتها موضحا الضرر الذى يلحق التجار من جراء هذه السياسة فيقول (فتضرهم حاجتهم للمال الى تصريف بضاعتهم الكاسدة بأبخس ثمن • وقد تتكرر هذه الحال فتضيع رؤوس أموالهم ويقعدون عن السعى وتنتهى المأساة بكارثة عامة تدمر الكيان الاقتصادى للدولة) •

ويعرض صورة أخرى لنفس المشكلة فيقول : (وقد تنتهى الحال بهؤلاء المتسلخين للتجارة من الامراء والمتغلبين فى البلدان انهم يتعرضون لشراء الغلات والسلع من اربابها الواردين على بلادهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاءون ويبيعونها فى وقتها لمن تحت أيديهم من الرعايا بما يفرضون من الثمن وهذه أشد من الاولى وأقرب الى افساد الرعية واختلال أحوالهم) ولم ينس أن يحدثنا عن اغراءات التجار للملوك والامراء فى المشاركة فى التجارة

سعيا وراء نمو ثرواتهم وتضخمها دون أن يتعرضوا للمطالبة بدفع ما عليهم من ضرائب · واخيرا يوجه تحذيرا ذكيا الى الحكام بقوله : (**فينبغي للسلطان أن يحذر من هؤلاء ويعرض عن سعايتهم المضرة بجباته وسلطانه**)

كما يشير الى التفاعل القائم بين السلطة السياسية والسيطرة الاقتصادية فى المجتمع وأن مهمة الاولى هى ضمان استمرار الثانية ·

وقد قسم السكان الى فئات متفاوتة فى المركز الاجتماعى تبعا لملكيتها الاقتصادية ·

– فهمه للحركات الثورية : فهو يرى أن وراء كل انتفاضة يقوم بها الجمهور ميلا الى تحسين الاوضاع المعاشية واحتجاجا على سياسة الاضطهاد الاقتصادية ، ولذلك تشدد فى ادانة التعسف الذى كانت تمارسه السلطات أنذاك والاعتداء على ممتلكات الناس · فالظلم – كما يقول – مؤذن بخراب العمران وأن واجب السلطة ليس فى اعاقة الانتاج ولكن فى تهيئة الظروف الطبيعية له فهو يقول فى مقدمته (اعلم أن مصلحة الرعية فى السلطان ليست فى ذاته وجسمه وحسن شكله ·· وانما مصلحتهم فيه من حيث اضافته اليهم ، وأما النعمة عليهم والاحسان لهم فمن جملة الرفق بهم والنظر لهم فى معاشهم وهى أصل كبير من التحبب للرعية) ولذا يعتبر الحاكم فاشلا حيثما يصطنع الاجراء والانصار ببذله المال لهم دون رحمةأو مراعاة لصالح الدولة فتزداد النفقات على حساب المدخولات وتشتد حالة الجمهور سوءا وهكذا يتضافر العاملان السياسى والاقتصادى على أضعاف الحكم ·

وعنده أن هدف الدولة هو تزويد الناس بالشروط الجيدة لتطور الحياه الاجتماعية ، وقبل كل شىء توفير الشروط الملائمة للانتاج وتبادل المنتجات ، وهو يرى أن هذا هو أساس سياسة الدولة وكل تقصير فى هذا الاتجاه يضر بالمجتمع ·

فيقول (اعلم أن العدوان على الناس فى أموالهم ذاهب بامالهم فى تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم واذا ذهبت أمالهم فى اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعى فى ذلك) ·

ويمكننا أن نلمس ذلك فى حاضرنا فيما كان متبعا من تاميم وحراسات أخافت رأس المال فهرب أو انكمش وواجهنا الكساد الاقتصادى والعجز شبه الكامل فى ميزاننا الاقتصادى)

ووفق هذه النظرية وضع المتطلبات التالية لسياسة الدولة :

١ – حماية الفرد والملكية الفردية ·

٢ – تخفيف الضرائب ·

٣ – الغاء احتكار الدولة للانتاج والتجارة واعطائهما الحرية الكاملة ·

٤ – العمل على عدم تجاوز الملكية الارضية – الاقطاع – الحد الذى يعطى مالكها سلطة سياسية كبرى يستطيع من خلالها فرض أرائه واتجاهاته السياسية على المجتمع ·

٥ – اتباع السياسة العلمية والتزام علاقات حسن الجوار مع الدول المجاورة ·

٦ – الغاء الرق ·

وبعد فهذه عجالة سريعة عن ابن خلدون وأرائه فى الاقتصاد القصد منها القاء بعض الضوء على فكره الاقتصادى ودعوة مخلصة للمتخصصين لكى يبلوروا هذه النظرية ويقدموها كاملة اظهارا للحق الذى أنكرته أوساط علمية أوروبية وأمريكية فترة طويلة من الزمن ·

بقية مقال « عصر ابن رشد »

« ولما دخل العرب ارض اندلس الحقوها بخلافة دمشق ثم لم تلبث ان صارت عاصمة ملكهم ، ويقول المؤرخون انها فى أيام مجدها كان بها ٢٠٠٠٠٠ منزل ، و ٦٠٠ مسجد و ٩٠٠ حمام ، ومكاتب عامة كثيرة ، ويتبعها ثمان مدن و ٣٠٠ بلد و ١٢٠٠٠ ضاحية ·

وقد أنجبت قرطبة فى كل أجيالها رجالا عظماء ففى عهد الرومان ولد فيها لوكان وسنيكا ، وفى عهدالعرب ابن رشد واساتذته وتلاميذه ، وابن حزم عدا عدد من القواد والمصورين والكتاب والصالحين » · وكذلك انتعشت الحالة المالية للبلاد حتى ان المراكشى يقول : « كان يرتفع اليه خراج افريقية وجملته فى كل سنة وقر مئة وخمسين بغلا ، هذا من افريقيا وحدها ، ويقول وكان ابو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن **شديد الملوكية بعيد الهمة سخيا جوادا استغنى** الناس فى أيامه وكثرت فى أيديهم الاموال هذا مع ايثار للعلم شديد ، وتعطش اليه مفرط ، صح عندى أنه كان يحفظ أحد الصحيحين الشك منى اما البخارى او مسلم ، واغلب ظنى انه البخارى – حفظه فى حياة ابيه بعد تعلم القران ، هذا مع جمل من الفقه ، وكان له مشاركة فى علم الادب ، واتساع فى حفظ اللغة وتبحر فى علم النحو حسبما تقدم ، ثم طمح به شرف نفسه وعلو همته الى تعلم الفلسفة فجمع كثير من اجزائها ، وبدا من ذلك يعلم الطب فاستظهر من الكتاب المعروف بالملكى اكثره ، مما يتعلق بالعلم خاصة دون العمل ، ثم تخطى ذلك الى ما هو أشرف من أنواع الفلسفة وأمر يجمع كتبها ، فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الاموى » ·

وهكذا اجتمع فى عصر ابن رشد النقيضان ·· الفتن والحروب من ناحية ·· والثقافة والتعمير من ناحية أخرى ، ومع ذلك لم يعطل احدهما الاخر وانما صارا جنبا الى جنب فازدهرت بلاد الاندلس وكان لها طابعها المستقل فى العلوم والمعارف : وفى الفنون والاداب ، وفى العمارة والسياسة ، حتى نافست حضارة وعظمة الامويين فى دمشق ·· وقد مكنت هذه العلوم العليا والراتب السامية من التقدم والسمو وكان فى مقدمتهم القاضى والفيلسوف والطبيب والفقيه ابن رشد ، الذى دوى اسمه فى الافاق وعلا نجمه فى سماء المعرفة ، وعبر صيته الى الغرب والشرق ، وسجل التاريخ اسمه على مر الزمان ·

فلينظر الإنسان

الأستاذ محمد النظامى

خلق الله الانسان من نطفة صغيرة هى خلاصة الغذاء الطينى وما أهونها لولا ما أفاض الله عليها من فيوضات أكسبتها طهارة لانها اصل الانسان الذى كرمه الله «ولقد كرمنا بنى آدم» وما اضعفها لولا ما يمدها الله به من قدرات تجعلها تتحول الى قطعة من دم الى مضغة من لحم ثم ينبت فيها عظما ثم يكسو العظم لحما ،ثم ينفخ فيها الروح فتتنفس وتحس وتشعر ويصبح لها امعاء ومثانة ويصبح لها أنف يشم به ماء حامضا ، وله عينان تبصران وبهما ماء مالح ،واذنان تسمعان وبهما ماء مر ، وشفتان تتمتمان وبهما ماء حلو، مع انها كلها فى جسد واحد ، وتنبض بقلب واحد وتتغذى بغذاء واحد [فتبارك الله احسن الخالقين] فاذا ما اكتمل النمو نزل من بطن امه بارادة الله طفلا يسبح بحمد الله ، يمتص الثدى بقدرة الله . من الذى يهديه ، ان قيل انها الغريزه فمن الذى وضع الغريزة فيه «هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين» وصدق قول الله عز وجل : « الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه » وقال عز من قائل : « ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفه علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين » .

والروح تحل بالجسد فتمتزج به فتكون الحياة - وتسرى فيه سريان الكهرباء فى الاسلاك وكما تكون الانارة تكون الحياة ، وكما تنطفىء الانارة تنطفىء الحياة « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

فالروح سر من أسرارالله استأثر الله بعلم أمرها . ومع انها تسرى فى جسد الانسان فانه يعجز عن تحديدها وعن معرفة كنهها ، وعن معرفة حقيقة أمرها ، وعن معرفة كيف يتنفس ؟ كيف يتكلم ، كيف يفكر ، كيف يختزن المعلومات ، كيف يبصر كيف يحس ..

واذا كان الانسان عن معرفة ذلك عاجزا فانه لاشك اعجز عن الوصول الى معرفة كنه ذات من ليس كمثله شىء ، وهو فوق كل شىء ، ومحيط بكل شىء ، « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ..

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ناصحا عبد الله بن عمر : اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح فانك ياعبد الله لاتدرى ما اسمك غدا .

فمتى انتهى الاجل تنزع الروح من الجسد انتزاعا ، تنتزع من أسفل اجزاء البدن حتى تبلغ الحلقوم فتخرج

من الجسد كارهة ، فيخف وزن الجسد بعد خروجها ، وتقل قيمته ويصبح جثة هامدة تنزع الى طينته ، وتعود الروح الى خالقها وبارئها فى صورة هيكل اثيرى نورانى ولعل هذا الهيكل الاثيرى هو المعبر عنه بعجب الذنب فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكل ابن آدم سيبلى الاعجب الذنب .

ويبين الحق تبارك وتعالى مدى عجز البشر عن ابقاء روح جسد تقرر رحيلها الى حياة البرزخ فيقول « فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ، فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين » .

والروح تتشبث بالجسد ، والجسد يتشبث بالحياة لكنها ارادة الله وضعت لكل أجل كتابا . فان الاجساد الى فناء والاعمار الى انتهاء . ومادام قد قدر للانسان فى الدنيا نهاية فان الروح ترحل الى دار البرزخ ثم الى دار القرار قال تعالى ، فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار .. وذلك وهيب رضى الله عنه يقول : ما من ميت تحضره الوفاة حتى يتراءى له الملكان الكاتبان لاعماله فإن كان مطيعا قالا له : جزاك الله عنا خيرا ، فكم من مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وكلام طيب اسمعتنا .

وان كان فاجرا قالا له : لا جزاك الله عنا خيرا فكم من مجلس سوء اجسلتنا وعمل غير صالح احضرتنا ، وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا .

وان للموت لسكرات ، وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ،

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض موته كان عنده قدح من ماء يدخل يده فيه ويمسح وجهه ويقول : اللهم اعنى على غمرات الموت وسكرات الموت .

وروى انه صلى الله عليه وسلم زار مريضا فقال : انى لاعلم مايلقى ليس فيه عرق الا وهو يتالم على حده ..

وتلك امرأة تشكو الى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها فتقول لها اكثرى من ذكر الموت يرق قلبك .. ففعلت فرق قلبها .

وروى أن سيدنا عمر كان يلبس خاتما من نحاس فى اصبعه منقوش فيه كلمة الموت كان يديم النظر فيه ..

ورحم الله امامنا الشافعى فقد زاره بعض تلاميذه فى مرض موته وسألوه : كيف اصبحت ؟ فقال : أصبحت عن الدنيا راحلا ، وللاخوان مفارقا ، ولكأس المنية شاربا ، وعلى الله عز وجل واردا ، فلا والله ما أدرى روحى تصير الى الجنة فاهنيها أم الى النار فأعزيها .. ثم بكى وانشد مخاطبا مولاه :

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك اعظما

وذلك عبد الله بن عمرو بن العاص سأله والده وقت خروج روحه عما يشعر به فقال : شىء رهيب لا يوصف يا بنى أشعر كأن على كتفى جبال رضوى وتهامة وان روحى تخرج من ثقب ابرة وكأن فى جوفى شوك القتاد ، وكأن السماء أطبقت على الارض وأنا بينهما .

ولنسمع الى منصور بن عمار رحمه الله يقول : اذا دنا موت العبد قسم حاله الى اقسام المال للوارث ، والروح لملك الموت والعظم للتراب ، واللحم للدود ولن ينفعه الا أعماله الصالحة التى يحيا بها فى دنياه ويسعد بها فى اخراه قال تعالى :

« ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا » .

والانسان فيما بعد الوفاة يحمل فى نعش على أكتاف الرجال وتكون الروح متصلة بالجسد على صورة ما فاذا اشتد اتصالها ثقل وزن الميت وان قل خف وزنه .. قال تعالى :

، ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ، .

وما اجمل قول الشافعى رضى الله عنه :

ركوبك النعش ينسيك الركوب على
ماكنت تركب من مهر ومن فرس
يوم القيامة لامال ولا ولد
وضمة القبر تنسى فرحة العرس

وفى القبر فى عالم البرزخ تكون الروح متصلة ببدنها على صورة لا يعلمها سوى الله وذلك حتى يحل الثواب والعقاب بهما معا . تحقيقا للعدل فكما تشاركا فى الطاعة والعصيان فى الدنيا يتشاركان فى النعيم أو العذاب الاليم فى الاخرة ويكون القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وصدق قول الله ، ولا يظلم ربك احدا ، .

ويمكن ان يكون ما نراه فى منامنا من رؤيا نشعر معها بالسعادة وبالنعيم فنتمنى دوامها ، أو رؤيا مفزعة نحس معها بالضيق والالم ونتمنى زوالها « يمكن ان يكون ذلك صورة تقرب لاذهاننا شقاء القبر او نعيمة .. « ويمكن ان يكون ما نراه فى منامنا من صور أهلينا واحبائنا واصدقائنا وهم يحدثوننا ونتحدث اليهم ، يمكن ان يكون ذلك دليلا على حياة الارواح فى الحياة الاخروية بعد الحياة الدنيوية .. قال تعالى :

« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » .

على ان الاحاديث لتؤكد وجود حياة بعد الموت فى عالم البرزخ يحس الانسان فيها بكل شىء يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

١ - ما من رجل يزور قبر أخيه الا استأنس به

٢ - ان الميت اذا دفن سمع خفق نعال المشيعين له اذا ولوا منصرفين . وقد امر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بدفن قتلى المشركين فى بدر فى القليب ثم اخذ يناديهم فقال عمر : اتكلم يارسول الله اجسادا لا ارواح فيها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ما أنت باسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابا ..

وليستمع اليه صلوات الله عليه وسلامه يقول :

ما الميت فى قبره الا كالغريق المستغيث - ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو اخيه أو صديق له - فاذا لحقته - كان احلى اليه من الدنيا وما فيها .

ويقول ابن عباس : ما من رجل يمر على قبر اخيه المؤمن - كان يعرفه فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام .

وفى هذا المعنى يقول القائل :

تناجيك أموات وهى سكوت
وارواحها تحت التراب خفوت
ايا جامع الدنيا بغير قناعة
لمن تجمع الدنيا وانت تموت
وانكمو اذ ما علينا تسلموا
ترد عليكم واللسان صموت

والانسان يدفن فى القبر ويترك وحيدا ليس له انيس من زوجة أو مال أو أب أو وليد ولا ينفعه سوى ايمانه واعماله الصالحة ، وحسناته يقول الحق تبارك وتعالى :

، يأيها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، .

الإسلام والبحث عن الحقيقة

● الأستاذ عبد الحكيم النجار ●

هناك معارك دائرة حول الحق والحقيقة .. وقد ظهرت الخصومة بين الحق والحقيقة واضحة فى هذه الايام هنا وهناك ...

والكل يمضى فى هذه المعارك والصراعات ملتمسا الحقيقة تارة .. ومركزا على الحقد تارة أخرى .. مع أن الاسلام وجوهره المستنير الذى ينبعث من الايمان الصلب قد تحطمت على صخرته كل هذه الصراعات والمعارك الدائرة ..

واننى أعتقد أن حملات التشكيك المسعورة على الاسلام انما هى استغلال لا قيمة له أمام هذا الجلال والمساواة والكمال بما جاء به هذا الدين القيم القائم على العلم والعدل .. وقد فرضه جلت قدرته لتنظيم حياة الانسانية فى مراحلها المختلفة ولم يترك للمتشككين نوعا من الفراغ العقلى والحسى .

لذلك نجد تلك العقول الفارغة .. والقلوب الجاحدة والبراهين الضالة المضللة تسير بهم فى صحراء مظلمة ليس بها نور وليس لمن يضللونهم أى سند من الحقيقة سوى فلسفات زائلة ونظريات متغيرة لا يعرفها الا تلك الانفس الضعيفة التى تطمع فى بعض من الشهرة الغارقة فى بحر الظلمات والمتاهات ...

يقولون أن العقل قد ارتقى فى عصر العلم وان الالة سحقت كل شىء .. وان الحياة ليس فيها الا جبروت هذه الالة التى يقودها عقل الانسان .. !!

فالعقل يجب ألا يخرج عن نطاق العلم التجريبى .. وألا يسير وراء الاوهام . وأن يعمل مؤمنا بالحياة المادية وحدها ...

هكذا يبالغون ويقولون ويؤكدون .. ويواصلون فى مزاعمهم الباطلة وفى جحودهم المطلق .. وفى جموحهم الصريح ودعوتهم الى الالحاد والثورة على الدين والمتدينين ..

انها أقوال فارغة وأكاذيب ملفقة .. ولو أنصفوا وأنصتوا لحكم التفكير الصحيح .. لعلموا أن ما يقولونه ان هو الا باطل وضلالات سخيفة حاقدة .

الحق الواضح .

وهنا يقول صاحبى :

ان العقل يرشدنا دائما الى عظمة الله والى الدين السمح والى الحق المستنير . العقل البرىء المنزه عن الغرض الذى لم تلوثه الشهوات ولا المطامع ولا الاغراض ولا العصبيات ..

فالعقل دائما ودائما يقف مؤمنا بالله وبالرسل وبالدين والتدين اطار الحياة المضيئة .. لان العقل يأبى أن يرى قدرة الله وآثارها ظاهرة فى السماء والارض وفى خلق الانسان .. ثم يكفر بوجود الله .. ولان العقل لا يستطيع أن يفهم أن الحياة خلقت عبثا .. ولا أن الناس خلقوا سدى ولان الانسان يعيش لدنياه فقط .. ولان العقل يابى أن يصدق مزاعم هؤلاء ..

ان العقل دائما فى جانب الايمان .. انه يقف مشيرا الى وجود الله وقدرته .. كما قال ربنا « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون » .

ويردف صاحبى الاخر فيقول : ان العقل يقف متعجبا من خلق الانسان وما ركب فى جسمه من أعضاء وخلقه فى صورته المنسقة الجميلة فى اطار من الاعزاز وفضله وكرمه على سائر المخلوقات ولا يجد خلاصا من أن يعترف بأن خالق ذلك كله هو الله .. الذى اتقن كل شىء صنعا .. واحسن كل شىء خلقا ...

والعقل يدعو القرآن الكريم الى جعله طريقا من طرق المعرفة ووسيلة من وسائل الادراك .. يقول ربنا تبارك وتعالى ..

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد »

ضلالات قريش

وقد ضل ابو جهل .. والاخنس بن شريق والنضر بن الحارث وسواهم.. حتى قال النضر : الملائكة بنات الله .. والقرآن أساطير الاولين ...

ويقول : ان ما ياتيكم به محمد هو ما كنت أحدثكم به عن القرون الماضية ..

ويقول : الله غير قادر على احياء من بلى وصار ترابا وكان يذهب الى فارس فيشترى كتب الفرس وأساطيرهم فيحدث بها قريشا ويقول : ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا أحدثكم بحديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة ..

هؤلاء لا يؤمنون بالدين وانما يؤمنون بالاوهام والتقاليد والاساطير الكاذبة يتخذونها منهجا لهم فى التفكير والبحث ٠٠٠

نور المعرفة

ان المؤمنين يرون أن المعرفة بالله عن طريق الاستدلال والنظر والنطق مرحلة بدائية من مراحل الايمان – لانهم لا يعتمدون على العقل كثيرا كطريق من طرق المعرفة ٠٠ كما لا يعتمدون على الحواس الظاهرة فى الانسان ٠٠ انما يعتمدون على العقل الذى هو مركز المعرفة والقلب وهو مركز الايمان ٠٠

لقد جاهدوا أنفسهم وطهروها ٠٠ وأخلصوا لله حتى كشف عنهم حجاب الحس ٠٠ ورأوا الله بعين الادراك وعين اليقين فعبدوه حق عبادته وأطاعوه حق طاعته ٠٠ ففازوا فى الدنيا والاخرة برضائه ومحبته ٠٠٠

مذاهب ومذاهب

أما المذهب الواقعى يرى المعرفة انها ما يطابق الواقع ٠٠٠ فوجود العالم الخارجى هو وجود واقعى حقيقى مستقل عن الذات ٠٠ فالمعرفة عنده هى صورة مطابقة للموضوع لا أثر للذات أو للعقل فيها ٠٠٠

ويرى الفيلسوف الانجليزى « جون لوك » ان المعرفة وان لم تكن مستمدة من الواقع عن طريق الحواس ٠٠ فانها مع ذلك ليست فى مجموعها صورة مطابقة للواقع ٠٠ فبعض عناصر المعرفة عنده موضوعى يصور الواقع كماهو تماما وبعضها ذاتى من نتاج العقل ولا يصدر عنها ٠٠ بل هو تحرير للواقع ٠

وأما المذهب البرجماتى أو العملى فلا يفصل بين الفكر والعمل ٠٠ فالمعرفة عنده ليست تصوير الواقع كما يذهب الواقعيون ٠٠ وانما هى أداة للسلوك أو خطة تقود الى عمل والفكرة عنده هى تصور النتائج العملية التى يمكن أن تترتب على الاعتقاد بفكره ٠٠ ومعيار الصدق والكذب فى المذهب العملى هو الاختيار العملى للفكرة من حيث نتائجها لا من حيث مصدرها وأصلها ٠٠

وهذا فيه الكثير من الاسراف ٠٠٠ فان الفكرة قد تكون صادقة أو كاذبة بصرف النظر عن النتائج العملية ٠٠٠

أما المذهب المثالى فهو عكس الواقعى ٠٠ انه ينكر وجود شئ خارج العقل ٠٠ ويزعم أن ما له وجود هو العقل ٠٠ وما بالعقل من افكار ٠٠ فالشئ لا وجود له الا اذا كان فكرة فى العقل ٠٠ ومعرفة الشئ هى وجوده ٠٠ فالشئ موجود فى المذهب المثالى لانه مدرك ٠٠ وفى المذهب الواقعى ٠٠ الشئ مدرك لانه موجود ٠٠ فالموجود فى المذهب المثالى هو الادراك ٠٠ ومعرفة الشئ هو وجوده فطبيعة المعرفة هى طبيعة الوجود ٠٠٠

ومن دعاة المذهب المثالى « هيجل » الذى يرى ان المعانى الكلية أو المقولات هى مبدأ المعرفة أو شرط المعرفة ٠٠ والمعرفة عنده هى الوجود ٠٠٠

ومصدر المعرفة عند أصحاب المذهب التجريبى هى التجربة الحسية وعند أصحاب المذهب العقلى هو العقل وحده ٠٠

ويمثل ديكارت هذا الاتجاه ٠٠٠

وأما المذهب النقدى فيرى أن مصدر المعرفة هو التجربة والعقل جميعا ٠٠ فالتجربة تقدم مادة المعرفة والعقل يقدم صورة المعرفة ويمثل هذا المذهب «كانت» ٠

أما المذهب الروحى فيذهب الى أن مصدر المعرفة هو الالهام وعندما نرجع الى ديكارت نراه يقيم الادلة على وجود الله من أن فى الذات فكرة واضحة متميزة لكائن لا نهائى كامل ٠٠٠

ووجود هذه الفكرة فى العقل دليل على وجود مدلول لها فى الخارج هو الله ٠٠ واثبات وجود الله كما يرى « ديكارت » وسيلة لازالة الشك ولبلوغ اليقين فى المعرفة ٠٠

وينتهى ديكارت الى أن معرفتنا عن العالم الخارجى التى مصدرها الحواس ليست معرفة يقينية بعد أن اعتبر العقل وحده مصدر المعرفة اليقينية ٠٠٠

وهذه المذاهب المضطربة كلها تنتهى بالخطأ حينا وبالقصور حينا آخر ٠٠ قوة دافعة ٠

وقد شك الامام الغزالى فى مبادىء العقل ٠٠ ولم يطمئن الى شهادة الحواس ٠٠ ولا بآراء الذين لا يؤمنون الا بالمنطق وحده كطريق يوصل الى الايمان بوجود الله ٠٠٠

ورجع بالمعرفة الى الالهام ٠٠ فهو الطريق الى معرفة الله والايمان به ٠٠ وعن طريق الالهام يعرف الانسان ذاته معرفة مباشرة ٠٠ ومتى عرف ذاته عرف الله ٠٠٠

اننا لا نؤمن الا بما جاء به القرآن الكريم ٠٠ وصاحب التشريع محمد صلوات الله عليه وسلم ٠٠ من منابع المعرفة ٠٠ وهى النظر العقلى والوحى السماوى ٠٠ والالهام الروحى ٠٠ وهذه المنابع تصل الانسان بالله وتدفعه الى الايمان موصولا بالحق والحقيقة ٠٠ وهى كلها تناقض الفلسفات المادية وتناهض الالحاد والريب والشك ٠٠٠

فما أعظم الاسلام وما أحسنه ٠٠ فهو لا يزال القوة الدافعة فى عالمنا المعاصر من جميع النواحى الدينية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية بل والسياسية ٠٠٠

وأستطيع أن أردد كلمات أبو سفيان بن حرب عدو الاسلام حين ساله هرقل عن دعوة محمد فقال : يقول اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف وصلة الرحم ٠٠

ان الاسلام قد أنقذ البشرية جمعاء ودعا الى تحريرها وتجديدها بالقيم الصالحة التى اسعدت الدنيابآثارها ٠٠٠

وهناك حقيقة واضحة ٠٠ وهى أن المسلم يزيد حبه للاسلام وتقديره له كلما زاد تعمقا فى دراسته وتفكيرا فى مبادئه وفلسفته وحضارته وآدابه ٠٠ فالى هؤلاء والى هؤلاء يرتفع او ينخفض هذا النداء ٠٠

من ملامح وأخلاق مجتمع العلم والإيمان

قيام الدعاة المخلصين اليوم بدورهم الى الدعوة الى استعادة وجود المجتمع المؤمن المأمول :هو دور يبدأ بلا أدنى شك :من العودة الى مجتمع الايمان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم واستحضار ملامحه واستصحاب أخلاقه .. لتكون أمام كل طالب للايمان مى تكامله .. بمثابة المثل الكامل ، والنموذج الامثل ، الذى يأتسى به ويحتذيه ويتمنى الاقتراب منه ..

ذلك أن مجتمع الايمان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .. كان مجتمعا قد ماز بتزكيه القرآن الكريم ، وشهادة ربه له بالخير .. كما نال تزكية النبى صلى الله عليه وسلم وشهادته له بالخير كذلك . وذلك مى قوله تعالى [كنتم خير أمة أخرجت للناس] وقوله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام « خير القرون قرنى » .

فضيلة الشيخ مصطفى عبد الحليم الجندى

ان استصحاب ملامح واخلاق الايمان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .. فى مسيرتنا الى ايجاد مجتمع الايمان فى تكامله اليوم هو ضرورة ملحة .. من أجل تسديد خطوات الدعاة الراشدين .. كما أن استحضار ملامح وأخلاق المجتمع المؤمن الاول واصطحابها فى هذا الطريق هو أمر سهل وميسور .. يجده الداعى ، والمدعو جميعا فى آيات القران الكريم .. وفى نصوص من السنة المطهرة .. وفى كتب التاريخ التى سجلت الكثير من صور الواقع الحقيقى لهذه الفترة الحافلة بالخير .. والتى لن يصلح أخرنا الا بما صلح بها أولنا .

اما أعظم ما تجلى ولايزال على الوجود كله من هذه الملامح والاخلاق فمنها ما سجلته هذه الاية الكريمة لهذا المجتمع ، وزكته بها تزكية خالدة ما بقيت السموات والارض .. حيث يقول سبحانه « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا . يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم فى وجوههم من أثر السجود** » سورة الفتح من الاية ٢٩

فلقد سجلت هذه الاية الكريمة من ملامح واخلاق هذا المجتمع الراشد المأمول أنه مجتمع عاش حياته غليظا شديدا على الكافرين ، رفيقا رحيما متراحما مع المؤمنين .

٢ ـ حرصه على اقام الصلاة ، وعدم اضاعة شىء منها ، والاشتغال بها دون عائق من هموم الرزق أو غيرها .

٣ ـ ابتغاؤهم من فضل الله تعالى عن طريق الحرص على طاعته واداء فرائضه ، والضرب فى أرضه والسعى من أجل التماس الرزق الطيب الحلال فيها .

٤ ـ تجلى آثار العبادة والطاعة على وجوههم ، من آثار السجود ، ومن فيض الايمان ..

وفى هذا الجزء من البحث عن ملامح واخلاق مجتمع الايمان على عهد الرسول والسلف الاول : سوف نجتزىء فى حديثنا اليوم عن التراحم . هذا الخلق الذى زكى اصحاب القرآن .. وأعلى من قدره الديان جل شأنه

فتراحم المجتمع المؤمن الاول : كان تراحما حقيقيا : ابعد مما قد يتصوره أحد ‥ لقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم له مثلا فقال :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر » أخرجه الامام مسلم والامام أحمد عن النعمان بن بشير

والمؤمن فى مجتمع الايمان · هو لاخيه المؤمن خير سند وخير ظهير له « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

كما انه لاخيه بمثابة نبضات قلبه ، وأجزاء جسده ، يألم لالمه ويستشعر مشاعره يقول صلى الله عليه وسلم « يألم المؤمن لاهل الايمان كما يألم الجسد لما فى الرأس » اخرجه أحمد عن سهل ·

ومن تراحم هذا المجتمع المبارك أنه كان يقوم بحقوق أفراده وما يجب لهم من الرحمة والعدل وعدم التفريط فى شىء مما يجب على المسلم لاخيه المسلم ‥ وعن هذا الطريق ، وليس عن طريق أى شىء آخر ‥ استطاع هذا المجتمع التراحم بحق ‥ أن يحقق الامن والسلام الاجتماعى لكل أفراده واشاعته بينهم ‥ حيث اصبح أفراده بذلك لا يعرفون الحقد أو الضغينة ‥ ذلك لان الحقوق مؤداة ، والرحمة مكفولة ، واغنياء المجتمع لم يمنعوا فقراءه حقا هو لهم · ولم يظلموهم فى شىء من اموره ‥ فحق لهم بذلك ان ينعموا بالسلام والامان فى أولاهم وفى اخراهم مصداقا لقوله سبحانه « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون »

فالمجتمع المتراحم بحق هو مجتمع لا يضيع فيه حق الفقير ، ولا يظلم فقراءه من أغنيائه اذ لن يضيع الفقراء فى مجتمع من المجتمعات الا بقدر ما يظلم اغنياءه فقراءه ويمنعونهم من حقوقهم التى فرضها ربهم عليهم فى أموالهم · والى هذا المعنى بعينه يشير الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول :

« ان الله فرض على أغنياء المسلمين فى اموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا او عروا الا بما يصنع اغنياؤهم ، الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا اليما » اخرجه الطبرانى فى الاوسط عن على ·

ولقد سجل الواقع التاريخى من صور التراحم والتعاطف والتكافل التى كانت الطابع المميز للمجتمع الاول الذى يحاول مجتمعنا اليوم ان يتأسى به أو يقترب منه ‥ !! هذه الصورة التى سجلها ابو حامد الغزالى فى احيائه فقال :

وكان فى السلف من يتفقد عيال أخيه «أى صديقه» وأولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحوائجهم ، ويتردد كل يوم اليهم ، ويمونهم من ماله · فكانوا لا يفقدون من أبيهم الا عينه ، بل كانوا يرون منه مالم يروا من أبيهم فى حياته » حـ ٢ ص ١٧٥ الاحياء

«وبلغ التراحم والتعاطف بهذا المجتمع المبارك هذا الحد الذى نقل صورة أخرى من الغزالى فى احيائه فقال : « وكان فى صالحى السلف من له دفتران للحساب ‥ أحدهما ترجمته مجهولة فيه أسماء من لا يعرفه من الضعفاء والفقراء · وذلك : ان الفقير كان يرى الطعام او الفاكهة فتشتهيه فيقول احتاج الى خمسة ارطال منه وليس معى ثمنه ، فيقول له التاجر خذه واقض ثمنه عند الميسرة ·

قال الغزالى : « ولم يكن يعد مثل هذا التاجر من خيار الناس ـ بل يعدونه من الخيار من لم يكن يثبت اسمه فى الدفتر اصلا ، ولا يجعله دينا ، لكن يقول : خذ ما تريد فان يسرلك فاقض ، والا فانت فى حل منه وسعه » الاحياء ج ٢ ص ٨٢ ·

ومن صور التراحم والتعاطف التى كانت تشكل ملامح هذا المجتمع المؤمن الطيب ما سجله فى كتابه « الامام زيد » المرحوم العلامة الشيخ محمد أبو زهره عن الامام على زين العابدين حيث قال : « وكان الامام على بن الحسين «زين العابدين» من اكثر الناس رحمة بالبائسين : لا يعلم ان أحدا من اصدقائه عليه دين الا ادى عنه » ·

« ودخل على محمد بن اسامة بن زيد يعوده فوجده يبكي فساله عن بكائه ؟ فقال : على دين خمسة عشر الف دينار ‥ فقال : هى على ‥ !!

قال محمد بن اسحاق « وكان الناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ؟ ومن يعطيهم ؟ فلما مات على بن الحسين فقدوا ذلك ‥ فعرفوا انه كان هو الذى ياتيهم بالليل بما ياتيهم به ‥

ولما مات وجدوا فى ظهره واكتافه اثر حمل الجراب الى بيوت الارامل والمساكين ·

للبحث بقية

وأنه هو أضحك وأبكى

الأستاذ عبد السلام الشاذلي القوصي

سيدى القارىء الكريم ، لقد وقفت معك فى المقال السابق عند الحديث الذى رواه البخارى ولم نذكره وها هو الحديث : حدثنا محمد بن سنان ، حدثنا فليح ، حدثنا هلال عن عطاء بن يسار ، عن ابى هريرة رضى الله عنه ، ان النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يوما يحدث وعنده رجل من اهل البادية قال صلى الله عليه وسلم ، ان رجلا من اهل الجنة استأذن ربه فى الزرع ، فقال : اولست فيما شئت ؟ قال : بلى ، ولكنى احب أن ازرع ، فأسرع وبذر ، فبادر الطرف نباته واستواءه ، واستحصاده وتكويره امثال الجبال ، فيقول الله تعالى : دونك يا ابن آدم ، فانه لا يشبعك شىء . فقال الاعرابى : يا رسول الله ، لا نجد هذا الا قرشيا أو أنصاريا ، وانهم اصحاب زرع ، واما نحن فلسنا اصحاب زرع ، فضحك رسول الله صلى الله عليه سلم ، ومعنى الحديث ، دليل على ان الانسان يحن الى ما كان عليه ولو كان غنيا .

وهناك ضحك للاستبشار او لفرح بنيل مطلب ، اخرج ابن ماجه رحمه الله عن عبد الله بن كنانة بن عباس ابن مرداس السلمى ، ان اباه اخبره عن أبيه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، دعا لامته عشية عرفة ، فأجيب : انى قد غفرت لهم ماخلا الظالم فانى آخذ للمظلوم منه ، قال أى رب ، ان شئت أعطيت المظلوم من الجنة ، وغفرت للظالم ، فلم يجب عشية ، فلما أصبح بالمزدلفة ، أعاد الدعاء فأجيب الى ما سأل ، قال : « فضحك » رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال تبسم ، فقال له أبو بكر وعمر ، بأبى أنت وأمى . ان هذه ساعة ما كنت تضحك فيها ، فما الذى أضحكك ؟ . أضحك الله سنك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان عدو الله ابليس لما علم أن الله عز وجل قد استجاب دعائى وغفر لامتى ، أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ، ويدعو بالويل والثبور ، فأضحكنى ما رأيت من جزعه .

والمعنى لقول أبى بكر وعمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم « اضحك الله سنك » جملة دعائية لرسول الله بأن يديم عليه السرور الموجب للضحك .

وهناك من أنواع الضحك بسبب « النكتة » ، وهى جمل تقال من راو لها معان مستترة يقال لها تورية فيتير ترتيب الكلام وخذق قائله موجة وصدى يضحك السامع وربما كان هذا الراوى بين جماعة فترى فيهم من أضحكته النكتة لفهمه المعنى ومنهم من يبتسم وهو يجارى من ضحك ومنهم من لم يضحك ولم يبتسم لانه لم يفهم المعنى وفى هذا المعنى نذكر للاستدلال ، ونبدؤه بالقول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمزح فى أدب ، والمزاح هنا معناه النكتة . قال عليه الصلاة والسلام للعجوز ، لا يدخل الجنة عجوز يوم القيامة فضحك الحاضرون من الصحابة وغضبت المراه العجوز لان الصحابة فهموا المعنى وما يرمى اليه رسول الله وهو أن يكون الناس جميعا فى عمر واحد فى الاربعين ، ما العجوز فلم تفهم شيئا الا بعد الشرح لها ومع ذلك لم تضحك ولم تبتسم حتى بعد تفهم المعنى لان الكبت النفسى الزمها البعد عن السرور والانشراح . ولون آخر من النكت ايضا ، قال أبو حازم بن دينار ، من التابعين ، قال بينا أنا ارمى الجمار رأيت امرأة سافرة من أحسن الناس وجها ترمى الجمار ، فقلت يا امة الله ، أما تتقين الله ؟ تسفرين فى هذا الموضوع فتفتنين الناس ! قالت : أنا والله يا شيخ من اللواتى قال فيهن الشاعر العرجى

من اللاء لم يحججن بيقين حسبة
ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

فضحك من قولها وقال : أسأل الله الا يعذب هذا الوجه النار .

وهناك ضحك تثيره الطبيعة ذاتها ، فأنت حينما تمشى فى حديقة للتنزه قد يعجبك فيها زهرة أو نوع شجرة فتبتسم وربما أدى الابتسام الى الضحك ، وما ذلك الا لان الاعصاب البصرية فى الانسان قد أدت وظيفتها فأرسلت الى المخ الاستحسان لما رأته فينعكس تأثيره على النفس فيولد فيها الانبساط والشاعر يتغزل فى الشجر قائلا :

انظر الى الاغصان كيف تعانقت
وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من الفه
ورأى المراقب فانثنى مسترجعا

وهناك « ضحك » طبقى : فلكل طبقة من بنى أدم ضحكة خاصة لا من حيث كيفية وقوعها ولكن من حيث أسباب انفعاليتها بصاحبها وتكوين هذه الاسباب ، فمن ذلك مثلا الرجال العسكريون فى قيادة الجيوش لهم أسباب تدعوهم للضحك ليس مما سبق ذكره ولكنه درس أخر من صلب العمل ، وكذلك الزعماء الذين يقودون الشعوب فأنهم كذلك حتى ولو ضحكوا فى الصفاء الخالص لوجدت لضحكهم أسباب مغايرة تماما لغيرهم وليضرب لهذا مثلا : المغفور له سعد زغلول زعيم مصر الذى قال فيه عبد العزيز البشرى « بسطة فى العلم والجسم ، بسطة فى العقل والحلم ، وعزم تتزايل الجبال دون أن يتزلزل ويقين تتحول الارض عن مدارها ولا يتحول » وقال فيه حافظ ابراهيم ـ سعد عظيم وهو ابن عشرين وفوق العظيم وهو ابن سبعين ومن كلماته المعروفة « ان كل تقييد للحرية لابد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية نفسها والا كان ظلما

« سعد زغلول يضحك » ، أرسل الجنرال كلايتون مستشار الداخلية فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١ كتابا هذا نصه « الى حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا القاهرة

أتشرف بأن أبلغكم انى تلقيت من الفيلد مارشال القائد العام تعليمات بأن أبلغ معاليكم الامر التالى » :

« يحظر على » سعد زغلول باشا « بموجب الحكم العرفى أن يخطب أو أن يشهد اجتماعا عموميا او ان يستقبل الوفود او ان يكتب الى الصحف أو يقوم بعمل من الاعمال السياسية وعليه أن يغادر القاهرة بغير ابطاء ويقيم بمنزله فى الريف تحت مراقبة المدير ، وأتشرف بأن أكون خادمكم المطيع » .. وضحك سعد زغلول ، ثم انتفض انتفاضة الرجل المسئول لتختفى هذه الضحكة وراء قلمه الذى امسك به وأتى بورقة ليكتب رد هذا الخطاب فقال :

جناب الجنرال كلايتون مستشار وزارة الداخلية

أتشرف باخباركم انى تسلمت خطابكم اليوم الذى تبلغوننى فيه أمر جناب الفيلدمارشال اللنبى بمنعى من الاشتغال بالسياسة والزامى بالسفر الى عزبتى بلا تأخير للاقامة بها تحت مراقبة المدير وهو أمر ظالم احتج عليه بكل قوتى اذ ليس هناك ما يبرره . وبما انى موكل من قبل الامة للسعى فى استقلالها فليس لغيرها سلطة تخليتى عن القيام بهذا الواجب المقدس ، ولهذا سأبقى فى مركزى مخلصا لواجبى ، وللقوة ان تفعل بنا ما تشاء افرادا وجماعات ، فأننا جميعا مستعدون للقاء ما تأتى به بجنان ثابت وضمير هادىء . علما بأن كل عنف تستعمله ضد مساعينا المشروعة أنما يساعد البلاد على تحقيق امانيها فى الاستقلال التام ، سعد زغلول .

ثم عاد سعد زغلول الى ضحكه كما بدأ وراحت الانتفاضة كأنما كان الرد ، دواء تناوله فشفى .. مثل هذا الضحك يسمى ضحك السخرية والاستهزاء بحادث يحتاج الى شجاعة الضاحك فيبدى هذه الاضحوكة ليفسر بها معنى عدم المبالاة عنده .

ومن الزعماء أيضا ، جمال الدين الافغانى ، وهو من مواليد اسعد أباد احدى قرى افغانستان وهو أول من فكر فى انشاء الجامعة الاسلامية فوجد أن أنسب زمان ومكان لها هو مجوار بيت الله الحرام . وهناك الف جمعية أم القرى ، وفى عام ١٨٧١م عاد الى مصر وقوبل فيها بترحاب كبير حكومة وشعبا مما دعاه الى الاستقرار بمصر مدة طويلة ومن كلامه

أيها المصريون ، هبوا من غفلتكم واصحوا من سكرتكم وانفضوا غبار الغباوة والخمول وعيشوا كباقى الامم احرارا سعداء او موتوا مأجورين شهداء .وقد أمر الخديوى بطرده هو وخادمه الى تراب لان مساعيه السياسية أوغرت عليه صدر المستر « فيفان » قنصل انجلترا العام .

عاش جمال الدين الافغانى لم يضحك ولم يبتسم . ولكن كانت له ضحكة واحدة عند الشدائد أو عند سماعه لكلام لا يعجبه أو وجود رأى لا يهضمه او تدخل مستعمر اجنبى لا يرضيه ، وكان يسبق ابتسامته أو ضحكته كلمة « هيه » ثم يبتسم بدون علامة . ويضحك بدون شعور . لقد عاش جمال الدين الافغانى بضحكة وابتسامة من لون اخر . لان قلبه قد امتلأ بالحزن من صنع الانجليز به وبالبلاد الاسلامية والاستبداد بالدين الاسلامى وتقييد حرية ابنائه . ولهذا عاش ساخرا فى ابتسامته ، وراح الى ربه ساخرا من رجال لا يعرفون مقدار وطنهم ودينهم ولم يرضوا ان يكونوا من المدافعين المجاهدين لينالوا شرف الشهداء .

لأ هذا الكوبون وارسله الى ص.ب ٢٠٩٣ يصلك الكتيب التفصيلى دون مسئولية أو ارتباط

الإسم

لعنوان

لمهنة

السن

تيفون

المفهوم الإسلامى للكرامة

الأستاذ عبدالله محمد كامل

لا يكاد يمر يوم على الانسان الا ويتعرض لاحتكاكات أو مضايقات أو معاملات يتخذ موقفا منها واضعا فى اعتباره حفظ كرامته واعتزازه بنفسه وتسمع هذا يقول انها كرامتى وآخر يقول كيف أتنازل عن كذا وأفرط فى كرامتى وثالث يقول لقد أهينت كرامتى ولابد أن أنتقم لها وخطورة الموقف تقترن بأن الانتقام والعناد والكبر ملازمة فى عرفنا لمعنى الكرامة بل يصل الامر ببعض الافراد الى اعتبار التظاهر بالتأفف واحتقار الاخرين نوعا من الكرامة والمنزلة وبلوغ المكانة قيمة بين الناس وعند كثير من الناس أنه لابد لحفظ الكرامة من الرد على السباب بأقذع منه واكالة الشتائم لمن شتمك والتفنن فى اهانة من آهانك وهكذا دخلنا فى صراع مظهرى وتطاول بعضنا على بعض ودن ما يسميه البعض بالنفخة الكاذبة فى حين ان التطبع الاسلامى سيريحنا ويريح الاخرين سواء كانوا رؤساء أو مرؤوسين أصدقاء أو أعداء زملاء أو معارف ان الدين الاسلامى ثمرته المعاملة الطيبة بين البشر وسلامه صدور الناس وعموم الخير بين الجميع ولهذا فان مفهوم الكرامة فى الاسلام مختلف تماما عن فهمنا وقد يكون مستغربا لدينا ولكن ما المانع فى ان نتخلق به اذا كان ذلك وسيلة لراحة الجميع وأسلوبا للتعايش على أحسن نظام لا يضيع فيه حق ولا يظلم فيه ضعيف ولا يتجبر فيه قوى .

وبادىء ذى بدء فان الاسلام ينظر الى الحياة الدنيا على انها فترة اختبار للانسان عليه أن يجتازها بنجاح ليعيش خالدا سعيدا فى الاخرة فليس الامر أمر الحصول على مكانة دنيوية ولكنه أعمق وأكبر من ذلك انه اعداد للمكانة الدائمة والمنزلة فى الاخرة فمن كان يريد الحياة الدنيا نؤته منها وماله فى الاخرة من نصيب ومن كان يريد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . ومن هذا المنظار نظر الاسلام الي الكرامة على انها هى التقوى فالاكثر تقوى هو الاكرم على الله وعلى عباد الله فلتسقط اذن كرامة العائلات والنسب فالجميع ابناء آدم كما يقول الامام الشافعى :

الناس من جهة التكوين أكفاء
ابوهم آدم والام حواء
فان يكن لهم فى أصلهم شرف
يفاخرون به فالطين والماء .

فليست الكرامة كرامة من كان أبوه كذا أو جده كذا انما الكرامة كرامة من عمل صالحا ثم اهتدى فلقد أضاع الكفر كرامة ابن نوح فأغرقه الطوفان مع قوم نوح رغم دعاء والده وهو من أولى العزم من الرسل وكانت اجابة الدعاء « **انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح** » وحفظ الايمان كرامة عبد الله بن أم مكتوم حين نزلت فى شأنه « **عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى** » عتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من انصرف عنه طامعا فى **اسلام قوم من وجهاء قريش الذين** اسقط الكفر كرامتهم .

يقول الله تعالى فى سورة الحجرات مخاطبا جميع الدول والشعوب « **يأايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير** ! ١٣ .

اذن فالله عليم بصاحب المنزلة والمكانة خبير بالتقى الصادق والمؤمن الحق وهو وحده المطلع على القلوب وبيده الخفض والرفع وله وحده التكريم والتحقير يعز من يشاء ويذل من يشاء . فلا داعى اذن للحرص على المكانة عند فلان وعلان فذلك النفاق بعينه ولكن الحرص على المكانة عند الله أوجب لان فلان أو علان لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا وبالتالى لا يملك لغيره ما فائدة أن يحصل الانسان على أعلى المناصب وهو عاص لله مغضب لربه انظر جيدا فى قول الله تعالى فى سورة الحج « **ومن يهن الله فما له من مكرم** » فلا كرامة لمن أغضب ربه .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ان العبد لينشر له من الذكر ما بين السماء والارض لا يساوى عند الله جناح بعوضة** » . فمن المنطق أنه مهما علا ذكر الانسان فى الدنيا واطبقت شهرته الافاق واصبح ذا جاه وكرامة ولكنه مترد فى الرذائل غارق فى الذنوب تكون شهرته وجاهه وكرامته حجة عليه ومسئولية يوم القيامة يحملها فوق ظهره .

الاهم من ذلك فى مفهوم الكرامة الاسلامية جنوحها الى العفو بعكس الكرامة فى مفهومنا التى تجنح الى الانتقام فكلما كان الانسان قادرا على العفو والاحسان كلما كان أكثر كرامة عند الله وعند المسلمين . قال تعالى : « **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** » .

منطق عكسى تماما لما اصطلح عليه مجتمعنا من أن من سبك أو شتمك أو أساء اليك يجب عليك فورا أن تكيل له الصاع صاعين والكيل اثنين والا كانت كرامتك فى التراب . ولكن الانسان المتكامل هو القادر على أن يكظم غيظه ، فان ارتقى عفا عمن أساء اليه فان ارتقى أحسن اليه « **ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم** » . نعم انها تحتاج فعلا الى صبر ومقدرة

البقية ص ١٦٤

الفن الإسلامي

من الفنون الزخرفية الإسلامية

شبابيك قلل من فخار مزينة بزخارف تشبه الدنتلا

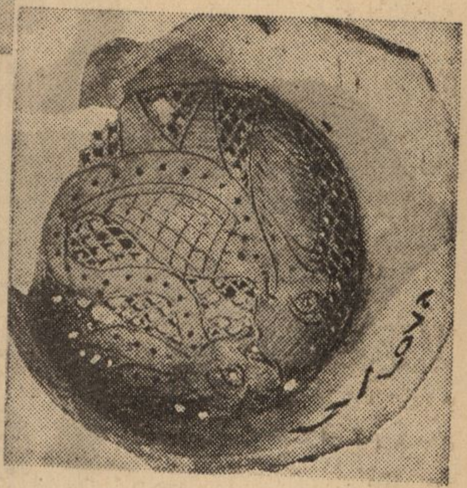

شباك قلة مزين برسم طائر خرافى ، من العصر الفاطمى أو الايوبى ،

ان الفنون هى الجانب الجمالى فى حياة الانسان ، الدال على رقيه ، ورفاهة حسه ، وتحرره من العمل والصنع لتحقيق حاجاته وضرورات عيشه .

واذا عنى الانسان بما لا يعبأ الناس به ، وتناوله بالفن ، فأتى منه بالطريف المعجب فانه بذلك يثبت أنه خليفة الله يجمل كل ما تتناوله يده .

لذلك راقنى أن أطرف القراء بمقال عن شبابيك القلل وما لقيت من عناية عشاق الفن ، والباحثين فى تاريخه .

شبابيك القلل

الأستاذة
سميحة محمد الجبالى

يعنى الباحثون عن فن الزخرفة بالتنقيب عنها فى كل اثر من آثارنا ، وعلى كل خامة من الخامات المختلفة .

ولقد تميز الفن الاسلامى عن غيره من الفنون القديمة بكونه من أوسع الفنون انتشارا ، وذلك لاتساع رقعة الامبراطورية الاسلامية التى امتدت من الصين شرقا الى اسبانيا غربا .

ومن الاثار التى عنى بها الباحثون عناية كبيرة ، التحف المصنوعة من الفخار والخزف لاتصالها بحياة الناس اتصالا وثيقا منذ عصور ما قبل التاريخ الى يومنا هذا ، ولانها تعكس تدرج البشرية فى سلم الرقى والحضارة بصورة واضحة .

فهناك الفخار الغليظ الذى يجفف فى الشمس ، وهناك الفخار الرقيق المزخرف بالنقوش والالوان ، وهناك الخزف الذى تتجلى فيه مهارة الصانع ، وذوق الفنان بصورة تكشف عن مدى تقدم الانسان وتطوره .

وأهم الحفائر الاثرية التى قامت فى المناطق المختلفة بحثا عن آثار الماضى من الفخار والخزف كانت فى العراق فى منطقة بابل حيث كشفت اقدم الحفائر عن كثير من قطع الفخار والخزف ، وكذلك فى بلاد الشام قامت حفائر أثرية فى الرقة

ودمشق وحماة وبعلبك والرصافة وفلسطين . وفي مصر قامت حفائر فى خرائب الفسطاط بالقاهرة التى مازالت ارضها وترابها مأوى كنوز وتحف تحتاج الى بحث لطيف دائب للكشف عنها ، وكذلك خرائب كوم الدكة بالاسكندرية فانها تحوى ما ينبغى أن نحرص على البحث عنه .

والمادة الاولية التى تصنع منها الاوانى الفخاريه والاوانى الخزفية تتشابه عناصرها الرئيسية ، الا ان الفرق بين الفخار والخزف هو أن : الفخار هو ما كان مصنوعا من الطين فقط دون تزجيج ، بينما يصنع الخزف من الطين ايضا لكنه زجج بعد صنعه اى غطى بطبقة من الزجاج الذائب .

وقد عرفت مصر كما عرف غيرها من دول العالم الاوانى الفخارية قبل الفتح العربى ، ولكن أكثرها لا يبرز الفن الزخرفى فيه ، ومن هنا لم تكن موضع عنايه مؤرخى الفن ، على ان هناك امثلة قليلة من التحف الفخارية عنى بها مؤرخو الفن مثل الاوانى الصغيرة « الزمزميات » ذات الرسوم الدينية التى أجادت مصر صنعها فى العصر القبطى اجادة عظيمة ، وعندما فتح المسلمون مصر تركوا البلاد تصنع من التحف الفخارية الشىء الكثير ، ويسترعى النظر بين هذه المنتجات الفخارية « شبابيك القلل » .

وشباك القلة هو الجزء الموجود داخل القلة بين رقبتها وجوفها ، والمقصود منه تنظيم خروج الماء منها عند الشرب .

وزخرفة شبابيك القلل من الميادين التى اختصت بها مصر ، واساس هذه الزخرفة التخريم وما يحدثه ذلك من وقوع الضوء على الاجزاء البارزة ، والظل على الخروم ، وقد استعمل الصانع زخارف هندسية ونباتية وحيوانية وكتابية ، من عبارات لطيفة ودعوات صالحة ، وأمنيات جميلة .

والتأثير الذى تعطيه هذه الزخارف المخرمة كالتأثير الذى تعطيه الدنتلا .

وزخارف هذه الشبابيك لا يراها الا من يحاول البحث عنها فى الاناء لانها مختفية عن عين الناظر العادى .

ولقد بذل الفنان المسلم جهده فى سبيل زخرفة هذا الجزء المستتر عن الانظار لانه احب الفن لنفسه لا للناظرين ، ولقد آمن عن يقين أن الله جميل يحب الجمال فأخذ يعمل على تحقيق الجمال فيما تخرجه يداه جهيره أمام الناس ، أم مستتره عن أعينهم ، ولقد تعلم من القرآن الكريم أنه اذا كان يعنى بجانب المنفعة فى الاشياء فينبغى أيضا أن يعنى بجانب الزينة والجمال .

ان هذه الشبابيك الفخارية هى ارخص ما يمكن ان يصنعه صانع ، ومع ذلك فقد حرص الفنان على الباسها هذه الحله من الجمال الفنى .

ولقد استمرت صناعة القلل وشبابيكها مع العناية بالاوانى المختلفة التى تصنع من الفخار ، وكلها كانت تسير فى طريق واحدة ، ثم بدات الزخارف تأخذ اتجاها جديدا ، ذلك الاتجاه الذى أتى به أحمد بن طولون اى العناصر المستمدة من طرز سامراء الزخرفية ، ويتجلى ذلك فى شباك قلة عليه كتابة عربية نصها « عمل عابد » .

ولقد كشفت حفائر الفسطاط عن شباك أو مصفاة قلة من فخار غير مزجج بديع الصنع ، تزينه صورة لطيفة جميلة الصنع لطاووس مرسوم بأسلوب واقعى مقارب للطبيعة ، وهو يحمل غصنا فى منقاره ، والارضية من المشبكات المفرغة والزخارف المتموجة . وكشفت عن شباك آخر لقله من الفخار غير المزجج ، مزين بنص كوفى مورق نقرأ فيه كلمة « كاملة » ويبدو أنها بقية عبارة دعائية نصها « بركة كاملة » وهى من العبارات الشائعة فى التحف التى ترجع الى العصر الفاطمى وما بعده ، وأسلوب الكتابة على كل حال زخرفى بالدرجة الاولى وتظهر الدقة الكبيرة فى حز الخطوط الخارجية للحروف ، والارضية على أشكال معينات مخرمة .

كما كشفت حفائر الفسطاط ايضا عن شباك قلة من عصر المماليك عليه كتابة تقرأ « برسم مليحة » .

ولا شك أن المجموعة الكبيرة من شبابيك القلل الموجودة فى المتحف الاسلامى بالقاهرة ، وتنوع زخارفها ، تدل على مدى ما يتمتع به الخزاف المصرى من حساسية واخلاص لفنه ، وقدرة فائقة على التعبير بالفن ، لوجه الفن لا لعلة أخرى .

وهكذا نرى المسلمين على مر العصور يعنون بكل فن ، وتتناول عبقريتهم كل مجال للابداع والابتكار . ومن كان يدور بخلده أن يتجه فنان الى القلال ليفتن فى تشكيل شبابيكها ويأتى منها بالعجب العجاب .

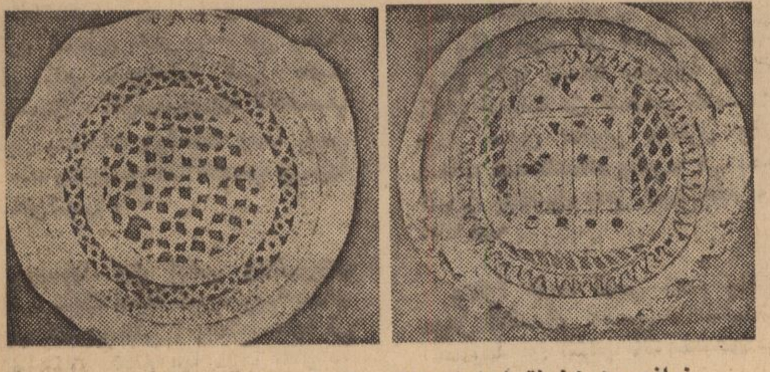

نماذج من زخرفة شبابيك القلل مما عثر عليه فى الفسطاط

مراكز إنتاج الأقمشة المنسوجة من الذهب والفضة في مصر الاسلامية

يعجب الكثير من الناس فى مصر وبعض البلاد العربية بالاقمشة المنسوجة بالخيوط المعدنية أو الصناعية ذات البريق المعدنى التى تنتجها المصانع الاوربية • وهم لا يعلمون أن تلك المنسوجات التى تنسج على أحدث وأعظم الانوال تقدما لم تبلغ من الجمال والدقة والمهارة ما بلغته تلك المنسوجات فى أرجاء الدولة الاسلامية فى مختلف عصورها حيث كانت تتهافت أوربا على شرائها من البلاد الاسلامية وكان الناس هناك يتفاخرون باقتنائهم تلك المنسوجات المصنوعة فى مصر أو فارس أو بغداد أو دمشق •

ولقد ازدهرت تلك الصناعة فى مصر ازدهارا كبيرا واشتهرت بها مراكز لانتاج تلك النسجيات ومن هذه المراكز تنيس ودبيق ودمياط وشطا والاسكندرية بالوجه البحرى وأخميم وأسيوط بالوجه القبلى وذلك بالاضافة الى القاهرة وقد اختصت بعض تلك المراكز بانتاج انواع مخترفة من المنسوجات لا تنتجه اى بلد آخر فى العالم •

الأستاذة سادات عباس سليم

وفى القرن العاشر م • يقول أبو القاسم بن حوقل فى كتاب صورة الارض عن تنيس ودمياط ودبيق ، يعمل فيها رفيع الكتان وثياب الشرب والدبيقى والمصبغات من الحلل النفيسة التى ليس فى جميع ما فى الارض ما يدانيها فى القيمة والحسن والنعمة والترف والرقة والدقة وربما بلغت الحلة من ثيابها مائتى دينار اذا كان فيها ذهب وقد بلغ ما لا ذهب فيه منها مائة دينار زائدا او ناقصا »

كما ذكرها ايضا ناصر خسرو فى القرن الحادى عشر م • فى رحلته التى تقع حوادثها فى عهد الفاطميين « كان ينسج بها القصب الملون بعمامات ووقايات ومما يلبس النساء ولا ينسج هذا القصب فى جهة ما غير تنيس » •

ووصفها ابن اياس والمقريزى انها ، كانت مدينة كبيرة وبها يحاك ثياب الشرب التى لا يصنع مثلها فى الدنيا كان يصنع بها ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل سداء ولحمة غير أوقيتين وينسج باقية بالذهب بصناعة محكمة لاتحتاج الى تفصيل أو خياطة تبلغ قيمته ألف دينار » •

ويضيف عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى البغدادى فى معجم البلدان والمقريزى عن دبيق التى اشتهرت أيضا بانتاج المنسوجات المعدنية « هى قرية من قرى دمياط ينسب اليها الثياب المثقلة والعمائم والشرب الملونة والدبيقى العلم المذهب وكانت العمائم الشرب المذهبية تعمل بها وكان طرف كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقمات منسوجة بالذهب فتبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل وقد صنعت هذه العمائم وغيرها فى عصر العزيز بالله بن المعز لدين الله عام ٣٦٥ هـ•

ونظرا لقيمة تنيس كأهم وأشهر مركز لانتـاج النسجيات النفيسة المصنوعة من الذهب فقد خصص لها جيش كامل السلاح لحماية المدينة وذلك نقلا لكلام ناصر خسرو لانها كانت دائما عرضة للغزو من الفرنجة بقصد الاستيلاء عليها بما فيها من عمال مهرة يقومون بصنع هذه المنسوجات العالية القيمة وأنوالها التى بلغت فى أيام الفاطميين خمسة آلاف منسج نقلا عن المسعودى •

وأما الاسكندرية فيكاد يجمع مؤرخو العصر الاسلامى على تفوقها فى صناعة النسيج •

وعن حضارة الاسكندرية فى هذا العصر كتب الدكتور السيد عبد العزيز ، قامت دور الطراز فى الاسكندرية وغيرها بانتاج كسوة الكعبة والاعلام والخلع التى كان يخلعها الولاة لمن شاءوا من الناس بتشريفهم وقد اختصت الاسكندرية فى العصر المملوكى بانتاج انواع جديدة من المنسوجات نخص منها بالذكر الوشى والسقلاطون والشرب والمنمر والمفرج السكندرى والشاش الحرير السكندرى المموج بالذهب والطرد وحسن والبشاخين •

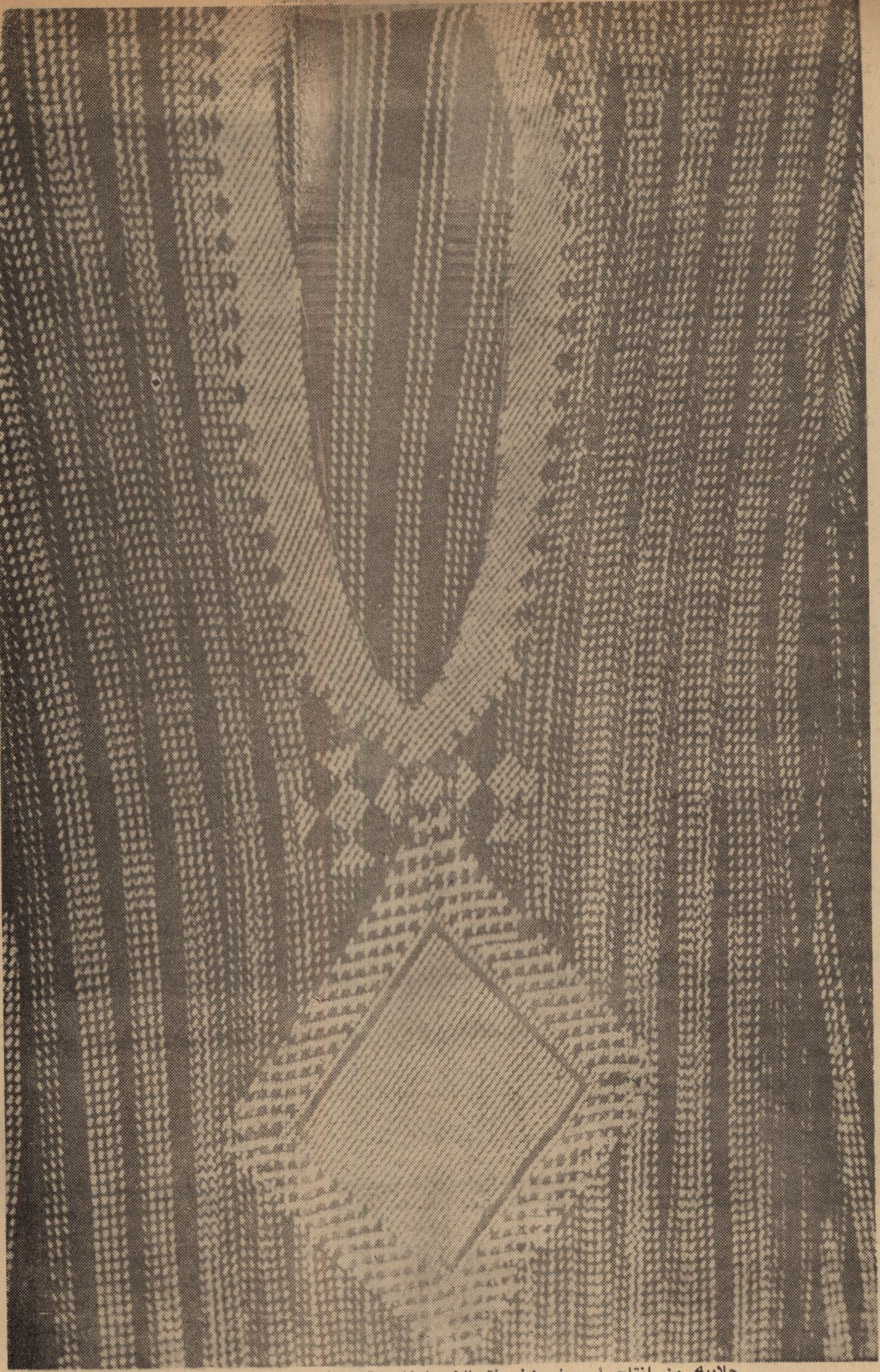

جلابيه من انتاج أسيوط مزخرفة بالخيوط المعدنية صنعت فى اوائل هذا القرن

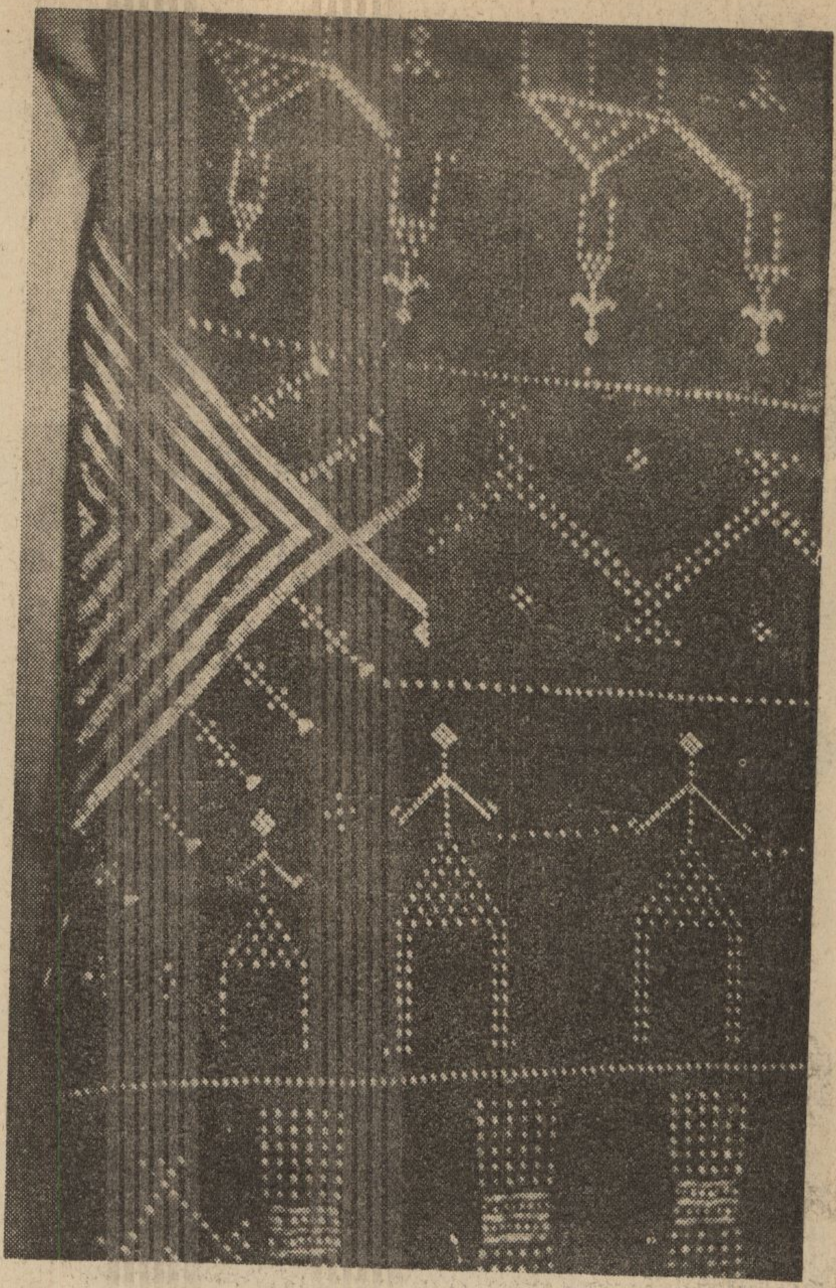

نموذج مزخرف بالخيوط المعدنية من انتاج مصر فى القرن الثالث عشر

واضاف ابرس أن أوربا وخاصة البندقية وجنوة كانت تستورد فى العصور الوسطى من الاسكندرية الاقمشة الحريرية والخيوط الذهبية وذلك باستخدامها فى تطريز ملابس الفرسان هذه الملابس التى كانت مخصصة للحفلات • وكانت هذه الشرائط الذهبية رفيعة ودقيقة وكانت تلتصق بامعاء الحيوانات حيث كانت الاسكندرية تعتبر سوقا كبيرة لهذه السلعة كما كانت تصدر منها كميات كبيرة الى الخارج •

أما القاهرة فقد كانت أيضا مركزا للنسيج والتطريز بالخيوط المعدنية بأنواعها المختلفة وخاصة فى العصر الفاطمي وعنها المقريزى يقول ، فى القاهرة يوجد منزل يسمى الغزالة وأنها كانت مسكنا للامير أبى القاسم ابن المستنصر ثم أصبحت بعد ذلك مقرا لناظر الطراز وكانت ميزانيتها فى وزارة الافضل بن بدر الجمالى واحدا وثلاثين الف دينار منها خمسة عشر الفا للقماش نفسه وستة عشر ألفا للذهب الذى تستخدم فى نسجه وزادت هذه الميزانية فى عصر العزيز المامون بلغت ثلاثة وأربعين الفا وتضاعفت فى الايام التى كان الخليفة الامر يحكم فيها بنفسه •

كما كانت أسيوط مركزا هاما لتلك الصناعة حيث يذكرها ياقوت الحموى فى معجم البلدان فى القرن الثالث عشر م ويقول انها تحتوى على خمسة وسبعين منسجا كما قال عنها أيضا المخزومى فى الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة فى القرن الخامس عشر م ، ان أسيوط بها مناسج الارمنى والدبيقى المثلث وسائر أنواع الملبوسات •

كذلك اشتهرت أيضا أخميم بانتاج النسجيات على اختلاف انواعهاوتذكر دائرة المعارف ان اخميم لمتكنتنتج الثياب الكتانية فحسب مثل تنيس بل كانت تصنع أيضا الثياب الكتانية بيضاء اللون وكذلك الثياب الحريرية المذهبة والثياب المعروفة باسم الثياب البلخية •

كما كان ينسج بها المنسوجات على اختلاف أنواعها وأن القماش المطرز المقصب يبلغ ثمن الثوب منه مائة دينار وهذا القول نقلاعن «أبو صالح الارمنى فى كتاب اخبار نواحى مصر واقطاعها فى القرن الثانى عشر م •

وبالنظر الى المراكز السابق الاشارة اليها نجد ان انتاج هذا النوع من المنسوجات قد توقف فيها اما لان هذه البلدان قد تهدمت وانتهى امرها مثل دينيس ودبيق او لاندثار هذا النوع نتيجة لظروف اقتصادية وسياسية كما ان بعض المراكز قد استبدلت هذا النوع بانواع أخرى من المنسوجات التى يزداد الطلب عليها مثل أخميم أو بانتاج مشغولات مطرزة بالشرائط المعدنية المسماة بالتلى مثل أسيوط•

ولاتزال تلمح آثار لتلك الصناعة المندثرة فى بعض القرى المصرية مثل كرداسة التى تقع بالقرب من القاهرة وتصل منتجاتها الى بعض البلدان العربية مثل ليبيا والسودان •

القصة

رجـــل ومعـارك

حـذيفـة

الأستاذ محمد صالح

عندما تحول خط سير المعركة فى احد واصبح فى صالح المشركين ، انتابت غالبية جيش المسلمين الذعر نتيجة التحول السريع الذى جرى فى أرض المعركة فأصبحوا لا يفرقون بين بعضهم وبين جنـود المشركين . وكان من نتيجة ذلك أن سقط الصحابى الجليل اليمان قتيلا بأيدى اخوانه المسلمين ..

ورأى حذيفة الجندى فى نفس الجيش مقتل أبيه فصاح فى اخوانه : « انه ابى .. قتلتم ابى بأيدى مسلمة .. يغفر الله لكم » .

ثم يتجه بسيفه الى المعركة يؤدى واجبه محاربا الى جانب اخوانه .. ناسيا أن أباه مات بأيدى بعض زملائه .

وبعد المعركة .. يأمر النبى عندما يبلغه موت والد حذيفة بدفع الدية لابنه حذيفة . لكن البطل يعتذر وتصدق بها على المسلمين .. فيزداد الرسول له حبا .

تلك واحدة من أقسى ما لاقاه حذيفة بن اليمان .. مصرع أبيه المسلم على أيدى اخوانه فى الدين . ولقد ثبت ايمانه لهذا الامتحان الرهيب .. وكان بطلا .

وما اكثر مظاهر البطولة فى حياة حذيفة ..

كان بطلا ايضا عندما ارسله صلوات الله عليه الى معسكر العدو فى معركة الاحزاب ليتعرف أخباره .

وفى غزوة خيبر .. فى شهر محرم من السنة السابعة الهجرية كان البطل يحمل سيفه لمحاربة يهود خيبر بعد خيانتهم ونكثهم بالعهد .

وفى معارك فتح العراق الكبرى التى خاضها الجيش المسلم العربى ضد ١٥٠ الفا من جنود الفرس كان البطل أحد اثنين قادا المعركة . ولقد قادها الى النصر .

انه حذيفة بن اليمان .. الصحابى الذى انفرد بين الصحابة الى جانب بطولاته .. بأنه مستودع سر رسول الله .

كان ذكيا سريع التصرف اذا وقع فى مأزق اثناء آدائه عمل كلفه به رسول الله .

ابن اليمان

بعد أن انعدمت الثقة بين مشركي قريش وغطفان من جهة .. ويهود بنى قريظة من جهة أخرى فى غزوة الاحزاب فى السنة الخامسة من الهجرة نتيجة الخدعة التى قام بها نعيم بن مسعود ، ذهب الى بنى قريظة وحذرهم من مساعدة قريش وغطفان والحرب معهم الا بعد أن يحصلوا على رهائن من رجالهم .. ثم ذهب الى قريش وغطفان وقال لهم ان بنى قريظة سيطلبون رهائن من رجالكم ليقدموها الى محمد ترضية له وتأييدا ونفذت بنى قريظة نصيحه نعيم بن مسعود وبذلك فقد الحليفان الثقة فى بعضهما وانفض التحالف ــ طلب صلوات الله عليه من حذيفة بن اليمان أن يذهب ليلا الى معسكر جنود الاحزاب يستطلع خبرها .

لبى البطل امر الرسول القائد .. اخترق الحصار الذى ضربه المشركون حول المسلمين ، وعندما اصبح فى معسكر العدو وبين جنوده سمع ابا سفيان يقول : « يامعشر قريش لينظر كل منكم جليسه ، وليأخذ بيده ، وليعرف اسمه » .

سارع حذيفة يمد يده فى الظلام ليمسك يد الذى بجواره ثم يسأله من أنت .. ويرد المحارب المشرك وينجو حذيفة من ذكاء أبى سفيان بتصرفه السريع .

وعندما يطمئن ابو سفيان ــ غير متصور ان ذكاء حذيفة فاق ذكاءه ــ انه لا أحد من رجال محمد يوجد بينهم فى الظلام يتفوه ــ مخاطبا جوده انكم والله ما أصبحتم بذر مقام ، لقد هلكت الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فانى مرتحل .

ما ان انتهى أبو سفيان من عبارته حتى أسرع حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغه ما رأى وما سمع . يبشره بانصراف جيش العدو مدحورا بعد ان فشل فى تحقيق اى نصر خلال حصاره ليثرب اكثر من شهر .

كان بطلا بسيفه فى معركة خيبر فى السنه السابعة الهجرية تحت قيادة النبى اذ انه ما أن سمع النبى فى أول أيام المعركة يرفع صوته أمام حصون يهددها قائلا : « **الله اكبر ، هلكت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين** » حتى رفع سهامه يقاتل فى معركة استمرت أياما وانتهت بانتصار المسلمين .

......

فى خلافة عمر بن الخطاب خرج حذيفة بن اليمان قائدا لاحد الجيوش المسلمة فى معارك فتح العراق وتحريرها من الفرس تحت القيادة العامة للنعمان بن مقرن على أن يتلوه فى القيادة العامة للجيوش حذيفة اذا أصيب النعمان .

كانت جيوش المسلمين ثلاثين الفا بينما بلغت جيوش الفرس مائة وخمسين الف مقاتل .

وعندما سقط النعمان بن مقرن شهيدا ــ أمسك حذيفه براية القيادة .. وتحت قيادته انتصرت جيوش الحق على الفرس انتصارا عظيما .. وتم فتح همدان والرى والدينور .

وكما قلنا لم يكن حذيفة بن اليمان برجل السيف فقط .. لكنه كان مثال الانسان المكتمل فى جميع نواحيه .. كان مثاليا .. كان ينفرد بين اصحاب رسول الله بأنه صاحب سر النبى فى المنافقين ، ولذلك كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه خلال خلافته اذا مات مسلم يسأل عن حذيفة فاذا لم يجده بين الذين حضروها للصلاة على الميت امتنع عن الصلاة عليه .

ولقد كان الزهد من المعارك التى خاضها البطل الى نهاية حياته وانتصر فيها ..

فى يوم سأل عمر بن الخطاب اصحابه ان يتمنوا . فتمنوا ملء البيت ، الذى كانوا فيه مالا وجواهر ينفقونها فى سبيل الله . فقال عمر ! لكنى اتمنى رجالا مثل أبى عبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان فاستعملهم فى طاعة الله عز وجل .

ثم أراد عمر أن يؤكد لهم حقيقة ما يقول فأرسل مالا الى أبى عبيدة وحذيفة مع رسول له وقال له انظر ما يصنعان به ؟

وعاد رسول الخليفة عمر يقول : أن كليهما قد وزع جميع المال الذى أرسله الخليفة اليه على المسلمين .

. . . . . .

يقول حذيفة عن نفسه : « كان الناس يسألون رسول الله عن الخير ، وكنت اسأله عن الشر مخافة أن يدركنا » .

. . . . . .

عينه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب واليا على المدائن . وعندما عرف أهلها بالخبر وبأن الوالى الجديد فى طريقه اليهم خرجوا يستقبلونه ، ووصل حذيفة راكبا حمارا وبين يديه رغيفا يأكله بالملح .. وعجب الذين خرجوا لاستقبال الوالى وهم يرونه على هذه الحال .. ويزداد عجبهم عندما ينظر اليهم وهو لا يزال فوق حماره قائلا .. اياكم ومواقف الفتن .

وعندما يسألونه ، ما مواقف الفتن ؟

يرد عليهم : أبواب الامراء . يدخل أحدكم على الوالى فيمتدحه بما ليس فيه .

وعندما يسألونه : اذا كان يريد شيئا آخر ، يرد عليهم : أسألكم طعاما اكله وعلفا لحمارى مادمت فيكم ..

. . . . . .

كعادة عمر على ولائه يرسل الى واليه حذيفة يطلب منه العودة .. فيسرع حذيفة بتلبية أمر أمير المؤمنين .. وعندما يبلغ عمر قدوم حذيفة .. يخرج عمر ويكمن فى الطريق ليرى الحال التى سيعود عليها واليه .. وعندما يرى عمر واليه حذيفة عائدا على الحال التى خرج بها يذهب اليه ، ثم يحتضنه قائلا : أنت أخى وأنا أخوك .

. . . .

عندما حضرت بطلنا الوفاة .. بكى كثيرا وعندما سألوه ما يبكيك رد قائلا ، ما أبكى آسفا على الدنيا .. بل الموت أحل الى ، ولكن لا أدرى على ما أقدم ، على رضا أم على سخط .

ثم يقول وهو يلفظ أنفاسه :

اللهم انك تعلم انى احبك ، **فبارك لى فى لقائك .**

بقية مقال « المفهوم الاسلامى للكرامة »

فائقة على ضبط النفس وطهارة القلب ورسوخ الايمان حيث لا يستطيعه الا ذو حظ عظيم . وبهذا تنتشر روح التسامح محل الانتقام ويسود الصفاء مكان التشاحن والخصام وتتجه طاقات التدمير والانتقام فى الانسان الى اعداء الله والمفسدين فى الارض فينطبق قول رب العزة « **أشداء على الكفار رحماء بينهم** » . واسمع الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المروى عن أسماء بنت عميس « **بئس العبد عبد تخيل واختال ونسى الكبير المتعال ، بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى : بئس العبد عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى . بئس العبد عبد غنى وطغى ونسى المبتدأ والمنتهى ، بئس العبد عبد يختل الدين بالشهوات ، بئس العبدعبد طمع يقوده ، بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب يذله** » ، رواه الترمذى والطبرانى .

وجدير بالذكر أن المفهوم السائد بأن الكرامة تقتضى الانسان الا يقبل اعتذارا أو يسوق فى العناد ويلج فى الخصام فلا يبدأ بالتصالح مع أخيه بحجة الكرامة فخير الرجلين أبدؤهما بالسلام ورضى الله عن سيدنا محمد ابن الحنفية حين ارسل الى اخيه الحسين بعد خصام بينهما ان أركب الى لتصالحنى فوالدى ووالدك على ابن ابى طالب اما امك فافضل من امى وجدك افضل من جدى وانت خير منى ، واضاف انه أتيتك أن أسبقك الى الجنة لانى سمعت من جدك أن البادىء بالصلح أسبق الى الجنة ، هكذا طباع الاسلام فلا غضاضة فى المصالحه والبدء فانما ذلك دلالة الخيرية وطيب النفس وكذب من قال انهادلالة ذلوضعه وعلى من اعتذراليه ان يقبل ويتلمس الاعتذار للمخطىء فقد روى عن جماعة من الصحابة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **من تنصل اليه أى اعتذر اليه فلم يقبل لم يرد على الحوض** » انها أخلاقيات ديننا التى تبنى ولا تهدم وتصلح ولا تفسد وتلم الشمل ولا تفرق .

فالتجبر فى الارض ضياع والعناد كفر وان فى جهنم واديا مخصص لكل جبار عنيد . ولنتأمل فى قول عيسى عليه السلام « ولم يجعلنى جبارا شقيا » ، ومن الغريب ايضا أن البعض يفهم الكرامة على أنها اقتصار الاخرين والتأفف من مصاحبة ذوى الحال المحدود والله تعالى يقول لنبيه وهو أكرم الخلق جميعا على الله « **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا** » .

والعقل السليم يتلمس مصاحبة من يسير على الهدى ويسعى فى الخير ولو كان أشعث أغبر فالعمل الصالح مقياس الكرامة والضلالة كل الضلالة فى مصاحبة من أبعده الله عن الهدى واغفل قلبه عن ذكره ولو كان صاحب جاه وسلطان والاضل أن يكون ذلك من باب الكرامة انه حينئذ نفاق ورياء واعانة على الباطل وتشجيع للفساد .

فليسمع كل مسلم الى قول نبينا وقدوتنا « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولايخذله ولايحقره التقوى ها هنا ثلاث مرات وهو يشير الى صدره الشريف بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله** » ، رواه مسلم وغيره ولم يجد صلى الله عليه وسلم غضاضة فى أن يقول لاعرابى دخل يرتجف من هيبته « **هون عليك فانما انا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد** » . وهو نفسه الذى افتخر فى غزوة حنين قائلا أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب ، حين كان الموقف مع اعداء الله مقتضيا التثبيت والقوة لمتضح كرامته حين قالوا له مجنون وساحر لان الحق رفعه ولم تنزل مكانته حين استهزأوا به لان الله اكرمه فلا يخش المسلم اذن من الاهانة فى الحق فالله يكرم من واطع عن الحق ولا يخاف المؤمن من ضياع الكرامة اذا نادى بالصحيح والتصحيح لان الله يدافع عن الذين آمنوا .

الشعر الإسلامي

شباب المؤمن

الشاعر
محمد محمد عبد اللطيف
إبن الخطيب

فالجأ الى المولى : تنلْ عطفه
هذا شبابى : نعم ما قد جرىَ
فيه ، ونعم البدء فى الخاتم !
حرمت نفسى كل أهوائها
وجزته بالخير والمغنم !
لم أعط فيه النفس ما تشتهى
حاولت تقليد النبى الاعظم !
أنى لى التقليد ، والنفس لى
صرعى هوى المشرب والمطعم !
فى حين يقضى ليله طاويا
يا ليتنى كنت فدى الاكرم !

●●●●●

حاربنى ابليس • حاربته
ولم أطعه ، رغم أنى ظمى !!
والنفس — يا لله — عاصيتها
وخفت من طاعتها أرتمى !!
فى حار نار : لا تراعى الذى
قد حاد عن طريقه الاقوم !!
روضتها الطاعة : أبغى بها
نجاتها فى يومها القاتم !!

●●●●●

وددت لو ألقى الهى كما
أراد لى : بعدا عن المآثم !!
فكنت : ما شاء الهى الذى
صان فؤادى ، وحمى درهمى !!
لم انفق المال على متعة
تجعل عيشى : كالدجى المظلم !!

●●●●●

قرب ذنب : لا نبالى به
يا ويله من خطر داهم !!
فكم رأينا من فتى جامح
لا يعبا الحل من المحرم !!
ويسهر الليل يعاطى الهوى
وان دعاه الله : لم يقدم !
يلقى أذاه فوق كل الورى
ويظلم الناس ، ولم يظلم !
يؤذى الذى يسدى اليه يدا
ويكلم الناس ولم يكلم !

●●●●●

قد مسه المولى بتأديبه
أبدله المغنم بالمغرم !!
فراح يشكو ربه صارخا
فزاده من بطشه العارم !!

●●●●●

فالجا الى المولى ! تنل عطفه
والاثم والبغى : فلا تقدم !
وأساله غفرانا : تنل بره
وتلق كل الخير فى الخاتم !!

الدمع خلف الهدب يارب صلاة

الشاعرة روحية القلينى

يا رب وجهنى لما ترضاه
واسمع دعائى بعد كل صلاة

وقنى الهى شر نفسى أننى
عبد لهديك لا يضل خطاه

الدمع خلف الهدب دمع ذائب
لا يغفر الذنب الكبير سواه

يارب فى الاعماق لهفة عابد
تدعو اله الكون ان يرعاه
شغل الفؤاد بحب ربى وحده
لا يشغلن قلبى سوى نجواه
يرتاح قلبى حين أذكر خالقى
وتقر عينى من بهاء سناه
ويضوع بالايمان عطر وارف
يهب الحياة جماله وشذاه
فى الفجر أدعو بالدموع تبتلا
والله يسمع من صفا ودعاه
من لى سوى الرحمن قلبا حانيا
والدمع فى عينى تمسحه يداه
أرضى من الدنيا وما تأتى به
وعزاء نفسى فى الحياة رضاه
وأعف مهما ضاقت الدنيا وما
يوما سألت سوى كريم نداه
انا لن اذل لغيره فكرامتى
تأبى ومالى غيره اخشاه
انا عزة لا أنحنى الا له
انا قطرة من نبعه وعلاه
انا صنع عزته وجلت عزة
لا لن أذل انا لغير الله
هو خالقى هو مبدئى ومعيدنى
بعد الحياة لظله وحماه
ولخالقى أشكو وليس لغيره
فيريح هذا القلب من شكواه
وامام كل الناس أبسم دائما
وببسمتى أخفى جحيم آلاه
فمعى الاله بظله وحنانه
ماحاجتى للناس بعد الله

ماحرم المولى فليس يباح

الشاعر محمد صلاح عفيفى

يا أمة من شأنها الاصلاح
ماحرم المولى فليس يباح

ولئن أطعنا الله جل جلاله
تصفو النفوس وتطهر الارواح

●●●●●

يبكى الملاك ويضحك الشيطان
وعلى الموائد يجلس الندمان

ويدور كأس بينهم ورهان
تتولد الاحقاد والاضغان

تتبلد الاذهان والابدان
لا الدين يجمعهم ولا الاوطان

فى مجلس دارت به الاقداح

●●●●●

لا خير فى حان ووكر مقامره
وتعطلت أيد وضاعت ذاكره
وأتى الخراب على البيوت العامره

وسعى الشقاق الى القلوب النافره
والعار فى الدنيا وخزى الاخره

بئس البضاعة فالتجارة خاسره
شر البلية ميسر والراح

●●●●●

يا دولة الايمان يا خير الورى
ان الرذائل لا تباع وتشترى

ولقد رأيتم فى المدائن ماجرى
فطهروا نفسا وطيبوا مظهرا

لن نهتدى حتى نغير منكرا
يا من عرفتم للشريعة مصدرا
من قال حد الله فيه سماح

وقفة على الباب المقدس

الشاعر عبدالمنعم عبدالله القن

يارب ان تضق الحياة فان ساحك أرحب
واذا الانام تباعدوا وجفوا فانك أقرب
أنت الرحيم على العباد وليس أم او أب
أنت الجواد وبحر جودك زاخر لا ينضب
انت الكريم فما لرزقك طائع او مذنب
سيان فى فيض العطاء وان تناءى المذهب
أعطيت كل الخلق حتى ليس يحرم عقرب

•••••

انت العليم فلا تغيبك ذرة أو تعزب
ولديك للغيب الخفى مفاتح لا تقرب
أنت القدير فكل صنعك مبدع وتعجب
الكون يشهد أرضه وسماؤه والكوكب
وبحاره وطيوره وضياؤه والغيهب
هى سر الهامى وقفت أمامها أتعجب
تملى على من المعانى ما أصوغ وأكتب

•••••

يارب جئتك تائبا أهوى الوصول وأرغب
واليك أسرع علنى نحو الهدى أتقرب
لنعيمك الابدى من ذنبى أفر وأهرب
ووقفت بالباب المقدس والاله المطلب
انى قصدتك ليس لى غير الهداية مأرب
وطرقت بابك خاشعا ودموع قلبى تسكب
ومشاعرى ملتاعة وخواطرى تتهيب
هذا مقامك من أنا حتى اليه أقرب ؟!
ووقفت بالباب المقدس للهدى اترقب
وسهرت فى المحراب لا أغفو فحقك أوجب
أخشى عذابك يا اله وكيف بى لا أرهب ؟!
ورجعت مالى عن لقائك يا الهى مهرب
وأتيت ساحك لائذا وجوار ساحك طيب
فاذا رضيت فدعوتى مسموعة لا تحجب
وأرى الحياة يسيرة لى ما أريد وأطلب
واذا غضبت تضيق فى وجهى الحياة فأتعب
تغدو الحياة مريرة منها أعب وأشرب
تغدو جحيما لا يطاق أنا به أتقلب
وأرى الشقاء يحوطنى أنى أسير وأذهب
وأرى الهناء وانتى احيا اذا لاتغضب
فرضاك عنى جنة بل فى الحقيقة أطيب

الحب الالهى

الشاعر أحمد عثمان المراغى

انى أحب الله من وجدانى
حبا يدين له جميع كيانى
أحببته من أجله فهو الذى
بين الخلائق فى الورى أحيانى
أحببته لصفاته جل الذى
هو خالق . فرد عظيم الشان
أحببته لكماله .. سبحانه
من طينة مسنونة سوانى
أحببته لما ترآى نوره
فى مهجتى والى الرشاد هدانى
ربى عشقتك راحما بل مكرما
بل منعما . يا منبع الاحسان
وعشقت عفوك يا الهى انه
يا رب . فهو مصادر الغفران
آنست فيك البر . يا رب الورى
ولمست منك اجل كل حنان
فلكم عصيتك بالذنوب وانما
قد كنت تغفر دائما عصيانى
هذى تسابيحى وتلك مشاعرى
سجدت لرب الناس والالوان
واليك أرفع كل يوم .. توبتى
فى السر .. أرفعها وفى الاعلان
أرجوك فيها رحمة ياخالقى
من كل اهوائى ومن شيطانى
وطهارة من كل زيف عارض
كم زاد من جهلى ومن ادرانى
وتخلصا من كل قيد جاسم
قد غلنى بسلاسل البهتان
فاذا اتجهت الى الصلاح وجدته
بمفاتن نزوية .. أغرانى
واذا نظرت الى الوجود رأيته
يشكو اليك مظالم الانسان
والارض أسمعها يئن ترابها
ممن عليه دائما ويعانى
والحب ضاع فلم يعد من أهله
الا الاولى خذلوه بالنكران
ربى احبك من ضميرى مخلصا
فاجعل محبتك سنا ايمانى

الطب فى الإسلام

الطب الوقائى

بين الهدى النبوى

الدكتورة

ابتسام عبد الحليم

لانزال نؤكدان من واجبنا ان نؤدى ما فرضه علينا الاسلام فى ان نحمل لواءه وان نقوم بالتبشير له وذلك بالطريقة المثلى التى تتلاءم وروح العصر وذلك بشرح ما تحدث عنه اكبر واقدم استاذ نشأ فى هذا العالم لان ديننا هو الدين الشامل المعجز الذى انزل للبشرية جمعاء ولانه لا يتعارض مع العلم بل انه يؤازره ويفسره ويشرح ما غمض فيه مما بهر انظار علماء العالم وجعلهم يبحثون عن خالق هذا الكون - سبحانه وتعالى - وأن يعتنقوا دين الفطرة .

وقد قمت بمشيئة الله تعالى بشرح أحد أحاديث الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - فى العدد السادس من مجلة منبر الاسلام الغراء جمادى الآخرة سنة ١٣٩٦ هـ سنة ٣٤ فى قوله صلى الله عليه وسلم « لايبولن احدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل فيه » .

وبينا بالتفسير العلمى ان هذين العملين التبول والاستحمام فى مياه الترع والماء الدائم يتيح الفرصة لطفيل « بلهارسيا المجارى البولية » ليكمل دورة حياته وقد تحدثنا عن دورة حياة هذا الطفيل وعن التغيرات المرضية التى تحدث فى جسم المصاب من جراء اصابته بهذا المرض اللعين .

والذى ننشده فى هذا المقال هو شرح حديث آخر من احاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى قوله الكريم :

« اتقوا الملاعن الثلاث :
البراز فى الموارد « أى موارد المياه الراكدة »
وقارعة الطريق والظلال » .

ففى قوله اتقوا البراز فى الموارد نجد انه بذلك يمنع المياه من التلوث ببويضات الطفليات مثل « البلهارسيا المعوية - والهتروفيس والداى فيلوب - شريوم لاتم » والبلهارسيا المعوية أقل انتشارا من البلهارسيا البولية وتوجد فى مصر فى دلتا النيل ولاتوجد فى الوجه القبلى .

ويبلغ طول الذكر من طفيل البلهارسيا المعوية ٨مم فى ١ مم والانثى ١٤ مم فى ١٥ مم و ودورة حياة البلهارسيا المعوية هى أن كل من الذكر والانثى يعيش فى الاوعية الدموية الذاهبة الى الامعاء الغليظة ليضع البيض هناك وحجم بويضة البلهارسيا المعوية ١٥٠ فى ٦ ميكرون ولها شوكة جانبية وهى تحتوى على « الميراسيديم » فعند التبرز فى مياه الترع العذبة

ونظريات الطب الحديثة !

يحدث أن تفقس البويضة ويخرج « الميراسيديوم » الذى يتحرك بواسطه اهدابه واذا وجد القوقع المناسب فى ظرف ١٢ ـ ٢٤ ساعة « بيمفلايا الكسندرينا » فانه يخترقه ويتحول الى « السبوروسيست » ثم « السكاريا » التى قد تصادف جسم الانسان فتخرقه أو قد تخترق الغشاء المخاطى للقناة الهضمية فيما فوق المعده واذا شرب الانسان الماء الملوث .

ونتيجة لمعيشه الدودة البالغة فى الاوعية الدموية التى تغذى الامعاء الغليظة فان التغيرات المرضية تحدث فى الامعاء الغليظة فيحدث التقرحات والتليف وتكوين الحويصلات والزوائد كما قد يؤدى الى حدوث الاورام الخبيثه . كما قد تتكون البقع الرملية وهى تنشا من وجود البويضات تحت الغشاء المخاطى المبطن للامعاء . وطبيعة معيشه الطفيل فى الوريد البابى تعطى الفرصة للبويضة التى تترك مكانها ان تذهب الى الكبد وان تؤدى الى تضخم كل ممن الكبد والطحال وهذه هى اهم المضاعفات الشائعة من البلهارسيا المعوية .

الاعراض والمشاهدات :

فنجد حدوث دوسنتاريا البلهارسيا .

وتتكون حويصلات فى الامعاء الغليظة وفى المستقيم كما قد يحدث السقوط الشرجى وتتكون الجيوب الشراسير .

تضخم الكبد والطحال :

وهى أهم وأخطر مضاعفات « البلهارسيا المعوية » وهو شائع جدا بصفة خاصة فى المزارعين فى مصر السفلى « دلتا النيل » .

فيحدث أول ما يحدث تكوين الالياف حول القنوات البابية بالكبد واخيرا يحدث اتلاف لخلايا الكبد .

وينتج من جراء تليف الكبد ارتفاع فى ضغط دم الوريد البابى وتضخم بالطحال .

وينتج عن ارتفاع ضغط دم الوريد البابى ما يأتى :

أولا : يحدث تضخم بالطحال وذلك نتيجة لزيادة الضغط على الوريد الذى يغذى الطحال .

ثانيا : يحدث احتقان بالقناة الهضمية وذلك كنتيجة لزيادة الضغط على الوريد الذى يغذى القناة الهضمية « الوريد المساريقى » .

وهذا يؤدى الى حدوث نزيف من القناة الهضمية وبصفة خاصة من الاوردة التى توجد فى الجزء السفلى من المرىء ومن المعدة او من البواسير الثانوية .

كما يؤدى الاحتقان أيضا الى فقدان الشهية والى نقصان وزن الجسم والى الضعف العام .

ثالثا : يؤدى الى حدوث فقر الدم وذلك من النزيف وسوء التغذية وتضخم الطحال فيزيد من تكسير خلايا

الدم بالطحال ونقص عدد كريات الدم البيضاء والى نقص الصفائح الدموية .

رابعا : زيادة تكوين الاتحادات الجانبية للاوعية الدموية بين الدورة البابية والدورة العامة .

ا ـ بين اسفل المرىء وبين منطقة الفؤاد بالمعدة .

ب ـ بين الاوعية الدموية بأسفل المستقيم وبين الشرج مما يؤدى الى حدوث البواسير .

خامسا : حدوث الاستسقاء

ومعناه تجمع السوائل فى الفراغ البيرتونى واهم اسبابه ما يأتى :

ا ـ قلة نسبة البروتين فى الدم مما ينتج عنه انخفاض للضغط الاسموزى للبلازما .

ب ـ تكوين الالياف بالكبد ينشأ عنه انسداد بالاوعية اللمفاوية وترشيح السوائل الى الفراغ البريتونى .

ج ـ فشل الكبد فى تكسير هرمون « الانثى ديوريتك » الذى يفرز بواسطة الفص الخلفى من « الغدة النخاميه » ويعمل على عدم ادرار البول . مما يؤدى الى تجمع الماء بالجسم .

د ـ نقص ارتشاح الماء والاملاح فى الكلى . وعندما يحدث الاستسقاء بجسم المريض فانه يموت فى خلال سنتين

وسبب تضخم الكبد ا ـ وجود الدودة البالغة فى الكبد حيث أن معيشتها فى الكبد .

ب ـ وجود بويضات البلهارسيا فى الكبد حيث انها قد ترجع من الامعاء مع الدورة البابية .

اما زيادة حجم الطحال فيحدث من جراء ارتفاع الضغط فى الوريد البابى ..

كما توجد البويضات او الدودة البالغة فى الطحال .

مراحل تضخم الكبد والطحال :

المرحلة الاولى : مرحلة تضخم الكبد ويكون به فقر دم نتيجة النزيف ويزيد عدد « الاوزينفيل » من الكريات الدموية البيضاء .

علاج المرحلة الاولى : علاج البلهارسيا ـ علاج فقر الدم ـ منع العدوى مرة أخرى

المرحلة الثانية : مرحلة تضخم الكبد والطحال نجد أن كلا من الكبد والطحال يكبر فى الحجم كما يحدث فقر الدم ونقص كريات الدم البيضاء ونقص الصفائح الدموية . ارتفاع طفيف فى ضغط دم الوريد البابى ـ انخفاض وظائف الكبد .

علاج المرحلة الثانية : ١ ـ علاج البلهارسيا

٢ ـ استئصال الطحال : فائدة الاستئصال : لتصليح صورة الدم السيئة .

ب ـ انقاص ثلث حجم الدورة البابية ولذلك يخفض ضغط الدم الوريدى

ج ـ لخلق التصاقات بين منديل البطن وما حول الطحال

د ـ ازالة عضو ثقيل من شأنه العمل على وجود ألم من الشد ومن الضغط .

المرحلة الثالثة : مرحلة تليف الكبد

نجد نقصان حجم الكبد نتيجة لتليفه كما يزيد حجم الطحال ويتكون التصاقات حول الطحال من جراء الالتهاب فقر الدم الشديد ونقص عدد كريات الدم البيضاء ونقص عدد الصفائح الدموية وزيادة ضغط دم الوريد البابى ونقص فى وظائف الكبد .

العلاج : غذاء لا يؤثر فى الكبد به قليل من الدهون والبروتينات وزيادة فى الكرباهيدرات وحقن الجلوكوز لوقايه الكبد . اجراء عمليات من شأنها انقاص فى الضغط البابى

المرحلة الرابعة : مرحلة الاستسقاء

نقص حجم الكبد ـ صورة الدم سيئة للغاية ـ زيادة تجمع السوائل فى الفراغ البريتونى .

العلاج : كما فى المرحلة الثالثة ولكن النتيجة سيئة . وعلاج الاستسقاء

المرحلة الخامسة : مرحلة فشل الكبد . نجد حدوث اليرقان والغيبوبه كما قد يفشل الكلى ويحدث عدم افراز البول وان يموت المريض فى ايام قليلة . بعد هذا الشرح المستفيض لما يحدث من جراء اصابة المريض بالبلهارسيا المعوية ندعو الله أن يسدد خطانا وان يوفقنا الى ما فيه الخير .

شخصيات إسلامية

الأستاذ توفيق أبو علم

احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام عن الامام علي – وبخاصة في فضله ومحبته – كثيرة ومتواترة، وعن الصديق رضى الله عنه في حديثه المشهور الذى سمى حديث الخيمة قال : رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم خيم خيمة وهو يتكىء على قوس عربية ، وفى الخيمة على وفاطمة والحسن والحسين ، فقال : يامعشر المسلمين ، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة ، حرب لمن حاربهم ، ولى لمن والاهم . لا يحبهم الا سعيد الجد طيب المولد ، ولا يبغضهم الا شقى الجد ردىء الولادة » .

في سبق اسلام على كرم الله وجهه :

بينت فيما سبق بما لا يدع مجالا للشك ان الامام أول من أسلم ، فتقدمه فى الاسلام من الامور الواضحة لمن رجع الى السنة النبوية والى أقوال الصحابة .

روى الترمذى بسنده عن أنس بن مالك : قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، يوم الاثنين وصلى يوم الثلاثاء . وعن أبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **صليت أنا أول يوم الاثنين، وصلت خديجة آخر يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء من الغد ، وصلينا مستخفين قبل أن يصلى معنا أحد سبع سنين وأشهرا** » .

وعن عمرو بن ميمون عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أول من أسلم من الناس بعد خديجة على بن أبى طالب ، ويقول أحد الشعراء فى صفين :

انت الامام الذى نرجو بطاعته
يوم النشور من الرحمن غفرانا
اوضحت من ديننا ما كان مشتبها
جزاك ربك منا فيه احسانا
نفسى الفداء لاولى الناس كلهم
بعد النبى على الخير مولانا
أخى النبى ومولى المؤمنين معا
وأولى الناس تصديقا وايمانا

وابن الغازلى بسنده عن عبد الرحمن مولى أبى أيوب الانصارى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **صلت الملائكة على وعلى على سبع سنين ، وذلك أنه لم يصل معى أحد غيره** . وعن سلمان موفق بن احمد الثعلبى بسنده عن عفيف الكندى ، قال : كنت تاجرا فقدمت مكة ايام الحج فنزلت فى دار العباس بن عبد المطلب، فبينما أنا والعباس اذ جاء رجل شاب استقبل الكعبة ، وجاءه غلام فقام عن يمينه ، وجاءت امرأة فقامت خلفه، فركعوا وسجدوا ، ثم رفعوا رؤوسهم فقلت : ياعباس أمر عظيم ، فقال : أمر عظيم ، هذا محمد ابن أخى يقول ان الله بعثه رسولا وان كنوز كسرى وقيصر ستفتح على يدى من آمن به ، وهذه زوجته خديجة بنت خويلد ، وهذا الغلام ابن أخى على بن أبى طالب ، وعن ابن مسعود قال أول شىء علمته من أمر النبى صلى الله عليه وسلم أنى قدمت من مكة فنزلت دار العباس بن عبد المطلب ، فبينما نحن عنده اذ أقبل رجل من باب الصفا ، ومعه صبى وامرأة فاستلم الحجر تم استلمه الغلام ثم المرأة ، ثم طافوا بالبيت سبعا ، فقلنا ياعباس ان هذا الدين لم نعرفه فيكم قال هذا ابن أخى محمد ، والمرأة زوجته خديجة بنت خويلد والغلام على بن أبى طالب . ما على وجه الارض أحد يعبد الله بهذا الدين الا هؤلاء الثلاثة .

النظر الى وجه الامام عبادة :

عن أبى سعيد الخدرى ، عن عمران بن حصين قال : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النظرة الى على عبادة** . وقال ابن الاثير فى النهاية فى حديث عمران بن حصين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **النظر الى وجه على عبادة** . وقيل معناه أن عليا كان اذا برز قال الناس لا اله الا الله ما أشرف هذا الفتى ، لا اله الا الله ما اعلم هذا الفتى ، لا اله الا الله ما أكرم هذا الفتى ، أى ما أتقى ، لا اله الا الله ما أشجع هذا الفتى ، فكانت رؤيته تحملهم على كلمة التوحيد .

فصاحته ودرايته :

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف : **ياعبد الرحمن ، أنتم أصحابى ، وعلى بن أبى طالب منى وأنا من على ، فمن قاسه بغيره فقد جفانى ، ومن جفانى اذانى ومن آذانى فعليه لعنة ربى ، ياعبد الرحمن ان الله أنزل على كتابا مبينا ، وأمرنى أن أبين للناس ما نزل اليهم ما خلا على بن أبى طالب فانه لم يحتج الى بيان لان الله تعالى جعل فصاحته ودرايته كدرايتى ، ولو كان الحلم رجلا لكان عليا ، ولو كان العقل رجلا لكان حسنا ، ولو كان السخاء رجلا لكان حسينا ، ولو كان الحسن شخصا لكان فاطمة بل هى أعظم ، ان فاطمة ابنتى خير أهل الارض عنصرا وشرفا وكرما** .

وذكر اليعقوبى فى الجزء الثانى من تاريخه ان النبى خرج ليلا بعد رجوعه من حجة الوداع منصرفا الى المدينة ، فصار الى موضع بالقرب من الجحفة يقال له : « غدير خم » لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ، وقام خطيبا ، واخذ بيد

على بن أبى طالب وقال : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » . وجاء فى التفسير الكبير للامام فخر الدين الرازى أن عمر بن الخطاب لقى عليا بعد ذلك فقال له : « هنيئا لك يابن أبى طالب ، أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة » ، وذكر أبو تمام الطائى هذا اليوم فى قصيدة قال فيها :

ويوم الدوح دوح غدير خم
ابان له الولاية لو اطيعا
ولم ار مثل ذاك اليوم يوما
ولم أر مثله حقا اضيعا

قال الرسول : ان الامام عليا أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وامام المتقين وقائد الغر المحجلين . روى أبو نعيم الاصفهانى فى حليه الاولياء بسنده ، عن أنس فى حديث ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أنس ، أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين .. » ، قال أنس : قلت : اللهم اجعله رجلا من الانصار ، وكتمته ، اذ جاء على ، فقال : من هذا يا أنس ؟ فقلت : على ، فقام مستبشرا فاعتنقه ، ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ، ويمسح عرق على بوجهه ، قال على : يارسول الله ، لقد رايتك صنعت شيئا ماصنعت بى من قبل ، قال : وما يمنعنى ، وانت تؤدى عنى وتسمعهم صوتى ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدى ؟

وروى الحاكم فى المستدرك ، وصححه بسنده عن أسعد بن زرارة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوحى الى فى على ثلاث : أنه سيد المسلمين ، وامام المتقين ، وقائد الغر المحجلين » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلق عليه سيد العرب . وعن السيدة عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادعوا لى سيد العرب ، فقلت : يارسول الله ، ألست سيد العرب ؟ قال : « أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب » .

وعن جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ باصبع على بن أبى طالب ، وهو يقول : « هذا أمير البررة ، قاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله » .

النبى كان يشعر بنوع من الاخاء للامام على :

لا يختلف الرواة والمحدثون أن النبى صلى الله عليه وسلم طالما ردد هذه العبارة وهو ينظر الى على : « هذا أخى » ، وجاء فى الحديث عن أبى هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى محفل من أصحابه : « ان تنظروا الى آدم فى علمه ، ونوح فى همه ، وابراهيم فى خلقه ، وموسى فى مناجاته ، وعيسى فى سنه ، ومحمد فى هديه وعلمه ، فانظروا الى هذا المقبل » ، فتطاول الناس بأعناقهم ، فاذا هو على بن أبى طالب . وعن ابى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : « حبك ايمان ، وبغضك نفاق ، وأول من يدخل الجنة محبك ، وأول من يدخل النار مبغضك » . واخرج الترمذى عن ابن عمر قال : آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، فجاء على تدمع عيناه ، فقال : يارسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين احد ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أنت أخى فى الدنيا والاخرة » . وفى رواية أخرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « أنت اخى وصاحبى » ، ويقول ابن عباس فى ذلك : « لعلى أربع خصال ليست لاحد غيره . هو أول عربى وعجمى صلى مع رسول الله ، وهو الذى كان لواؤه معه فى كل زحف ، وهو الذى صبر معه يوم فر منه غيره ، وهو الذى غسله وأدخله قبره » . وهذه الخصال والمزايا هى التى تفرض له هذه المكانة فيختاره النبى صلى الله عليه وسلم صاحبا وأخا .

ومهما يختلف الرواة فى تأويل الاحاديث التى ذكرناها فالذى يسعك أن تخرج من وراء اختلافهم أن عليا كان احب الناس الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ان لم يكن أحبهم اليه على الاطلاق . لقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يغمر بالحب كل من أحاط به من الغرباء والاقربين ، فأى عجب أن يخص بالحب من بينهم انسانا كان ابن عمه الذى كفله وحماه ، وكان ربيبه الذى أوشك أن تبناه ، وكان زوج ابنته العزيزة عنده ، وكان بديله فى الفراش ليلة الهجرة التى هم المشركون فيها بقتل من يبيت فى فراشه ، وكان نصيره الذى أبلى أحسن البلاء فى جميع غزواته ، وتلميذه الذى علم من فقه الدين ما لم يعلمه ناشىء فى سنه .

حب النبى صلى الله عليه وسلم للامام حقيقة لا حاجة بها الى تأويل الرواة ، ولا الى تفسير النصوص ، لانها حقيقة طبيعية او حقيقة بديهية قائمة من وراء كل خلاف ومما لا خلاف فيه كذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يكتفى بحبه اياه ، بل كان يسره ويرضيه أن يحببه الى الناس ، وكان يسوؤه ويغضبه أن يسمع من يكرهه ويجفوه .

بعث الرسول عليه الصلاة والسلام الامام فى سرية ليقبض الخمس فاصطفى منه سبية ، واتفق أربعة من شهود السرية أن يبلغوا ذلك رسول الله ، وكان المسلمون اذا قدموا من سفر بدءوا بالرسول عليه الصلاة والسلام فسلموا وأبلغوه عندهم ، ثم انصرفوا الى رحالهم ، فقال احد الاربعة ، فحدث الرسول ما رأى ، فاعرض عنه ، وظن أصحابه أنه لم يسمعه ، فتناوبوا الحديث واحدا بعد واحد فى معنى كلامه ، فلما فرغ الرابع من حديثه أقبل عليه رسول الله وقد تغير وجهه ، فقال : « ما تريدون من على ؟ ما تريدون من على ؟ على منى وأنا منه ، وهو ولى كل مؤمن بعدى » .

وقال لاحدهم فى روايات أخرى : اتبغض عليا ؟ قال : نعم ، قال : لا تبغضه ، فان له الخمس اكثر من ذلك ، أى أكثر من السبية التى اصطفاها ... لا تبغضه وان كنت تحبه فازدد له حبا .

وبعث رسول الله الامام الى اليمن فسأله جماعة من اتباعه ان يركبهم ابل الصدقة ليريحوا ابلهم ، فأبى ، فشكوه الى رسول الله بعد رجعتهم ، وتولى شكايته سعد بن مالك الشهيد ، فقال يا رسول الله ، لقينا من على من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق ... ومضى يعدد ما لقيه ، حتى اذا كان فى وسط كلامه ضرب رسول الله على فخذه وهتف به : « ياسعد بن مالك بن الشهيد ، بعض قولك لاخيك على ، فوالله لقد علمت انه جيش فى سبيل الله » . وشكا بعض الناس مثل هذه الشكوى فقام رسول الله فيهم خطيبا يقول لهم : « أيها الناس لا تشكو عليا ، فوالله انه لجيش فى ذات الله » .

ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يحب عليا ويحببه الى الناس .

سئلت السيدة عائشة : « أى الناس أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : فاطمة ، فقيل من الرجال ، قالت زوجها ، ان كان ما علمت صواما قواما » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على فجاء ، فقال له : « أنت سيد فى الدنيا وسيد فى الاخرة ، من أحبك فقد أحبنى »

البقية ص ١٧٨

١ = ٣

وهذا صحيح

ولأول مرة فى تاريخ التأمين

مبالغ التأمين الأساسية

المستثمرة تتضاعف إلى أكثر من

ثلاثة أضعافها

هذا هو أكبر استثمار تأمينى

توفره لك

الوثيقة

الماسية

شركة التأمين الأهلية المصرية

القاهرة: ص.ب ٥٨٠ – الإسكندرية: ص.ب ٤٤٦

الإسم ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

العنوان ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

ضماد بن ثعلبة الأزدى

الأستاذ عبد المنعم حسن الأدفوى

الصداقة بين الناس نادرة لانها عطاء قبل ان تكون أخذا وطبيعة البشر الاخذ فى الاغلب الاعم . ولن يصفو للانسان من الزمان الا القليل ، ولربما كان هذا القليل لا يتعدى فردا واحدا ، فاذا كان فكن به واحرص عليه فنعم ذاك الواحد .

والصداقة بين اثنين على اى حال يتقاسم بناءها عامل او اكثر كالتقائهما فى الشجاعة والامانة والمروءة والصدق وذلك بالاضافة الى الانسجام النفسى والروحى والعاطفى .

ومما لا شك فيه أن صداقة ضماد للنبى عليه الصلاة والسلام ، قبل الاسلام قامت على التجاوب بين ما أعطى من خلفيات فاضلة وشمائل حلوة بين ما أعطى الرسول منها وهو كثير ومتنوع ومتسام بالقياس الى ما أعطى لسائر البشر .

فقد كان الرجل محبا للعلم تواقا الى المعرفة ينهل من ينابيعها الرقراقة الصافية العذبة ، وهذه كلها خلقت منه انسانا يتطلع الى معالى الامور وينأى بنفسه عن خسيسها ويتسامى فوق مباذلها ونقائضها .. هو انسان ينشد الكمال وتهفو مشاعره اليه ، ويسعى الى تحقيقه فى ذاته ، وقد تحقق له من ذلك ما اراد .

يقول ابن الاثير فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة ضماد بن ثعلبة من أزد شنوءة ، كان صديقا للنبى صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية ، وكان رجلا يتطبب ويرقى أى يتخذ الطب والرقى حرفة له ، ويطلب العلم ، ولامر ما اراده الله أن تكون هذه الحرفة سبيله الى الاسلام فى مفتتح الدعوة ولله فى خلقه شئون .

نعم كانت هذه الحرفة التى قادته الى الاسلام كيف به : سمع سفهاء من أهل مكة يقولون : ان محمدا مجنون ، فقال لو رأيت هذا الرجل ، لعل الله أن يشفيه على يدى ، فلقيه فقال : يا محمد انى أرقى من هذه الريح - وان الله يشفى على يدى من شاء - تأمل .. انه يعتقد أن الشافى هو الله تبارك وتعالى - فهل لك - فقال النبى صلى الله عليه وسلم .. ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، من يهد الله فلا مضل له : ومن يضلل فما له من هاد .. واشهد الا اله الا الله وحده لا شريك له .. وان محمدا عبده ورسوله .. اما بعد .

فقال ضماد : أعد على كلماتك هؤلاء فأعادهن النبى عليه الصلاة والسلام ، فقال والله قد سمعت قول الكهنة وسمعت قول السحرة ، وسمعت قول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات .. والله لقد بلغت قاموس البحر رأى وسطه ولجته - ، فمد يدك أبايعك على الاسلام ، فمد النبى صلى الله عليه وسلم يده فبايعه ، فقال عليه السلام وعلى قومك ، فقال : وعلى قومى .

ولهذا كان اسلام ضماد خيرا وبركة على قومه فى الدنيا والاخرة .. فى الدنيا تكريم انسانيتهم وذاتيتهم واموالهم وتقديسها وفى الاخرة ثواب الله .

فقد بعث رسول الله اليهم سرية مرت عليهم فقال قائد السرية لجيشه هل أصبتم من هؤلاء قوم ضماد شيئا ! .. أعزم أى أمر أى رجل أصاب شيئا من أهل هذه الارض الا رده ، فقال رجل من جيش المسلمين أصبت مطهرا - اناء يتطهر به - فقال أرددهن ان هؤلاء قوم فما لبن ثعلب الازدى ..

وهكذا يكون الايمان نعمة على أوليائه حيث يفتح الله تبارك وتعالى عليهم بركات من السماء والارض .

ويروى ابن سعد فى الطبقات الكبرى كيف أسلم ضماد .. روى عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم رجل من أزد شنوءة يقال له ضماد ، مكة معتمرا فسمع كفار قريش يقولون محمد مجنون ، فقال لو أتيت هذا الرجل فداويته ، فجاءه فقال له يا محمد انى أداوى من الريح ، فان شئت داويتك ، لعل الله ينفعك ، فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمد الله وتكلم بكلمات فأعجب ذلك ضمادا فقال أعدها على فأعادها عليه ، فقال لم أسمع مثل هذا الكلام قط .. لقد سمعت كلام الكهنة والسحرة والشعراء ، فما سمعت مثل هذا قط ، لقد بلغت قاموس البحر أى قصره فأسلم وشهد شهادة الحق وبايعه على نفسه وقومه .

فخرج على بن أبى طالب بعد ذلك فى سرية الى اليمن فأصابوا اداوة مطهرة - فقال على ردوها فانها اداوة قوم ضماد ويقال بل أصابوا عشرين بعيرا بموضع فاستوفوها ، فبلغ عليا انها لقوم ضماد فقال ردوها اليهم فردت اليهم ..

ان مسارعة ضماد الى الاستجابة لله ولرسوله بمجرد ان تلاعليهالرسول كلمات التوحيد ، ليست مقصورة عليه ، وانما هى سمة العرب فى هذا الشان ، لان طبيعة حياتهم القاسية القاحلة الجرداء ، واعتمادهم فيها على الغيث والمطر وتكوينهم الاجتماعى القائم على العصبية ، والاقتصادى القائم على المرعى والاثار التى ترتبت على ذلك من دقة احساسهم وشعورهم الذى فجر فى وجدانهم ينابيع الشعر ، كل ذلك ساهم مساهمة ايجابية فى قبول الدعوة لانها تحمل مبادىء عالية وشريفة وقيما عظيمة تلتقى مع امالهم .

يقول المرحوم عبد الرحمن عزام الامين العام السابق لجامعة الدول العربية فى مؤلفه القيم « الرسالة الخالدة » : كان الرجل يأتى من اقصى البادية فيجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتلقى دعوته فيقوم من بين يديه ، وهو أعلم بها ممن درجوا اليوم فى احضان الاسلام ، ونشأوا فى بيوت الدين ، وليس ذلك لميزات الرسول صلى الله عليه وسلم وبركته وتاثير شخصيته فحسب ، ولا لان هؤلاء الاعراب كانوا يختلفون عن ابنائهم عرب اليوم وانما كان ذلك لان الدعوة بسيطة مركزة فى مبادىء عامة ومفهومة للكافة ، سهلة ، تلقى اليهم ، ليعملوا بها ويسيروا على نهجها وينسجوا على منوالها ، لا ليتحدثوا عنها ، ثم يشتغلوا بالقشور اذا نسوا الله فانساهم انفسهم ، ورضوا بالظاهر ففقدوا اللب والجوهر .

ولا غرابة فى ذلك فان مخلوقات الله كلها من جماد وحيوان ونبات وانسان خاضعة بجبروته وسلطانه ، يتصرف فيها كما يريد .

فهو سبحانه يزيد الذين اهتدوا هدى ويزيد الذين آمنوا ايمانا على ايمانهم .. انه لا يهدى الا المستعد للهدى ولا يضل الا المستعد للضلال .

وهو سبحانه يحيى الارض القابلة للنماء دون الخبيثة ، وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت ، فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون .. والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا ، كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون .

بقية مقال « الامام على بن أبى طالب »

وحبيبك حبيبى ، وحبيبى حبيب الله ، وعدوك عدوى ، وعدوى عدو الله ، طوبى لمن احبك والويل لمن ابغضك » .

وعن عمار بن ياسر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ياعلى ، طوبى لمن احبك وصدق فيك ، والويل لمن ابغضك وكذب فيك » .

وعن انس بن مالك قال : « والله الذى لا اله الا هو لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : عنوان صحيفة المؤمن من حب على بن أبى طالب » .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو اجتمع الناس على حب على بن أبى طالب لما خلق الله عز وجل النار » .

وعن ابى رافع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شان على : « من ابغضه فقد ابغضنى ، ومن ابغضنى فقد ابغض الله ، ومن احبه فقد احبنى ، ومن احبنى فقد احب الله » .

ويقول الامام عليه السلام : « مرضت فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل وانا مضطجع ، فاتى الى جنبى ، فسجانى بثوبه ، فلما رانى قد ضعفت قام الى المسجد يصلى ، فلما قضى صلاته جاء فرفع الثوب عنى ثم قال : قم يا على ، فقد برئت ، فقمت فكانى ما اشتكيت فقال ما سالت ربى شيئا الا اعطانى وما سالت الله شيئا الا سالت لك » . وهذا الحديث يبين لنا منتهى العطف وقصارى الحب .

الرسول كان يهتم بتدريب الامام وكفالته :

كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب عليا كما رايت حبا عظيما ، وكما ذكرت كان احب الناس اليه ،

ويقول الاستاذ العقاد : انه كان يمهد له سبيل الخلافة فى وقت من الاوقات ولكن على أن تختاره الناس طواعية وحبا ، لا أن يكون اختياره حقا من حقوق العصبية الهاشمية ، فانه عليه السلام قد اتقى هذه العصبية جهد اتقائه ولم يحذر من خطر على الدين اشد من حذره أن يحسبه الناس سبيلا الى الملك والدولة فى بنى هاشم ، وقد حرم نفسه الشريفة حظوظ الدنيا ، واقصى معظم بنى هاشم عن الولاية والعمالة ، لينفى هذه الظنة ، ويدع بالراى والمشيئة ، فالتزم فى التمهيد الحكم للناس يختارون من يرضونه له للامام وسائل ملموحة لا تتعدى التدريب والكفالة ، فارسله فى سرية الى فدك لغزو قبيلة بنى سعد اليهودية ، وارسله الى اليمن للدعوة الى الاسلام ، وارسله الى منى ليقرأ على الناس سورة براءة ويبين لهم حكم الدين فى حج المشركين وزيارة بيت الله ، واقامة على المدينةحين خرج المسلمون الى غزوة تبوك .

يتبع ..

السيدة نفيسة

رضى الله عنها

هى بنت الامام الحسن الانور ابن الامام زيد الابلج ابن الامام الحسن المجتبى بن على بن ابى طالب رضى الله عنه من زوجته الزهراء البتول فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم .

الأستاذ سالم عرفات سالم

ولدت رضى الله عنها فى مكة بعد مائة وخمسة واربعين عاما من هجرة الرسول عليه السلام وكانت صورة رائعة من صور السعى وراء الخير ومنفعة الناس . وعاشت حياتها عبادة مستمرة وزهد مـــواصل ، فحفظت القرآن الكريم واقبلت على تفهم تفسيره كما اورده ائمة ذلك العصر من اعلام المجتهدين الصادقين .

وقد اقبلت على احاديث جدها الرسول صلى الله عليه وسلم فراحت تستوعبها بقلب مشرق وايمان عميق . فكانت أول عابدة تقية حملت مشعل النور ، وأول من شق طريق الخلوص وحب الذات بين النساء المسلمات ، فضلا عن انها كانت مثلا احتذاه أهل الايمان فى الحب الالهى والزهد الصادق .

لقد أحبت السيدة نفيسة رضى الله عنها الذات القادرة على علم وخبرة ومعرفة ، وأخلصت فى حبها لربها عن خشوع وثقة وايمان وخضوع بما أمر به الله سبحانه وتعالى . وبعدت عما نهى عنه ، فزهدت الدنيا وجعلت من حياتها مرحلة تزود للآخرة بالعمل الطيب المثمر ، وحصنت حياتهـــا بسياج الدين لتحمى روحها المبرأة من الامور الدنيوية .

ولما بلغت السيدة نفيسة رضى الله عنها مبلغ الشابات تقدم لخطبتها أحد أبناء عمومتها أسحق المؤتمن بن الامام جعفر الصادق ، بن الامام محمد الباقر ، ابن الامام السجاد على زين العابدين بن الامام الشهيد الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنه ، فرضيته زوجا ، وقبلـــه أبوها صهرا ، وزفت اليه .

وعاشت السيدة نفيسة رضى الله عنها فى مكة ، ثم فى مدينة رسول الله ، وكانت دارها موئل العلماء ورجال الدين ، ممن راعهم علمها ودقتها فى تقصى الحديث ، حتى اطلق عليها ، نفيسة العلم والمعرفة ، لانها كانت راوية صدق ، ومحدثة علم غزير .

ولما حضرت السيدة نفيسة رضى الله عنها الى مصر ، استقرت فى القاهره وعاشت فى دار متواضعة . فى الحى الذى يوجد بها مشهدها حتى اليوم . بل فى مكان هذا المشهد بالذات ، وكانت حياتها حياة النسك والتعبد والخلوص الروحى . ومن أقوالها التى تؤيد افعالها : « حذارمن الغرور فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تحفه الصحابة بالوان من التعظيم والتكريم ، يمرغ خديه فى التراب » .

وكانت تتحدث عن الرســـول صلى الله عليه وسلم فتقول : **« لا يكمل حب المسلم لرسول الله الا بمتابعته فى جميع أعماله وأقواله ، ولا تمجيد لذكراه كالعمل على مرضاته باتباع سنته ، وترديد الذكريات المجيدة لحياته .**

وكانت السيدة نفيسة رضى الله عنها من اهل الزهد والتصــوف ، كثيرة الندم والاستغفار ، كثيــرة البكاء تقوم الليل عابدة متهجدة تصوم النهار لتعصم روحها من المحارم ، ومن الاقبال على ملذات الحياة الدنيا ولو كانت من شراب وطعام .

ولقد عرف عن السيدة نفيسة رضى الله عنها أنها كانت تواصل الصوم ، وكانت لا تاكل الا وجبة واحدة كل ثلاثة أيام من يد زوجها فقط ومن أقوالها فى ذلك :

« لا مناص من الشوك فى طريق السعادة فمن تخطاه وصل » .

وادت السيدة نفيسة شعائر الحج ثلاثين مرة . وكانت كلما جاءت الى ساحة المسجد الحــرام ، وراحت تطوف بالبيت العتيق تزايد بكاؤها ، واقبلت على استار الكعبة تتعلق بها وهى تردد فى ضراعة واخلاص

الهى وسيدى ومولاى متعنى وضعف فرحتى برضاك عنى » .

كانت السيدة نفيسة رضى الله عنها آية فى الاخلاص والعلم والمعرفة . وكان من اهم الشخصيات الاسلامية التى أكثرت التردد عليها فى تلك الدار الامام الاكبر القطب محمد بن ادريس الشافعى المطلبى ، وكانت تستقبله من وراء حجاب ، وتناقشــه كثيرا فى الفقه واصول العبادة . وكان اذا حان وقت الصلاة ، قاما سويا لادائها وصلى بها الشافعى أماما مــرات ومرات . ولم ينقطع عن تلك الزيارات الا يوم اختاره الله الى جواره .

ولقد روى فيما روى من اخبار تلك العابدة المؤمنة أنها عاصرت حكم أحمد بن طولون فى مصر . وبلغها عسفه وجوره بالرعية ، وانزاله الظلم بهم فى بعض الاحيان ، فعز عليها ذلك وقدمت اليــه مظلمة كتبتهـــا بيدها ، ونادته بأسمه فــاستجاب لها ، وكان أن بر بوعده لها ، ولم يظلم بعد ذلك أحدا من رعاياه وسار فى الناس سيرة العدل والاحسان .

وطال بقاء السيدة نفيسة فى مصر ، ومرت بها السنون التى يحددها بعض الرواة بسبع سنوات فقط ، ثم اخذ الوهن يدب فى جسدها ، وأصابها المرض ، ولما أحست السيدة العابدة نفيسة رضى الله عنها بنهاية الاجل أسرعت الى ذكر ربها وخلا لها أن تقرأ سورة الانعام ، وراحت فى ضراعة وأيمان صادق تقرأ اياتها حتى وصلت الى قوله جل وتعالى :

« لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » . عندئذ أختارها الله الى جواره ولفظت انفاسها الاخيرة ، وكان ذلك عام ٢٠٨ هجرية عن ثلاث وستين عــاما قضتها فى طلب العمل والتعمق فى معــرفة أسرار العبــادة ، ودفنت السيدة نفيسة رضى الله عنهـــا فى قبرها الحالى بمدينة القاهرة ، وبكتها العيون ، وحــزن النــاس لموتها أجمعون .

فارس الأولياء

السيد أحمد البدوى

رضى الله عنه

الاولياء يقرون بالفتوة لسيدى احمد البدوى ، وقد لقب بابى الفتيان لانه اوتى خصائل الفتوة الروحية جمعاء . ويصفه لذلك بعض مريديه بانه فارس الاولياء . وقد روى الامام الشعرانى عن امام الاولياء فى عصره السيد ابراهيم المتبولى المتوفى سنة ٨٨٨ هـ انه كان يقول :اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبين سيدى احمد البدوى رضى الله عنه ، وقال قد اخيت بينك وبين رجل ما فى الاولياء اكبر فتوة منه .

الأستاذ أنور طلب

وقد تناولت منظومة اهل البيت والصالحين بدلائل الخيرات هذا الوصف لسيدى احمد البدوى بقولها :

يالسيد البدوى باب المصطفى
بحر الفتوة والمكارم والندى

ومن قصيدة لمربى السالكين العارف الكبير محمد النشابى بعنوان النسمة المحمدية فى النسبة الاحمدية جاء بها :

هو احمد البدوى ساكن طندتا طنطا
هذا ابو الاقطاب والفتيان

كما عرف سيدى احمد البدوى بأبى فراج ، وهى كنية اشتهر بها وانفرد بها وحده تدل على اختصاصه بمزية اقتضت هذا الانفراد .

ولقب « أبو فراج » من أشهر القاب سيدى احمد البدوى ، حتى أن سلسلة نسبه المنقوشة على مقصورةضريحه بمسجده بطنطا مسبوقة بها اللقب . وجدير بالاشارة أن السيد البدوى ينتهى فى نسبه الى سيدنا الحسين رضى الله عنه . ولذلك عرف عن سيدى احمد البدوى اعتزازه بأن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن الابيات التى تناولت هذا الوصف لسيدى احمد البدوى فى القصيدة السابقة :

هذا ابو الفرحات والنفحات
واللحظات والحسنات للظمآن

هذا الذى ياتى الشدائد بالفرج
كم قلد المكروب بالاحسان

ولم يكن اعتقاد الناس فى سيدى أحمد البدوى قاصرا على عامة الناس أو بعضهم دون بعض ، بل ان ذلك قد شمل المحكومين والحكام على حد سواء على ممر العصور . وذلك لان مشروعية الاستشفاع بالصالحين وجعلهم وسيلة الى الله تعالى ثابتة . وقد جاء بدائرة المعارف الاسلامية النسخة المعربة المجلد الاول حرف الالف ، يقال ان معاصره الملك الظاهر بيبرس ، المسمى باسمه حى الظاهر بالقاهرة ،كان يقدسه وأنه قبل قدميه ، . ويقول الامام الشعرانى فى هذا الشان ، وكان الملك الظاهر بيبرس ابو الفتوحات يعتقد في سيدى أحمد اعتقادا عظيما وكان ينزل لزيارته ، .

وقد كانت حياة سيدى أحمد البدوى الروحية أصدق مثل لاولئك الصوفية الاطهار الذين امتلات قلوبهم بالحب الربانى ، فصار قيسا روحيا ، لذلك فقد كان يؤتى اليه بالرجل لايدرى شيئا فينظراليه نظرة واحدة فتملؤه العناية الالهيةبالانوار والمعارف والاسرار والمدد ، وتزول من نفسه الحجب القاطعة له عن سلوك طريق أهل الله عز وجل ، وينقلب الى مرشد ومربى يهتدى غيره به .

ويصف الشيخ محمد الاحمدى الظواهرى شيخ الازهر سابقا ، المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ ، فى مذكراته التى نشرها ابنه الدكتور فخر الدين الظواهرى سنة ١٣٦٤ هـ - قوة سيدى احمد البدوى الروحية فيقول :

، ولسيدي احمد البدوى رضى الله عنه فى هذه التربية الروحية القدح المعلى والنصيب الاوفر . فقد تواتر انه كان ياتى اليه الرجل البسيط القروى فلا ينقلب الى اهله الا وقد امتلا بالحب الربانى ، والكمال النفسانى، ولا يعلم الا الله قدر من انتفعوا علي يديه من هذه الوجهة مباشرة او بالمواسطة » .

وقد تواترت الروايات ان السيد كان يمكث اربعين يوما لا ياكل ولا يشرب ولا ينام ، وهو شاخص ببصره الى السماء وعيناه كانهما جمرتان متقدتان ، وكان اذا عرض له الحال وزاد عليه الوجد يهدر هديرا عاليا متصلا .

ويصف المستشرق فولزر حال السيد البدوى بطندتا - فى دائرة المعارف الاسلامية النسخة المعربة المجلد الاو، حرف الالف بقوله ، وكان تارة يطول صمته ، وتارة يتصل صراخه ، وكان يمتنع عن الزاد والشراب ما يقرب من الاربعين يوما ، .

« البقية ص ١٨٤ »

عبد الرحمن عزام في ذمة الله

رائد من رواد العمل العربي المشترك وجندي كان ومايزال قدوة للجميع

فقدت مصر ، بصفة خاصة ، والعالمين العربى والاسلامى بصفة عامة جنديا مخلصا ، ومناضلا صلبا ورائدا من أقدم رواد العمل العربى » والاسلامى المشترك : منذ شبابه المبكر وهو يرى أنه لا قيمه للمرء فى حياته وبعد مماته ، الا بقدر ما يسهم به فى خدمة بلاده وكان يرى باستمرار أن العمل الوطنى والسياسى لا يمكن أن يثمر الا اذا كان ذلك العمل ، مرتبطا بالمبادىء ، والقيم الروحية والاخلاقية فقدنا عبد الرحمن عزام ،ذلك الذى وقف كل حياته ، لخدمة العروبة والاسلام ، وكان فى الميدان الذى اختاره رائدا من أقدم الرواد ومكافحا من أخلص المكافحين .

الأستاذ
صبرى أبو المجد

عرفت عبد الرحمن عزام منذ سنوات طويلة عندما اتيح لى كصحفى ناشىء ان اتابع اخبار الجامعة العربية بعد انشائها ، بسنوات قليلة : ولم يكن رايى وقتئذ – ولعله حتى الان ايضا – فى الجامعة العربية ما يسر الامين العام للجامعة ، وعندما كنت التقى به وأذكر له اعتراضاتى ، كشاب ثائر ، على مجريات الامور فى الجامعة العربية كان عبدالرحمن عزام ، يتقبل تلك الاراء بصدر رحب ، بل كان فى كثير من الاحيان يوافقنى على بعض آرائى وكان يقول لى باستمرار : انها مجرد خطوة للعمل العربى المشترك: قد لاتكون خطوة جديرة بالاهتمام ، والاعتبار : وعلى اى حال خطوة جديرة بالاهتمام ، والاعتبار : وفى بعض الاحيان كان يسالنى ، وانا احاوره : لو خيرت وكنت انت فى مكانى بين اتخاذ هذه الخطوة وعدم اتخاذها ، هل كنت تختار عدم قيام الجامعة العربية ، أم قيامها بتلك الصورة ، الضعيفة ؟ وفى الواقع ، كنت – وقتئذ – لا ارى ما يمنع من الانتظار وقتا أطول لكى تقوم الجامعة العربية قوية منذ البداية ، بدلا من ان تقوم بتلك الصورة الهزيلة ،وكان عبدالرحمن عزام ، يرحمه الله . يبتسم ويقول ، هذه دائما ثورة الشباب عندما كنت فى مثل سنك كنت اقول هذا الكلام ، ولم أكن أقبل مثل هذه الخطوات البسيطة والضعيفة ولكننى عندما تجاوزت تلك المرحلة وعندما وجدت على الطبيعة ظروف البلدان العربية ، كلا على حدة ، وظروف البلدان العربية ، مجتمعة ، وجدت ان من المصلحة الترحيب بتلك الخطوة ، على أن تتبعها خطوات اخرى تطور العمل العربى ، وتزيده قوة ، وترابطا واندفاعا .. ».

وحياة عبد الرحمن عزام ، الطويلة المليئة ، بجلائل الاعمال تعطى الدليل القاطع على أن الايمان بالقيم ، والمثل العليا لايمكن ان يتحول ابدا »الى العكس ، قد يصاب ذلك الايمان فى بعض الفترات بالضعف نتيجة لعوامل خارجه ضاغطه ، ولكن ذلك الايمان لا يمكن أبدا ، ان يتلاشى ، او يتجه فى طريق آخر . وبمعنى ادق لا يمكن ابدا لصاحب المبادىء والقيم ، والمثل العليا – وخاصة اذا كانت تلك المبادىء والقيم والمثل العليا نابعه عن عقيدة دينية راسخه – ان يتخلى – مهما ووجه بالصعوبات ، والمشاق – عن كل مايؤمن به ، وما يعتقد أنه الحق ، والعدل ، : وحياة رجل كعبد الرحمن عزام ، عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات ، فيها فترات قوة ، وفيها فترات ضعف وفيها فترات تتميز بالاندفاع وفترات أخرى تتميز بالحكمة والاناة ، ولم يحدث أن عبد الرحمن عزام ، الذى كان مضطرا فى بعض الاحيان الى الاعتكاف او العزلة . ان عمل ، عملا ، ما صغيرا ، أو كبيرا يختلف مع ضميره ، ووجدانه وتلك هى الميزة الكبرى لتلك الشخصيات الرائدة التى قد تجد نفسها عاجزة عن العمل فى بعض الاحيان وقد تحترق وهى فى حالة

العجز كهذه ، ولكنها لا يمكن ابدا تحت اى ضغط مادى ، او أدبى أن تعمل ، عملا ، لا تؤمن به ! »

رائد من رواد العمل

تتبعت تاريخ عبد الرحمن عزام منذ ان كان طالبا فى المدرسة السعيدية وكان أول نشاط له فى تلك المدرسه تاليف جمعية اسمها جمعية الرابطة الاسلامية ، الفها ـ كما قال فى مذكراته ـ متاثرا بافكار الحزب الوطنى لبث الحمية ، فى نفوس الشبيبه . ثم تتبعته عندما انتقل ليدرس الطب فى لندن فى عام ١٩١٢ م بالرغم من انه لم يكن يميل ابدا الى هذا النوع من الدراسة الذى لا تتفق مع مواهبه واستعداده « لكننى ـ كما قال ايضا فى مذكراته ـ عقدت العزم على الاستمرار فى دراسه الطب . لان نفورى من الاحتلال البريطانى كان قد اخذ يتزايد ، حتى بدأت أفكر فى مكافحة الاستعمار ، وبدا لى ان الكفاح قد يعرضنى للنفى من مصر ، واننى اذا استطعت ان اكون طبيبا فلن اعدم العمل فى اى بلد أنزل فيه ، ولذلك اقبلت على دراسة الطب اقبالا شديدا ..

وفى نفس الوقت ـ هكذا يقول عبد الرحمن عزام فى مذكراته ـ اشتد اهتمامى بالسياسه فالفت مع المصريين الذين كانوا يقيمون فى لندن وقتئذ « جمعية ابو الهول وفى سنة ١.١٣ دعونا الزعيم الوطنى العظيم محمد فريد بك لزيارتنا الى لندن فلبى دعوتنا وأقام معنا أياما أعربنا له فيها عن حبنا ، واخلاصنا وزودنا هو بفيض من وطنيته الصادقة ، التى بلغت اسمى مراتب التضحيه فلما اعتزم السفر جمعنا بعض ما نملك وقدمناه اليه لنعينه على نفقات الحركه الوطنيه وكنا نوالى امداد مركز الحركه الوطنية المصريه فى سويسرا بمساعدات مالية قليلة من مصروفاتنا الخاص .

وفى خلال المدة ، التى مكثها محمد فريد بك فى لندن زرت معه صديق مصر ، الخبير مستر بلنت فى بيته فى الضواحى وهو الرجل الذى ناهض الاحتلال البريطانى ودافع عن عرابى باشا .

كان مستر بلنت وقتئذ شيخا كبيرا ففرح بنا وقال لى : يا بنى لا تياسوا وصبروا ان نصيحتى عندكم والنصر محقق لكم »قاوموا وثابروا وستعود الى بلادكم حريتها المغصوبة وستخرجون مواطنى منها فقد احتلوها بغير حق .. »

ومن مذكرات محمد فريد عن ذهابه الى لندن ومقابلته للشباب المصرى الذى كان يتلقى العلم وقتئذ ، يبدو أن محمد فريد كان متاثرا الى ابعد حدود التاثر بلقائه باولئك الشبان وبروعة البرنامج الذى قاموا باعداده أثناء اقامته بلندن وكذلك بالمبلغ الذى جمعه أولئك الشباب لتدعيم الحركة الوطنية من مصروفهم الخاص . لقد كان شباب مصر الذين يتلقون العلم فى الخارج على درجة كبيرة من الوعى الوطنى والايمان بالله ، وبالوطن .

وأتتبع كفاح عبد الرحمن عزام بعد مرحلة كفاحه فى لندن وأقف طويلا عند كلمات له فى مذكراته يقول فيها :

« الواقع أننى منذ سافرت الى لندن عام ١٩١٢ احسست بعاصفه نفسيه شديده اثارتها انباء الحرب البلقانيه التى كانت مشبوبه اذ ذاك وكانت هذه العاصفة تزداد قوة كلما بلغنى نبأ هزيمة جديدة من هزائم المسلمين فى البلقان » وكانت هذه الانباء تصف المذابح الفظيعه التى أقامتها جيوش الجبل الاسود ، والصرب والبلغار وعصاباتها للمسلمين ، وخروج هؤلاء من اوطانهم مشردين ، وكان المعتدون يقلبون المساجد الى كنائس ، ويرفعون الصلبان عليها ، وظلت هذه الفظائع تثير نفسى حتى فكرت فى ترك كلية الطب والسفر الى البلقان والتطوع فى صفوف المسلمين المضطهدين ، غير اننى اثرت الانتظار الى ان ينتهى العام الدراسى وما كدت انتهى من أداء الامتحان حتى سافرت فى اليوم التالى قاصدا الى البلقان .

واقف عند هذه الكلمات التى كتبها عبد الرحمن عزام عن تلك الفترة من حياته كطالب .. لقد هزتنى كلمته التى قال فيها انه اثر الا يتجه الى البلقان كجندى من جنود المسلمين الذين يحملون رؤوسهم على اكفهم ، مقاتلين فى سبيل الله فاما النصر ، واما الاستشهاد . ان الشاب الذى يقدم تضحية ينبغى عليه أن يختار الوقت المناسب لاداء تلك التضحيه » وقد اثر عبد الرحمن عزام ألا يقدم على تلك التضحية الا بعد انتهاء العام الدراسى .

رائد من الرواد

فى كلام عبد الرحمن عزام عن أول تضحية شرع فى تقديمها دليل قاطع وبرهان ساطع على ان الشاب عبد الرحمن عزام منذ أن اختار طريق الكفاح كان

يعرف جيدا كل الصعوبات والمشاكل والتضحيات التى تعترض هذا الطريق .. ولذلك فانه أقدم على اجتياز هذا الطريق وهو يضع رأسه على كفه مؤمنابانه يؤدى اقدس واجب ■

كتب عبد الرحمن عزام فى مذكراته يقول : ـ كانت الدنيا وقتئذ تختلف كثيرا عنها اليوم فقد اخترقت غرب اوربا ووسطها فى القطارات حتى وصلت الى ميناء تريستا على بحر الادرياتيك ، وليس معي جواز سفر ولا تأشيرة دولة من الدول ولا بطاقة تثبت شخصيتى كان كل مافى يدى هو خطاب من محرر جريدة عمالية بريطانية اسمها الديلى سيتترن لا يقرأها الا عدد محدود من العمال ولا شهرة لها خارج نطاقهم خطاب يبين اننى مراسل لهذه الجريدة وكان حزب العمال البريطانى وقتئذ لا قيمة له ، ولم يكن له فى البرلمان الا نائب واحد ، تمكنت من أخذ هذا الخطاب بالرغم من اننى لم أرمحرر الجريدة ولم ادخل ادارتها بل جاءنى بواسطة صديق انجليزى كان فى خدمة السلطان عبد الحفيظ سلطان مراكش ، وفى ذلك الوقت لم يكن النقد مضطربا أو متفاوت القيمة كما هو الان ، ولم تكن للعملة صعوبات ولا فى الجمرك مشكلات وكنت احمل معى جنيهات ذهبية ادخرتها لهذه المغامرة ، ومسدسا ، وحقيبة فيها بعض الملابس ، ولم يسألنى أحد طول الطريق عن وجهتى ، أو جنسيتى .

وصلت بالقطار الى تريستا وركبت باخرة الى « كترو » فى امبراطورية النمسا ، والمجر ، وهى ثغر صغير ، يعتبر ميناء لمدينة ستنجة عاصمة مملكة الجبل الاسود وقد اصبحت هذه المملكة جزءا من جمهورية يوغوسلافيا .

وصلت الى ثغر كترو وصار على أن اصل الى ستنجة وبينهما جبل شاهق ، لابد من اجتيازه بوساطة عربة يجرها حصان تصعد الى قمة الجبل ، وتنحدر من الناحية الاخرى وبينما كانت العربة تصعد بى الى قمة الجبل ، اضطرب الحصان فاذا بالعربة تتراجع، وتهبط بدلا من الصعود واذا بالحوذى يصرخ فزعا ويرسم على صدره علامة الصليب .

ولم يكن هذا هو الخطر الذى يتهددنى وقتئذ ، فقد كان معى فى العربة راكبون لايعرفون عنى شيئا ، ولا اعرف لغتهم كانوا ينظرون الى نظرات الارتياب وكنت ابادلهم ، نفس النظرات ودخل الليل ، واظلم الجبل ، واشتدت الوحشة واخذت اشعر بخطورة المغامرة التى اقدمت عليها .

وفى ستنجة عاصمة الجبل الاسود نزلت فى خان متواضع ورأيت الجياد تشاطر النزلاء ، غرف النوم وجلست استريح ، من مشاق الرحلة الطويلة وافكر فى امرى جلست بين الاعداء الذين جئت احاربهم ولو علموا ما اضمره لقتلونى لم تكن ستنجة هى البلد الذى اريد الوصول اليه بل كان لابد من المرور بها لاصل الى شقودره البلد الاسلامى ، الالبانى الذى حاصرته جيوش الجبل الاسود ، والصرب فدافع اهله، عنه دفاعا مقطوع النظير ، ومازلت افكر حتى غلبنى النوم . صحوت من النوم متعبا شارد الذهن وخرجت للتجول فى البلدة فرأيت فوق بعض المتاجر لافتات مكتوبة بالاحرف التركية دخلت متجرا منها وحييت اصحابه باللغة الانجليزية فلم يجيبوا ، بل بدت الدهشة على وجوههم ، كانوا لا يعرفون الانجليزية ولا العربية ولم اكن اعرف اللغة التركية ورأوا حيرتى فدعونى للجلوس ، واحضروا رجلا معمما ، من مكان قريب ليكلمنى باللغة العربية ، التى يعرفها . انه احد الشيوخ الذين يسمونهم الحفاظ : حفاظ القرآن الكريم ، افضيت له برغبتى فى الوصول لشقودرا، وترجم لهم كلامى فرحبوا بى واكرموا وفادتى واستضافونى ثلاثة أيام احضروا لى فى نهايتها زادا كبيرا ورافقنى بعضهم الى الحدود فى الطريق الى شقودرا .

وكانت هذه المدينة قد «سلمت » وانسحب منها جندهم بشرفهم، وسلاحهم ، الى الجنوب ثم لم تلبث ان قامت بسببها منازعات سياسية بين الجبل الاسود ، والصرب والنمسا كل منها تريد ان تأخذ المدينة لنفسها فسويت المشكلة مؤقتا باحتلال المدينة بقوة دولية تحت رئاسةقائدبحرى انجليزى ،تجنبا لحرب عامة ، كان هذا عام ١٩١٣ وخفت ان يرتاب فى اهل المدينة ، وانا اتجول فى شوارعها محاولا الاتصال بالارناءوط الوطنيين المجاهدين .

ويقول عبد الرحمن عزام ، انه قدم نفسه الى حاكم المدينة الانجليزية على انه مراسل لجريدة الديلى ستترن فسأله الحاكم : هل الجريدة غنية الى حد ان ترسل مراسلا خاصا الى جبهة القتال ؟ وكيف ان عبد الرحمن عزام رد عليه قائلا ! بل هى فقيرة ، الى حد أنها اوفدت رجلا متواضعا مثلى يرضى بالقليل وابتسم الرجل لهذا التعبير وطلب من عبد الرحمن عزام ان يريه اوراقه فابرز له شهادة الجريدة فاكتفى بها قائلا : انى اعتبرك من رعايا انجلترا ، فانت تعمل فى خدمة احدى صحفها ثم أنت مصرى ، ومصر تحت الحماية البريطانية واحس عبد الرحمن عزام ان

خنجرا قد غرس فى قلبه وهو يستمع من الحاكم الى حماية بريطانيا لمصر وكتب عبد الرحمن عزام اقرارا كتابيا بأن الحاكم البرلطانى نصحه بعدم عبور منطقة القتل وانه اصر على رأيه وان الحاكم البريطانى قال له : انه طيش الشباب وسيكون اثره على مستقبلك كبيرا . ويقول عبد الرحمن عزام ان الاحــرار الارناءوط عندما عرفوا بمقدمه استضافوه عدة أيام ودعوه للكتابة فى جريدتهم وكان اسمها « صدى الملة » واهتم ووعد . الى الحدود : لقد نفد ما مــع عبد الرحمن عزام من نقود ، وعلا مسدسه كما قال الصدا ، فارتدى الملابس التى كانت فى حقيبته ورمى بالبقيه الباقية ، فى الطريق وظل يضرب على غير هدى الى ان التقى - مصادفة بأحد الاحرار الذى ساعده الى الوصول على مركب اقلته الى برنديزى فى ايطاليا ومن برنديزى الى استامبول يقول عبد الرحمن عزام ! كانت إستامبول فى ذلك الوقت مسرحا هاما يلعب فيه رجال الحزب الوطنى دورهم الوطنى التاريخى ، فقابلنى رجال الحكومة العثمانية بحذر وعدم اطمئنان وتساءلوا فيما بينهم ما الذى دفع هذا المغامر الى القدوم ، ولم أكترث لاستقبالهم اياى بهذا الحذر ، وذلك الفتور ، ويلتقى عبد الرحمن عزام ببعض رجال الحزب الوطنى وكانوا قد علموا بما قمت به فى لندن من أجل محمد فريد ، ولكننى كنت فى نظرهم مجرد شاب لم يبلغ العشرين من عمره ضئيل الجسم لا يزال طالبا فى لندن فلما عرفوا ما دفع لى ، والسبب الذى جئت من اجله استقبلونى استقبالا طيبا ويقول عبد الرحمن عزام انه قابل المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش الذى قدمه الى بعض الشخصيات العــربية والتركيه وكان يصفه لهم بالبطولة والشجاعة وكان هو يشعر بالخجل ويخيل الى - كما قال عزام انهم لن يصدقوا ذلك لصغر سنى وشدة نحولى . كنت اريد ان اعمل شيئا فاسى لم أترك لندن الا مدفوعا بالرغبه فى الجهاد ولذا رأيت ان اسافر الى درنة لالتحق هناك بالجيش التركى واشترك فى محاربه البلغــار ولمــا افضيت برغبتى للشيخ عبد العزيز جاويش شجعنى وسهل مهمتى ، وسافرت مزودا بتوصيات للمرحوم انور باشا » وكان وقتئذ رئيس اركان حرب الجيش الذى كان خورشيد باشا يتولى قيادته ، قابلت انور باشا فى ادرنه فرحب بى ودعانى للغداء معه ثم كلف ضابط طرابلس اسمه طارق بأن يهتم بى .

البقية فى العدد القادم ان شاء اللــه

بقية مقال « فارس الاوليــاء »

والمكث هذه المدة الطويلة مستحيل بالنسبه للفرد العادى . وهو من قبيل طى الزمان اذ تمر الايام على الولى فى هذه المرتبة كلمح البصر .

وأثر عن السيد استغراقه مدى حياته فى ذكر الله عز وجل . وأثر عنه الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة .

ولذلك فانه « يلقب » بــــاب المصطفى » او «باب النبى » وفى دلائل الخيرات ذكر لهذا اللقب فى البيت السابق :

بالسيد البــدوى بــاب المصطفى
بحر الفتــوة والمكــارم والندى

وللسيد البدوى كرامات تفــوق الحصر اثناء حياته وبعد وفاته . والكرامه امر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد عبد صالح ، ولا يقترن بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها . ومثال لما ورد فى القرآن الــكريم من كرامات قصة العبد الصالح الذى عنده علم من الكتاب وقد أحضر عرش بلقيس ملكة سبأ من اليمن الى الشام لسيدنا سليمان عليه السلام فى اقل من طرفة عين ، وقد فاق بهذه الكرامة مقدرة عفريت من الجن - كما ورد فى سورة النمل .

ومن الكرامات التى نقلت عن السيد ما نقله العالم الثقة شهاب الدين أحمد ابن محمد المقدسى فى تاريخ القدس الشريف عن شيخ الاسلام حــافظ العصر بن حجر العسقلانى انه قــال ان السيد احمد البدوى له كرامات كثيرة وخوارق من اشهرها قصــة المرأة التى اسر الفرنج ولدها فلاذت به فاحضره الله تعالى اكراما له فى قيوده على رؤوس الاشهاد . وتكررت هذه الكرامة ورواها الامام الشعرانى والحافظ السيوطى والعــارف سراج الدين الحنبلى والشيخ شمس الدين الشاذلى ، ونقلها عنهم الامام المناوى والامام الحلبى وغيرهم .

وشاعت هذه الكرامة بين النــاس حتى كانوا يتغنون بها بالعبارة العامية المشهورة الله الله يابدوى جــاب اليسرى . اى الاسرى . وهــذه العبارة تعنى أن اللهسبحانه وتعالى جاء بالاسرى اكراما للسيد البدوى .

ومنها ما رواه السيوطى والشهاب المقدسى عن ابن حجر من رجل يحمل قربة لبن على السيد احمد البدوى اثناء حياته فاوما اليهــا باصــبعه فانقدت وانسحب اللبن ، واجتمع الناس على الرجل . ولما نظروا داخل القرية وجدوا بها حية ميتــة قد انتفخت فكان ذلك سببا فى انقاذ الناس من شرب هذا اللبن .

كما اشتهر السيد البدوى بالقاب كثيرة منها السيد ، والبــدوى ، والقطب ، والصــامت ، والشريف ، والامام ، والزاهد ، والملثم ، وشيخ العرب .

كما اشــتهر الســيــد بلقــب « العطاب » لكثرة ما كان يقع من الضرر لكل من آذاه ، وفى اشتهاره بهذا أمارة قوية على ان الله يغضب لغضبه .

وحيــاة سيدى احمد البدوى حافلة بالاسرار الالهية التى تنبىء عنهــا كراماته التى ظهرت أثناء حيــاته وكراماته بعد وفاته . وتنبىء عنها ما اشتهر عنه من القاب اثناء حياته ومن ألقاب عرف بها بعد وفاته .

نفعنا اللــه بمــدده ونفحــاته وبــركاته ، وعليــه رحمــة اللــه

المكتبة الإسلامية

تفسير السلمى

الدكتور منيع عبد الحليم محمود

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد سيد الخلق اجمعين - وبعد .

مؤلف هذا التفسير ، محمد بن الحسين بن موسى الازدى ابو عبد الرحمن السلمى جدا النيسابورى بلدا ..

كان شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان ، ذكره الحافظ عبد الغافر فى السياق فقال :

شيخ الطريقة في وقته ، الموفق في جميع علوم الحقائق ، ومعرفة طريق التصوف وصاحب التصانيف المشهورة العجيبة في علم القوم وقد ورث التصوف عن أبيه وجده وجمع من الكتب لم يسبق الى ترتيبه ، حتى بلغ فهرست تصانيفه المائة او اكثر .

وكان من المشتغلين بعلم الحديث سمع من ابى العباس الاصم ، وابن فارس العمرى البلخى ، والحافظ ابى على الحسين بن محمد النيسابورى وغيرهم من كبار المحدثين .

وروى كثيرا من مسموعاته ، وممن روى عنه من الائمة : الحاكم ابو عبد الله وأبو القاسم القشيرى ، وأبو صالح المؤذن : وكثيرون .. وقد وثقه فى الحديث علماء أجلاء منهم الخطيب البغدادى ، والتاج السبكى وغيرهم

يقول الخطيب : قدر ابى عبد الرحمن عند اهل بلده جليل ، وكان مع ذلك محمودا صاحب حديث .

ويقول التاج : ابو عبد الرحمن ثقة ، ولا عبرة بالكلام فيه .

وقد كان للسلمى بيت كتب جمع فيه من الكتب ما لم يسبق الى ترتيبه من ذخائر المحدثين والصوفية . وكان يخلو بهذا البيت ينقطع فيه للقراءة والتاليف ، وكان شيوخ نيسابور يستعيرون منه بعض ما يحتاجون اليه من هذه الذخائر فيعيرهم اياها ...

وقد ابتدأ ابو عبد الرحمن التصنيف سنة نيف وخمسين وثلثمائة ، وهذا معناه ان ابا عبد الرحمن ظل يؤلف قريبا من بضعة وخمسين عاما .

وقد اشتهر ابو عبد الرحمن بانه نقال الصوفية وراوى كلامهم ، وممن له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة وتهذيبه على ما بينه الاوائل .

وكان مدققا فى تعبيره عن مذهب الصوفية ، واختياره لمن يمثل هذا المذهب من الشيوخ ، الامام الكامل ، الفقيه الاصولى المفسر الاسفراييني الذى اشتهر بالدفاع القوى عن مذاهب أهل السنة والرد على البدع وعلى كل ما يخالف مذهبه اهل السنة يقول فى كتابه التبصير فى الدين : ان سادس ما امتاز به أهل السنة هو : « علم التصوف » ، و « الاشارات » ، وما لهم فيها من الدقائق والحقائق لم يكن قط لاحد من « أهل البدعة » فيه حظ ، بل كانوا محرومين مما فيه من الراحة والحلاوة والسكينة والطمانينة وقد ذكر ابو عبد الرحمن السلمى : من مشايخهم قريبا من الف وجمع اشاراتهم واحاديثهم ولم يوجد فى جملتهم قط من ينسب الى شىء من بدع « القدرية » ، و « الروافض » ، و « الخوارج » .

وكيف يتصور فيهم من هؤلاء وكلامهم يدور على التسليم والتفويض والتبرى من النفس ، والتوحيد بالخلق والمشيئة .

واهل البدع ينسبون الفعل والمشيئة والخلق والتقدير الى انفسهم وذلك بمعزل عما عليه أهل الحقائق من التسليم والتوحيد .

ولد - على المشهور - فى رمضان

سنة ثلاثين وثلثمائة ، وقيل : سنة خمس وعشرين وثلثمائة .

وكان والده شيخا ورعا ، زاهدا ، دائم المجاهدة ، له القدم فى علوم المعاملات وحينما توفى قام جده لامه وكان واسع الثراء - على رعايته - فما أن توفى حتى آل اليه من ثروته ما مكنه من التفرغ للكتابة والتاليف ، وكانت تصانيفه مقبولة حبيبة الى الناس ، تباع باغلى الاثمان .

وفى أخريات أيامه ابتنى للصوفية خانقاه صغيرة ، كانت مشهورة فى نيسابور وفى ما جاورها أو بعد عنها من اقاليم مملكة الاسلام حتى ان الخطيب البغدادى حين ذهب الى نيسابور زار هذه الدويرة التى كان يسكنها الصوفية يومئذ .

اما عن تفسيره فان له طابعا خاصا هو طابع التفاسير الصوفية الخالصة ، ان كل اتجاهه كان منحصرا فى جمع ما يتيسر من آراء الصوفية حول آيات من القرآن الكريم ، وهو لذلك ليس تفسيرا مفصلا لكل آية من آى القرآن الكريم وليس تحليلا لفظيا او بيانا لحكم شرعى .

وهو لذلك يمثل فهما خاصا لقوم مخصوصين فيما يتصل بتفسير القرآن الكريم والحديث عن بعض المفهوم المستنبطة منه .

ومثل هذا المنهج فى التاليف قد لا يستسيغه من يقصر الفهم فى القرآن على ظاهر الايات ومن هنا كانت الحملة الشديدة العنيفة على هذا الكتاب حتى لقد قال الذهبى « ليته لم يصنفه »(*)

واذا تأملنا فى سر هذه الحملة فاننا نجد أن أساسها لا يرجع الى فساد ما نقله فى نفسه ، وانما الى ربطه بالاية كفهم لها أو تعبير عن بعض ما تشير اليه .

قال التاج السبكى : وكتاب حقائق التفسير المشار اليه قد كثر الكلام فيه من قيل انه اقتصر فيه على ذكر تأويلات ومحال للصوفية ينبو عنها ظاهر اللفظ ، ولقد أطلعنا على الكتاب وهو مخطوط لم يطبع بعد ولكن توجد منه نسخ كثيرة ومنها فى مكتبة الازهر وغيرها فوجدناه لا يخرج عن كلام الصوفية المعتبرين فى فهم الايات وتنزيلها على اشارات تتعلق باصلاح السلوك واخلاص العبودية فضلا عما يدور بين الناس من معانيها الظاهرة .

ان ما يقوله الصوفية حول آيات من القرآن الكريم انما هو الهامات واشراقات بتوفيق الله رائعة ، وهم فى هذا الميدان يسمون الهاماتهم : اشارات ، يعنون بذلك أن الايات القرآنية لها تفسير بحسب اللغة واسباب النزول وحوادث التاريخ ، وهو تفسير لا يستنفد كل ما تعطيه الايات القرآنية من اشارات ، وما يشع عنها من انوار وما يتضوع عنها من عبير طيب ، وينبغى علينا أن نلاحظ أن هذه الاشارات لا تهدف فى قليل ولا فى كثير الى أن تحل محل التفسير المالوف كما أن هذه الاشارات لا تتعارض مع التفسير المالوف .

انها اشارات وليست تفسيرا ، ومن أجل ذلك فانه لا تعارض بين الصوفية والمفسرين .

ونستطيع أن نقول : ان نقد الكتاب انما يتجه لو كان مؤلفه يرى انما يقوله وهو وحده الذى تفيده الاية اما اذا اعتقد أن ما ذكره جهد يضاف الى جهود وتسليط للضوء على جانب من الجوانب التى تفيدها الاية ، فان النقد حينئذ يصبح غير ذى موضوع .

واليك نماذج من تفسيره لتتمكن من الحكم عليه على بصيرة .

قال تعالى : « يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم » ، قال ابو عثمان : من خان الله تعالى فى السر هتك ستره فى العلانية ، قال بعضهم فى هذه الاية خيانة الله تعالى فى الاسرار حب الدنيا وحب الرياسة واظهار خلاف الاضمار وخيانة الرسول عليه السلام فى آداب الشريعة وترك السنن والتهاون بها وخيانات الامانات فى المعاملات والاخلاق ومعاشرة المؤمنين فى ترك النصيحة لهم .

وقال تعالى : يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور .

قال ابن عطاء : الموعظة للنفوس ، والشفاء للقلوب ، والهدى للاسرار والرحمة لمن هذه صفته .

قال جعفر : شفاء لما فى الصدور ، أى راجعة لما فى السرائر قيل : شفاء المعرفة ، والصفا ، وقيل : شفاء التوبة ، وقيل : شفاء التسليم والرضا ولبعضهم شفاء المشاهدة واللقاء .

الإفتاء

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

س ١ : من السيد على أبو جازية

له بنتان وولد ويرغب فى تقسيم تركته بينهم على أساس أن يوصى للبنتين بثلث التركة مناصفة بينهما والثلثان الباقيان يقسمان بين الولد والبنتين تقسيم الميراث للولد مثل حظ الانثيين فينال الولد الثلث وتاخذ البنتان الثلث الباقى مناصفة بينهما - ويسأل عن راى الدين الاسلامى فى ذلك ..

الجواب :

الاصل فى اجازة الوصية بثلث المال قوله صلى الله عليه وسلم « **ان الله تصدق عليكم بثلث اموالكم عند وفاتكم زيادة فى حسناتكم ليجعلها لكم زيادة فى أعمالكم** » .

والحكمة التى يهدف اليها الشارع الحكيم من ذلك هى تدارك ما فات المالك من تقصير فى حياته لمن كان يجب عليه رعايته ، ومساعدة بعض ذوى الحاجة اجنبيا كان او قريبا تقربا الى الله سبحانه وتعالى .

ولهذا المعنى اجاز القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ فى المادة رقم ٣٧ الوصية بثلث المال للوارث وغيره وتنفذ من غير حاجة الى اذن الورثة كما اجاز الوصية باكثر من الثلث ، ولا تنفذ فيما زاد على الثلث الا اذا اجازها الورثة بعد وفاة الموصى .

وبناء على ما ذكر فانه يجوز للسائل أن يوصى بثلث تركته لبنيه وتنفذ من غير حاجة الى اجازة باقى الورثة غير ان الوصية التى أباحها الاسلام تقربا من الموصى الى الله سبحانه بسد حاجه ذى الحاجه يجب ان يراعى فيها أن لا تكون سببا فى أحقاد أو ضغائن بين الاولاد وابيهم وبين بعض الاخوة وبعضهم الاخر بسبب تفضيل بعض الورثة أو هضم لحقوق البعض الاخر .

فان أدت هذه الوصية الى اثارة الكراهية والبغضاء بين الاخوة وأبنائهم من بعدهم فالافضل

تركها وابقاء التركة لتوزيعها ميراثا على الوجه الذى فرضه الله وقدره لكل وارث حسب حكمته السامية فى محكم كتابه حفاظا على صلة الرحم ومنعا لقطعها .

س ٢ : من المواطن مصطفى مصطفى رضوان - الوايلى الكبير - ارض الجنينة ٦٦ ش ناصر .

اشتريت قطعة ارض من جمعية مصانع الطائرات وكان الاتفاق على دفع ربع الثمن اولا . ثم يقسط الباقى على خمسه عشر عاما بدون فوائد ونفذنا الاتفاق ثم فوجئت بعد عام من دفع ربع الثمن بأن الجمعيه سوف تقسط المبلغ الباقى على عشرين عاما مع فوائد ٣ فى المائة ثم تحصل على قرض للمبانى يقسط على ثلاثين عاما وطبعا بفوائد فما حكم هذه الفوائد سواء فوائد ثمن الارض أو فوائد القرض وهل هى ربا .. ؟

الجواب :

المبالغ التى ستدفع زيادة على ثمن الارض فى صوره فوائد بعد ان تم الاتفاق على دفع الربع ثم تقسيط الباقى بدون فوائد هده الزياده ربا والربا محرم بصريح القرآن الكريم كما ان الفوائد التى تدفع على القروض ربا وانها حرام كذلك . وقد قرر المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية ان فوائد القروض ربا والربا حرام كله بنص القرآن الكريم وليس لاحد فردا او هيئة ان تقترض المال بالربا . ولا يجوز لاحد ان يقترض بالفائدة الا للضرورة اذ الضرورات تبيح المحظورات غير ان الضرورة تقدر بقدرها وكل انسان موكول لدينه وضميره فى تقدير ضرورته وهو المسئول عن ذلك أمام ربه - والله أعلم .

س ٣ : من السيد امام عبد الفتاح الامام درويش - بنك الاسكندرية فرع دمياط .

هل تعتبر الفوائد التى تحصلها البنوك من العملاء على السلف وغيرها وكذا الفوائد التى يأخذها العملاء على اموالهم المودعة بالبنوك ربا - واذا كانت هذه الفوائد ربا فهل تعتبر المرتبات التى يتقاضاها الموظفون بالبنوك حراما .. ؟

الجواب :

الفوائد على السلف والقروض ربا كما قلنا فى الاجابة على السؤال السابق سواء كانت هذه الفوائد يأخذها البنك من العملاء على السلف والقروض أو يأخذها العملاء على أموالهم المودعة فى البنوك .

اما المرتبات التى يتقاضاها الموظفون بالبنوك فهى حلال لانها اجر على الاعمال التى يقومون بها ، فالمال الذى يأخذه الموظف نظير عمله بالبنك مال حلال ، فان كان للموظف سهم فى فوائد السلف والقروض كان هذا المال المأخوذ من هذه الفوائد حراما - وعلى الموظف اذا حصل على جزء من هذه الفوائد المحرمة ان يتصدق به على الفقراء لانه مال حرام والمال الحرام سبيله الصدقة والله أعلم ..

س ٤ : من المواطن العربى الهادى البديوى - الكرم بتونس - الجمهورية التونسية .

منذ سنتين اخذ بنتا من دار الرضيع مجهولة الاب ويقوم بتربيتها بين أولاده وتناديه يا أبى وتنادى زوجته يامى و تنادى أولاده باخوتها وسنها الان ست سنوات وقد سماها فى المدرسة باسم والدتها الاصلية وينتظر حكم الله فى التبنى لاتمام اجراءاته وما العمل لو أن التبنى كان حراما فى الشريعة الاسلامية وماذا سيكون عليه الامر بالنسبة لهذه البنت المسكينة خصوصا حين تعلم بحقيقة أمرها .. ؟

الجواب :

نسبة طفل الى انسان يعلم ذلك الانسان أن هذا الطفل ليس ابنا له ومع ذلك ينسبه الى نفسه على أنه ابوه سواء كان الولد معلوم النسب او مجهولا هو التبنى الذى ابطله الاسلام بقوله تعالى فى سورة الاحزاب : « **ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم** » .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كرم زيد بن حارثة بنسبته اليه مكافأة له على تفضيله البقاء فى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذهاب حرا مع والده حارثة فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه زيد بن محمد فلما ابطل الاسلام نظام التبنى عاد زيد الى اسمه الاول زيد بن حارثة ونزل قوله تعالى « **ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما** » .

والتبنى الذى يريده السائل بنسبة البنت اليه على أنه أبوها وزوجته امها وأولاده أخوتها كما تناديهم الان هو ما أبطله الاسلام لما يترتب عليه من المفاسد الاجتماعية الخطيره فان هذا الولد المتبنى سيشارك فى الميراث وهو ليس صاحب حق بل قد يحرم صاحب الحق من حقه وسيترتب على بنوته تحريم ما أحله الله واباحة ما حرم الله بالنسبة للميراث والمصاهرة واباحة الخلوة بالاجنبيات والاجانب على أنهم من المحارم والمحرمات الى غير ذلك من المفاسد التى من

اجلها حرم الاسلام هذا اللون من التبنى لكن يجوز للسائل ولغيره ممن يريدون تقديم المساعدة والعون لهؤلاء الاطفال المساكين ان يقوموا بتربيتهم والانفاق عليهم والوصية لهم بجزء من مالهم تامينا لمستقبلهم على انهم اخوة لهم فى الدين لا على انهم ابناؤهم وبذلك يستطيع السائل ان يقدم العون كما يشاء لهذه البنت على ان لا ينسبها اليه ولا الى زوجته ولا مانع ان يفهمها حينما تكبر وتعقل ان ابويها اصيبا فى حادث من الحوادث وانه قد تطوع بتربيتها وتعليمها والله يجزيه هو وأهل الخير من أمثاله اعظم الجزاء ..

س ٥ من السيد هاشم جلاد محمد آدم من السودان ـ كسلا ـ السوق

أفتى لنا امام مسجد بأن الصلاة خلف حالق اللحية باطلة وامر باعادة الصلاة لكل من صلى خلف حالق اللحية فما هو القول الصحيح .. ؟

الجواب :

لم يقل احد من الفقهاء أن تربية اللحية شرط من شروط صحة الامامة ولم يقل احد من الفقهاء ان امامة حالق اللحية باطلة ـ فحالق اللحية وان كان غير متبع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اطلاق اللحية الا أن صلاته صحيحة بالاجماع وامامته صحيحة بالاجماع والصلاة خلفه صحيحة كذلك بالاجماع وتنال بها ثواب الجماعة .

وحالق اللحية تارك ـ فقط ـ للسنة كما قلنا وتارك السنة ليس فاسقا وحتى لو تشدد المتشددون وقالوا ان حالق اللحية فاسق فان الفسق لا يبطل الامامة والصلاة بجماعة خلف الفاسق افضل من صلاة الفرد والرسول صلى الله عليه وسلم يقول «**صلوا خلف كل بر وفاجر** » .

س ٦ من ح . ر . د . س الزقازيق

منذ عام تقريبا اقسم على المصحف الا يمارس العادة السرية اطلاقا ولكنه فى لحظة اثارة جنسية مارسها وبعد ذلك بفترة أقسم مرة أخرى على المصحف الا يمارسها غير انه حلف وهو جنب ثم غلبته نفسه ففعل المحلوف عليه مع انه لم يكفر عن اليمين الاول .

ويسأل ان كان اليمين الثانى صحيحا ام غير صحيح لانه كان جنبا واذا كان صحيحا فكيف يكفر عن اليمينين ـ ويقول انه ممزق النفس حائر لا يستطيع المذاكرة ولا التركيز وفى حاجة الى عفو الله ومغفرته ليستريح ضميره .

الجواب

ليست الطهارة من الجنابة شرطا لانعقاد اليمين فاليمين صحيحة ومنعقدة سواء كان الحالف طاهرا او غير طاهر الا أن مس المصحف يحرم على من ليس على طهارة لقوله تعالى « **لا يمسه الا المطهرون** » .

فاذا كان السائل وضع يده على المصحف او مسه او مس شيئا منه اثناء الحلف فقد ارتكب اثما مضافا الى ما ارتكبه من ذنوب وآثام فى حق الله وفى حق نفسه ومجتمعه .

واذا كان السائل يريد أن يتوب الى الله تعالى فبابه سبحانه مفتوح لكل من قصده ليلا او نهارا فهو سبحانه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وسبحانه القائل « **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات** » .

واذا كان السائل يريد راحة ضميره واستقرار النفس فعليه بالتوبة الى الله والاقلاع عن هذه الرذيلة وعدم العودة اليها ولا الى غيرها من المعاصى واول الطريق الى التوبة أن يكفر عن اليمينين اللذين حنث فيهما وكفارة كل يمين هى اطعام عشرة مساكين او كسوتهم فان لم يستطع صام ثلاثة ايام قال تعالى « **لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام . ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون** » .

وعلى السائل وغيره ان يجلوا وينزهوا كتاب الله الكريم عن الحلف الصغيرة والكبيرة حتى يظل لله ولكتابه مقام الجلالة والتقديس قال تعالى «**ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم** » .

وعلى السائل بعد الكفارتين ان يتوب الى الله توبة صادقة خالصة وان يقلع عن المعاصى وان يكثر من الطاعات مؤديا للفرائض ومتقربا الى الله بالنوافل مكثرا من العبادة والذكر والاستغفار مبتعدا عن كل ما يثير مما يقرأ او يشاهد .. والله يوفقه ويهديه سواء السبيل ..

س ٧ من المواطن العربى دفين حمدى عبد القادر بطاح محمص النصر شارع الملك عبد الله ـ الزرقاء ـ الاردن

كيف أرد السلام على من القى على السلام والصلاة قائمة فى المسجد .. ؟

الجواب

المصلى لا يجب عليه رد السلام ولو رد السلام

بالكلام بطلت صلاته ويرى علماء الحنفية أن رد السلام فى الصلاة بالاشارة مكروه ويرى البعض أن الاشارة باليد او الراس لرد السلام جائزة فى الصلاة بشرط ان تكون اشارة خفيفة .

س ٨ ومن نفس السائل

هل يجوز للمسلم أن يصلى الجمعة مع الراديو اذا لم يستطع ان يصل الى المسجد ويدرك الصلاة به لعذر مقبول .. ؟

الجواب

لا تجوز صلاة الجمعة مع الراديو او التليفزيون » او غيرهما من الاذاعات المنقولة من المساجد وذلك لفقدان المعنى المطلوب من صلاة الجمعة فى المساجد ولوجود الفاصل المانع من صحة الاقتداء بين الامام ومأمومه سواء فى الجمعة او فى غيرها .

س ٩ من فؤاد عبد الله محمود ابو شوشة ـ سمهود

توفى رجل عن أخ واخت لام ـ وابن وبنتين لاخ من أبيه ـ وبنت اخ لابيه ـ وبنت بنت اخته لامه المتوفاه قبل وفاة اخيها صاحب التركة فمن يرث ومن لا يرث وما نصيب كل وارث ..

الجواب

اذا كان الامر كما ورد فى السؤال فان للاخ والاخت لام ثلث التركة فرضا مشاركة بالتساوى بينهما والباقى لابن الاخ من الاب تعصيبا ولا شىء لمن عدا ذلك ممن ورد فى السؤال لانهن جميعا من ذوى الارحام ولا ميراث لذوى الارحام فى مثل هذه الحالة .. والله أعلم .

س ١٠ من صديق المجلة ـ صالح محمد صالح الصفتى الاسماعيلية جمهورية مصر العربية

يسأل عن الحكم الشرعى فى لبس الذهب بالنسبة للرجال ـ كما يسأل عن حكم التصوير والرسم والموسيقى وسماع الراديو والتردد على المسارح والسينمات .

الجواب

لبس الذهب قل او كثر حرام بالنسبة للرجال حلال للنساء وذلك باجماع الفقهاء لما روى عن سيدنا على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرة بشماله وذهبا بيمينه ثم رفع بهما يديه وقال : ان هذين حرام على ذكور امتى حل لاناثها .

أما التصوير والرسم والموسيقى فقد بينا الحكم فيهما مفصلا فى العدد الثالث من هذا العام شهر ربيع الاول ١٣٩٦ هـ ـ فى الاجابة عن السؤال الاول فى هذا الباب فليرجع اليه ـ أما الراديو والتليفزيون والسينما والمسرح فانها من الوسائل الاعلاميه الهامة ومشاهدتها والاستماع اليها يحكم عليها بما يشاهد او يذاع فان كان فيما تعرضه او تذيعه دين وتهذيب وتخلق بالمكارم والفضائل والدعوة الى ما يصلح الفرد والجماعة دينا ودنيا فمشاهدتها والاستماع اليها حلال بل وأجب شرعى ووطنى وان كان فيما تعرضه او تذيعه اثارة للغرائز وابتذال وعرض لمفاتن المراة ودعوة للانحلال الخلقى فمشاهدتها او الاستماع اليها حرام ـ من اجل ذلك ولاهميه هذه الوسائل ولخطورتها على النشء والشباب ندعو ونرجو ان تكون وسائل بناء للمجتمع وتقويم لافراده .

س ١١ من السيد عبد الفتاح سليمان الفكهانى بالمعاش ـ الدقى ش ايران

يريد ان يعرف علة تحريم الخنزير وبيان المضار الصحيه والنفسيه لاكل لحم الخنزير فان له اولادا موظفين بالخارج والموائد هناك لا يوجد عليها الا لحم الخنزير مطهيا فى اصناف شتى مما يوقع الانسان فى الحرج وأولاده

أولا : جميعهم لا يتعاطون الخمور

ثانيا : بعضهم متمسك بالاية القرآنية : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » .

والسائل مهتم بشئون اولاده الدينية ويهمه ان يعيشوا فى طاعة الله

الجواب

الواجب علينا كمسلمين ان نؤمن ايمانا جازما ان الله سبحانه ما احل لنا الا الطيب وما حرم علينا الا الخبيث ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم » . وهو سبحانه حكيم فى كل أفعاله . وكل ما أمر به عباده أو نهاهم عنه انما هو لخيرهم وصلاح امرهم وكل ما يصدر عنه عز وجل انما هو لحكمة بالغة حتى ولو غابت هذه الحكمة عن العباد فواجبنا ان نطيع الامر الالهى تعبدا لله سبحانه حتى وان لم تصل مداركنا البشرية القاصرة لحكمة الله فى اوامره ونواهيه .

ومع ذلك وبالنسبة للحم الخنزير ، فان لحم الخنزير ضار بالابدان مولد للامراض مفسد للاخلاق . ذلك انه يحمل من الميكروبات ما ثبت

بالتجربة العلمية انها لا تموت فى اقصى درجات الحرارة والغليان فتنتقل الى الانسان الذى يأكله فتصيبه بأمراض مثيرة قد لا يستطيع التخلص منها « كميكروب التينيا » وغيرها هذا من الناحية الجسمية أما من الناحية النفسية والاخلاقية فان من المعروف ان خصائص الحيوان تنتقل الى الانسان بالاكل منه والخنزير معروف بالبلادة والخسة وعدم الغيرة على انثاه وهذه الصفات الخسيسة لا يرضاها الاسلام لاتباعه .

أما حالة الاضطرار التى اباح الله فيها للمضطر ان يتناول ما حرمه عليه فى حالة الاختيار فقد حددتها الايه الكريمة بالمخمصة اى المجاعة فابيح فى حالة المخمصة أن يأكل المسلم ما حرم عليه لرد مخمصته فقد قال تعالى « **فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم** » اى غير مائل لاثم يتجاوز به سدا لرمق وقال تعالى فى الاية الاخرى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » .

وقد بينت لنا السنة المطهرة أن هذه الحالة انما تكون حين تنعدم جميع الاطعمة التى احلها الله فاذا حدثت المخمصة ولا يجد المسلم فى البلد التى يقيم فيها طعاما ولا شرابا من لبن أو لحم او بقل أو غيرها الا الطعام المحرم فان الاسلام يبيح له أن يأكل غير باغ ولا عاد .

فقد روى احمد والطبرانى عن ابى واقد الليثى رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله انا بارض تصيبنا مخمصة فما يحل لنا من الميتة ؟ فقال : « اذا لم تصطبحوا ولم تغتبقوا ولم تحتفئوا بها بقلا فشأنكم بها » .

والاصطباح هو اكل الصبوح وهو - هنا - الغداء - والاغتباق هو اكل الغبوق وهو هنا - العشاء - قد ذكر الشوكانى فى نيل الاوطار ان الصبوح شرب اللبن اول النهار - والغبوق بفتح الغين شرب اللبن آخر النهار ثم استعملا فى الاكل للغداء والعشاء .

ومعنى « لم تحتفئوا بها بقلا » اى ولم تقتلعوا من الارض بقلا تأكلونه فيغنيكم عن اكل الميتة .

« فشأنكم بها » اى فكلوا وفق مقتضى حالكم مع الميتة اى ان لم تجدوا غير الميتة فكلوا منها لاضطراركم للاكل منها اذ لم تجدوا غيرها .

ويؤخذ من الحديث الشريف ان الطعام المحرم لا يحل تناوله الا فى حالة الاضطرار وان حالة الاضطرار لا تكون الا عند المخمصة ولم يوجد أى طعام من الاطعمة التى احلها الله لحما أو بقلا أو غيرهما من انواع الاطعمة

وفى اعتقادنا ان هذه الحالة لا توجد فى أى مدينة من المدن فى هذه الايام ذلك انه اذا لم يوجد من الاطعمة التى احل الله تناولها وان لم تكن مطهية ووجود هذه الاطعمة يمنع وجود حالة الضرورة ومع ذلك فالحلال بين والحرام بين - حالة الاضطرار وحالة الاضطرار بينتها السنة المطهرة والمسلم امين على دينه مسئول امام ربه - والله الهادى الى سواء السبيل .

س ١٢ : من السيد امين السيد العيسوى سبك الاحد مركز اشمون

توفيت شقيقتى قبل وفاة والدها وتركت بنتا ، ثم توفى والدى وتركني أنا وشقيق لى واختين شقيقتين، فهل ترث بنت شقيقتى المتوفاة قبل وفاة والدى ؟ وما نصيبها ؟ ..

الجواب : اذا كان الامر كما ورد فى السؤال ، فان لبنت البنت نصيب امها المتوفاة قبل وفاة المورث ، وصية واجبة بمقتضى المادة ٧٦ من القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ ، ولما كان نصيب أمها اقل من الثلث فتأخذه البنت كاملا بمقتضى القانون المذكور ، والباقى يوزع بعد اخراج نصيب الوصية الواجبة ، على الولدين والبنتين للذكر مثل حظ الانثيين . والله اعلم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الأسرة المسلمة

المرأة في رأى الدين

طالعت مقالتى الاستاذ محمد النظامى فى مجلة « منبر الاسلام » تحت عنوان « المرأة فى رأى الدين » فى العددين ٢ و٣ . ولقد أعجبت بالمقالتين كثيرا ، وأعجبنى أكثر أنه أوفى المرأة حقها فى مقالته الثانية العدد ٣ — مارس ١٩٧٦ مدعما حديثه بما جاء فى الكتاب والسنة الا انه تحامل عليها فى بعض المواقف وكان حكمه عليها جائزا الشىء الذى دفعنى لكى أعقب على بعض النقاط التى وردت فى المقالتين .

ففى العدد — ٢ — بتاريخ فبراير ١٩٧٦ ورد الاتى : « والمرأة بحكم تكوينها عاطفية ، ونظرا لتغلب الجانب العاطفى فى تكوين المرأة على الجانب العقلى استجابت حواء قبل آدم لوسوسة الشيطان ثم اغرت آدم على الاكل من الشجرة المحرمة والعصيان مع أن الله حذرهما بأن النتيجة اخراج من الجنة »

لقد فسر الاستاذ النظامى استجابة حواء لوسوسة الشيطان — هذا اذا كانت هى التى أكلت أولا من الشجرة — نتيجة لتغلب الجانب العاطفى فى تكوينها ، اما بالنسبة لادم عليه السلام فقد حاول الاستاذ ان يجد له العذر والمبرر الذى لن يعفيه من الذنب الذى ارتكبه « الا تزر وازرة وزر اخرى ، وان ليس للانسان الا ما سعى » النجم آية ٣٨ — ٣٩ . والايات فى هذا المجال وبأن كل امرىء مسئول عن فعله يوم القيامة كثيرة الا أن الاستاذ النظامى لكى يحمل المرأة كل مسئولية الخطأ والذنب واصلا بذلك لوصفها بالعاطفية حاول ان يجد لادم عليه السلام المبرر وذلك بقوله « بانها اغرت آدم على الاكل من الشجرة » .

وانى لا اتفق معه فى هذا الرأى — اى عاطفية المرأة — لاسباب عدة منها :

انعدام جانب المقاومة من سيدنا آدم عليه السلام .. فليس لدينا اى آية أو حديث شريف أو اشارة تبين بأن آدم وقف من حواء موقفا صلبا أو حتى انه ذكرها بكلمات ربه رغم ان الله سبحانه وتعالى قد خاطبه خطابا صريحا واضحا « ويآادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين الاعراف » . « فقلنا ياآدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » . ورغم هذا التحذير استجاب آدم لوسوسة الشيطان .

ثانيا : قوله تبارك وتعالى « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » و « وعصى آدم ربه فغوى » . وفى الحديث الشريف قال البخارى حدثنا قتيبة وحدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن ابى كثير عن ابى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم

الأستاذة سعاد الأمين على جوهر

قال « حاج موسى آدم فقال له : انت الذى اخرجت الناس من الجنة بذنبك واشقيتهم ؟ قال آدم ياموسى انت الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه اتلومنى على امر كتبه الله على قبل ان يخلقنى او قدره الله على قبل ان يخلقنى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى » .

وما قصدت بهذه الشواهد أن أنفى بأن المرأة عاطفية ولا أن أثبت هذا الحكم على الرجل . كما انى ما قصدت بأن أقول بأن آدم هو الذى أكل من الشجرة قبل حواء وأشقى نفسه وأشقى العالم معه ، الاية ١٢٠ ـ ١٢١ سورة طه (فوسوس اليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى . فاكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى) وانما قصدت بأن هذه القصة لا تصلح كدليل لعاطفية المرأة . فالاثنين أخطأ والاثنين استجابا لوسوسة الشيطان فلو صح أن تلك الاستجابة دليل على العاطفية الزائدة فبالتالى يكون الاثنين فى هذه الناحية سواسية .. ولكنى أقول فى هذه القصة كما قال أبونا آدم عليه السلام بأن ارادة المولى تبارك وتعالى وحكمته اقتضت بأن يأكلا من تلك الشجرة ويطردا من الجنة (فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما ...) . (فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما ... » .

ويستمر الاستاذ النظامى فى النقطة ـ ٣ ـ من نفس العدد ليؤكد بأن المرأة أكثر عاطفية من الرجل فيقول :

٣ ـ « والمرأة بحكم تكوينها عاطفية ، وكانت قوة عاطفتها وتغلبها على عقلها سبب وأدها فى الجاهلية » .

ولا يسعنى الا أن اقول بأن الاخ أراد أن يحكم علينا فحكم لنا .. ذلك بأن ما أورده بسبب وأدها فى الجاهلية لدليل قاطع على عاطفية الرجل لا المرأة . ودليل لاتباع الرجل لشهواته ورغباته وسلطان عاطفته ولضعفه أمام أهوائه ... ولقد كان ـ نتيجة لرغبات الرجل الجامحة وعدم مقدرته لاخضاعها لحكم العقل ـ أن ظلمت المرأة مرتين . أولاها أن الرجل يظل يركض خلفها ويتفنن فى اغوائها بشتى الطرق والوسائل وبلا وازع من أخلاق او دين الا الرغبات الجامحة ناسيا قول الرسول عليه السلام « ان الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول : أيها الشاب التارك شهوتك لاجلى ، المبدول شبابه لى ، انت عندى كبعض ملائكتى » . وقوله تبارك وتعالى : (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » ..

هذا الرجل يظل هو البادى بالمعصية وهو الذى يسعى لينال المرأة بالطرق التى لا ترضى الله سبحانه وتعالى وهذه الظاهرة لا تحتاج الى دليل أو برهان . فالنساء عانين وما زلن يعانين الكثير من معاكسات الرجال الشىء الذى لا يجهله الاستاذ النظامى والذى تشهده معظم البلدان الشرقية . فالرجل صاحب السيارة يعاكس .. وراكب الدراجة يعاكس .. والذى يسير بقدميه يعاكس . ورغم هذا يصف النظامى المرأة بأنها تتبع سلطان العاطفة لا العقل . ولا حول ولا قوة الا بالله فهذا ظلم أصاب المرأة . كان أحق أن تنسب العاطفية فى هذه الحالة للرجل .. أما السبب لوأدها فى الجاهلية فهذا ظلم آخر أصابها سببه الرجل نفسه ونتيجة لعدم سيطرته على شهواته .. وانى أقول ان فقدان الثقة بين الرجال وتشككهم وتخوفهم من بعضهم على نسائهم جع[illegible] يوأدون نسائهم فى الجاهلي[illegible] واسوق مثلا لهذا .. فالراعى تجده يخاف على غنمه من الذئاب الضارية ، فيلازمها كلب أو اثنين لحراستها . واليوم فالمرأة سلاحها العلم والمعرفة والتفكير وسلاحها كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام . أما أولئك فقوم جاهلية . سذج خافوا على نسائهم من الرجال فلم يجدوا الا وأدهم ولا حول ولا قوة الا بالله . والله سبحانه وتعالى قد استنكر فعلتهم تلك (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ام يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون) . أجل ألا ساء ما يحكمون .

اما القصة التى ساقها النظامى عن ابنه قيس بن عاصم التى رفضت العودة لقبيلتها مفضلة البقاء مع أعدائها لانها أحبت عمرو بن العشرج فلا أظنها خير حكم لعاطفية المرأة ذلك لانها كانت المرأة الوحيدة من جميع فتيات قبيلتها التى فضلت البقاء . وهذه حالة شاذة لا يصح الحكم بها على الكل . وأمثال هذه الحالات نجدها نادرة الوقوع فى تاريخ الامة العربية وفى حياة النساء خاصة . هذه ناحية ، والناحية الاخرى .. ما موقف الرجال ازاء هذه القضية وهو شريك لها فى هذا الامر ؟ وهنا ظلم آخر تعانى منه المرأة حتى اليوم . فترى أن الاثنين يشتركان فى فعل واحد ويرتكبان المعصية فتوصف المرأة بالضعف وبالانقياد لعاطفتها وعدم تحكيم العقل كما فعل الاستاذ النظامى او توأد كما فعلت القبائل فى الجاهلية أو تنبذ وتحتقر [illegible] يحدث اليوم فى مجتمعاتنا الشرقية . اما الرجل فلا يشار اليه من بعيد أو قريب بلوم ولا يذكر بسوء فعل بل يسير مرفوع الرأس وكأنما الله قد أحل له ما حرم على المرأة .

انى أرى أن الرجل ملام أكثر من المرأة وكان الاجدر ان يروعها ويهديها

هذا اذا كانت هى التى بدأت باغرائه وحاولت ان تقتنه • ففى الحديث الشريف عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم القيامة فى ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله .... الى آخر الحديث « ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال الى نفسها فقال : انى اخاف الله » •

وقصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز عندما راودته عن نفسه لخير مثال لتحكيم العقل وضبط العواطف وعدم الانسياق للرغبات • يقول تبارك وتعالى : (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لايفلح الظالمون » هكذا ينبغى أن يكون موقف الرجل تجاه النساء امثال امرأة العزيز • فهل يفعل الرجل اليوم ما فعل سيدنا يوسف عليه السلام أو كما يطلب منا الرسول عليه السلام فى الحديث الشريف • ان واقع الرجل اليوم يقول غير هذا فانه لا يكاد يصدق أن تسنح له فرصة كتلك التى سنحت لسيدنا يوسف عليه السلام بل هو يسعى لايجاد مثل هذه الفرص ولا يتركها تمر دون أن يستغلها لصالحه •

هذا هو الرجل الذى يقول فيه سبحانه وتعالى (الرجال قوامون على النساء) •

والرجل بحكم أن له القوامة فلا المرأة فلا يصح أن يكون هو الساعى لاغواء المرأة والنيل من كرامتها وشرفها •

والرجل بحكم أن لا القوامة فلا يصح أن يترك نسائه وبناته يخرجن عاريات متبرجات وسافرات فى الطرقات •

والرجل بحكم أن له القوامة - لو كانت نفسه عامرة بالاسلام وروحه متشبعة بقول الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام - لانعكس ذلك فى تصرفاته وافعاله وتحركاته داخل وخارج المنزل ولا نعكس ذلك على افراد أسرته وبناته رلما تهافتن على مجاراة الموضة والتعرى •

هذا ولولا النظرات المحمومة التى يتابع بها الرجل المرأة •• ولولا عبارات الاعجاب والغزل الرخيص التى تخرج من بعض النفوس المريضة لماتفننت النساءفىلبس الثياب الضيقه لجذب واصطياد الرجال •

ان عاطفية المرأة التى تحدث عنها النظامى لا تعرفها قطعا عن تحكيم العقل والتفكير والتدبير •

صحيح أن المرأة رقيقة حنونة •• ففى حالات الشدائد نجدها تبكى وفى وقت الكرب تنهمر دموعا غزيرة •• ولكن هذه الرقة والعاطفية لا تعرفها أبدا عن تحكيم العقل • فالام يمرض ابنها فتتألم وقد تجزع وتظل تبكى ولكن هذا لا يصرفها أبدا عن أخذه للطبيب للكشف عليه واحضار الدواء واعطائه له فى المواعيد المقررة حتى يشفى •

والمرأة يتوفى أحد أفراد أسرتها فتندب وتبكى ولكن هذا لا يصرفها عن تحكيم العقل والقيام بواجبها تجاه المواسين والمواسيات والذين يشاركونهم فى الالام •

والمرأة يرتكب ابنائها أو بناتها الخطأ فرغم حبها لهم فانها توبخهم وتزجرهم وقد تضربهم اذا دعت الضرورة لذلك •

أما اللاتى ينسقن وراء عواطفهن ويفعلن غير ذلك فاولئك جاهلات يحتجن الى تعليم وتثقيف • والجاهلات من النساء شأنهم شأن الجاهلين من الرجال •

وأما المواقف التى تبكى فيها المرأة ويصعب على الرجل البكاء فيها فلعل ذلك يرجع الى التربية ذاتها • فنحن اذا بكى الصغير نوبخه « أمال ... خليك • • عيب •• والرجال ما تبكيش الخ •• هذه الالفاظ •• فينشأ الطفل ويكبر وقد اصبحتلديه المقدرة الفائقة على حبس جماح عواطفه وعدم البكاء • أما المرأة فهى تبكى ولا تجد من يقول لها أن البكاء يفسد كل شىء ولا داعى له ما دام ما قد حدث قد حدث وانما على المرء أن يتدبر فيما يفعله بعد ذلك • وعلى أى فان البكاء نوع من التنفيس وبعض الراحة وما دام هو لا يصرف المرأة عن التفكير المتزن كما ذكرت سابقا فلا غضاضة فيه •

واننا لا نختلف مع الاستاذ النظامى فى اختلاف تكوين الرجل والمرأة •• ولانتفق مع دعاة المساواة بينالرجل والمرأة فى أمور يكون موقف الرجل فيها خير من المرأة •• كالاعمال الشاقة وقطع الصخور وفى الحروب وغيرها من الاعمال التى تتطلب قوة جثمانية رغم أنالتقدم العلمىقد أثبت أن المرأة تستطيع أن تقوم بنفس الاعمال التى يؤديها الرجل وبنفس الجودة ان لم يكن خيرا منه فليس بأقل • وحتى آلام الحيض والحمل والوضع التى يقول النظامى « انها تضعف نفسية المرأة » ، هذهالالام اصبحت المرأة تعبر عليها وتحتملها لدرجة أنها أصبحت لا تؤثر فى أدائها لعملها وواجباتها الا القليل والقليل الذى لا يذكر والذى قد يضيع الرجل أمثاله مرات فى شرب الشاى أو الهروب من المكاتب الخ • الخ • ولكننا كأمة مسلمة لم يترك كتابها أى صغيرة أو كبيرة الا وأحصاها وحفاظا على نظام وحياة الاسرة ولكى لا يختل فيها التوازن فلابد من أن يلتزم كل فرد فيها من ذكر وأنثى بواجبه فيتقدم المجتمع وتستفيد الاسرة وتنجح فى حياتها الخاصة والعامة • أما المساواة التى لا تقدم فى حياة الاسرة او الامة من شىء فلا خير فيها •

وفق الله الامة الاسلامية لما فيه خير الجميع ، وللحديث بقية •

نموذج للفكر الإسرائيلى

الأستاذ ناصف سليم

رايت ان اتحدث عن هدا اللقاء الدى صسعه لى القدر ، مع شاب اسرائيلى صغير ، التقيت به فى أمستردام خلال شهر اكتوبر من عام ١٩٧٤ فى طريق عودتى من المكسيك .. فقد خطر لى أن الحديث عن هذا اللقاء ، والشباب المصرى مقدم على السفر الى الخارج ، وهو ملح فى رغبته الى اجتياز حدود البلاد ، أمر مناسب ،حتى يتسلح من يتحقق له فرصة السفر بالمعرفة الحقة ، والادراك الواعى السليم ، لقضيتنا الابدية مع اسرائيل ، شئنا أو لم نشأ .. قامت بيننا وبينهم هدنة أو لم تقم ، فالحرب معهم عقائدية من جانبنا ومن جانبهم ، لا تنتهى بجولة ،ولا جولتين ، ولا ثلاث ولا أربع .. وانما هى مستمرة الى ان يشاء الله ان يزيل هذه العصابة الطاغية من ارض العروبة الى ابد الابدين !!

● كانت هذه الرحلة قد بدأت طريق العودة من المكسيك فى ظروف غامضة حيث كانت تخشى اللجنة المنظمة لبطولة العالم للكرة الطائرة ، على الفريق المصرى المشترك فى بطولة العالم ، من غدر الطغمة الباغية ، التى اعلنت وماتزال تعلن أنها لابد أن تثأر لوفدها الرياضى فى اولمبياد ميونخ ١٩٧٢ ، وهو الفريق الذى قضى عليه الفدائيون الفلسطينيون فى القرية الاولمبية ، يوم ضحوا بأنفسهم من اجل ان يسمع العالم صوت المظلومين ، قبل ان يتحقق للعرب نصر أكتوبر المجيد ، بفضل الجندى العربى الباسل .

وأحيط تحرك البعثة المصرية بكتمان شديد ، ومفاجات فى التنقل من مكان الى مكان ، ومن شارع الى شارع ، بل من مدينة ، الى أخرى . وبلد الى بلد ، الى أن حط رحاله فى امستردام مقدما ليدبن

على نفقته الخاصة ، فى انتظار موعد شركة الطيران الهولندية التى ستقله الى القاهرة .. وهولندا فى ذلك الوقت ، لها موقف متعاطف مع اسرائيل ، وهى تستقبل شباب الدولة الباغية بترحاب شديد ، وحرارة متزايدة ، ويجد شباب اسرائيل فى امستردام كل امانيه واحلامه ، فى فرص العمل ، وفى اللهو والمرح .. ويجد التعاطف والحنان ، يلفه من كل جانب !

● وكالعادة فى الرحلات التى لا يتوفر فيها المسكن والمأكل للمرتحلين على نفقة الدولة المضيفة ، ان يلجأ الرحالة الى التقشف ، والبحث عن الفنادق الصغيرة ، والمطاعم الشعبية ، وخرجت فى جوف الليل أتحسس شيئا من هذا ، فاذا بى أمام مطعم مزدحم ، لا يزيد طوله على المترين ، والاكلون يقفون متراصين كل بدوره !

ويسعدنى كثيرا ، ان ارى بين الواقفين شابا ينطق باللهجة العربية الشامية ، يستقبلنى بوجه باش ، وابتسامة تشير الى رغبة فى التعارف والحديث ! .. أهلا .. أهلا ! ولا مانع ، فالعربى أخ للعربى اينما وجده !

وبادرنى ، بقوله :

امصرى .. انت ؟ أم عراقى !!

وأجبت : مصرى

قال : وجه الشبه كبير بين المصرى والعراقى ؟

ــ نعم ..

ــ وجاء دورى فى التعرف عليه ؟ !

ــ وانت !!

وهنا .. كانت المفاجأة .. !

● اسرائيلى .. من يافا !!

وحاولت ان اخفى علامات الاستنكار .. وان امحو آثار المفاجأة ، وعلامات الدهشة ! وتساءلت !!

ــ وتجيد اللهجة العربية الى هذا الحد ؟ !

ــ نعم .. كل اصدقائى ، وجيرانى من العرب .. وابى وامى ، يتحدثان بالعربية كأهلها ، تماما .. لقد عاشا فى سوريا زمنا طويلا : وانما انا مولود فى يافا ! ! .

وكانت رغبته فى الحديث ملحة ، وكانت رغبتى فى ترك المكان .. وعدم الاطالة فى الحديث بادية مكشوفة ، وان حاولت ان اخفيها !!

● ثم لماذا .. يبدو على ذلك .. ولماذا ابدو امامه متهربا ، مذعورا .. انه يصغرنى بعشرين سنة على الاقل ، والشاب فيه براءة .. ربما كانت كاذبة ، واذا كان احد من الواقفين فى انتظار دوره فى الحصول على « سندويتش » لم يلتفت الينا .. ولم يفهم حديثنا ، فلماذا ابدو أمامه ، بعد انتصار اكتوبر ، متهربا من الحوار والمناقشة .. لماذا لا أستجيب لرغبتى الصحفية .. واكشف عما فى نفسه بعد درس خط بارليف ، وعبور القناة ، ومعركة ٦ اكتوبر التى اذلت اعناقهم وطعنتهم !

ولكنى وجدته ، يتحدث بالعربية ، لشاب آخر فى مثل سنه ، وفهمت انه يحكى ما دار بيننا من تعارف .. وجاء دورى فى الحصول على الوجبة الخفيفة من عمال المطعم .. وحملتها وذهبت الى اقرب منصة خالية ، وجلست التهمها حصلت عليه .. راغبا ، ان انتهى من ذلك مسرعا ، وان اعود الى الفندق مسرعا ، وان يكون ذلك ، قبل ان يحصلا على بغيتهما من المأكل .. ولكن خاب ظنى ، فقد حمل كل منهما طبقه .. وعاد يجلس بجوار .. واستأنفنا

الحديث .. بحذر ، من جانبى ، وجراة من جانبهما .. أو من المتحدث بالعربية على وجه الخصوص !!

● قال بالحرف الواحد :

يا اخى .. انتهينا .. الحرب تضت على الشباب !

– اى شباب ؟ !

● شباب المنطقة كلها .. نحن وانتم على السواء !

– لكن الحرب .. لم تنته بعد ، فأنتم مازلتم تحتلون ارضا عربية ، هى من حق هذا الشباب . ومن حق اجيال قادمة ، الى ان تتحرر !!

وبعد ان قلت هذه الجملة ، ادركت ان هذا الشاب الاسرائيلى الصغير ،مثقف عقائديا ، رسخت فى ذهنه تعاليم آبائه السابقين ، متعصب الى ابعد حد ، يحدثنى وكأنه يقرأ من كتاب محفوظ !

حقيقة وجدته مطحونا من درس أكتوبر ، ومن حياة عاشها وهو لا يحس بنوع من الامن ، ولكن ما رسخ فى عقله وقلبه ، يؤكد ان هؤلاء القوم لا أمان لهم. مهما ادعوا أنهم يريدون العيش فى أمان .. او انهم لا مطمع لهم الا فى البقعة التى يعيشون فوقها .. واستمع اليه مرة أخرى وهو يقول تلقائيا على غير موعد سابق ، ولا اعداد لفكرة او حديث :

– انا لست متنازلا ، عن رايى فى ان الحرب هلاك للمنتصر والمنهزم .. كلاهما خاسر ، والشباب ، هو وقود هذه المعارك التى طحنتنا نحن وانتم ربع قرن .. ، واذا اردت ان تحدثنى عن الحق .. واصحاب الحق ، فاليهود ، كما ذكر القرآن نفسه ، أصحاب حق فى هذه الارض منذ عهد داوود !!

● وحاولت أن أقطع حديثه ، ونجحت فى ذلك ، لاقول له ، متصنعا عدم الاهتمام بما قال :!

ان منطقك هذا لا يتمشى مع منطق العلم والسلام ، ولا تعتد به الشرائع الدولية ، اذ لو صح هذا ، لتغيرت خريطة العالم كله ، ولطالب المسلمون بأسبانيا « الاندلس » .. ثم لماذا لا تذكر ان البلاد انقسمت الى قسمين بعد موت سليمان ،وان الفراعنة غزوها بعد ذلك .. وكان لهم فيها حق ، والاشوريون والبابليون والعمونيون العرب والفرس والرومان واليونان ، كل هؤلاء كانت لهم فى هذه الارض جولات .. وصولات ، فهل سمعت ان اليونان او ايران .. قد قالت احداهما أن لنا فى هذه الارض حقوق !!

● وحاول الشاب ان يهرب ! .. ولا ادعى أنه اقتنع ، ولكن القدر قد ساق اليه من يشرح له بعض ما يعاند فيه أهله ، ويتجاهلونه .. ثم اخذ مهلة .. مدعيا ايضا عدم الاكتراث ، بما قلت ، وبدأ يترجم لصديقه ، مادار من مناقشة !

ويبدو ، كما لحظت ان مرافقه الذى يتحدث العبرية فقط ، غير مزود بأية معلومات تاريخية أو سياسية فى هذه القضية ، ولكن محدثى الشاب الصغير ، ملقن بتعاليم ونصوص محفوظة ، منقوشه فى صدور شباب بنى اسرائيل ، واليك دليلا آخر على ما اقول ، تدركه من تعقيبه على ما قلت :

– هذه امثلة .. لا تناسب ، ما نقول .. ولا ما أقول ، ذلك لان وجودنا على هذه الارض يحكم

عقيدتنا ، وتراثنا ! .. ولا ينطبق عليها منطق الاحتلال ، ولا الاستعمار ، ولا شيء من ذلك !

● قلت : أوافقك فى بعض ما قلت ، فهل توافقنى على ان احدثك بنفس المنطق !

- ان عقيدتنا تحتم على العربى المغتصب أن يعود الى ارضه ، وحق كل عربى ومسلم فى بيت المقدس منصوص عليه فى القرآن ، ومن اجل هذا قام عمربن الخطاب بفتح القدس ، وتثبيت حق المسلمين فى بيت المقدس !

● قال الشاب الاسرائيلى !

.. ولماذا لا تسمون هذا احتلالا .. ولماذا تنكرون علينا ، ثورتنا من أجل تحرير الارض التى اغتصبت فى عصر عمر بن الخطاب !

. قلت :

يبدو انك تردد كلاما حفظته .. اذ كان يجب أن تعرف ، ماذا فعل عمر بن الخطاب عندما استخلص حقا للمسلمين والعرب فى أرض فلسطين ، لقد قال فى وصيته مما اذكر معناه وليس لفظه :

اعطوا لاهل ايلياء من الامان ، فى اموالهم وانفسهم ما تعطونه لانفسكم ، احترموا كنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتهما ، لا تسكن هذه الكنائس ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ، ولا من شيء من اموالهم . ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم !

ومع هذا ، فان أعداء المسلمين لم يعاملوا المسلمين ، بمثل ما عاملهم به المسلمون من تسامح ، ولذلك كانت مقاومة الصليبيين ، واعادة فتح المقدس فى عهد صلاح الدين الايوبى .

● وحاول الشاب ان يقاطعنى .. ولكنى استرسلت اقول له : لعلك .. قد فهمت الان ، ان للمسلمين فى القدس حق ، وللمسيحيين حق ، ولليهود حق .. فلماذا لا يعيش الجميع فى أرض فلسطين ، كما أمر الله أن يعيشوا !!

● ولما ادرك الشاب ان حجته واهية ، وان طوابير الزحام فى المطعم قد انتقصت وبدا فيها الخلل .. وبدأ عامل المطعم .. يعد الكراسى الخالية ويعيد تنظيمها ، علامة ان الوقت قد حان لمغادرة الزبائن .. القى ببعض كلمات مركزة ، تحتاج الى مناقشة ، لكنها تركت فى نفسى معانى كثيرة .. وكنت فى لهفة لكى اسرع من طريق غير الطريق الذى سلكه الشاب وصديقه .. فمازلت فى خوف من غدرهما .. ومن أدرانى ، فقد يكون اللقاء الذى اعتقدته تلقائيا وقدرا ، كان مخططا ومرسوما ، منذ خرجت البعثة من ارض المكسيك ، حتى استقبلتها المضيفة اليهودية فى مطار امستردام ، وهى تحدثنا باللغة العربية .. ظللت أخطو مسرعا نحو الفندق ، وأنا أفكر فى كلمات قالها الشاب الصغير ، وهو ينهى حديثه العقائدى المرتب :

يجب ان توافقنى على ان تعليمكم للتلاميذ بعض ما سمعته منك .. هو الخطر على المنطقة ، ان جيلا بعد جيل ، سيردد كلام القرآن الذى ذكرته هذا محرضا ضد اليهود .. ودراسة التاريخ من الزاوية التى حدثتنى بها هى الخطر الحقيقى الذى يهد الامن فى المستقبل .. !

وادركت من هذه الجمل التى انتهى بها اللقاء ، أن شباب اسرائيل يدرك انه لا امن .. ولا أمان لهم فى ارض فلسطين ، طالما هم فيها يعيشون بالاغتصاب ، واصحاب حق يعيشون فى خيام خارج اراضيهم وديارهم .. كذلك .. فان هذا يوضح أنهم يعلمون - كما نعلم - أن الحرب بيننا وبينهم عقائدية .. والحرب العقائدية ، لا تنتهى من جولة واحدة .. ولا من اربع جولات .. ولا من خمس عشرة جولة ، اذا صح التعبير بعدد جولات الملاكمين المحترفين ...

وعلى العرب والمسلمين .. دائما ، ان يكونوا على حذر واستعداد . والله ولى الصابرين .

أهل الدين على مر القرون أمة واحدة ، وكان أصحاب الشرك والكفر أمة تقابلها وتعاندها ، لان الظروف الداعية الى الايمان فى كل زمان ومكان واحدة ، ولان الظروف الداعية ، الى الشرك والضلال والعناد والفساد ، واحدة ، فى كل أمة وصقع .

وهذا ما يدعو اليه القرآن أول ما يدعو .

ولكن لا تزال ثمة بقية في مذهب القرآن الكريم التجريدى ، فان بعض أبطال ما اورده من أنباء وأخبار ، لا تريد الاشارة اليهم عن لفظ « رجل » أو « امرأة » أو يستعمل ضمير وصل ، من ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة :

« او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعدموتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه » .

وفى الاية التى قبلها مباشرة :

« ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ، أن آتاه الله الملك » .

وفى سورة الكهف :

« واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ..

الى أن قال تعالى :

« وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا أكثر منك مالا واعز نفرا » .

وفى نفس السورة ما جرى بين موسى عليه السلام والرجل الصالح ، فقد قال :

فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ... » .

فصاحب هذه الواقعة ، لا يذكر له اسم ، ولا يرد فى القرآن له وصف ، وانما يكتفى كلام الله العزيز بالاشارة اليه بلفظ « عبد » .

وأبطال نبأ الكهف هم فى الاية التاسعة من السورة مجرد « فتيه » .

« اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من امرنا رشدا » .

ولما اراد كتاب الله ان يريد بهم تعريفا قال تعالى :

« نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى »

فما يهم قارىء القرآن الكريم ، ان يعرف نصيبهم من الايمان ، وموقفهم من الدين القيم ودعايات الضلال .

واذا صرح القرآن الكريم باسم شخص ، كما فعل مع « قارون » ، فلا يظفر هذا الاسم الا بنسبته الى قومه ، قال تعالى فى سورة القصص :

« ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم » .

ولم يحل منهج التجريد ، بين القرآن الكريم ، وبين أن يبلغ فى أداء المعنى ، وتصوير وقائع النبا ، وايراد الاشارات المحددة للشخصية ، بالقدر الذى تستلزمه الغايه من النبا او القصة ، ولعل أوضح الامثال على هذا ، ما جاء عن أصحاب الحديقة ، التى اورد كتاب الله نبأهم فى سوره القلم ، فجاءت تموج بالحركة ، حركة الابدان ، وحركة العواطف والوجدان ، حتى تكاد ترتسم لاصحاب هذه الجنة ، صورة تتابع خطاهم ، فى غبشة الفجر ، وهم يكتمون اصواتهم ، ويسترقون خطاهم ، ويتلمسون طريقهم ، لكى يجنوا ثمر الحديقة ، دون أن يراهم راء من الفقراء ، حتى اذا ما وصلوها راوها على غير حالها ، حتى ظنوا انهم ضلوا الطريق ، ثم أدركوا ان امر الله ادركها فأصبحت حطبا لا ماء فيه ، ولا ثمر ، فعرفوا ان البخل ، والضن على من يستحقون المعونة ، لا يحقق خيرا ، ولا يزيد الناس كما قال تعالى :

« انا بلوناهم ، كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ، ولا يستثنون ، فطاف عليها طائف من ربك ، وهم نائمون ، فأصبحت كالصريم ، فتنادوا مصبحين ، ان اغدوا على حرثكم ، ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون ، ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ، وغدوا على حرد قادرين ، فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون ، قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون ، قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين ، فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون » .

لم يذكر هنا اسم واحد ، ولا وصف لاحد من أصحاب الحديقة ، ولا تحديد لبلدهم ، ولا لجنسهم ، ولكن العبارات ناطقة بكل ما يقتضيه بيان الواقعه ، وبيان زمانها ، وما يلابس مكانها ، حتى ليصبح ذكر هذا كله ، ضربا من العبث ، لا يزيد العبارة جمالا ، ولا وضوحا ، ولا تاثيرا ..

ونرجو أن نتابع البحث ومن الله العون .

منتجاتها تحوز رضاء عملائها في جميع أنحاء العالم
تصدر إلى
أوروبا
الشرقية والغربية
أفريقيا
الوسطى والغربية
الدول العربية
أمريكا
أستراليا
شركة مصر/حلوان للغزل والنسج
٣٨٠٣٠ - ٣٨٠٣٦ / ٣٨٠٣٨
مصانع ت ٣٩١٨٠ - ٣٩١٨٦ / ٣٩١٨٨
عنوان تلغرافي
سومسو حلوان

مع القراء

إعداد: فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

لقد أفاء الله على عباده المؤمنين بكل ما من شانه ان يحقق لهم عزتهم وكرامتهم واحلالهم المكانة السامية لخير أمة أخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ويستمد المؤمن عزته الحقة من عبوديته المطلقة لله جل علاه فلا مولى له الاه ولا يعبد الا اياه « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » ..

ومن فضل الله على عباده المؤمنين ان خصهم – الى جانب العبادات والمعاملات – بمواسم دينية على مدار العام وكأنى بها دورات روحية تنشط من خلالها همة الانسان الروحية لتتوازن مع ارادته العملية الدنيوية فيتحقق له من خلالها الانطلاق الى الحياة بلا جشع ولا فزع حيث يتخلص الانسان من ادران المادية ، فتصفو الروح وتسمو بالتزود من معين الشريعة الاسلامية والقيم الروحية محققا الوسطية العصماء التى ارادها الله تعالى لامته « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

اما زمان هذه الدورة الروحية فهو :

● رجب حيث كان التكريم الالهى لرسوله عليه الصلاة والسلام من خلال رحلة الاسراء والمعراج التى أرادها الله تكريما لرسوله الكريم وتصدقا لقوله تبارك وتعالى « ماودعك وماقلى » وحيث فرضت الصلاة تكريما للامة المحمدية ورحمة مهداة لهم من الله ومن ثم فهو شهر الله .

● وشعبان الذى كان اكثر ما يرى فيه الرسول عليه الصلاة والسلام صائما ارهاصا بمقدم رمضان ومن ثم فهو شهر الرسول عليه الصلاة والسلام .

● .. شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .. « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وفيه ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هى حتى مطلع الفجر » ومن ثم فهو شهر الامة المحمدية .

والمواسم الدينية عديدة ومتعددة المناسبات التى تفرض على المسلم ان يتطلع من خلالها الى ربه ان يتوب عليه وان يشكر نعمته وان يقيه شر نزعات الشيطان « رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه » .

ويتطلع الى نفسه يقوم من سلوكها المعوج ويطرح جانبا كل ما هو اقرب للهو منه الى العمل الجاد الاصيل حتى يحقق لنفسه درجة من الاطمئنان يأنس لها ويكون بها راضيا عن نفسه ومرضيا عند مولاه جل علاه ..

● **فهناك مثلا الاشهر الحرم** : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب .. **ونال المحرم شرف التاريخ للعام الهجرى تقديرا لمكانة الهجرة المحمدية ..**

● **وهناك شهر ربيع الاول** حيث اشرقت الارض بنور ربها وتهدمت قلاع الطغيان بأمر المولى جل وعلا ارهاصا بمولده عليه الصلاة والسلام ..

كل هذه مواسم دينية انعم الله بها على عباده المؤمنين على مدار العام تذكيرا لهم بفضل الله عليهم ورحمته بهم « **وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين** » . وانما اشرت الى الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان كدورة دينية تاسيا بقوله عليه الصلاة والسلام « **رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر امتى » .. فمن احبه الله** هيأ له سبيل اغتنام هذه الاشهر الثلاثة فى قراءة القرآن وتفسيره وتنويره وتقويمه للنفس واحيائه للروح والسنة النبوية الشريفة ودلالاتها وتنظيمها للانسان نفسا وروحا وامهات كتب التراث الاسلامى قدر ثقافته ووعيه وفهمه وقدرته ..

وفقنا الله الى احياء شريعته وسنة نبيه ومعايشة مواسمه الدينية على مستوى من التأمل والتفكر والتدبر فى عظمة الله وجهاد نبيه الحبيب الامين وتاريخه والسلف الصالح الذى قدم لنا المثل الناجح والقدوة الطيبة بالكلمة الصادقة والحركة الامنة والعمل الصالح ..

« ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » صدق الله العظيم

والى لقاء مع النفحات الدينية خلال اشهر الدورة الروحية .. فى شعبان باذن الله ..

الاسلام والعلم

بقلم الصديق احمد عبد الفتاح عياد

مدرسة جمال عبد الناصر الثانوية العسكرية بدسوق

● ان رسالة الاسلام رسالة قائمة على العلم ، ولقد اثبت علماء هذا العصر حقائق ثابتة في القرآن منذ الف واربعمائة عام ، ومثالا لذلك «**شكل الارض**» فهى كالبيضة قال تعالى « **والارض بعد ذلك دحاها** » .

العسل الذى يخرج من النحل فيه شفاء لكثير من الامراض كما يقول العلماء الان ، وقد سبقهم القرآن الى ذلك :

● « **وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون** » .

وكذلك الورق الاخضر الذى يصنع مادة الاحتراق فى الخشب قال تعالى :

● « **الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون** » .

● **ويقول عالم فرنسى :**

● « **ان ما اثبته العلم حديثا موافقا لما جاء فى القرآن دليل على ان القرآن الذى نزل منذ اربعة عشر قرنا ليس من قول البشر** » .

رسالة تونس

بقلم الصديق محمد الصالح الساحلى

١٠ نهج جامع الزيتونة

السيد الفاضل رئيس التحرير الاستاذ محمد توفيق عويضة

تحية ودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد اتقدم اليكم والى نخبة الاساتذة والدكاترة المحررين فى المجلة الغراء منبر الاسلام باسمى آيات التقدير والاحترام واشكركم على المجهودات الكبيرة واجتهادكم فى نشر علوم الدين الاسلامى فى انحاء العالم وخاصة العالم العربى كما انى معجب بهذه المجلة واقتنيها كل شهر والحمد لله فهى متوفرة وادعو الله العلى القدير ان يثبت خطاكم ويوطد الاسلام ويدعم اركانه برجال امثالكم ، كما اطلب منكم بكل احترام أن تنشروا اسمى وعنوانى فى صفحات بريد التعارف مع الملاحظة ادعوكم ان تقربوا الى افهامنا وتسجلوا قسائم التعارف لاصدقائنا الذين يقطنون بالدول الغير الناطقة بلغة الضاد كما ترد عليكم او اللغة المتعامل بها فى كل الدول بالانكليزية مثلا ولكم مزيد الشكر وارجو ان تنسخوا رسالتنا ودمتم دعاة خير وسلام .

والحمد لله رب العالمين .

شكرا على تحيتك الصادقة وكان يسرنا ان نلبى رغبتك بنشر صورتك فى بريد التعارف ولكن الصورة لم ترد مع خطابك ونحن فى انتظار ارسالها لنتمكن من تلبية هذه الرغبة نتمنى لك التوفيق .

تحية

بقلم الصديق احمد محمود خليل

الفيوم — دسيا

تحية طيبة خالصة لكم من القلب ليس فيها رياء ولا مجاملة حيث اننى معجب بكم وبمجلتكم منبر الاسلام اشد الاعجاب وانى لاجد فيها ما يحتاجه كل مسلم من تفسير لايات الله الكريمة والاحاديث الشريفة وكل ما يهم ويشغل كل مؤمن حيث ان مجلتكم هذه جامعة لكل شىء .

وارجو ان تقبلونى صديقا دائما لمجلتكم الكريمة . والله يجزى كل على نيته وعلى اخلاصه

ويقول الصديق محمد الشافعى من رجال التعليم — الهرم — القاهرة

السيد الاستاذ الكبير محمد توفيق عويضه رئيس تحرير مجلة منبر الاسلام

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم وبعد فان مجلتكم الغراء لا تفتقر الى تقريظ فان كل ما فيها عظيم ومفيد . والقراءه فيها تعتبر من أسمى العبادات والقربى ففيها تفسير للذكر الحكيم واحاديث وقصص اسلامية جليلة ويبدو فيها الاخلاص الذى ننشده فى جميع اعمالنا . كما ان المتصفح لها يجد بها موضوعات هى الصفوة المختارة المنتقاة فجزى الله كل من اسهم فيها اوفى الجزاء .

غير انى الاحظ ان الموضوعات كتب بعضها بالبنط الدقيق الذى يعز على وعلى أمثالى قراءته الا بصعوبة شديدة تضيع بهجة الموضوع ، وتفوت الغرض المنشود واتقدم راجيا التفضل بالعمل على تلافى ذلك ونحن على استعداد للاسهام بشىء من المال وان كنت معتقدا ان المجلة تضحى بالكثير فى سبيل نشر الثقافة الاسلامية فى انحاء العالم الاسلامى وفقكم الله لخدمة الدين وجعلكم من رواده المخلصين . والله اسأل ان يسدد خطاكم ، وان يهىء لكم من امركم رشدا .

وختاما اشكر القائمين بالمجلة كل الشكر واضرع الى المولى القدير ان يكلاهم برعايته حتى يؤدوا للمسلمين اجلَّ الخدمات .

والسلام عليكم ورحمة الله .

نشكر لك مشاعرك الطيبة ونحن نقدر اقتراحك واستعدادك الطيب والذى يلجئنا الى بنط ٩ هو أزمة الورق والتكاليف الباهظة للعدد الواحد ويكفى أن تعرف أن العدد الذى يباع بـ ١٥ قرشا يتكلف مثل هذا المبلغ ثلاث مرات ويزيد احيانا .. ومن هذا تعرف أن هدفنا هو نشر الدعوة والثقافة الاسلامية والله الموفق .

الاسم : عباس حسان عبد السلام
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ٢٧ عاما
المهنة : طالب بكلية الشريعة
الهواية : المراسلة وتبادل الافكار
العنوان : الجوادية — بسنديلة دقهلية

الاسم : سعيد امبارز حسين
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ٢٨ عاما
المهنة : موظف
الهواية : المراسلة وقراءة الكتب الدينية
العنوان : القاهرة ص.ب ١٢٥٠

الاسم : حسن عبد الفتاح ابو احمد
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٧ عاما
المهنة : طالب ثانوى تجارى
الهواية : جمع المعلومات الدينية والاطلاع
العنوان : جزور — بركة السبع خلف مسجد سيدى يعقوب المغربى منوفية

الاسم : ناصف صادق ندا
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٩ عاما
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة والاطلاع الدينى
العنوان : القنايات — شارع الجمهورية محافظة الشرقية

الاسم : جمال الدين محمد الشرقاوى
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٨ عاما
المهنة : طالب
الهواية : الاطلاع الدينى والمراسلة
العنوان : ٩٨ شارع طلال سعد الله ترعة الزمر سابقا اول طريق الهرم — الجيزة

الاسم : هشام عبد المنعم عبد البصير
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٧ عاما
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة والاطلاع الدينى
العنوان : المنيا — مركز سمالوط شارع شكرى القوتلى منزل رقم ١٤

الاسم : التهامي الوزاني
البلد : المملكة المغربية
السن : ١٥ عاما
المهنة : طالب
الهواية : المطالعة في الكتب الدينية ومراسلة المجلات الاسلامية
العنوان : مدرسة الحي الجديد المختلطة بتغكت

الاسم : عبد الجبار عفتان
البلد : الجمهورية العراقية
السن : ١٧ عاما
المهنة : طالب
العنوان : محافظة الانبار مديرية التربية والتعليم لسيد عفتان ثم لولده عبد الجبار

الاسم : الحبيب الوكيل
البلد الجمهورية التونسية
السن : ٢١ عاما
المهنة : طالب جامعي
الهواية : المراسلة وجمع الطوابع البريدية والمطالعة وقراءة القرآن
العنوان : نهج مجيدة بوليلة زنقة١٩رقم ٧صفاقس

الاسم : سعيد الجازي
البلد : الجمهورية التونسية
السن : ٢٠ عاما
المهنة : تلميذ
الهواية : تبادل الاراء في المسائل الدينية
العنوان : شارع الحبيب شامر ــ نابل تونس

الاسم عبد الباقي بن مخلوف
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب ثانوي
الهواية : المراسلة وتبادل الصور وتعلم اللغات
العنوان : عالي كشكار عمر بالشارع الرئيسي ــ القرارم ــ قسنطينة

الاسم : يعلى المحفوظ
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٩ عاما
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وجمع الطوابع البريدية
العنوان : ولاية المسيلة ــ بوسعادة بواسطة اعنية المداى

الاسم : عزوق ابراهيم
البلد : الجمهورية الجزائرية
المهنة : أستاذ
الهواية : تبادل الرحلات والمراسلة
العنوان : ولاية المسيلة ــ بوسعادة ابومامين رقم ١٦٢/٧ الجزائر

الاسم : العفرازن بوعيسى
البلد : الجزائر
المهنة : مدرس
السن : ١٩ عاما
الهواية : المراسلة وتبادل الافكار
العنوان : نهج اخوان ربين رقم٦ تنس ولاية الاصنام

اقـــرأ في هذا العدد

■ معالم الطريق :

الموضوع	الصفحة
مع الرئيس السادات فى ايران والمملكة العربية السعودية وقطر ودولة الامارات العربية	٣
نص الرسالة التى وجهها الرئيس المؤمن محمد انور السادات الى مؤتمر الاديان العالمى الثامن بطوكيو والتى القاها فى المؤتمر السيد الاستاذ محمد توفيق عويضة امين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ورئيس وفد مصر فى المؤتمر	١٧
نص المحاضرة التى القاها السيد الاستاذ محمد توفيق عويضة فى مؤتمر الاديان العالمى الثامن فى طوكيو من ٩ — ١٩٧٦/٦/١٦ لمحة الى بعض مزايا الاسلام	١٩

■ دراسات قرآنية :

الموضوع	الكاتب	الصفحة
تفسير سورة البقرة	الاستاذ احمد حسين	٢٨
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	الشيخ عبد الجليل عيسى	٣٥
خصائص القصة القرآنية	الاستاذ فتحى رضوان	٣٧
دعاء الانبياء	الدكتور احمد الحوفى	٤١
العلم فى القرآن	الدكتور احمد حسنين القفل	٤٤
القرآن يعالج امراض النفس والمجتمع ...	الشيخ عبد الحميد بلبع	٤٨
قضايا فكرية فى فهم العربية	الدكتور محمد بدرى عبد الجليل ...	٥٠
اعجاز القرآن البيانى	الدكتور عبد الغنى الراجحى	٥٣
تاملات فى البيان القرآنى	الدكتور ابراهيم عوضين	٥٥
اياك نعبد واياك نستعين	الدكتور محمد القيعى	٥٧
وقوع الفتح فى حجج الشرع	الدكتور محمد سعادجلال	٦٠
من اخلاق القرآن	الدكتور احمد الشرباصى	٦٣
من فضائل علوم القرآن	الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى ...	٦٥

■ التشريع الاسلامى :

الموضوع	الكاتب	الصفحة
من احكام الشريعة الاسلامية وآدابها	الشيخ محمد خاطر	٦٨
التطبيق المعاصر لزكاة المال	الدكتور شوقى شحاته	٧٠
البيوع فى الاسلام	الدكتور محمد عبد المنعم خميس ...	٧٦
الدين اساس القانون الاسلامى	المستشار احمد محمود خليل	٧٨
سمات التشيع الاسلامى	الاستاذ احمد بهجت	٨٠
حقوق الجار فى الشريعة والقانون	المستشار عبد الستار آدم	٨٢
حرية النفس	الدكتور احمد عمر هاشم	٨٤
اصول مذهب الامام احمد بن حنبل	الدكتور عبد العزيز عزام	٨٦

■ الدعوة والدعاة

يشرف على تحريره منصور عبيد/ فؤاد هيبة/ على عياد

الموضوع	الكاتب	الصفحة
سبيل الحق	الشيخ احمد كامل الخضرى	٨٨
اضواء على الدعوة الاسلامية	الشيخ محمود هاشم	٩١
الاسلام وعالمية الدعوة المحمدية	الشيخ محمد حافظ سليمان	٩٣
منهج الاسلام فى تربية الشباب	الشيخ منصور عبيد	٩٥
السعادة فى الرضى	الشيخ على فريح حسنين	٩٨
من تاريخ السيدة زينب فى ذكراها	الشيخ ابراهيم جلهوم	١٠٠
رسالة المسجد	الشيخ زكريا الزوكة	١٠٢
الاسراء وحياة الانبياء	الشيخ عبد الحميد ندا	١٠٤
معجزة الاسراء والمعراج وحقوق المسلمين فى المسجد الاقصى	الشيخ مرتضى محمد متولى	١٠٦
ائمة المساجد والاجازة الصيفية	الشيخ محمد متولى المراكبى	١٠٨
فرق ليست من الاسلام	الشيخ عبد الفتاح ابو سنة	١٠٩
قرات لك : من ائمة الدعوة [الامام الغزالى]	الاستاذ محمد لطفى محمد على	١١٢
دعاء	... ...	١١٢

الباب	الموضوع	الكاتب	الصفحة
■ التصوف :	الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	١١٤
■ العلم والايمان :	على ضوء مؤتمر الاديان	الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ...	١٢٠
	هذا هو الاسلام قوام البشرية	الشيخ محمود ابراهيم طهرة	١٢٢
	لولا انتم لكنا مؤمنين	الاستاذ عبد العظيم منصور	١٢٦
	معرفة الله غاية الغايات فى المعرفة الانسانية	الاستاذ طه محمد كسبه	١٢٨
	من وحى مكة	الدكتور محمد خليفة	١٣٢
	ولواتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض	الدكتور ابراهيم هلال	١٣٤
	اكاذيب صهيونية حول تقنين الشريعة الاسلامية	الاستاذ محمد دياب	١٣٦
	يوم من ايام الرسول	الاستاذ انور الجندى	١٣٨
	صفحات من التاريخ	الاستاذ عبد المنعم حمادة	١٤٠
	الجانب الاقتصادى فى فكر ابن خلدون	الدكتور عبد العزيز رضوان	١٤٣
	فلينظر الانسان	الاستاذ محمد النقاشى	١٤٦
	الاسلام والبحث عن الحقيقة	الاستاذ عبد الحكيم النجار	١٤٨
	من ملامح واخلاق مجتمع العلم والايمان ...	الشيخ مصطفى الجندى	١٥٠
	وانه هو اضحك وابكى	الاستاذ عبد السلام القوصى	١٥٢
	المفهوم الاسلامى للكرامة	الاستاذ عبد الله محمد كامل	١٥٤
■ الفن الاسلامى :	من الفنون الزخرفية الاسلامية	الاستاذة سميحة الجبالى	١٥٦
	مراكز انتاج الاقمشة فى مصر الاسلامية	الاستاذة سادات عباس سلهم	١٥٨
■ القصة :	رجل ومعارك	الاستاذ محمد صالح	١٦٢
■ الشعر :	شباب المؤمن	الشاعر محمد عبد اللطيف بن الخطيب	١٦٦
	الدمع خلف الهرب	الشاعرة روحية القلينى	١٦٧
	ما حرم المولى فليس مباح	الشاعر محمد صلاح عفيفى	١٦٧
	وقفة على الباب المقدس	الشاعر عبد المنعم التن	١٦٨
	الحب الالهى	الشاعر احمد المراغى	١٦٨
■ الطب :	الطب الوقائى	الدكتورة ابتسام عبد الحليم	١٧٠
■ شخصيات اسلامية :	الامام على بن ابى طالب	الاستاذ توفيق ابو علم	١٧٤
	ضماد بن ثعلبة الازدى	الاستاذ عبد المنعم الادفوى	١٧٧
	السيدة نفيسة رضى الله عنها	الاستاذ سالم عرفات سالم	١٧٩
	فارس الاولياء السيد احمد البدوى	الاستاذ انور طلب	١٨٠
	عبد الرحمن عزام فى ذمة الله	الاستاذ صبرى ابو المجد	١٨١
■ المكتبة الاسلامية :	تفسير السلمى	الدكتور منيع عبد الحليم محمود ...	١٨٥
■ الافتاء	انت تسال والمفتى يجيب	الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود	١٨٨
■ الاسرة المسلمة :	المرأة فى رأى الدين	الاستاذة سعاد جوهر	١٩٤
	نموذج للفكر الاسرائيلى	الاستاذ ناصف سليم	١٩٧
	مع القراء	اعداد فؤاد هيبة	٢٠٣
	بريد التعارف	... ...	٢٠٥

وثيقة **الشرق الجديدة**

أولادك أمانة فى عنقك

فماذا أعددت لهم ؟

وثيقة الشرق الجديدة تحقق الأمان لأسرتك

فهى الوثيقة ذات المزايا العديدة

- فى نهاية مدة التأمين تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين الأصلى .
- فى حالة الوفاة العادية تدفع الشركة للمستحقين فوراً مبلغ التأمين الأصلى مضافا إليه زيادة قدرها ٥٪ عن كل سنة من بدء التأمين حتى الوفاة .
- فى حالة الوفاة بحادث تدفع الشركة للمستحقين مبلغ التأمين الأصلى بالإضافة إلى مبلغ التأمين المستحق فى حالة الوفاة العادية .
- فى حالة الإصابة بعجز كلى دائم تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين الأصلى .
- تأمين إضافى على الأرملة بمبلغ التأمين الأصلى بدون دفع أقساط .
- تغطية أخطار الحرب للمدنيين بدون قسط إضافى .
- تمنح الشركة قروضا بعد سداد أقساط سنتين معفاة من الفوائد فى حالة الحج والتقديس والعمليات الجراحية .

(انظر الكوبون صفحة ١٥٤)

شركة الشرق للتأمين

المركز الرئيسى ١٥ شارع قصر النيل - القاهرة

بسرى